السيرة الشريفة المنصورية

سيرة الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة عليه السلام



بسم اللّٰه الرحمن الرحيم

السيرة الشريفة المنصورية

سيرة الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة عليه السلام

تأليف

فاضل بن عباس المعروف بأبي فراس ابن دعثم

الجزء الأول من الأجزاء المفقودة

أحداث ما قبل الدعوة وبعدها إلى سنة (٥٩٨)هـ

تحقيق

إبراهيم يحيى عبد الله الدرسي الحمزي وفقه الله

منشورات مركز الإمام المنصور بالله عليه السلام

الطبعة الأولى

١٤٤١هـ، ٢٠١٩م

تم الصف والتحقيق والإخراج بمركز الإمام المنصور بالله
عبد الله بن حمزة عليه السلام للدراسات الإسلامية

مقدمة التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على كل نعمة، ونشكره على كل حسنة، ونستغفره من كل ذنب، ونتوب إليه من كل خطيئة، له الحمد الدائم، والشكر اللازم.

وصلى الله وسلم على سيد الأنام، ومصباح الظلام، وبدر التمام، محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين.

أما بعد: من نعم الله العظمى علينا، ومننه الكبرى المسداة إلينا، أن عرفنا بأهل بيت نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، أدلة الحق والدعاة إليه.

ففي كل زمان منهم مَن يدعو إلى الحق ويدل عليه، من إمام سابق، أو مقتصد لاحق، فكتب التواريخ والسير موشحة بذكرهم، ومطرزة بأسمائهم، ومشحونة بأخبارهم، وموشية بآثارهم، فصفحات التاريخ بهم مشرقة، وأنوار الحق بهم مضيئة، وظلال العدل على العباد بحميد سعيهم ممدود، ولواء الحق خافق مشدود، والباطل مدحور مردود.

وبين يديك - أيها القارئ الكريم- سيرة من أنقى السير وأتقاها، وأبرها وأوفاها، ابتهجت الدنيا بمآثر مولاها، وتزينت الأيام والليالي بمفاخر مَن مؤلفُها له أنشاها، فهي تسلسل لنا حياةً كان بها حياة الدين، وتشرح أخباراً انشرحت بها صدور المؤمنين، وتحكي مواقف عزٍّ اعتز بها المسلمون، وأذلت رقاب الطغاة والظالمين، بها قامت قناة الحق واعتدلت، ورفعت راية الصدق واعتلت، وانتعش العدل والإنصاف، ومات الجور والاعتساف.

فهي سيرة الإمام المنصور بالله، ذي الفضائل المشهورة، والمقامات المذكورة، والمناقب المأثورة، والأيام المسطورة، المنصور برب العزة، عبد الله بن حمزة عليه السلام.

وكان قد طبع من هذه السيرة الشريفة مجلدان يحتويان على الجزء الثاني والثالث منها، بتحقيق الدكتور عبد الغني محمود عبد العاطي، جزاه الله خيراً، فلقد خدم سيرة الإمام عليه السلام خدمة عظيمة، وبذل قصارى جهده في ذلك، فالمفقود منها –على ما ذكره المحقق– الجزء الأول والجزء الرابع الأخير.

وقد مَنّ الله تعالى في هذه الفترة – في الأيام القريبة – بالعثور على الجزء الأول من سيرته عليه السلام، وذلك بحميد سعي السيد الفاضل، الباذل نفسه ووقته في البحث عن كتب أهل البيت وأشياعهم، علي بن محمد بن حسين الدولة، كتب الله أجره، وأصلح أمره.

علماً أن هذه السيرة التي ألفها أبو فراس بن دِعثم المشهور والمتداول بين العلماء أنها أربعة مجلدات، لكن الذي يظهر أنها خمسة مجلدات، لأن المجلد الأول الذي طبع بتحقيق الدكتور يذكر المؤلف في أوله أنه قد ذكر في الجزء الذي قبله موت إسماعيل بن طغتكين واختلاف الجند بعده، وفي هذا الجزء –الذي بين يديك–، لم يذكر المؤلف شيئاً من ذلك، فلعلها في الجزء الذي بعد هذا الجزء، فيكون هذا الذي بين يديك هو الجزء الأول، والجزء الثاني لا يزال مفقوداً، والثالث والرابع قد طبعا، والخامس لا يزال مفقوداً.

وقد ذكر ذلك الفقيه العلامة محمد بن أحمد بن الوليد القرشي في سيرته المختصرة المسماة (الدر المنثور في فضائل الإمام المنصور)، حيث قال: فإن جميع ذلك مسطور في السيرة الشريفة، وهي خمسة مجلدة كبار. انتهى.

مع أن السير التي صنفت في السيرة المنصورية، ثلاث سير:

الأولى: السيرة الكبيرة، وهي التي جمعها القاضي العلامة علي بن نشوان الحميري، وهي ستة مجلدات، ولم نقف عليها.

الثانية: السيرة المتوسطة، وهي التي جمعها العلامة أبي فراس - فاضل- بن دعثم، وهي خمسة مجلدات، وهي المختصرة من السيرة الأولى، مع زيادات انفرد بها.

الثالثة: السير المختصرة، وهما سيرتان:

الأولى: الدر المنثور في فضائل الإمام المنصور، تأليف العلامة محمد بن أحمد بن الوليد القرشي.

الثانية: ملحق الحدائق الوردية، وهو ترجمة موسعة للإمام المنصور بالله عليه السلام، تأليف الفقيه العلامة الشهيد حُميد بن أحمد المحلي، وهي في آخر كتاب الحدائق الوردية.

أهمية الجزء الأول من السيرة

وهذا الجزء الأول من السيرة الشريفة المنصورية من تأليف الفقيه العلامة، أبي فراس — فاضل- بن دعثم —عباس، وستأتي ترجمته إن شاء الله تعالى.

وهو ذو أهمية بالغة في حياة الإمام المنصور بالله وسيرته، لأنه يتحدث عن أوائل حياة الإمام عليه السلام، وبدايات نهضته، ومبادئ بناء الدولة المنصورية.

وبداية النهوض وبناء الدولة وترتيب ولاياتها، وأوائل أعمالها، والراغبون فيها، والرافضون والمعارضون لها، والمخذلون عنها، والمناهضون والمحاولون لإخمادها، من أهم المراحل - بل ومن أصعب الفترات - التي تمر بها السير عموماً.

فهناك الكثير من الأحداث والقضايا التي تحتاج إلى شرح وتوضيح تاريخي، يتبين من خلاله كيف بدأت وحصلت؟ وكيف انتهت؟ وما هي أسبابها؟.

فالإمام المنصور بالله عليه السلام لما شاع فضله كثر شانؤوه، وحين اشتهر صيته تعدد حاسدوه، وحين تعددت مناقبه ومزاياه زاد أعداؤه ومبغضوه، فكل ذي نعمة محسود، ولا بد لكل ذي شأن من أعداء، كما قال تعالى **{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نِبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ}**(الأنعام/١١٢).

وستعرف في ثنايا سطور هذه السيرة العطرة الجواب عن كثير من القضايا والأحداث التي لم تفصح عنها كثير من المراجع التاريخية، أو تجنت وتعدت عليها مراجع أخرى، زيفت وافترت، أو تجنت وحرفت، فضلّت وأضلت.

ترجمة مؤلف السيرة المنصورية

هو المؤرخ الكبير، والشاعر الأديب الخطير، الشيخ المقدام، علم الشيعة الأعلام، ركن الدين، أبو فراس - واسمه فاضل- بن دعثم - وهو عباس- بن علي بن محمد بن أبي القاسم بن أبي عمرو.

والذي يقرأ السيرة المنصورية سيعرف من خلالها مكانة أبي فراس بن دعثم عند الإمام المنصور بالله عليه السلام، وأنه كان يثق به وثوقاً كبيراً، وأنه كان يلازم الإمام المنصور بالله في أكثر أسفاره وحضره.

قال القاضي العلامة المؤرخ أحمد بن صالح ابن أبي الرجال في كتاب مطلع البدور ومجمع البحور:

كان حاذقاً ماهراً أديباً، شاعراً أريباً، فصيحاً عالماً، كاتباً من كتاب الإنشاء المجيدين مع الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة بن سليمان عليهم السلام، وهو من خلصان الإمام، وكان سيفاً مسلولاً على المطرفية، وهو من آل أبي عمرو.

وقد عُمِّر أبو فراس إلى ما بعد الإمام المنصور بالله عليه السلام، وقد نقل ابن أبي الرجال في ترجمته كلاماً له في آخر الجزء الأخير من السيرة المنصورية يدل على مدى حزنه البالغ، وتأثره الكبير، بوفاة الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة عليه السلام، حيث قال -كما ذكره ابن أبي الرجال-:

وعند أن أنجز تأليف ما تضمنه هذا الجزء من السيرة الشريفة المنصورية، وهو آخرها في شهر ربيع الأول سنة خمس عشرة، فاضل بن عباس بن علي بن محمد بن أبي القاسم بن أبي عمرو، وقد أجرضته الأحزان، وتكاثفت عليه الأشجان،

حتى ودَّ أنه ما كان، للمصيبة التي عمت وأهمت، وخصت الإسلام وعمت، بعض صاحبها الذي ألفت من فضائله، وحكى فيها بعض وقعات جنوده وقبائله، فيالها من مصيبة هدت بنيان المكارم، وصغرت مواقع النوازل العظائم، وعمت كافة الإسلام بالفواقر والقواصم، وذكرتهم ما قيل قديماً في قيس بن عاصم:

عليك سلام الله قيس بن عاصم ورحمته ما شاء أن يترحما

فما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما

وكان يود عند إكمالها لو نزل به الحَين المتاح، والقدر المجتاح، فيقضى نحبه قضاء الصفاح، ولهاذم الرماح، دون أن يكون خاتمها، وحاكي وفاة صاحبها سلام الله عليه وراقمها، ولكن لن يبلغ كل متعن ما تعنَّى، ولن ينال كل متمن ما تمنى، وقد قال تعالى: **{وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ}**(الأنبياء/٣٤)، قال عن قلب مجروح، ودمع مسفوح:

لو كان يومي قبل إكمالها لكان عندي مغنماً مستفادْ

يكملها غيري ولا أصطلي بحسرة تشوي سُويدَ الفوادْ

يهلك في ضمنها فضله كالشمس عم النور منها البلادْ

تعطر الآفاق من طيبه وترتدي بالحسن كلُّ النَّوادْ

ويعتلي العلب نزار به ذروة مجد مشمخر العمادْ

فليت عمري زيد في عمره أو ليتني كنت فدىً لو أفادْ

أو ليتني مت بأيامه بين الضبا البيض وسمر الصِّعَادْ

ولم أكن شاهد يوم به اختاره للقبض ربُّ العبادْ

مضى فقيداً وغدا سعيه يحمد في الدنيا ويوم المعادْ

فيــا لهــا مــن حســرة حرهــا	حتـــى أُوارى للـــبلا والنفَـــادْ
فـــإن يكـــن مـــا رُمتـــه فـــاتني	مـــن ميتـــة فـــوق متـــون الجيـــادْ
فقـــد تســـنمت لهـــا شـــامخاً	وكـــم لهـــا فـــارق جفنـــي السُّـــهَادْ
لكننـــي أرجـــو بـــأن يغتـــدي	أوفـــى شـــفيع لـــي يـــوم التَّنَـــادْ
صـــلى عليـــه الله مـــن ذي عُـــلا	وجـــاد فـــي مثـــواه وبـــلُ الغـــوَادْ

ولم أقف على تاريخ وفاته.

رحمه الله رحمة الأبرار، وجزاه خير الجزاء، وألحقه بالنبي المختار، وآله الأطهار.

تنبيهات حول النسخة المحققة

هذه النسخة التي اعتمدناها هي النسخة الوحيدة من هذا الجزء من السيرة المنصورية، وهي تمتاز بخط نسخي جيد، والذي يظهر أنها نسخة المؤلف، أو نقلت من نسخة المؤلف، ويعود تاريخ نسخها إلى أيام الإمام عليه السلام، لأنه قال في آخرها: فرغ من قرآءته بحصن ظفار حماه الله في جمادى الآخرة سنة ثمان وستمائة، حامداً لله، مصلياً على رسوله محمد وآله.

فكتابتها وقرآتها في أيام الإمام عليه السلام، ويمكن أن تكون قرأت عليه.

وكما أسلفنا الكلام حول أجزاء السيرة المنصورية، فإنها رغم أهميتها البالغة في تلك الحقبة الزمنية، إلا أنها كغيرها من أمهات مهمات الكتب أصبحت في المفقودات، التي لا يمكن العثور عليها إلا بمشقة شديدة، وإذا عثر عليها فالمعثور عليه منها يكون نسخة فريدة، يتخللها النقص والسقط في أولها أو في آخرها، أو فيهما، مع النقص الذي يتفاجأ به القارئ في ثنايا أوراقها ومباحثها.

وهذه النسخة من ذلك القبيل، فهي مبتورة من أولها، وهناك نقص كثير في أوراقها، وقد حاولت بقدر المستطاع والإمكان بحسب ما لدي من المراجع التاريخية، أن أكمل بعض النقص الحاصل فيها، وقد أشرت إلى تلك المواضع في هوامش السيرة.

أما بالنسبة للمراجع التاريخية التي أفادتنا بعض الإفادة في تغطية بعض النقص الحاصل، والذي سوغ لنا الإكمال والتتميم منها، هو ما يذكره مؤلفوها ومصنفوها من النقل عن مصنف السيرة أبي فراس بن دعثم، وهي كما يلي:

أولاً: كتاب الدر المنثور في فضائل الإمام المنصور، وقد أكملت به من أولها بعض المباحث المتعلقة بمولده ونشأته وبعض صفاته، وقد أوردت هذه السيرة المباركة في آخر هذا الكتاب كملحق، لإتمام الفائدة.

ثانياً: كتاب الشافي والحدائق الوردية ومطلع البدور وذلك في تراجم آبائه عليهم السلام، أما الشافي فالإمام عليه السلام ترجم لآبائه عليهم السلام في الجزء الثاني في سياق إيراده لسند مذهبه، الذي أخذه عن آبائه، وأما صاحب الحدائق الوردية فهو يحكي عن ما أدركه، أو نقل وروى عمن أدرك ذلك الزمان، وأما صاحب مطلع البدور فهو ينقل عن صاحب السيرة بلفظه، فأوردنا في كل ترجمة ما نقله عن صاحب السيرة.

ثالثاً: الآلئ المضيئة للعلامة الكبير أحمد بن محمد بن صلاح الشرفي، والتحفة العنبرية في المجددين من أبناء خير البرية، للعلامة النسابة الشهير بأبي علامة محمد بن الإمام المتوكل على الله عبدالله بن علي بن الحسين، فإنهما نقلا من السيرة المنصورية لأبي فراس نقولاً واسعة، ومباحث متكاملة، على اختصار في

بعضها، فما أمكن إلحاقه بالنقص -ولو مع الاختصار- ألحقناه، وقد نبهت على ذلك في أثناء الكتاب.

رابعاً: ديوان الإمام المنصور بالله عليه السلام، المسمى ((مطالع الأنوار ومشارق الشموس والأقمار))، فقد نقلت منه النقص الحاصل في القصائد الشعرية للإمام عليه السلام، وقد يكون في الديوان أبياتاً زيادة على ما في السيرة فأعتمد ما في الديوان، وقد طبع الديوان بحمد الله تعالى مرتين، وامتازت الطبعة الثانية بزيادات من نسخة خطية قديمة، يعود تاريخها إلى أيام الإمام المنصور بالله عليه السلام، بل قُرِأَتْ أكثر القصائد عليه.

خامساً: ما أتحفني به الأخ الفاضل العزيز علي بن محمد الدولة حفظه الله، وهو كتاب مجموع يحتوي على الكثير من مكاتبات الإمام المنصور بالله عليه السلام ورسائله وأشعاره، لم نعرف من هو الذي جمعه، ولكن الذي يظهر أنه من المعاصرين للإمام عليه السلام، لأنه يروي بعض الأحداث والقضايا عن مؤلف السيرة أبي فراس بن دعثم، وقد أفادني هذا المجموع كثيراً، فمنه أتممت الكثير مما كان ناقصاً في السيرة، كرسالة الإمام إلى طاشتكين، وكذلك عهد الإمام للأمير يحيى بن أحمد، ورسالته للناس يوم نهض لحربه، وكثير من القصائد التي أنشأها عليه السلام في فترة ما بعد الدعوة إلى سنة (٥٩٨)هـ.

وقد وفق الله تعالى بهذا المجموع المبارك بعد إتمام تحقيق السيرة، وكنت قد أرسلتها للطباعة، فاقتضى ذلك التأخير بعض الوقت لإتمام النواقص، وإلحاق الفوائد، فجزى الله الأخ الكريم علي الدولة خير الجزاء، على اهتمامه بتراث

الأئمة عليهم السلام، فله مني جزيل الشكر، وخالص التحية، وصالح الدعوات المباركات إن شاء الله تعالى.

فكل ما نقلته من المراجع السابقة جعلته بين قوسين، هكذا [ ]، ونبهت من أين أخذته في الهامش.

وما لم أتمكن من تكميله أبقيته على ما هو عليه في الأصل، راجياً من الله تعالى أن يسهل وييسر بنسخة كاملة، نكمل منها النقص، والله ولي التوفيق والهداية.

وسنبذل الجهد -إن شاء الله تعالى- في طباعة ما تبقى من أجزاء السيرة المنصورية، سواء كان مما قد طبع أو مما لا يزال مفقوداً — إن يسر الله تعالى بالعثور عليه-.

وفي الختام: نسأل الله تعالى أن يوفقنا لما يرضيه، وأن يجنبنا معاصيه، وأن يأخذ بنواصينا إلى كل خير، وأن يصرف عن كل شر وضير، وأن يجعل أعمالنا وأفعالنا وأقوالنا خالصة لوجهه الكرم، إنه على كل شيء قدير.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

إبراهيم يحيى عبد الله الدرسي الحمزي وفقه الله

الحمزات — صعدة — اليمن

بتاريخ يوم السبت ٢١/محرم الحرام/١٤٤١هـ

الموافق ٢١/٩/٢٠١٩م

الصفحة الأولى من نسخة المخطوطة الوحيدة

الصفحة الأخيرة من نسخة المخطوطة الوحيدة

الإضافات(١) لتتميم النقص الحاصل في أول المخطوطة وتحتوي:

١- مولده

٢- نسبه

٣- صفته

الإضافات

[بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، وبه نستعين، وعليه نتوكل.

الحمد لله على سوابغ النعماء، وجزيل العطاء، وحميد البلاء، وترادف الآلاء، وصلى الله على رسوله سيد الأنبياء، وعلى وصيه سيد الأوصياء، وعلى آلهما الشجرة الطيبة، التي أصلها ثابت وفرعها في السماء.

وبعد: [فهذه الإضافات لإكمال النقص والبتر الموجود في أول المخطوطة].

أما ميلاده عليه السلام

فذكر صاحب أول السيرة أنه ولد عليه السلام في شهر ربيع الأخر، لإحدى وعشرين ليلة خلت منه، سنة (٥٦١)هـ، بقرية عيشان(١) من ظاهر بلاد همدان.

روى عمن يثق به أنه عند ولادته ازداد ضوء المصباح، وعلا علواً جاوز الحد المعتاد، حتى بلغ دون سقف البيت، واستقام على ذلك الحال، وشهدت بذلك الحاضرة لولادته عليه السلام] (٢).

[وأسنده مصنف سيرته عليه السلام إلى الشيخ عواض بن مسعود رحمه الله، رواه عن المرأة التي حضرت الولادة](٣).

ثم ما جرى على تلك القرية خراب ولا هلاك من بين القرى التي حولها.

---

(١) عيشان: جبل شرقي شهارة بجوار قفلة عذر، يبعد عن مدينة حوث ٣١كم تقريباً جهة الغرب.

(٢) ما بين القوسين من الدر المنثور.

(٣) ما بين القوسين زيادة من الحدائق الوردية .

وروي أن والده عليه السلام رأى في النوم كأن رجلاً عظيم الشأن له هيبة وجلالة، فسأل من هذا؟، ففهم من الجواب أنه ولدك، واسمه عبد الله بن اشكر، أو يشكر الكوفي.

فلما ولد عليه السلام أتى البشير إلى والده، فقال له: أما إن كنت مبشراً بعبد الله فقد سبقك غيرك.

ولما وصل إلى منزله سألته زوجته زينب بنت إبراهيم بن سليمان أن يسميه عبد الله فحكى القصة.

وروي عن والده عليه السلام أنه رأى في منامه أنه ظهر منه نور ملأ الأرض كلها، فقالت له جدته سيدة بنت عبد الله القاسمي -وكانت مؤمنة حافظه للقرآن-: اكتم ذلك، فقد قيل: إنه لا بد أن يظهر منك أو من أبيك المنصور، أو من يدل عليه، ثم ذكر أنه عبر هذه الرؤيا على رجل من أهل صنعاء فعجب، وقال: أبشر يا حمزة بإمام من ذريتك.

[وكان أبوه حمزة بن سليمان عليه السلام قد رأى في شأنه منامين:

أحدهما: أنه رأى كأن رجلاً عظيم الشأن في منزلة عالية، عليه هيئة وجلالة وتعظيم عند الناس فسأل من هذا؟ ففهم من الجواب أنه ولدك واسمه عبد الله، فلما ولد عليه السلام أتى البشير إلى والده فقال له: أما إن كنت مبشراً بعبد الله فقد سبقك غيرك، فلما وصل إلى منزله سألته زوجته أن يسميه عبد الله فحكى القصة.

والمنام الثاني: أنه رأى أنه ظهر منه نور يملأ الأرض كلها، فعبره على جدته الشريفة الفاضلة سيدة بنت عبد الله الحرازي فقالت له: اكتم ذلك،

فقد قيل: إنه لا بد أن يظهر منك أو من ابنك المنصور أو من يدل عليه، ثم عبرها على رجل وهو يتعجب منها فلما استكملها قال: أبشر يا حمزة بإمام من ذريتك، فصدق الله منامه.

وكان والده حمزة بن سليمان أتاه قوم من بني صريم(١) ثم من الأجارم ثم من أهل عرار(٢) يطلبون منه القيام والمدافعة عنهم على بن حاتم بن أحمد لما ملك أرضهم فقال: لا فرج لكم على يدي وإنما فرجكم على يدي هذا الصبي وهو بين يديه ابن العشر السنين أو دونها، سمعنا ذلك عمن رواه عنه عليه السلام يروي ذلك] (٣).

وأما نسبه عليه السلام

[فهو أمير المؤمنين، أبو محمد، عبد الله بن حمزة الجواد، بن سليمان البر التقي، بن حمزة النجيب، بن علي المجاهد، بن حمزة الأمير القائم بأمر الله، بن الإمام النفس الزكية أبي هاشم الحسن، بن الشريف الفاضل عبدالرحمن، بن يحيى نجم آل الرسول، بن أبي محمد عبد الله العالم، بن الحسين الحافظ، بن الإمام ترجمان الدين القاسم، بن إبراهيم الغمر طباطبا، بن إسماعيل الديباج، بن

---

(١) بنو صريم: قبيلة من حاشد، من ولد صريم بن مالك بن حرب، وهم أحد الأقسام الأربعة لحاشد، وتنقسم إلى تسعة أتساع يتوزعون في عدة مناطق في اليمن.

(٢) عَرَار: بلدة من مديرية ريدة.

(٣) ما بين القوسين زيادة من الحدائق الوردية.

إبراهيم الشبه، بن الحسن الرضى، بن الحسن السبط سيد شباب أهل الجنة، بن أمير المؤمنين سيد العرب علي، بن أبي طالب سيد قريش، عليهم السلام.

نسب كأن عليه من شمس الضحى ردءاً ومن فلق الصباح برودا

وأما أمه عليه السلام: فهي الشريفة الفاضلة زينب بنت إبراهيم بن سليمان، من ولد الإمام محمد[١] الخارج بتاهرت من أرض المغرب واستقام أمره، وكان يركب الحمار ويلبس الصوف، وأبوه الإمام يحيى بن عبد الله عليهم السلام.

وهو عليه السلام من دوحة بسقت في سماء المجد والعلا، وأثمرت ثمراً حلو المجتنى، اكتسبت النضارة أغصانها، ولبست البهجة أفنانها، واقترنت بغرائب العلم، وتفتقت كمائمها من عجائب الفهم، ظاهرة البركة للعالمين، تؤتي أكلها كل حين، مباركة شافية زاكية نامية، قطوفها دانية] [٢].

صفته عليه السلام[٣]

كان عليه السلام طويل القامة، تام الخلق، روي اللون، أقنى الأنف، حديد البصر، فيه حدة مفرطة، أبلج كث اللحية، كأن شَيْبَهَا قصب الفضة صقالةً

---

[١] الإمام محمد بن جعفر بن الإمام يحي بن عبدالله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط عليهم السلام، كان خروجه بمدينة تاهرت السفلى، واسمها اليوم (تيارت) شمال الجزائر، وكان يركب ويطوف في الأسواق، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وهو جد الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة عليه السلام من قبل الأم عليهم السلام، وتوفي: سنة ٢٣٠ هـ تقريباً.

[٢] ما بين القوسين من الحدائق الوردية.

[٣] هذا الفصل مأخوذ من الحدائق الوردية.

وصفاء، قد كسي الكمال والمهابة والجمال حتى فاق أهل عصره في خلقه، كما فاقهم في خلقه.

ولقد روى لنا بعضهم: أنه رآه في حال صباه وعنفوان شبابه، وأنه إذا سجد يرى نور وجهه فيما يحاذيه يتردد كما يتردد نور الشمس عند وقوعه من الماء في الجدار.

مات عليه السلام وقد غلب الشيب على عارضيه خاصة.

وقال له بعضهم: يخضب عارضيه، فقال بديهاً:

قالوا اخضُبِ الشَّيبَ إنَّ الشَّيبَ مَنْقَصَةٌ فِي أعيُنِ الرَّشُئيَّاتِ الرَّعَادِيدِ[1]

فقلتُ ذاك كما قلتُم وهيبَتُهُ نقيضُ قولِكُم فِي أعينِ الصِّيدِ

نحنُ الذين ضَرَبنَا النَّاسَ عن عَرضٍ على البياضِ فهل نَرضَى بتسويدِ

وكان عليه السلام صادق الحدس، قوي الفراسة، يعرف بذلك من خبره من المخالطين، ويعد باليقين من جملة المحدثين، ولكم من أمر أخبر به قبل أوانه بالحدس فكان كذلك، وهو معنى قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله)).

قال الشاعر:

الألمعي الذي يظن بك الظـــن كأن قد رأى وقد سمعا

---

[1] الرشئيات: المراد به تشبيه النساء بالظباء لحسنهن وجمالهن، لأن الرشأ من أسماء الظبي. وامرأة رعديدة: يترجرج لحمها من نعمتها، أو هي الناعمة الحسنة.

الإضافات (٢)

وتحتوي على تراجم آبائه:

١- حمزة بن سليمان

٢- سليمان بن حمزة

٣- حمزة بن علي

٤- علي بن حمزة

٥- الشهيد حمزة بن أبي هاشم

٦- الإمام أبي هاشم الحسن بن عبد الرحمن

[تراجم آبائه عليهم السلام[1]]

وكان كل واحد من آبائه وأجداده له من الفضل والعلم والزهد والمقام الحميد ما يفوق به أهل زمانه، وجميع ذلك مذكور في سيرته الشريفة.

أما والده حمزة

[وهو حمزة بن سليمان: معروف بالفضل والعلم، مشهور بالنسك والورع.

أمه: فاطمة بنت محمد بن عبد الله بن أحمد بن بركات بن أحمد بن القاسم بن محمد بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام] [2].

[قال القاضي العلامة علي بن نشوان[3]: كان حمزة جامعاً لخصال الخير من العفة والطهارة والسخاء والعلم وشرف النفس وحسن الخلق، له حفظ في أصول الفقه وبراعة في الشعر والفرائض وعلم الكلام والنجوم يعرف علومها ولا

---

(١) ملاحظة: جمعت تراجم آباء الإمام عليه السلام من عدة مراجع، واعتمدت على كتاب الحدائق الوردية للفقيه حميد الشهيد رحمه الله، فما لم يكن من الحدائق جعلته بين قوسين ونبهت في الحاشية على مصدر أخذه، وما كان من الحدائق لم أجعله بين قوسين.

(٢) الشافي (٢/٣٥٤).

(٣) العلامة القاضي جمال الدين علي بن نشوان بن سعيد الحميري، علامة محقق، من أجلاء وقته، وتولى أعمالاً كباراً، وبقي على أعماله مدة طويلة، وجمع سيرة للإمام المنصور بالله سيرة حافلة عظيمة القدر، تدل على علو طبقته وسمو همته، وله شعر كثير يتخرج في أجزاء وأكثر المشاهد المنصورية والحروب الإمامية له في وصفها الشعر البليغ.

يقضى بأحكامها، وكان ممن يشار إليه لنصرة الدين وجهاد الظالمين، وكان كثير البركة أينما توجه، أصلح فانتقل من ذيبين، وهو وطن آبائه وقرارة أهله، فحل بمبين من نواحي حجة من مغارب همدان، فأحسن سياسة أهلها وتقريبهم، ورد الأكثر من مذهب الجبر إلى مذهب العدل والتوحيد.

روى الشريف الأجل إبراهيم بن يحيى بن الحسين الحمزي[(١)]، عن أبيه[(٢)] وأعمامه: أنهم مجمعون على فضله وبركته، ويقولون: ما في شبابنا يا بني حمزة أفضل منه.

وروى بسنده عن القاضي جعفر بن أحمد[(٣)] رحمه الله، قال: تذاكرنا فضل الحمزة بن سليمان، فقال: هو رجل فاضل عالم كامل، لو دعا إلى القيام بالحق، أو إلى الجهاد في سبيل الله لأجبنا دعوته واعتقدنا إمامته[(٤)].

---

(١) السيد العلامة الأمير الخطير إبراهيم بن يحيى بن الحسين بن حمزة بن أبي هاشم رحمه الله تعالى، كان عالماً عاملاً مجاهداً سابقاً.

(٢) وأبوه هو: السيد العلامة، عماد الدين، فقيه آل محمد، يحيى بن الحسين بن حمزة بن أبي هاشم الحمزي، فاضل قومه، وسيد معشره، النسابة المحقق، كان مبرزاً فاضلاً. مطلع البدور(٤/

(٣) القاضي شيخ الإسلام ناصر الملَّة شمس الدين وارث علوم الأئمة الأطهرين، جعفر بن أحمد بن أبي يحيى بن عبد السلام رحمه الله تعالى، كان ثبتاً، ورعاً، متبحراً في الرواية، شيخ الزيدية ومتكلمهم ومحدثهم، كان من أعظم أعضاد الإمام أحمد بن سليمان وأنصاره، وقد بسط العلماء في الثناء عليه، وقدموه على غيره، ونوه الأئمة بذكره؛ وله المصنفات الكثيرة، في فنون عديدة، اعتمد عليها العلماء، وتوفي رحمه الله (٥٧٣)هـ، وقبره في سناع مشهور مزور.

(٤) وقبره عليه السلام خارج حصن مبين من جهة الشرق، وعليه قبة وبجنبها مسجد لا يمله الواقف عليه، ويمسى الموضع عند من هنالك فيه الديار. انتهى من حاشية على مطلع البدور.

وروى السيد إبراهيم بن يحيى، عن أبيه، وعن الشريف حمزة بن جعفر[١]، وعن كافة آبائه وأعمامه أنهم كانوا يقولون: كان حمزة بن سليمان بن حمزة بن علي بن حمزة من أصلح أهل بيته، وأفضلهم وأشدهم ورعاً، وكان ممن يومَى إليه بالقيام، ولو قام لاستحق ذلك.

وروى القاضي أسعد بن علي المري، عن القاضي رشيد بن سلامة، عن الفقيه سليمان بن ناصر بن سعيد السحامي[٢] رحمه الله: أن الشريف السيد حمزة بن سليمان كتب إلى الأمير الكبير شمس الدين يحيى بن أحمد بن يحيى بن الهادي إلى الحق عليه السلام يعرض عليه الدعوة، فرجع إليه جوابه: إِنَّا في هذا الأمر على سواء، فإن قمتَ أجبناك] [٣]. انتهى.

---

[١] ذكره الإمام المنصور بالله في الشافي (٣/٢٠٦) في جملة من أدركهم من أبناء أبناء جده الحمزة بن أبي هاشم: قال: وأنا أدركت من أبناء أبنائه ثلاثة، إلى قوله: وحمزة بن جعفر، وجعفر هو فارس بني حسن، وضربه ضرب جده علي بن أبي طالب عليه السلام.

قلت: وتوفي ليلة الأحد، لثمان بقيت من جمادى الأولى، سنة (٥٢١)هـ، وقبره في قبة والده حمزة بن أبي هاشم في بيت الجالد من بلاد أرحب.

[٢] سليمان بن ناصر بن سعيد بن عبدالله بن سعيد بن أحمد بن كثير السحامي. أحد أعلام الفقهاء الزيدية، وكان من انصار الدين المخلصين، وكان يرى رأي المطرفية ثم رجع عنه إلى مذهب الحق، وكان من انصار الإمام المنصور بالله عَلَيْهِ السَّلاَمُ وأحد تلامذة الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان والقاضي جعفر بن عبدالسلام، وكان واسع العلم والإجتهاد، وردَّ كثيراً من أهل الجبر والتشبيه إلى العدل والتوحيد وله كتاب (شمس الشريعة) في الفقه وغيره، وتوفي سنة ٦٠٠هـ رحمه الله.

[٣] ما بين القوسين من مطلع البدور ومجمع البحور، الجزء الثاني.

وكان حمزة من فضلاء أهل عصره وعيونهم، له معرفة بأنواع العلوم، كان قد أقام مع القاضي العالم شمس الدين جعفر بن أحمد قدس الله روحه، وكان يروى عن القاضي: أنه يصلح للإمامة، ويقول: لو دعا لأجبنا دعوته.

وكان معروفا بالسخاء والمروءة والطهارة والعبادة والشجاعة.

ومن سخائه: أنه لقيه ضيف ولم يكن معه شيء، فعمد إلى ردائه، فشقه واشترى له طعاماً به، وفيه يقول الإمام المنصور بالله عليه السلام في كلمة له لما لامته امرأته في سماحته فقال مفتخراً:

فَإِنَّ أَبِي أوصى بَنِيْه بِخُطَّةٍ ولستُ بنَاسٍ للوصِيَّة من أَبِيْ[1]

وَبَاعَ تُرَاثَاً عن أبيه لِضَيفِهِ وَشقَّ فضُول البُردِ غَيرَ مُكَذّبِ

ومن ورعه: ما أخبرنا به بعض الإخوان كثرهم الله، عن الإمام المنصور بالله: أنه ضُرب في رجله يوم الشرزة[2] فبقي عقيراً، فمرت به دواب ما استجاز الركوب على أحدها، وفي تلك الحال الرخصة جائزة.

وأما سليمان بن حمزة

[وسليمان مشهور بالفضل والكمال، كان يرجى لكشف الغمة، وهداية الأمة.

---

[1] الخطة: المراد بها الأمر هنا.

[2] الشرزة: قاع في بلاد سنحان، وقعت فيه معركة كبيرة بين الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان عليه السلام، حاتم بن أحمد، وكان عدد جيش الإمام فيها زهاء ألف وثمانمائة فارس، وجيش حاتم تسعمائة فارس، وعشرة آلاف راجل، منهم ثلاثة آلاف قايس، وألف تارس، نصر الله فيها الإمام المتوكل على الله نصراً مؤزراً، فقتل خمسمائة وأسر خمسمائة، وقيلت فيها الأشعار.

وأمه: سيدة بنت عبدالله، ممن كان يضرب بها المثل في الكمال والعبادة والطهارة والعلم.

وأبوها عبدالله: كان ممن لو دعا إلى الله لأجيبت دعوته، وكثرت جماعته، وما تخلف الصالحون عن إجابته، ورأيت خطه إلى والدي رحمه الله يُعرِّفه أركان الدين ويحذره من المذاهب الضالة، ويحكي له مذاهب آبائه الطاهرين، ثم قال في آخره: (فاحذر يا بني ثم احذر، بارك الله فيك)، فأجيبت دعوته] [١].

[وكانت العلماء تنتجعه، والفضلاء تعترف بفضله، وكان معدوداً في أفاضل العترة -عليهم السلام- في أيامه، وكانت التهاني ترد إليه من الأفاضل متبشرين بهم لما يرى فيهم بمن حدث من أولاده، منها في بعضهم:

إذا ولد المولود من آل حمزة فبشر ذرى عدنان بالعز والمجد
ولا سيما إن كان حمزة والداً له ابن سليمان معيد العلا المبدي

ولسليمان بن يحيى العلامة البحيري تهنئة إليه ببعض أولاده يقول فيها:

طهراً أتى من بيت طهر طاهر متنزه عن كل قرء طار
بدر سرى في وسط ديجور الدجى فأضاء للسارين والسمار] [٢]

روى العلامة علي بن نشوان الحميري، عن الشيخ الأجل عواض بن مسعود بن عبد الله بن عيسى بن هارون الخشني -وكان من أهل الصلاح والمعرفة والديانة الكاملة- أنه اجتمع الأميران الفاضلان يعقوب وإسحاق ابنا محمد بن

---

[١] الشافي (٢/٣٥٥).
[٢] الشافي (٢/٣٥٥).

جعفر بمسجد شوابة[١]، فأتاهما خبر موت سليمان رضي الله عنه، فقالا: الآن أيسنا من القائم من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في عصرنا، فقيل لهما: هل كان يصلح لهذا الأمر؟ فقالا: نعم، وكان له أهلاً.

وروى عن عواض بن مسعود، قال: اجتمع إلى مسجد ريدة في وقت قبره من رؤساء الشرف وعلماء المسلمين قدر ثمانين، فيهم الشريف الفاضل عبد الله بن الحسين بن حمزة بن أبي هاشم، وأخوه يحيى بن الحسين[٢]، فتراجعوا في من يقوم فقالوا: ما بقي إلا المنصور والمهدي عليهما السلام.

قال: ونظروا - يعني الجماعة المجتمعين بمسجد ريدة - فيمن يصلح للقيام في الوقت، وقالوا: مالها غير سليمان بن حمزة إن مُتِّع وبُلِّغ، فقال أحمد بن داود، ويحيى بن عمر، وابن شاور وأكثر الفقهاء والمسلمين: قم يا عبد الله بن الحسين، فقال: لست أقوم.

فقال بعضهم: ما صفة المنصور بالله، ومن أين يظهر؟.

فقال عبد الله بن الحسين: روي لي أنه شابٌ شطن، عالم فطن، يظهر من شعاب علي، فظنَّ بعض الحاضرين أن شعاب علي شعاب مكة حرسها الله، فقال عبدالله بن الحسين: ما أظن لها غير صاحبنا يمان، والإيمان يمان والحكمة يمانية.

قال نظام الدين علي بن نشوان: قلت: وكان خروج المنصور بالله من شعاب علي ـ يعني ذيبين ـ مأوى جده وسلفه علي بن حمزة عليهم السلام. انتهى.

---

[١] شوابة: بلد معروف من أعمال ذي بين في بلاد بكيل.

[٢] السيد العلامة النسابة عماد الدين يحيى بن الحسين بن حمزة بن أبي هاشم الحمزي، فاضل قومه، وسيد معشره النسابة المحقق، كان مبرزاً فاضلاً. [مطلع البدور/٤]

وأما حمزة بن علي

فإنه مات غلاماً صغيراً قد بلغ العشرين وافداً من جهة أبيه إلى حرض على الأمير غانم بن يحيى الحسني[١].

[ولم تطل أيامه بل مات في حياة أبيه علي، فكان علي الكافل لسليمان تربية وتهذيباً وتعليماً، وتأديباً ونشر العلم له ولغيره] [٢].

وأما علي بن حمزة

[كان أوحد أهل عصره علماً وزهداً وورعاً وعبادة، مع السعة العظيمة في الأرزاق التي أنفقها في طاعة الله، ونشر مذهب العدل والتوحيد في أهل عصره، وفي أيامه تقوى مذهب الزيدية في حياته، ورد على المخالفين للحق من الفرق الضالة – أي المطرفية–.

وأمه: أم ولد، من مولدات المغرب كانت تعد من الفاضلات وجاءت بالطاهرين والطاهرات، فهذا علي وحاله ما ذكرنا] [٣].

---

[١] الأمير غانم بن يحي بن حمزة بن وهاس الحسني، كان أميراً جليلاً، كريماً شجاعاً، من أمراء المخلاف السليماني، وكان في أيام الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان عليه السلام، وخرج إليه الإمام المتوكل على الله إلى المخلاف السليماني، وتلقاه بالإنصاف والإكرام وبايع الإمام المتوكل على الله، ذكره في السيرة المتوكلية.

[٢] الشافي للإمام المنصور بالله عليه السلام (٢/٣٥٦).

[٣] الشافي (٢/٣٥٥).

روى أبو فراس بن دعثم، عن الشريف الفاضل قاسم بن يحيى[1]، عن عمر بن سليمان بن قاسم قال: كان علي بن حمزة بن أبي هاشم رجلاً فاضلاً عالماً ورعاً وحيداً في عصره، يومئ إليه بالقيام، وأنه لما دعا الإمام المؤيد بالله أحمد بن الحسين عليه السلام في ناحية العراق وسأل عن أفضل أهل البيت في ناحية اليمن، فقيل له: أفضل آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في اليمن علي بن حمزة بن أبي هاشم، فأمر الإمام المؤيد بالله بدعوته إليه لينشرها في اليمن، فوصلت إليه فكره القيام بها، لما كان قد عرف من سيرة أهل البلاد، وقلة وفائهم؛ لأنه قد كان قام محتسباً وجاهد بني الزواحي وحصرهم، وقال: لكني أُعين من قام فقام بها المحسن بن الحسن[2] رحمه الله، ولم يزل معه ومع أولاده إلى وقت قيام المنصور بالله. انتهى.

---

[1] السيد الكامل الأمير القاسم بن يحيى بن القاسم بن يحيى بن حمزة بن أبي هاشم رحمه الله تعالى، كان عالماً فاضلاً، قال في حقه من ترجم له ما لفظه: رفيع الرتبة والمنزلة، راوي لمجد آل محمد بسلسلة الإسناد المتصلة.

[2] هو الشريف الأمير العالم، المعيد لدين الله المحسن بن الحسن بن عبدالله بن المختار بن الناصر بن الإمام الهادي للحق عليهم السلام، كان من عيون آل الهادي وشجعانهم وعلمائهم، قام بدعوة الإمام أبي طالب الأخير عليه اللام قام بها أحسن قيام، ونقدت أوامره بصعده ونجران والجوفين ومصانع حمير، وملك ثلا وغيره من الحصون، وهو الذي أخذ بثأر الأمير الشهيد حمزة بن أبي هاشم، وسيأتي ذلك، ثم قتله الحدادون من أهل صعدة غدراً وقتلوا ولده معه، وقام بثأر السيد المحسن الشريفُ الواصلُ من جهة الإمام أبي طالب الأخير، وهو أبو عبدالله الحسين بن عبدالله بن المهدي بن عبدالله بن الإمام المرتضى لدين الله محمد بن الإمام الهادي إلى الحق سلام الله عليهم، وكان خروجه من الديلم، وولاه الإمام أبو طالب الأخير ما بين مكة إلى عدن أبين وسائر نواحي اليمن الأقصى.

وروى القاضي علي بن نشوان عن عواض بن مسعود: أن علي بن حمزة بن أبي هاشم كان صاحب دين وطهارة مذ نشأ ودرس في العلوم، ومحبة لأهل الدين، ورحمة للمساكين، وإحسان جم إليهم، مع ثروة ويسار في عصره، وكان يُمدح بالأشعار، ويجيز عليها بالجوائز السنية، فوفد إليه وإلى أخيه يحيى بن حمزة شاعر من أهل صنعاء يقال له: علي بن زكري فامتدحهم بشعره، وذلك في أيام الشريفة الكاملة زينة بنت حمزة بن أبي هاشم رضي الله عنهم، وكانت مشهورة بالفضل، وسماحة النفس، والمروءة الفاضلة، والرأفة بالمساكين، والعلم، وكان لها برٌّ كثير، ومحصول واسع في سبيل الله، فذكرها الشاعر في شعره، فكسته رحمها الله، وأجازه كل واحد من الشرفاء، وأجازه الشريف الفاضل علي بن حمزة بجائزة سنية، وحمله على بغلة أو راحلة، قال علي بن نشوان غاب عني أيهما كان، ومما حفظ من الشعر:

دع الشعر وامدح خير هاشم عنصراً ... علياً حمام الضد عند التكافح

فتىً فاضلاً يسمو على الناس كلهم ... بعلم وعقل في البرية راجح

غياث اليتامى مشبع الضيف باذل ... العطايا لغادٍ في الأنام ورائح

ترى الناس أفواجاً لدى سوح داره ... كحجاج بيت الله عند الأباطح

وقال الشيخ أبو الغمر مسلم في السيد الإمام علي بن حمزة المذكور يستنهضه للقيام:

مرت على القارة في سحرة ... وسات الشمس نسري وبيق

وفي عجيب رقصت ساعة ... كفعلها في غيره ما تطيق

وفي شعاب وضعت رأسها ... يحسو زلالاً بارداً ما يفيق

مرت بأبيات بني قرود ... وهيا وسودان تؤم الطريق

ولم تعج بالحي من مجزر ... لا يبلغ الحادي على الأنزريق

واستقبلت ذيبين مسرورة	إذ نزلت بالفاطمي العتيق
أشوس من غر بني هاشم	مستنقذ الجاني وغوث الرفيق
فشدَّ كالصارم في العزم بل	كالبحر يلقاك بوجهٍ طليق
لم يصبح الكأس ولا هاجه	نوح حمامات بوادي العقيق
ولا دعا الساقي في سحرة	أن هات صرفاً من عصير الرحيق
قم فانعش الحق وأشياعه	فأنت بالمرجو منه خليق

وأما علي بن حمزة رضوان الله عليه: فكان من عيون أهل عصره وأفاضل أبناء دهره يؤهل للإمامة، ويصلح للزعامة، وهو أحد الخمسة الذين جمعهم عصر واحد يصلحون للإمامة، ذكر ذلك مصنف سيرة الإمام المتوكل على الله عليهم السلام، واتصلت به دعوة الإمام السيد أبي طالب الأخير عليه السلام بعد أن سأل عن أفضل أهل البيت عليهم السلام فأشير إليه، وقبره عليه السلام بذيبين، وكان له حصن بكر، وكان عالي الصيت، نبيه الذكر يقصد بالمديح، ويثيب عليه بالجوائز السنية.

[وكان من العلم والفضل بمحل عظيم، وجاهد في الله عز وجل احتساباً لا سبقاً، ولو ادعى السبق لكان غير بعيد منه، ومدت إليه الأعناق، وشاع ذكره في الآفاق، وجاءت إليه رسالة الإمام أبي طالب الأخير (ع) من الديلمان يحضه على القيام في أرض اليمن، وفي رسالته إليه: (فليطحن الخيل بالخيل، في عسكر كالليل، له ردع كردع السيل)] [1].

---

[1] الشافي (٢/٣٥٨).

توفي السيد الإمام علي بن حمزة في شوال سنة سبع وسبعين وأربعمائة، وقبره غربي هجرته وهجرة سلفه، بحيط حمران مسكن القضاة آل أبي الرجال بذيبين مشهور مزور، [وهو في المقبرة التي في الجهة الشمالية الغربية من جامع الإمام المهدي أحمد بن الحسين الشهيد]، وله كرامات.

[**وأخوه يحيى** وكان من أهل الكمال والشرف، **وأختهما زينة** الشريفة الفاضلة التي انتشر فضلها في مخاليف اليمن، وضربت بها الأمثال، وظهرت آثار بركتها في الآفاق، ورأيت كتاب وصيتها فعددت ولاتها من خدامها، والمتخدمين لله عز وجل لها من فضلاء المسلمين، فعددت أربعين والياً على أربعين مخلافاً، ومخاليف اليمن ثمانون مخلافاً -كما تعلم إن كنت تعلم-، وقامت في أمور الدين بكثير من مدارس ومصالح، وجبر عائل، وبسط نائل، وكانت من أهل العلم والمعرفة -رضوان الله عليها-][١].

وأما حمزة بن أبي هاشم

[أما حمزة بن أبي هاشم الذي وصل اليمن مع أبيه الإمام أبي هاشم الحسن بن عبد الرحمن، فهو مذكور في المشجرات والجرائد والسفر والكتب التي فيها أنساب آل أبي طالب في مصر والعراق والشام والمغرب وخراسان وغيرها][٢].

[**قال الإمام في الشافي**[١]: **حمزة بن أبي هاشم النفس الزكية**، والسلالة المرضية، الذي أقر بفضله الموالف اختياراً، والمخالف اضطراراً، وعندنا علومه

---

[١] الشافي (٣٥٨/٢).

[٢] الشافي (٢٠٦/٣).

وتصانيفه -عَلَيْه السَّلام-، وعلى مثاله في أصول الدين حذونا، وبهديه اقتدينا ورده على الفرقة الضالة من المجبرة القدرية، والمبتدعة الطبيعية — أي المطرفية-، وغيرهم من ضلال البرية.

وكان في أيام الصليحي وجرت بينهما مكاتبات ومراسلات ومحاربات.

وكان من كتاب الصليحي إليه: (إنما قمت لأشيد بذكركم، وأعلي أمركم، وأنزل الظلمة عن منابركم، ثم قال:

تعالوا نناضل عن مقام أبيكم ... وندفع عنه بالقنا وظبا الهندي

فما قمت إلا ثائراً بدمائكم ... فإن لم تعينوني ثأرت به وحدي

عليَّ لكم أن لا يمدَّ عدوُّكم ... إليكم يداً إلا وجُذَّت من الزندِ

فكان في جواب له بعد صدر كتابه: (ما ذكرت من أنك إنما قمت لتشيد بذكرنا، وتعلي أمرنا، وتنزل الظلمة من منابرنا، فليت شعري من أمرك بذلك منا، وكيف تصح دعواك، ونحن منك بين قتيل وأسير، وطريد وشريد.

أتزعم أن دينك هاشمي ... وأنت عدو دين الهاشميِّ

تزور قبورهم شوقاً إليهم ... وتضربهم بحد المشرفيِّ

فدافع عن الإسلام بيده ولسانه، وسيفه وسنانه، إلى أن ذاق الحمام، في رهج القتام، صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر.

إلى قوله -عَلَيْه السَّلام-: وعلومه سلام الله عليه مشهورة، وتصانيفه معلومة، ورده على الفرقة الضالة ظاهر، وقد احتج بذلك الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان بن الهادي -عَلَيْه السَّلام- على من خالف، ثم قال الإمام -عَلَيْه السَّلام-:

---

[1] الشافي (٢/٣٥٥).

وأخذ العلم عليه بنوه السادة الفضلاء جدنا علي بن حمزة، وكان أشبههم به علماً وهدياً، **وولده الحسين بن حمزة**، وهو فقيه آل رسول الله – صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم– في عصره لاينازع عند من يعتني بأمر أهل هذا البيت الشريف فيما ذكرنا من أمره، وأمر الفضلاء من إخوته، فقد كانوا جميعاً فضلاء مشهوري الشرف ديناً وشجاعة وعلماً وكرماً] [1]. انتهى.

فهو القائم بأمر الله، المحتسب في سبيل الله، المنابذ لأعداء الله، شهد بفضله المخالف والموالف، وقد ذكره الإمام المتوكل على الله عليه السلام في بعض رسائله على المطرفية الشقية في من ذكر من أهل البيت عليهم السلام الذين أنكروا مذهب المطرفية، وردوا عليهم.

وكانت له مع بني الصليحي وقعات مشهورة ومواقف مأثورة.

وكان عليه السلام في بعض أيامه في مسجد حلملم وقد اجتمع أهل الطرف وأراد الصلح بينهم في أمور كانت، فأحدث واحد بالقرب من المسجد صوتاً يريد تفريق الناس حتى ينصرفوا بغير صلح، فلما سمعه حمزة قدس الله روحه قال: من هذا الذي غير محضرنا غير الله لونه، فأنزل الله به البرص في مجلسه عقيب دعائه عليه السلام، ورآه الناس وصار آية شاهدة بفضله وكرامته.

ولم يزل مجاهداً حتى مضى لحال سبيله، وقتل في المعركة عليه السلام في المنوى آخر سنة تسع وخمسين وأربعمائة في أيام علي بن محمد الصليحي، وكان عليه السلام يقاتل يوم قتله وهو يقول:

---

[1] الشافي (٢/٣٦٠).

أطعــن طعنــاً ثــائراً غبــاره طعــن غــلام بَعُــدت أنصــاره

وانتزحــت عــن قومــه ديــاره

[وإنما قال ذلك لأن الصليحي كان قد أجلى بني حسن عن اليمن] [١].

وفيه يقول الصليحي في القصيدة العينية التي ذكر فيها فتحه البلاد وتهدد فيها بني حسن:

وصــرعن بــالمنوى مــنكم ســيداً قرمــاً ولــم أرضــى بــه أن يصــرعا [٢]

رجــلاً لــو أن بنــي ســليمان بــه وزنــوا جميعــاً لــم يســاووا أصــبعا

وكان جيشه ألفاً وخمسمائة فارس وخمسة عشر ألف راجل، ووقف عنده سبعون شيخاً من همدان يجالدون معه حتى هلكوا، وقتل معه عشرة من رؤساء همدان، كل واحد له عشرة ذكور، وعشر بنات، وعجل الله تعالى انتقام قاتله علي بن محمد الصليحي، فلم يَحُل عليه الحول حتى قتله سعيد بن نجاح في شهر ذي القعدة لسبعة أيام خالية منه، سنة ستين وأربعمائة، وقيل سنة ثلاث وسبعين، وقتل معه بنو عمه، وسبيت حرمه.

وأخبرني الأمير شيخ آل الرسول عماد الدين يحيى بن حمزة طول الله عمره بسنده إلى بعض أهله: أنه لما دفن حمزة عليه السلام وأراد أولاده نقله من الموضع الذي دفن فيه حمزة عليه السلام، فأقاموا مدة يطوفون بقبره ليلاً، حتى أمكنتهم الفرصة فحملوه في شملة ليلاً، وله نور ساطع يرى منه أهذاب تلك الشملة، ولما نقلوه من حيث كان قبروه في بيت الجالد رضوان الله عليه.

---

(١) الشافي (٢/٣٦٠).

(٢) المنوى: من بلاد الخشب، وطن من أرحب في ظاهر همدان.

وقال الإمام عليه السلام في قصيدة يذكر فيها آباءه عليهم السلام:

كَم بين قولي عن أبي عن جَدِّه ... وأبو أَبِي فهو النّبِي الهَادي

وفتىً يقُوْلُ حكى لنا أشياخُنَا ... مَا ذلك الإسناد مِن إسنادِي

مَا أحْسَن النّظرَ البَليغَ لمنصِفٍ ... في مقتضى الإصدارِ والإيْرَادِ

خُذْ مَا دَنا ودَع البعيدَ لشأنِهِ ... يُغْنِيْكَ دَانيه عن الإبعادِ

أو ليس جَدِّي حمزة نَعشَ الهُدى ... بحُسَامِه وبعزمِه الوقّادِ[١]

حَمِسَاً إلى أن ذاقَ كَأسَ حِمَامِهِ ... وَسْطَ العجَاجَة والخيُولُ غَوَادِي[٢]

وَسَلِيلُهُ جَدِّي عَلَيٌّ ذُو العُلَى ... عَلَمُ العُلومِ وزَاهِدُ الزُّهَادِ[٣]

لَم يَرتَدِعْ فِي حَربِهِ عَن عَامِرٍ ... عَن فُرطِ إبْرَاقٍ ولَا إرْعَادِ[٤]

---

[١] هو الأمير المحتسب الشهيد حمزة بن الإمام الراضي أبي هاشم الحسن بن عبدالرحمن.

[٢] حَمِس كفرح: اشتد وصلب في الدين والقتال.

[٣] هو السيد الإمام الأمير المحتسب علي العالم بن حمزة بن أبي هاشم.

[٤] هو السلطان عامر بن سليمان بن عبد الله الزواحي الحميري، كان داعياً لمذهب الباطنية في أيام الملوك العبيديين الحاكم والظاهر وأول حكم المستنصر العبيدي، وكان كثير المال والجاه، فاستمال الرعاع والطغام إلى مذهبه، وكلما همّ الناس بقتله والفتك به دفعهم بالجميل وقال: أنا مسلم أشهد أن لا إله إلا الله، فيمسكون عنه، وهو المعلم والمربي لعلي بن محمد الصليحي، ودارت بينه وبين الأمير الشهيد حمزة بن أبي هاشم معارك منها معركة بوسان (المنوى)، وكان جيش حمزة ألف وخمسمائة فارس، وخمسة عشر ألف راجل، ووقف عنده تسعون شيخاً من همدان يجالدون عنه حتى هلكوا، وفي تلك المعركة كان استشهاد حمزة بن أبي هاشم، وأخذ بثأره الأمير المعيد لدين الله المحسن بن الحسن، وذلك أنه قصد عامر الزواحي فالتقوا بين ثلا وشبام فحمل السلطان عامر بن سليمان لعنه الله على الأمير المحسن فتطارد له الأمير المحسن ثم لقاه الرمح في هزيمته فوقع في نحره، فعطف عليه ولده منصور فرماه بعض الزيدية بسهم فقتله.

وَسَلِيلُهُ جَدِّي سُلَيمَانُ الرِّضَى كَثُرَت مَكَارِمُهُ عَنِ التَّعدَادِ[1]

وَلِحَمزَةٍ سَبْقٌ إِلَى طُرُقِ العُلَى يَروِيهِ كُلُّ أَخِي تُقَىً وسَدَادِ

واللهِ مَا بَينِي وَبَينَ مُحَمَّدٍ إِلَّا امرؤٌ هَادٍ نَمَاهُ هَادِي

وَأَنَا الذِي عَاينتُمُ أحوَالَهُ فَكَفَى عَيَانُكُمُ عن استِشهَادِيْ

وَسَلُوا فَإِنَّا قَد عَرضنَا أَمرَنَا للنَّاسِ مِن عَدَنٍ إِلَى سَنْدَادِ[2]

وأما أبو هاشم الإمام الحسن بن عبدالرحمن عليه السلام

[السابق الداعي إلى الله الملقب بالنفس الزكية، والقائم بأمره، أبي هاشم.

وكانت أمه زينة بنت عبدالله بن الحسن بن عبدالله بن عمر بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم -عَلَيْهم السَّلام-][3].

كان من فضلاء العترة وعلمائها، وكان قد دعى إلى نفسه سنة ثمان عشرة وأربعمائة، وله دعوة حسنة وهي تكشف عن فضله، وغزارة علمه، وهي موجودة، وله كتاب سياسة النفس في الزهد والوعظ.

[وله تصانيف في العلم معروفة، فيها علومه ودينه المأخوذ عن آبائه عليه و-عَلَيْهم السَّلام-][4].

قدم من الحجاز ومعه ولداه: حمزة ومحمد.

---

(1) هو الأمير العالم سليمان التقي بن حمزة المنتخب بن علي العالم بن حمزة بن أبي هاشم.

(2) عدن: مدينة مشهورة على ساحل البحر الأحمر. وسنداد بكسر السين وقيل بفتحها: نهر فيما بين الحيرة إلى الأبلة.

(3) الشافي (٢/٣٦١).

(4) الشافي (٢/٣٦١).

[ودخل اليمن في أيام بني الضحاك فتزلزلت منه أقدام الظالمين، فما نفس عنهم الخناق إلا وفاته.

وملك صنعاء واستقرت أعماله في المخاليف، وخرج من صنعاء بمكيدة ابن مروان وابن الضحاك وابن المنتاب، ودخلها مرة أخرى، ولم تطل أيامه -عَلَيْه السَّلام-، بل مات لسنة ونصف من قيامه] (١).

وإن كان قد دخل صنعاء وأقام فيها في سنة ست وعشرين وأربعمائة، واستقام أمره حتى عارضه الشقي الحسين المرواني لا رحمه الله.

وتوفي بناعط في بلاد حاشد، ومشهده هناك مشهور مزور.

[وأما من عدا هؤلاء — من آباءه عليهم السلام-، فإنهم قدوة أعلام، سادة أمجاد، قد تبوأوا غرف الشرف العالية، وتسنموا ذرى الفخار السامية، فالمجد بهم معصوب، والحق إليهم منسوب، وما حال قوم أحسابهم نبوية، وأنسابهم علوية، قد أشرق جوهرها، وطاب مخبرها، فهل لهؤلاء من عديل، أو يوجد لهم مثيل؟ إنهم لمعشر نجباء حلماء، وقوم خيرة كرماء.

فهذه صفة آبائه عليهم السلام الذي ينتمي إليهم في نسبه، وينتهي إليهم في حسبه، فما ترى حال هذه الأنساب والأفعال، يا من يميز بين الأقوال، وإذا كانت هذه صفتهم أو حالتهم، فكيف ترى حالته؟ إنها لصفة شريفة، وحالة عالية منيفة.

---

(١) الشافي (٣٦١/٢).

الإضافات(٣)

وتحتوي على طرف من مناقبه وأحواله:

١- تربيته ومنشأه

٢- علمه

ذكر طرف من مناقبه وأحواله عليه السلام

هذا باب لا سبيل إلى استقصائه، وإنما نذكر اليسير ففيه كفاية ومقنع لمن قلت خبرته به عليه السلام وإلا فأحواله ظاهرة وبدور شرفه باهرة.

نشأ عليه السلام من صغره على أشرف طريقة، وأزكى حالة، لم يعرف له شغل في حال صباه باللعب، ولا ميل إلى اللهو والطرب.

تربيته ومنشأه عليه السلام [1]

فإنه تربى في حجور الطاهرات، ونشأ مقتدياً بالأخيار من الآباء والأمهات، لم يَسمع من حال صغره إلى منتهى إدراكه من ينطق بقبيح، ولا يلفظ بفحش، ولا يتعود عادة ذميمة، ولا يصغي إلى لهو، ولا يغفل عن أداء فريضة، فسلك منهاج آبائه، ونشأ على العفة والطهارة من ابتدائه إلى انتهائه.

ولقد قال عليه السلام في بعض المواقف: والله إني لا أعرف من بيني وبين جدي رسول الله صلى الله عليه وعلى آله ووصيه علي بن أبي طالب عليه السلام من الآباء والأمهات والجدود والجدات -ولو شئت لعددتهم وسميتهم واحداً واحداً- فما أعرف منهم إلا ولياً لله زكياً، طاهراً نقياً، أو مؤمنة ولية، نقية الجنب من الأدناس والريب، ممن قد رضي الله عنه وأرضاه.

وروي عن الشريف إبراهيم بن يحيى الحمزي، قال: ما عرفت من عبد الله بن حمزة اشتغالاً في حال صغره بشيء من اللعب كسائر الصبيان.

---

[1] هذا الفصل من الدر المنثور.

وعن الشريف الفاضل قاسم بن يحيى الحمزي: ما رأيت أحسن من عبد الله بن حمزة تربية، ولا أشرف منه نفساً، ولا أسمح يداً من حال الصغر، وما طرب قط للعب، ولا اشتغل بحديث فيما لا يعنيه.

قال: وكان حمزة بن سليمان قد هذب أولاده ورباهم على الطهارة والعفة، والمرابطة على التعليم والدراسة، فكان لعبد الله ابنه التبريز عليهم في ذلك، وكانوا يعرفون فضله، ولما ختم القرآن قرأ في اللغة والنحو، وبلغ فيهما مبلغاً عظيماً قصر عنه أهل العلم بهما، وكان يكالم من يغشاهم ممن ينتحل الدين، ويورد عليهم المسائل فيظهر فضله، وقصورهم عن مقاومته.

قال: ولقد سمعته يقسم ما قعد في مجلس فيه لغو، ولا خاض فيما يستغنى عنه، حتى أن من يحب البطالة يصرف الناس عنه لأجل ذلك، حتى ضاقت عليه الحال، فانتقل عنهم، وأنشأ في مثل ذلك الشعر الرآي ثلاثين بيتاً.

[كان عليه السلام وهو بحجة ضَيَّقَ صدره ناس من الشيعة وصرفوا عنه الناس بكل ممكن، فضاقت عليه الحال، فانتقل عنهم وأنشأ قصيدة منها هذه الأبيات:

جَـاءَت فُطَيمَـةُ والأَعيَـانُ هَاجِعَـةٌ فَالشَّـمسُ طَالِعَـةٌ وَالليـلُ مُنْعَكِـرُ

جَاءَت فَجَلَّت ظَلامَ الليلِ طَلعَتُهَا فَقُلـتُ ذا وَجـهُ فَطَـمٍ أَم هُـو القَمَـرُ

أَهـلاً بِـهِ مِـن حَبِيـبٍ زَارَ مِـن بَلَـدٍ تَـرَى بِهَـا الـوَردَ مِـن أردَانِهَـا عَطِـرُ[1]

عَانَقتُـهُ وَمَـزتُ الخَمـرَ مِـن فَمِـهِ قَبلَ السَّلاَمِ فَأوهَى عِطفِيَ السَّكَرُ[2]

---

[1] الردن بالضم: أصل الكم، يقال: قميص واسع الردن، قال ابن سيدة: الردن مقدم كم القميص، وقيل هو أسفله، وقيل هو الكم كله، والجمع أردان وأردنه.

[2] أوهى: أي أضعف. والعِطف: الجانب.

أَمسَـى ضَـجِيعِي وأَمسَـى السَّـيفُ شـاهدنا بأنَّهـا كَرَمـاً مَـا حُلّـتِ الأُزُرُ
أَضـحَى بِسَـيفِيَ رِدعٌ مِـن ذَوَائِبِهَـا ومِـن ذَوَائِبِـهِ فِـي جِسـمِهَا أَثَـرُ[1]
أَرْخَتْ عَلَى المَتْنِ لَيلاً مِنْ ذَوَائِبِهَا وَأَقبَلَـت بِنَهَـارٍ لَيلُـهُ شَـعَرُ[2]
قَالَت عِتَابَاً عَلامَ الهَجرُ قُلتُ لَهَا يَا فَطْمُ إِنِّي عَدَانِي عنكُمُ السَّفَرُ[3]
كَيفَ المَقَامُ لِذِي نَفسٍ عُشَنْزَرَةٍ مِن بَينِ قَومٍ ذَوُو أَحلَامِهِم بَقَرُ[4]
كَيفَ الثَّوَاءُ عَلَى دَارٍ وَسَاكِنُهَا يَحبُو العُقَابَ بِمَا تُحْبَى بِهِ الحُمَرُ[5]
لَا مَجدَ إِلَا لِمَن فِي صَحنِ جُثَّتِهِ صَدرٌ بِمَاءِ لُعَابِ الشَّمسِ مُستَطِرُ[6]
يُجَشِّمُ اللَّيلَ نَفسَاً لَا يَضِيقُ بِهِ طَعْمُ الرُّقَادِ لَدِيهِ آسِنٌ مَقِرُ[7]

---

[1] الردع: العنق والزعفران، أو لطخٌ منه، أو من أثر الدم، وأثر الطيب في الجسد كالرادع.

[2] المتن: الظهر. شبه الذوائب بالليل لسواد الشعر.

[3] في الديوان: إني عذابي منكم السهر.

[4] العَشَنْزَرُ: الشديدُ الخَلْقِ، العظيمُ من كلِّ شيءٍ، وهي بهاء. وفي الديوان: عشيرته، والمعنى: أن ذوي الأحلام والنهى منهم كالبقر في الغباوة، فكيف سائرهم.

[5] الحباء: الإعطاء، والعقاب: طائر معروف، والحُمَر: جمع حُمَّرَة بضم الحاء وتشديد الميم: وهي ضرب من الطير كالعصافير.

[6] الصحن: المراد به جوف الإنسان، ولُعَابُ الشَّمْس: شيء تَراه كأنه يَنْحَدِر من السماءِ إذا حَمِيَتْ وقامَ قائمُ الظَّهِيرة، وقِيل: لُعابُ الشمس ما تراه في شِدَّة الحرّ مِثْلَ نَسْجِ العنكبوت؛ ويقال: هو السَّرابُ، والمعنى: لا ينال المجد إلا من كان في جوفه صدر له همة عالية يكاد لهمته يتخذ من لعاب الشمس كتابة.

والبيت في المجموع هكذا:

لا مجد إلا لمن في صحن جبهته سطر بماء لعاب الشمس مستطر

[7] جشم الأمر: تكلفه بمشقة. الآسن: الآجن المتغير. والمقِر: ككتف: المر الحامض.

قُم يَا نَدِيمُ أَرِق مَاءَ المَنَامَ فَقَد بَانَ الخَلِيطُ وَلَمْ يَأوُوا لِمَا وَدَرُوا[١]

وَسَقِّنِي خَمرَةً مِلْ شِيْزَ صَافِيَةً تُثنِي الرُّؤوسَ ومَا حَرَّمْنَهَا الزُّبُرُ[٢]

مَن لاَنَ للنَّاسِ عِطفاً قَالَ قَائِلُهُم أَأَضعَفُ النَّاسِ رُكناً أنتَ يَا بَشَرُ

مَن لَمْ يَنَل حَاجَةً والرُّمحُ مُطَّرِدٌ لَدْنُ الكُعُوبِ يَنَلهَا وهو مُنكَسِرُ

لَا تَخشَ ظُلْمَةَ لَيلٍ فِي سُرَاكَ مَعِي فَإنَّ بَينَ ضُلُوعِي النَّارَ تَستَعِرُ

دَعنِي أُصَاحِبُ وَحشَ الدَّوِّ آونَةً مِن الزَّمَانِ فَإنَّ النَّاسَ قَد غَدَرُوا[٣]

خَانَ الأنَامُ فَلَا خِلٌّ وَلَا ثِقَةٌ وَلَا عِمَادٌ وَلَا رُكْنٌ وَلَا وَزَرُ

لَو مَدَّ أَوسٌ ذِرَاعَيهِ لِيُضجِعَنِي لَنِمتُ ثَمَّ وَلَا خَوفٌ وَلَا حَذَرُ[٤]

أَو صَاحَ بِي الأَبْرَدُ المَخشِيُّ صَولَتُهُ لَمَا تَخَالَجَنِي عَن وَصلِهِ الذُّعَرُ[٥]

وَلَو دَعَانِي مَن فِي وَجهِهِ أَثَرٌ مِن السُّجُودِ لَشَظَّا قَلبِيَ الأَثَرُ[٦]

لَا بُدَّ مِن يَومِ حَفلٍ للنِّفَاقِ وللـ ـبِيضِ الرِّقَاقِ عِتَابٌ فِيهِ مُنتَظَرُ[٧]

وينجلي الشركُ من دين النبي فلا يُرى لقائلِهِ عينٌ ولا أثرُ

---

(١) الخليط: المخالط أو الشريك، ولم يأووا: أي يسكنوا أو يجتمعوا، لمن: أي للذي، ودروا: يقال: وَدَّر الرجلَ تَوْدِيراً: أوقعه في مَهْلَكَةٍ، وقيل: هو أن يُغْرِيَهُ حتى يتكلف ما يقع منه في هَلكَةٍ، يكون ذلك في الصدق والكذب، وقيل: إنما هو إيرادك صاحبك الهَلَكَةَ.

(٢) مِلْ شِيْز: يعني ملء الشِّيز، والشيز: الخشب الذي تصنع منه القصاع، والمعنى ملأ الكأس.

(٣) الدَّو: بالتخفيف الفلاة.

(٤) الأوس: الذئب.

(٥) الأبرد: هو النمر، وجمعه ابَارد، وأنثاه أبرده.

(٦) شظا الشيء: تفرق وتشقق وتطاير، والمراد الإشمئزاز والنفور.

(٧) في الديوان: لا بد من يوم حفل للعتاق.

مَـا رَابَنِــي كقُــوَيمٍ لَا خَــلَاقَ لَهُــم إنْ كَـاثَرُوا كُثِرُوا أو طَـاوَلُوا قَصُـروا[١]

وَهَــبْ بِــأَنَّهُمْ مِـلءُ الفَــلَا حُمُــراً أليسَ لَيـثُ الشَّـرَى تَعنُـو لَـهُ الحُمُرُ

مَتَــى أَرَى رَايَــةَ المنْصُــورِ خَافِقَــةً وَينصُــرُ اللهُ مَــن للحَــقِّ يَنتَصِــرُ

مَتَـى أَرَى الخَيـلَ كالعُقبَـانِ بِـانَ لَهَـا سِرْبُ القَطَـا وَلِـواءُ الحـقِّ مُنتَشِـرُ[٢]

مَتَـى أرَى الخيـلَ تُـردِي فِـي أَعِنَّتِهَـا شُعثَ النَّوَاصِي عَلَيهَا السَّادَةُ الغُرَرُ[٣]

وَكُـلُّ ذِي رِيْبَـةٍ فِـي نَفسِـهِ شَـجَنٌ فَـالنّفسُ تَصْعَدُ والأحـزَانُ تَنحَـدِرُ[٤]

قال الشريف قاسم بن يحيى: ثم تقدم إلى هجرة سناع[٥] للدراسة على شيخه حسام الدين[٦] رحمه الله، فقرأ عليه علم الكلام، وأصول الفقه وفروعه، والأخبار

---

[١] في الديوان: مثل قوم لا خلاق لهم.

[٢] العقبان جمع العقاب: طائر. والقطا: طائر معروف أيضاً من جنس الحمام.

[٣] رَدَى الفَرَسُ، كَرَمَى، رَدْياً ورَدَياناً: رَجَمَتِ الأرضَ بِحوافِرِها، أو هو بَيْنَ العَدْوِ والمِشْيِ، وأرْدَيْتُها.

[٤] الشجن: الهم والحزن، وهذه القصيدة أوردها كاملة من الديوان لتمام الفائدة، ولاحتمال أن يكون صاحب السيرة أوردها كاملة، مع أن صاحب الدر المنثور لم يورد منها سوى ستة أبيات.

[٥] هجرة سناع –ويقال سنع-: هجرة معروفة، تقع بالقرب من حدة، في الجنوب الغربي من صنعاء، ناحية البستان.

[٦] هو الشيخ العالم الكبير المتكلم، حسام الدين، ولسان الموحدين، وشحاك الملحدين ، الحسن بن محمد بن الحسن بن محمد بن أبي الطاهر محمد بن إسحاق بن أبي بكر بن عبدالله الرصاص، أحد العلماء الأعلام، محقق، أصولي، كان آية من آيات الله واسع الدراية، نَقَّاباً قليل النظير، وكان عالم الزيدية في زمانه، والمبرز على أبناء عصره، تتلمذ على شيخ الإسلام القاضي جعفر بن أحمد بن عبدالسلام، وسمع على القاضي وهو ابن عشر سنين، ونبغ في سن مبكرة، وكان عالم الزيدية في عصره، وإليه إنتهت رئاسة أصحاب القاضي جعفر، عكف على التدريس والتأليف، وكان تصنيفه في علم الأدب وهو ابن أربع عشرة سنة، وفي علم الكلام وهو ابن خمس عشرة سنة، مولده سنة

المأثورة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فأدرك ما لم يدركه غيره في هذه الفنون، وبلغ مبلغاً قصر عنه المجتهدون.

[وأخبرني من أثق به كل الثقة: أنه عليه السلام لما فرغ من تعلم القرآن الكريم في حال صغره وأدرك منه الوطر، أخذ يتأسف على ضياع العمر وفوات العلم، وأطنب في ذلك، فأعلم بعضُ إخوته والدَه عليه السلام بذلك فدعاه وتحدث معه، وقال له: يا بني إنه لم يمض من المدة إلا القدر الذي يمكنك أن تصل فيه إلى ما قد وصلت إليه، وأنت مستقبل فشمر في ذلك.

ثم انتقل بعد ذلك إلى الدراسة في أنواع العلم، فأخذ في علم الأدب حتى لج في أغواره، والتقط من درره من قراره، وبرز في ذلك تبريزاً بليغاً، ولقد كان يحفظ من شواهد اللغة ما لم يحفظه أحد من أهل عصره.

وأخبرني الأمير الكبير شيخ آل الرسول في عصره، وناعش الحق في دهره، عماد الدين، ذو الشرفين، أبو المظفر يحيى بن حمزة بن سليمان[1]

---

(٥٤٦)هـ، وكان الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة يقرضه تقريضاً عظيماً، ومات عن ثماني وثلاثين سنة في يوم الاثنين من شوال سنة (٥٨٤)هـ، وقبره في هجرة سناع، تحت قبر القاضي جعفر، مشهور مزور، وهو خارج المشهد من جانب الشرق، وله مؤلفات كثيرة.

[1] عماد الدين، أبو المظفر، يحي بن حمزة بن سليمان، صنو الإمام المنصور بالله عليه السلام، وأحد قواده المشهورين بالشجاعة والنجدة والفروسية والبطولة، وكان من أهل الثقة عند الإمام عَلَيْهِ السَّلاَمُ، له المقامات المشهورة والمواقف المشكورة في الجهاد بين يدي الإمام عَلَيْهِ السَّلاَمُ، ولاه المنصور بالله عليه السلام ظاهر بني صريم، ثم إلى الظفير وما يتصل به من جهة بلاد حمير ونواحيها إلى بكر، إلى مساقط حراز، وبقيت هذه البلاد في يده إلى أن توفي المنصور بالله عليه السلام، وتوفي الأمير عماد الدين سنة(٦٣٦) هـ، وقبره في كحلان عفار، في الجامع الكبير، مشهور مزور.

طول الله عمره وأعلا قدره: أنه رأى مع الإمام عليه السلام مجلداً فيه أشعار، ثم قال له: قد قرأته شرفاً فحفظته، فخذه فاسألني عن أي قصيدة منه شئت، قال: فأخذته وجعلت أسأله من أوله ووسطه وآخره، وأنا أذكر له بيتاً من القصيدة فيأتي بها تامة حتى استرويته عدة قصائد.

وأخبرني الفقيه العالم جمال الدين عمران بن الحسن بن ناصر[١] أدام الله سعادته، عن بعض من له حظ وافر من الحفظ لأشعار القدماء والمحدثين، أنه قال: أنا أحفظ قدر مائة ألف بيت، وفلان يحفظ مثلها، وذكر رجلاً من أهل الأدب، ونحن لا نعد حفظنا إلى جنب حفظ الإمام عليه السلام شيئاً، وكان إذا عرض البيت من القصيدة يحتج به على لفظة غريبة من الكتاب والسنة أو غيرهما من كلام العرب روى القصيدة أو أكثرها، وربما روى سبب إنشائها ونسب قائلها، وقد يحكي كثيراً من أشعاره إلى غير ذلك من الأحوال المشاهدة له في هذا الباب من السبق.

وكان عليه السلام عارفاً بأيام العرب على ضرب من التفصيل.

ثم ارتحل عليه السلام للقراءة إلى الشيخ العالم حسام الدين أبي محمد الحسن بن محمد الرصاص رضوان الله عليه، وكان عالم الزيدية في عصره، والمبرز على أبناء دهره، وإليه انتهت رئاسة أصحاب القاضي شمس الدين

---

[١] شيخ شيوخ الزيدية، حافظ الإسناد، إمام المتكلمين، شحاك الملحدين، بهاء الدين، عمران بن الحسن بن ناصر بن يعقوب الشتوي العذري، كان شيخ الزيدية، وحافظ الإسناد، جامع كتب الأئمة وعلومهم وطرقهم، توفي بعد سنة (٦٣٠)هـ.

قدس الله روحه، فوقف عنده رضي الله عنه فقرأ في الأصوليين حتى فاق الأقران، وتقدم الكهول والشبان.

وحكى لي أنه عليه السلام كان يكتب في لوح عشراً في أصول الدين في جانب وفي جانب آخر عشراً في أصول الفقه قال: وقرأت هذه ثلاثة أشراف وحفظتها، وهذا ثلاثة أشراف وحفظتها، فجمع بين القراءة في فنين، وصنف عليه السلام في أصول الدين قبل بلوغ العشرين من مولده][1].

وأما علمه عليه السلام

فإنه لما بلغ الرتبة العالية، والمنزلة السنية، وانتشر ذكره عند الخاص والعام، واشتهر بالعلم وعرف مكانه، كاتبه العلماء والفقهاء، وشاعره الفصحاء والبلغاء، فأجاب كل سائل، وصنف التصانيف في علم الكلام، وأصول الفقه وفروعه، منها ما صنفه أيام درسه قبل بلوغ عشرين سنة من مولده، ومنها ما صنفه بعد ذلك.

فمن ذلك: الجوهرة الشفافة، والرسالة الناصحة وشرحها، وكتاب صفوة الاختيار، وكتاب تحفة الإخوان، وكتاب حديقة الحكمة النبوية، ومصباح المشكاة، والأجوبة الكافية، والرافعة للإشكال، والناصحة المشيرة، والرسالة الكافية، وجواب مسائل من مكة وحجة، وعن مطاعن الروافض، والدعوة العامة، ودعوة السلطان إسماعيل سيف الإسلام، ودعوة سيف الدين جكو بن محمد الكردي، ورسائل كثيرة، وعهود إلى الولاة والقضاة، وكتب إلى أهل البلدان، وأشعار، وغير ذلك،

[1] ما بين القوسين من الحدائق الوردية.

وذكر جميع ذلك في السيرة الشريفة، وبالمجموع المعروف بالمنصوري[1]، وهو ثلاثة مجلدة كبار، وكل ذلك يشهد بغزارة علمه، وسعة فهمه في كل فن.

---

[1] **سنذكر مؤلفاته عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ على حسب ما تتعلق به من الفنون:**

وأول الكتب وأحقها بالتقديم هو (**كتاب الشافي**) وهو مشتمل على علوم وفنون كثيرة في أصول الدين والفقه والحديث والتاريخ والسير وغيرها، وهو أربعة مجلدات، وقد طبع أولاً، بعناية مولانا الإمام الحجة مجد الدين المؤيدي عليه السلام والرضوان، ثم أعيد طباعته وبهامشه التعليق الوافي على أحاديث الشافي للمولى العلامة نجم العترة الحسن بن الحسين بن محمد الحوثي رحمة الله عليهم، إصدارات مركز أهل البيت.

أصول الدين:

أرجوزة الرسالة الناصحة للإخوان. (شعر).

شرح الرسالة الناصحة للإخوان. (جزآن، طبع ضمن إصدارات مركز أهل البيت عليهم السلام).

الشفافة رادعة الطوافة، (جواب على الأشعري المصري).[طبع ضمن المجموع المنصوري إصدار مؤسسة الإمام زيد عليه السلام].

العقيدة النبوية في الأصول الدينية.

زبد الأدلة في معرفة الله.

أصول الفقه:

صفوة الإختيار في أصول الفقه.[طبع ضمن إصدارات مركز أهل البيت عليهم السلام].

الفقه:

المهذب في فتاوى الإمام المنصور بالله عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ.[طبع بإصدار مؤسسة الإمام زيد].

الدر المنثور في فقه المنصور.[تحت التحقيق].

الهداية من المغاوي في معرفة الفتاوي. [تحت التحقيق]

الرسالة المرتضاة في العهد إلى القضاة.

الأجوبة المرضية على المسائل الفقهية.

=

منسك الحج.

مصباح المشكاة في تثبت الولاة.

الرسالة المشيرة في ترك الاعتراض على السيرة.

الرد على الفرق:

العقد الثمين في أحكام الأئمة الهادين في الرد على الإمامية. [طبع بإصدار مؤسسة الإمام زيد].

الكاشفة للإشكال في الفقر بين التشيع والاعتزال. مخطوط.

الرسالة الإمامية في الرد على المسائل التهامية.

المجموع في آيات القرآن الشريف المبطل لمذهب أهل التطريف.

الرد على المطرفية.

أحكام خاصة:

الرسالة الهادية بالأدلة البادية في أحكام أهل الردة. [طبع بإصدار مؤسسة الإمام زيد].

الدرة اليتيمة في أحكام والسبي والغنيمة. [طبع بإصدار مؤسسة الإمام زيد].

في الحديث والفضائل:

الرسالة النافعة بالأدلة القاطعة في فضائل أهل البيت عَلَيْهِمُ الْسَّلاَمُ. [إصدار مؤسسة الإمام زيد].

حديقة الحكمة النبوية في شرح الأربعين السيلقية.[طبع دار الحكمة اليمانية].

في التفسير:

تفسير الزاهروين (البقرة وآل عمران) شرع فيه ولم يكمله.

وله الكثير من الأجوبة على المسائل التي وردت عليه حتى إن مؤلفاته تنيف على السبعين ما بين مؤلف، وجواب.

وأما قصائده الشعرية فهي مجموعة في الديوان المسمى (مطالع الأنوار ومشارق الشموس والأقمار).

وبحمد الله فقد طبع الكثير من مؤلفاته ولم يبق إلا القليل، وقد اشتمل المجموع المنصوري بأجزائه الأول والثاني والثالث، على الكثير منها، وطبع ضمن إصدارات مؤسسة الإمام زيد عليه السلام.

وكان من محاسن تصانيفه في حال صباه ودراسته عند شيخه حسام الدين قدس الله روحه كتاب (الشفافة)، وهو جواب رسالة أنشأها رجل من أهل مصر، ووسمها (بالرسالة الطوافة إلى العلماء كافة) تشتمل على مسائل في الأصول، بألفاظ يغلب على كثير منها التعقيد والتعجيز، وهي نيف وأربعون مسألة، ومورِدها أشعري متفلسف، فطافت على كثير من البلدان، فما تصدى عالم لجوابها، ولا رام فتح بابها، حتى انتهت إلى الشيخ المقدم ذكره؛ لأنه كان في علم الكلام شمساً مشرقة على الأنام، وحبراً من أحبار الإسلام، فأمر رضي الله عنه الإمامَ أن يجيب عنها، فأجاب عليه السلام بأحسن جواب، وأوضح خطاب، مع الإيجاز في الألفاظ والاستيفاء للمعاني، فجاءت حالية الجِيد، محاكية للعقد الفريد.

وقال عليه السلام فيها - بعد حمد الله تعالى والثناء عليه، والصلاة على محمد صلى الله عليه وآله وسلم-: فإن الرسالة الطوافة انتهت إلينا إلى أرض اليمن، قاطعة خطامها، حاسرة لثامها، تقطع المجاهل والجهول، وتصعد معاقل الوعول، كم واد جزعت، ومَرْتٍ قطعت، وشامخ طلعت][1].

وأما مكاتباته فله الكثير من المكاتبات إلى ملوك عصره وسلاطين وقته، وإلى أهل ولايته وطاعته، وإلى بعض عماله، وإلى بعض البلدان، وقد طبع مجموع مكاتباته عليه السلام، ضمن إصدارات مؤسسة الإمام زيد عليه السلام، بتحقيق الأستاذ المحقق عبدالسلام عباس الوجيه كتب الله أجره.

[1] إلى هنا انتهت الإضافات وما بعد القوس بداية السيرة المنصورية، وقد توخيت بقدر المستطاع المباحث المقاربة التي تعوض ما نقص من السيرة.

بداية النسخة المخطوطة

[بداية النسخة]

[تأتي على الناس لا تلوي على أحدٍ حتى أتتنا وكانت دوننا مضر

لكنها جاءت بما برد الأحشا، ولم تكن كلسان الأعشى.

فلما كمل الجواب كتب في صدر الكتاب هذه الأبيات:

هذي أمانة من تلم به حتى يبلغها إلى مصر

غراء واضحة تضيء ظلا م الليل مثل جمانة البحر

عدلية تمضي لحاجتها فتنحَّ عنها أيها الجبري

إن كان فيها ما يسوؤك من ديني فليس عليك من وزري

دعني وما ضمنته فبه أرجو النجاة صبيحة الحشر

وأما سائر الكتب المذكورة فإنها توضح لمن نظر فيها من أهل العلم غزارة علمه وسعة معرفته وفهمه، وتبين عجز أهل البلاغة والمعرفة في كل فن منها، فهي شاهدة بذلك.

ومما يدل على ذلك: ما كان من الاختبار والامتحان الذي وقعت بيعته عليه السلام عقيبه، وقد وصل من الجوف إلى هجرة دار معين[1]، فحضر إليه المشاهير من علماء أهل الشام:

أولهم الأميران الأجلان، العالمان العاملان، شيخا آل الرسول، ومختارا ذوي العقول، شمس الدين وبدره، ورأس الإسلام وصدره، يحيى[1] ومحمد[2] ابنا أحمد بن يحيى، وبنوهما السادة الأعلام.

---

[1] دار معين تسمى الهجرة، وهي تقع في الجنوب من صعدة، وبها مسجد للإمام المنصور بالله(ع).

ومنهم الشيخ الفاضل ظهير الدين أحمد حجلان الهمداني الوادعي[٣].

والشيخ العالم محيي الدين، شمس المدارس محمد بن أحمد النجراني[٤].

والقاضي الفاضل العالم الزاهد محمد بن عبد الله بن حمزة بن أبي النجم[١].

---

[١] الأمير الكبير، شمس الدين، شيبة الحمد، شيخ آل الرسول، وإمام فروعهم والأصول، وشمس فضلهم الذي ليس لها أفول، علمه أشهر من الشمس، مواصلاً ومجاهداً: يحيى بن أحمد بن يحيى بن يحيى بن الناصر بن الحسن بن عبد الله بن محمد بن القاسم بن الناصر أحمد بن الهادي إلى الحق، مولده سنة (٥٢٧)هـ، توفي في شهر محرم سنة (٦٠٦)هـ، عن تسع وسبعين سنة؛ وقبره بهجرة قطابر عدني مسجد النيد، مشهور مزور.

[٢] الأمير الخطير، الحجة الشهير، شيخ العترة، وشيبة الحمد، من خضعت له العلوم، ونشرت على رأسه ألوية المظنون منها والمعلوم، وعكفت العلماء من الثقلين على بابه، وتشرفت بلثم أعتابه، ومضت به كلمة الشريعة في البلاد، محمد بن أحمد بن يحيى بن يحيى الأمير، بن الناصر بن الحسن بن عبد الله، العالم- بدر الدين، مولده سنة (٥٤٠هـ) نشأ بصعدة على ما نشأ عليه سلفه الكرام من الولوع بالعلم الشريف، وتوفي: يوم الخميس في نصف رجب سنة(٦١٤)هـ، وقيل: (٦٢٤)، وقبره مما يلي باب المسجد بهجرة قطابر بجوار أخيه شمس الدين، مشهور مزور.

[٣] الفقيه العلامة ظهير الدين، أحمد بن حجلان الوادعي، عالم كبير رأس خطير من بيتٍ ورثوا الرياسة كابراً عن كابر، وكانت تناط بهم الأمور، ويستصلح بهم الجمهور، ولي أحمد بن حجلان هذا نواحي صعدة ومخاليفها جميعها لقبض الواجبات، وحفظ بيت المال، والتصرّف به على مقاصد الشرع، بأمر الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة عليهما السلام، قال العلامة علي بن نشوان: كان العلامة أحمد بن حجلان رجلاً عالماً ورعاً حليماً مجرباً، جيّد المعرفة، حسن السياسة، عدل القضيَّة، رؤوف بالرعيّة.

[٤] الشيخ العالم محيي الدين، شمس المدارس محمد بن أحمد النجراني، الحارثي، أبو عطية، كان إماماً في العلوم، متبحراً، متصرفاً تصرف المجتهدين؛ وله: رسائل، ومسائل، توفي سنة (٦٠٣)هـ.

والفقيه الأوحد العالم عمدة الدين سليمان بن عبد الله السفياني[٢].

والفقيه الأجل المكين علي بن يحيى بن الحسين البحيري[٣] وصل من اليمن رائدًا، فسلم ورجع داعيًا وقائدًا.

هؤلاء كبار أهل العلم، فقرأوا عليه كتاب (صفوة الاختيار[٤]) وغيره، وأورد كل منهم ما عنده من المسائل اختباراً وامتحاناً، فأجاب عن كل مسألة أوردت عليه بما يشفي الغلة ويحل الشبهة.

ولقد حكى الفقيه الفاضل العالم الحسين بن مسلم التهامي[٥]، عن الشيخ الفاضل محيي الدين محمد بن أحمد النجراني أن مسائله التي سأل عنها الإمام

---

[١] القاضي ركن الدين محمد بن عبد الله بن حمزة بن أبي النجم، قاضي قضاة المسلمين، وواحد علمائهم، حجة الفضلاء، كان حاكم صعده أيام المنصور بالله عبد الله بن حمزة، وله مذكرات ومراجعات، وأثنى عليه الإمام المنصور بالله كثيراً، توفي في شهر شعبان سنة (٦١٣)هـ وقبره في مقبرة القرضين بصعدة، مشهور مزور.

[٢] الفقيه الفاضل سليمان بن عبد الله السفياني، قال القاضي نظام الدين علي بن نشوان بعد أن وصفه بالعلم والركانة والثبات في الفضل والمكانة ، قال: وكان من كبار المسلمين وعيون أهل الدين وولاه الإمام المنصور بالله بلاد بكيل كافَّة رحمه الله.

[٣] سيأتي له ذكر كثير في أثناء هذه السيرة الشريفة.

[٤] كتاب للإمام عليه السلام في أصول الفقه، طبع بتحقيقنا.

[٥] الفقيه العلامة الكبير، المحقق، إمام المعقول والمنقول، رأس العصابة، أبو عبد الله الحسين بن مسلم التهامي، تلميذ أبي القاسم بن شبيب، له كتاب (الكاشفة بالبيان الصريح)، و(البرهان الصريح في مسألة التجسين والتقبيح)، وله كتاب (الإكليل في معاني التحصيل).

عليه السلام واختص بها دون غيره خمسة آلاف مسألة، فأجاب عنها بأحسن جواب وأوضح خطاب[1].

وروى لي الشيخ المذكور ذلك وسمعته عنه.

فلما رأوا منه ما بهرهم من سعة العلم والتصرف في ميدانه، وكمال الخصال علموا أن فرض طاعته قد توجه إليهم، ومبايعته قد تعينت عليهم، كتبوا إلى الأميرين الكبيرين الداعيين إلى الله شيخي آل رسول الله صلى الله عليه وآله شمس الدين يحيى وبدر الدين محمد ابني أحمد بن يحيى بن يحيى بن الناصر بن الحسن بن عبد الله بن محمد بن المختار بن الناصر بن أحمد بن الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، وسائر من له يد في العلم وطريق إلى المعرفة،

---

[1] قال الشيخ محيي الدين محمد بن أحمد بن الوليد القرشي في مقدمة كتابه الهداية من المغَاوِي في معرفة الفتاوي: فإنه كان من جزيل نعم الله على أهل الإسلام، ما يسره من قيام الإمام الأجل، المنصور بالله عز وجل، أمير المؤمنين عبد الله بن حمزة بن سليمان ابن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله الطيبين، وجرت المناظرة له والاختبار عند قيامه، وتوالت المسائل من أهل الفضل في ذلك الوقت ليعرف ما يعلم به إمامته، وتجب على الكافة طاعته، وكان من أكثرها سؤالاً وبحثاً عند حضور البيعة الشريفة بصعدة المحروسة بالمشاهد المقدسة على ساكنيها أفضل السلام بحضرة الأميرين، الأجلين الكبيرين، شيخي آل الرسول، شمس الدين وبدر الدين، يحيى ومحمد ابني أحمد بن يحيى بن يحيى بن الهادي على كافتهم السلام، ومن حضر معهم من العلماء والقضاة والفقهاء، وما جرى من البحث الشديد، والاستقصاء البليغ في مسائل الأصول والفروع، والمعقول والمسموع، وظاهره ومعانيه وسواها، حتى إن مقدار ما جرى هنالك من المسائل والجوابات منه عليه السلام لا ينحصر، منها جواب للشيخ العالم محيي الدين محمد بن أحمد النجراني خمسة آلاف مسألة. انتهى كلامه.

وأعلموهم بما تبين لهم من فضل الإمام عليه السلام واتساعه في فنون العلم، فوصل الكل إلى الحقل، وكان مشهدًا جمع كافة العلماء والفقهاء وأهل الدين وطائفة من المسلمين، وتراجعوا في أمره، وتواصوا بأن يمتحنوه بغوامض العلوم مما حفظوا جوابه وما لم يحفظوه، فأقاموا بصعدة [أربعة أشهر تنقص أياماً][(1)]، يوردون عليه الأسولة، النهار في تفسير القرآن، والليل في أصول الفقه، حتى نفدت مسائلهم ورجعوا إلى الكتب الكبار، فيجمعون منها المسائل في خلواتهم ثم يأتون بكتبهم فيسألونه، فيجيب عن كل مسألة، فيطلون على ما في الكتب فيجدون جوابه أوفى مما فيها أو موافقًا لها، وقل ما يأتي غير موافق إلا كالشيء النادر، وهو مع ذلك كافٍ، هكذا رواه لي الشيخ الفاضل محيي الدين محمد بن أحمد النجراني، فكان منهم من يريد الوقوف على عثرة أو أمر يقع به الخلاص من التزام الحجة وتكاليف الجهاد الشاقة على النفوس فلم يجدوا إلى ذلك سبيلاً.

قال القاضي أيده الله: وروى لي غير واحد من ثقات المسلمين أن الإمام عليه السلام يحفظ من الأحاديث المسندة إلى النبي صلى الله عليه وآله سبعة آلاف حديث.

قال: وسألته عن روايتهم في حفظ هذه الأحاديث المذكورة فصحح ذلك، وذكر أنه يحفظه.

ولَمَّا سألناه عن مسموعاته حسبناها لحضرته نيفاً على أحد عشر ألف خبر.

---

(1) ما بين القوسين زيادة من اللآلئ المضيئة للشرفي – خ –.

[وأما التي إلى وقت وفاته عليه السلام فلعلها تبلغ خمسين ألفاً، وأما ما يرويه إجازة فلعلها خمسين ألفاً أخرى][1].

[جواب الإمام على مسائل محمد بن نشوان]

قال القاضي أيده الله: ومما امتُحِنَ به واختُبِرَ مسائلُ تَنَحَّلَها القاضي العالم الفاضل محمد بن نشوان بن سعيد، وكان غزير العلم جيد الحفظ حسن الرواية، والمسائل في غوامض العلم، وأكثرها في دقائق القرآن، أمر بها إلى علماء الشام فوصلت إلى الشيخ العالم الفاضل حسام الدين الحسن بن محمد الرصاص بهجرة سناع وأجاب عنها بجواب، وأجاب عنها الأميران الكبيران المقدم ذكرهما بجواب، ونسبوا كل قول إلى قائله من العلماءِ والصحابة والتابعين والفقهاء، فأخذها الحاضرون مسألة مسألة وهم يسألون عنها الإمام عليه السلام ويمتحنونه بها، وهو يجيب عنها بأقوى ما قيل في تلك المسائل وأوضحه، ويحتج على الجواب بأقوى حجة وأوضح دليل، وكلما أجابهم بجواب مسألة نظروا في أجوبة المسائل التي عندهم فيعرضون جوابه عليه السلام على ما عندهم، فيجدونه أقوى الأجوبة وأوضح ما قيل في تلك المسألة، وأبين وأجلى؛ فحينئذٍ لم يبق شك عند الخاصة والعامة في إمامته، وأنه أحق الناس بالأمر، فكان من بيعته ما نذكره في موضعه إن شاء الله.

---

(1) ما بين القوسين زيادة من الدر المنثور في سيرة الإمام المنصور.

قال القاضي أيده الله: وصلت إلى الإمام عليه السلام وأحببت أن أَخْبُرَ أمره، وآخذ في مبلغه من العلم سِرَّه، وكنت أحفظ مسائل من غوامض الشرع منها ما أعرف جوابه بعد عناية شديدة، ومنها ما لا أعرف له أثرًا ولا أحفظ فيه جوابًا، وأعطاني الصنو محمد بن نشوان مسائل قد وقعها في قرطاس من غوامض الشرع، فجعلت أسأل الإمام عليه السلام عنها مسألة مسألة في مواقف متفرقة، وهو لا يعلم أني ممتحن له، فيجيب عن ذلك بالجواب الصحيح الذي قد عنيت في طلبه مدة طويلة، ويحتج عليه من الكتاب والسنة بما يؤيده، هذا فيما عرفتُ من جواب المسائل، وما لم أعرف أفادني فيه، وجعلت أتعرض لبعض الجواب لتحصيل الفائدة مقررة فيوضح ما أشكل علي أوفى ما يكون وأبلغه.

قال: فألفيت ضالتي التي أضللت، ورجائي الذي أمَّلت، وقفت ذلك قدر ثمانية أشهر مواظبًا على مجالسته، محافظًا على مراجعته، فما مر يوم إلا وهو يُسأل فيه عن مسائل جمة منها ما هو امتحان واختبار، ومنها ما يطلب فيه الفائدة في وقت خلو الخاطر واشتغاله، فما يعرض عن سائل، ولا يستنظر بجواب، ولقد رأيته يجيب عن مسائل من علم الكلام وأصول الفقه - والناس محيطون به في حصن كوكبان[1] لقضاء الحوائج الخاصة والعامة - وهو يكتب جواب تلك المسائل كتابةَ مسترسلٍ غير متوقفٍ فيه، ووجدته فارسًا في غوامض العلوم لا يجارى، وسابقًا مبرزًا في الفنون لا يمارى، بالغًا مبلغه في علم الكلام وأصول الفقه وحفظ الشريعة، وفنون الفصاحة والأدب والنحو واللغة، وحفظ

---

[1] كوكبان: حصن مشهور، مطل على شبام كوكبان، في الغرب الشمالي من صنعاء.

علوم القرآن وناسخه ومنسوخه، وتنزيله وتأوله، ومحكمه ومتشابهه، ومجمله ومبينه، وخصوصه وعمومه، وقصصه وأخياره، وإشاراته وأمثاله، وحكمه وأوامره ونواهيه، وجميع فوائده، وإعجازه واختصاره وإيجازه، وأحاديث النبي صلى الله عليه وآله مع حفظ القصص المتقدمة والسير ومغازي النبي عليه السلام وحروبه وفتوحه وسيرته، ومعرفة أصحابه وأنسابهم وقصصهم معه وأخبارهم، وسيرة الخلفاء بعدهم وأخبارهم، والتابعين وروايتهم عن النبي صلى الله عليه وآله، ولقد رأيته إذا عرضت كلمة في التفسير واللغة غريبة أو لفظة غامضة يحتج عليها ببيت من قول بعض فصحاء العرب المتقدمين، ثم يشفع ذلك البيت بما بعده من الأبيات إلى آخر القصيدة، أو يعدد عشرة أبيات وأكثر وأقل، ويذكر قائله ويروي عنه، وربما روى سبب إنشاء تلك القصيدة.

ورعه وزهده

وسماحته وجوده

ذكر ورعه عليه السلام وزهده

أما زهده عليه السلام:

فمعروف في سيرته، مشهور من شيمته، يعرفه جميع من خالطه واتصل به من حال الصغر إلى وقت الكبر، وزهده في حطام الدنيا والتنعم بلذاتها مع القدرة عليه، وصبره على مضض العيش، مدمنًا على الصيام والقيام، وما لمس حرامًا متعمدًا، ولا أكله ولا رضي لآكله، ولا تصرف فيه بأمر ولا نهي، ولا أعان ظالِمًا قط ولا رضي له ظلمه، بل كان اشتغاله في دراسة العلم، وكان مغرمًا به، وملازمته للعلماء في الهجر ومجامع المسلمين المعروفة بصنعاء وغيرها، وكان يقتات بالشيء الزهيد ويؤثر على نفسه الوافدين إليه والضعفاء والمساكين والغرباء، زهدًا في الدنيا ورغبة عنها، وتعرضًا لِمَا عند الله سبحانه من الثواب الجزيل، ولم يرغب في زخرف الدنيا، والتسبب لخفض العيش وطلب الطيبات والفواكه، إنما شغله بغير ذلك مما هو مقبل عليه من طلب العلم والدأب فيه، والخوف لله عز وجل والرغبة فيما وعد به الراغبين فيما عنده من المتقين له.

ومن كتاب له عليه السلام إلى أهل المغرب من خولان من مخلاف حيدان يقول فيه –وقد حكى بعض حاله–: والله ما رأيت خمرًا بعيني في يقظة ولا منام، ولا الملاهي من الطنابير وما شاكلها حتى ظهرت على الجبارين من الغز، وأمرتُ بكسرها وإراقة الخمور، ولا فعلتُ قبيحاً أعلمه قبيحاً متعمداً من الصغر إلى هذه الغاية من الكبر، ولا أكلت حبةً حراماً أعلمها، ولا قبضت

درهماً حراماً أعلمه، ولا تركت واجباً عامداً، وإني لمعروف النشأة بالطهارة، ما كان لي شغل إلا التعليم والدراسة والعبادة، ثم انتقلت بعد ذلك إلى الجهاد في سبيل الله فحاربت الظالمين قبل أن أقص شاربي بعلم الخاص والعام.

ورعه عليه السلام

ومن ورعه عليه السلام: أنه يمنع دوابه ومماليكه عن تناول شيء من بيت المال، ولقد كانت خيله تبيت الليلة والليلتين والثلاث ما تفلق حبة وفي بيت المال سعة.

ولقد كان ينفق أجزل ما يحصل له من البر والنذور، وفي بعضها ينفق كله فيما يعود نفعه على الإسلام.

ومن ذلك: أنه كان يأتيه قوم كثير في أوقات مختلفة بشيء من الدنانير والدراهم على وجه البر فيقبض ذلك منهم، ثم يشكون شكية، أو يسألون إبلاغ حق، أو أماناً في بلدهم، فيرد لهم دنانيرهم، فيمتنعون فيقسم لا أخذت منها شيئاً، وذلك بعد شدة امتناعهم، ثم يُشكيهم[1]، ويبلغهم حقوقهم ويقضي لهم حوائجهم.

ولقد رأيته يوماً في أسفل وادي عتم من بلاد بكيل - وهو يريد هجرة الجبجب[2] بعد اللقاء الجامع في جرن القيل عقيب قتل جكو - وقد أخذ قوم من العسكر علفًا لخيلهم فصاح صاحبه، فسمعه الإمام عليه السلام فضرب من لحق منهم بالسوط وأرسل كلٌّ ما معه، وانهزموا خوفاً منه.

---

[1] أي يرفع شكواهم ويزيلها.

[2] الجبجب: قرية من مديرية ضوران أعمال ذمار، تقع غربي آنس.

ومثل ذلك: رواه محمد بن الحسن الرصاص بمذاب[١]، ذكر أن العسكر وصل بعد غروب الشمس فتبادر الغلمان لأخذ العلف، فركض عليه السلام الفرس نحوهم ولزم منهم غلاماً لبعض الشرفاء فضربه ضرباً وجيعاً بالسوط، فرد الكل منهم ما كان معه.

وأتى إليه قوم كثير بشيء من البِرِّ، وفي جملتهم رجل سلم إليه ديناراً فخلطه في جملة الدنانير، وسأله عن الدينار على جاري عادته فأخبره أنه زكاة، فسلمها إلى متولي قبض بيت المال، ولم يأخذ منها شيئًا لنفسه بعد ذلك.

وروى الشيخ الفاضل أحمد بن الحسن الرصاص أنه أتى إليه رجل فسلم إليه ديناراً في المسجد الجامع بصعدة وسائل يسأله فسلمه إليه، فعاد إليه صاحب الدينار فشكى عليه شكية فأخرج من جيبه ديناراً وأمر بعض أصحابه بتسليمه إليه عوضاً عن ديناره، وأن يستبرئ له منه، فقال له الرجل: إنه بر، فقال: قد قبلناه منك، وهذا الدينار صدقة عليك، وأشكاه وقضى حاجته.

ومثل ذلك قد شاهدته مراراً كثيرة لا أحصي عدتها.

ومنها: أنه أتى إلى دار لعبد الله بن منيع في الدرب الذي أحدثه في دار غصبه من الجوف الأعلى فلم يُصَلِّ بها؛ لأنهم كانوا عمروا ذلك الدرب بغير مراضاة من صاحب البقعة، فأعلموه عليه السلام بأنه قد أباح لهم فلم يقبل حتى أتاه شاهدان، ثم أتاه في اليوم الثاني صاحب البقعة فحقق الخبر، وكان قد

---

[١] مذاب: واد شهير في بلاد سفيان، وغربي مدينة صعدة.
وتطلق مذاب أيضاً على قرية في ضوران آنس، ولعلها المراد هنا.

بقي في نفسه شيء، فأصلح الإمام بينهم على ثمن معلوم سلموه له، وعقد بينهم المبيع بألفاظ شرعية، وصلى بعد ذلك في الدار مدة إقامته فيها.

وأما زهده عليه السلام:

فيعرف ذلك من خالطه في سفره وحضره، يفطر على الشيء اليسير من الطعام مع إدمان الصيام، ويصبر على شظف العيش وقلته مع التمكن مما يريد منه، فإذا أتاه شيء آثر مَن كان قريباً منه من مملوك أو صاحب أو غيره؛ زهداً في الدنيا ورغبة فيما عند الله من الثواب الأسنى.

روى القاضي الفاضل راشد بن الحسن بن أبي يحيى[1] - وكان له خلطة به، وملازمة معه في أيام الدرس وبعده - أنه عليه السلام مع ضيق الحال في بعض الأوقات كان إذا دعي إلى الطعام وبحضرته من الغرباء ممن يعرفه ومن لا يعرفه فلا بد من أن يدعوه إلى حضور طعامه قل أم كثر على مرور الأيام.

ومن ذلك: ما رواه عنه عليه السلام في الجوف أنه لَمَّا أدمن على الصيام عول عليه وسأله الإفطار وقال: إن إدمان الصوم يضعفك، وفي قوتك تقوية الإسلام، فساعده عليه السلام على فطر بعض أيام قليلة، وكانت نفقته معه فانقطع من الأكل معه ثلاثة أيام، فظن القاضي أنه عاد إلى الصوم، فدخل عليه في بعض تلك الأيام وبين يديه لحيح من ذرة وصبغه روم في جانبه،

---

[1] القاضي العلامة قاضي أمير المؤمنين حاكم المسلمين راشد بن الحسن بن أبي يحيى الصنعاني رحمه الله، كان من العلماء الكبار الجُلَّة الفضلاء، ولاه الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة القضاء، وله شعر كثير يدل على ولائه ونصرته للإمام عليه السلام.

فاعتذره عن تأخيره عن الأكل معه، بأن البر قد قل عنده وأنه مؤثر بما حصل منه للضيف، فعلمت أنه لم يؤخرني عنه إلا للإيثار.

ومن ذلك: ما رواه عنه عليه السلام بميتك[١]، أن الضيف لا ينقطع منه على مرور الأيام، فكان يجتهد في إكرامهم من أطيب المطعومات، وأنه مستمر على أكل الذرة وأدمها منها، أو ماء الدجر إلا في النادر وما أقله، حتى لقد ظننت أنه يحتمي من اللحم.

ومن ذلك: أنه وصل إليه ضيف كثير في بعض الأيام وكان عنده جماعة من قرابته فأمر لهم بذبح بقرة وأضافهم بأجمعهم، وتأخر الشرفاء للأكل معه فأتى له بلحيح وقليل من لبن ممخوض.

ومن ذلك: ما رواه القاضي المذكور في أيام الخريف بوادي ضهر[٢]، وقد حضر جماعة من المتدرسين عند الشيخ الفاضل حسام الدين الحسن بن محمد الرصاص، فعزل لهم شيئًا من العنب برسم الخريف، وكان للإمام شيء مما يخصه، فكان يميل عليه بالإطعام والضيفة فنفد ذلك قبل أصحابه، فكانوا يدخلون إلى مواضعهم كل باكر وهو يدخل إلى موضعه مدة أيام وهو متعطل، ويوهمهم أنه يدخل لشيء يأكله، وغرضه الميل إلى التخفيف عن أصحابه، ففطن له رجل منهم فنظر المكان وقد تعطل، فعجب من ذلك الحاضرون.

---

[١] مَيْتك ويقال فيها مَوْتك بفتح الميم وسكون الوأو أو الياء ثم تاء مثناة من فوق وكاف وهو مَا يسمى عفار فِي الشمال الشرقي من حجة. والفَوْحُ من الريح والفَوْخُ إذا كان لها صوت.

[٢] وادي ضهر: واد مشهور شمال غرب صنعاء، من منتزهات صنعاء الجميلة، كثير الفواكه.

ذكر سماحته وجوده عليه السلام

وذلك ظاهر مشهور من شيمه، يعرفه البعيد والقريب، حتى صار ذلك له نعتًا وصفة، يعطي الأموال الجزيلة، ويهب الخيل المسومة، ويقصده الناس حيث كان من كل جهة، منهم من يطلب العطية، ومنهم من يريد الإقامة، ومنهم من يريد الضيفة، ومنهم من يريد قضاء الحوائج، فيقابل جميع من يصل إليه بالبشر والبشاشة، وحسن الخلق، ولين الجانب، وينبسط للسائل والوافد انبساط الوالد الشفيق، والأخ الشقيق، ولا يزال مبتسماً في وجه كل طالب فيقضي لكل منهم حاجته، ويصل السائل بما يمكنه، ولا يسأل المقيم عن إقامته، بل قد يأتي يطلب الإذن بالتقدم فيأمره بالإقامة مع استمرار الإنفاق عليه والقيام بحقه، ولقد كان عليه السلام إذا وفد عليه الوافد والسائل فيقف مدة طويلة على الإكرام والإنصاف، فإذا عزم على الانصراف حمل أحواله بالعطية الجزيلة والكسوة السنية، ومنهم من يحمله على فرس وكسوة على قدر ما يراه من استحقاقه، وعلى قدر الإمكان.

وما انقطع مناديه في نصف النهار وعتمة الليل: ألا مَن بقي يطلب الغداء يا معاشر الخلق، وكذلك للعشاء إلى أن لحق بربه ما ترك يوماً واحداً إذا كان في مستقره وعند أهله، وهذا مشهور الحال.

وكذلك: فإن من وصل إليه من الشرفاء من الحجاز فإنه ركبهم الخيل الجياد، فأما من هو واقف بين يديه من الشرفاء والأجناد فإنه قد يركب في اليوم الواحد الأربع من الخيل أو الخمس، وتأتيه الأموال الجزيلة في الأوقات المختلفة من

جهة عز الدين عزَّان بن سعد[١]، ومن جهة الفقيه ركن الدين سليمان بن ناصر السحامي ومن غيرهما، فينفق الجميع من عير بخل به ولا ادخار عليه.

وسمعته عليه السلام يقول: حصل لي من البر والنذور في مدة الإقامة بصنعاء وهي أربعة أشهر ما حسبه بعض الأصحاب ثمانية آلاف دينار، فنفق جميعًا، وما بقي منه إلا درع شريته أو قيمة فرسين، ولعل ذلك يكون ألف دينار، فأما ما يخص أهلاً أو ولدًا فما صار إليهم منه شيء بالجملة.

وروى الشريف الفاضل قاسم بن يحيى أنه حصل للإمام عليه السلام على يديه من البر قدر ثلاثة آلاف دينار في مدة قريبة في صعدة، فما صار إليه منها لأهله وخيله ومماليكه وما يختص به على الاحتياط ما يبلغ خمسمائة دينار، وأنفق سائر ذلك مع ما يحصل إلى بيت المال، وحصل من باقي دية أخيه محمد بن حمزة –رضي الله عنه– خمسة آلاف دينار فأنفقها مع ما حصل من حجة وأعمالها، وهو يزيد على عشرين ألفاً، مع ما حصل من جهة اليمن وهو قدر خمسة آلاف درهم من جهة القاضي الفاضل رشيد بن سلامة، وذلك كله في مدة شهرين ونصف.

فأما على مرور الأيام وما يشاهده من كان بحضرته فإنه يأخذ المال بيمينه ويعطيه بيساره.

وروى القاضي أيده الله عن الأمير الأجل صفي الدين ذي الكفايتين محمد بن إبراهيم بن محمد بن الحسين بن حمزة بن أبي هاشم[٢]، قال: خبرت الإمام

---

[١] الشيخ المكين، الرئيس الكبير، المقدام الخطير، عز الدين، سيف أمير المؤمنين، عزان بن سعد بن عزان الحبشي المذحجي، وهو رئيس قومه والمقدم فيهم، سيأتي ذكره في الوفود إلى الإمام عليه السلام.

[٢] من قواد الإمام المنصور بالله عليه السلام وثقاته.

عليه السلام من حال الصغر إلى حال الكبر فما رأيت أشرف منه نفسًا، ولا أسمح يدًا، ولا علمته ادَّخر ديناراً ولا درهماً دون الطالب والمحتاج وهو يعلمه، هذا مع لطفه بالقريب والبعيد وإيناسه للواصل إليه.

قال الأمير المذكور: وسكن الإمام عليه السلام بمدينة براقش[١] في حال هجرته بالجوف وهي مدينة قديمة بالجوف الأسفل مما يلي الغايط بعيدة من الناس، وكانت عافية لا يكاد أحد يصلها، ولا يمر بها إلا عابر سبيل، فلما حلها عليه السلام صارت مُبَلَغًا لمن يصل من الجهات من مأرب وغيرها، ولمن يصل من البدوان من مراد[٢] وخولان[٣] وبني بارق[٤] وعذر[٥] وقبائل سفيان[٦] ونهم[٧] والحواير[٨] ودُهْمَة[١] والعقيبات وبني نوف[٢] وجنب[٣] وبني صلاة والدواسر[٤]

---

[١] براقش: مدينة أثرية هامة في وادي الجوف، واسمها القديم (يثل)، تقع بجانب خرائب معين والبيضاء.

[٢] من قبائل مذحج، ومساكنهم بناحية مأرب وحريب، وهي بلاد واسعة، وبطونهم كثيرة.

[٣] خولان: المراد بها هنا خلولان العالية –نسبة إلى جبالها المرتفعة–، وهي من القبائل الحميرية اليمنية، ومنازلها في شرقي مدينة صنعاء، وفروعها كثيرة.

[٤] بنو بارق: واد في خولان العالية بمشارق صنعاء، ويقال له وادي عاشر.

[٥] عُذر: قبيلة كبيرة من حاشد، يقطنون في الجانب الشمالي من عمران.

[٦] سفيان: قبيلة من ولد سفيان بن أرحب، ديارهم شمال مدينة حوث بنحو ٢٥كم، ومن قبائل سفيان: شاطب، وبنو أسد، ورهم، وذو زوايد، بني شارد، ذو سليمان، وغيرهم كثير.

[٧] ونهم بكسر النون: قبيلة مشهورة من قبائل بكيل، تنسب إلى نهم بن عمرو بن ربيعة بن مالك، وتقع ديارها في الشمال الشرقي من صنعاء، وتنقسم إلى فروع كثيرة.

[٨] الحواير: بلدة في بني سرحة، من مديرية المخادر وأعمال إب.

وقبائل أرحب[٥]، فصارت هذه القبائل وغيرهم لما حل ببراقش ينتابونه لقضاء الحوائج والتبارك به، ومنهم من يطلب المعونة، ومنهم من يريد الضيفة، فيعود كل منهم بحاجته، وينبسط لهم الانبساط العظيم، ويفصل بينهم ويرضون به.

قال: وضَرَبَت الحُطمة فخلت البلاد من أهلها، وانتجعت نهم من أوطانهم من القحط والجدب قدر سنة أو سنتين، وبقي الإمام عليه السلام هنالك يطعم من يصل إليه ممن يعرفه ومن لا يعرفه، وكان خدمه يختلفون للميرة فلا يعرض لهم أحد، لما قد علمه الخاص والعام من كرمه عليه السلام وإطعامه للبعيد والقريب، وعموم معروفه لمن يصل إليه.

وروى القاضي الفاضل راشد بن الحسن بن أبي يحيى قال: أقمت مع الإمام عليه السلام أيام الدرس بهجرة سناع وغيرها فما دعي إلى طعام ومعه أحد من الغرباء إلا دعاه إلى طعامه، ولم يعذره عن ذلك على الدوام.

ولو أستقصي ما شوهد من سماحته وجوده لما اتسع هذا الموضع لذكره، فأوردت هذه النبذة اليسيرة تنبيهاً على ذلك.

---

[١] دُهمة: قبيلة كبيرة تتفرع من قبائل شاكر أحد بطون بكيل، وأشهر قبائل دهم: ذو غيلان أهل برط، والجوف وهم قسمان ذو محمد وذو حسين، ويتفرعون إلى عدة قبائل.

[٢] بنو نوف: من قبائل دهمة من بكيل، وهم بطون كثيرة، يسكنون الجوف.

[٣] جنب: حي من مذحج، ويطلق على عدة قبائل منها: منبه وسنحان وشمران وغيرها.

[٤] الدواسر: من بني قيس وأعمال بني مطر، غربي صنعاء.

[٥] أرحب: قبيلة سميت بأرحب بن الدعام بن مالك بن ربيعة، وتقع أرضها شمال صنعاء ما بين جبال نهم شرقاً وجبال عيال يزيد غرباً، وهي قسمان: زهيري وذبياني.

[ملحق بعض القصائد التي قالها عليه السلام في صغره][1]

[قصيدته حين لامه أهله على ترك التكسب]

وكان الإمام المنصور بالله أمير المؤمنين عبد الله بن حمزة بن سليمان بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حال صغره في حجة، وقد وفد إليه وافدٌ يستمنحه، فلم يمكنه له في الحال شيء، فأمر إلى بعض أصحابه يطلب منه قرضاً ليصل به الوافد إليه، فاعتذره، فجاءه الرسول فأخبره بعذره له، وكان أهل بيته حضوراً، فجرى منهم إليه عليه السلام حديث في أمر الاكتساب والاشتغال به، والتعرض له، وكان عليه السلام مقبلاً على الدراسة في العلم، فأنشأ عليه السلام هذه الأبيات في هذا المعنى:

قَالَتْ أُمَيمَةُ وهي لَا تَدرِي ... جَهلاً بِكُنهِ مَوَاقِعِ الدّهرِ[2]

قُم فَاطَّلِبْ وَفْراً لِيَنفَعَنَا ... ويُغْنِيَنَا عن كُلِّ ذِي وَفْرِ[3]

فَالمَالُ يَرفَعُ كُلَّ مُتّضِعٍ ... ضَرَبَ المِثَالَ النَّاسُ بِالبَحرِ[4]

مَا أَوَّلُوكَ بِنَافِعِيكَ وَمَا ... يُغنِيكَ كَونُكَ مِن بَنِي الطُّهْرِ

فَأَجَبْتُهَا مَا المَالُ مِن أَرَبِي ... وَطِلَابُهُ فَتَيَقَّنِي أَمرِي

---

[1] الملحقات من مكملات السيرة من النسخة التي فيها رسائل وأشعار للإمام عليه السلام.

[2] أميمة: تصغير أم. وفي الديوان: عواقب الدهر.

[3] والوفر: الغنى، ومن المال والمتاع: الكثير الواسع.

[4] أي ضرب الناس البحر مثلاً لكل من يملك المال الكثير الواسع، كما أن البحر يضرب مثلاً للكريم.

حَسْبِي أُمَيمُ بِأَنَّنِي رَجُلٌ أَدرِي وَأدرِي أنَّنِي أَدرِي
وَإِذَا وَعَدتُ أَتَيتُ مَوعِدَتِي وَإِذَا خَلقتُ فَإِنَّنِي أَفرِي[1]
وَ أَلِينُ لابنِ العَمِّ يُسمِعُنِي مَا لَا أَشَا وَيَنَالُهُ بِرِّي
وإذا هفى المولى عفوتُ له والعَفْوُ أَكْرمُ شِيمَةِ الحُرِّ[2]
وَلَرُبَّ لَيلٍ قَد لَهَوتُ وَمَا لَهْوِي بِمُسمِعَةٍ ولا خَمْرِ[3]
بِفِكَاكِ مُشكِلَةٍ يَظَلُّ لَهَا ذُو العِلمِ يَنكُتُ حَائِرَ الفِكْرِ[4]
فَتَركتُهَا غَرَّاءَ وَاضِحَةً لِلنَّاظِرِينَ كَطَلْعَةِ الفَجْرِ
فَمَتَى أَرَى دَاعِي بَنِي حَسَنٍ يَدعُو فَيسرِي الهَمُّ مِن صَدْرِي
وَمَتَى أَرَى الرَّايَاتِ تَنشُرُهَا رِيحُ السَّعَادَةِ أَبلَغَ النَّشْرِ
والخَيلُ تَمرُجُ لَا دَلِيلَ لَهَا إِلَا ذُرَى الخَطِيِّةِ السُّمْرِ[5]
تُردِي بِفتيَانِ الصَّبَاحِ ضُحىً وَسَطَ العَجَاجَةِ كَالقَطَا الكُدْرِي[6]
مِن كُلِّ أبيضَ يَستضِيءُ بِهِ مَا حَوْلَهُ كَإِضَاءَةِ البَدْرِ

---

[1] الخلق: التقدير، وخَلَق الأديم: صنعه وقدره. وأفراه: أصلحه أو أمر بإصلاحه، وهو يفري: الفرِّي كعنيٍّ: يأتي بالعجب فِي عمله، فيكون المعنى: أصلح خلف الوعد تداركاً بالوفاء، أو ببيان مَا منع عنه من الأعذار الصادقة.

[2] هذا البيت غير موجود في الديوان، وهو ثابت في المجموع السابق.

[3] المسمعة: المغنية.

[4] النكت: أن تضرب فِي الأرض بقضيب فيؤثر فيها. وهي صفة للحائر فِي الأمر.

[5] المرْجُ: الأَرضُ الواسعةُ ذاتُ نباتٍ كثير تَمْرُجُ فيها الدوابُّ أَي تُخَلَّى تسرح مختلطةً حيث شاءت. وذِرْوَةُ كلِّ شَيءٍ وذُرْوَتُه: أَعْلاهُ، والجَمْع الذُّرَى بالضم. والخَطِّيَّة: الرِّماح، نسبة إلى أرض.

[6] تردي الخيل: ترمي الأرض بحوافرها، أو تسير مَا بين المشي والعَدْو. وفتيان الصباح: رجال الغارة. والقطا الكُدري، كتُركي: ضرب من القطا، غبر الألوان، رقش الظهور، صفر الحلوق.

يَهتَـــزُّ فِـــي ثَنِيَـــيْ مَفَاضَـــتِهِ أَسَـــدٌ حَدِيـــدُ النَّـــابِ والظُّفْـــرِ[١]
تَرقَـــى إِلَـــى حَسَـــنٍ مَنَاسِـــبُهُ نَاهِيـــكَ مِـــن شَـــرَفٍ وَمَـــن فَخْـــرِ

[قصيدة حين عاتبته امرأته على إتلاف ماله للوافدين]

وعاتبته امرأته عليه السلام على إفناء وفره واتلاف ما في يده للوافدين، فقال في ذلك:

دَعِـي اللّـوْمَ عَنّـي اليـوم يـا أمَّ زَيْنَـبِ ولا تـذهبي فِـي العَـذل فِـي كُـلّ مَـذهَبِ
دَعِينِـــي فَـــإنَّ المـــالَ لَـــيسَ بِنَـــافِعِي إذا قَـــلَّ إحســـانُ الطّبيـــبِ المُجَـــرِّبِ
وصِـــرتُ لقَـــاً بـــين الرجـــالِ فَطَالَمَـــا تَنَحَّـــوا عـــن الأمـــر الـــذي لَـــمْ أُصَـــوّبِ
وأصـــبحَ مَـــا خَلّفـــتِ إمَّـــا لِمَاجِـــدٍ طَلِيـــقِ المُحيَّـــا كالحُسَـــامِ المُشَـــطَّبِ[٢]
وإمَّـــا لِمَقطُـــوعِ اليَـــدَينِ عـــن النَّـــدَى كَلِيـــلِ المُـــدَى نَوَّامَـــةٍ غَيـــرِ أغلـــبِ[٣]
ونَفسِـيَ أبـدَى مـن كِـلَا ذَيـنِ فَـاعلَمِي وخَلِّـي عِتَـابِي فِـي السَّـماحة واصـحَبِي
فَـــإنَّ أبِـــي أوصَـــى بَنِيْـــه بِخُطَّـــةٍ ولســـتُ بنَـــاسٍ للوصِـــيَّة مـــن أَبِـــيْ[٤]
وَبَـــاعَ تُرَاثَـــاً عـــن أبيـــه لِضَـــيفِهِ وَشَـــقَّ فضُـــول البُـــردِ غَيـــرَ مُكـــذّبِ
فَـــلَا تعجَبِـــي منّـــي فهـــذا وراثَـــةٌ وإنَّ عَجِيبَـــاً منـــكِ أن تَتَعَجَّبِـــي
فـإن شـئتِ فَـاروِي مَـا ذكـرتُ وَسَـامِحِي و إلّا فَلُـــومِي مَـــا بَـــدا لـــكِ واعتَبِـــي

---

[١] ثني مفاضته: مَعْطفَي درعه.

[٢] المحيَّا: الوجه كله أو حره، وطليق الوجه: أي ضاحكه مشرقه.

[٣] أمدى العرب: أبعدهم غاية في العز. وكليل المدى: أي قليل العز ضعيف المرؤة. والأغلب: الأسد.

[٤] الخطة: المراد بها الأمر هنا.

ألَا قَلَّمَا يَأتِي بِخُرقٍ مهذَّبٌ كَرِيمٌ من الفتيَان غيرُ مهذّبِ[١]

فإنَّ مِتُّ فَابكِينِي بِمَا أنا أهلُهُ ولا تخدِشِي خَدَّاً ولا تتعصّبِي

وقولِي لَعَاً للفَادح الخَطب والذي يَرَى أنَّ كسبَ المَجدِ أفضَلِ مَكسَبِ

ومَن يَلتَقِي الخَيلَ العَظِيمَةِ ضَاحِكاً وَيركَبُ أطرافَ القَنا غير متعَبِ

ومَن يَلطُفُ الضَّيْفَ الغَرِيبَ بِوُسعِهِ ويفعلُ فِعلَ الوالد المتقَرّبِ

ويَهْمِي على الجار الجنِيب بِوَبْلِهِ إذا شِيْم برقا مُستَخفٍّ وَخُلّبِ[٢]

ومن يَكشف المعنى لِعَيٍّ بفهمِهِ ويُطلِقُ عَقدَ المُشكِلِ المتوَزِّبِ

فَهَذِي خِلالٌ لا تَخَافِينَ نَقضَهَا بنقلِ ثِقَاتٍ من نزارٍ ويعربِ

ولا تطمعي ما دمتُ حياً بسلوةٍ عن الضيف إلا أن تبيني وتغربي

أترجِين لمَّا سَوّدَ الشَّعرُ عَارِضِي وأصبحت لا أزوي عنِ الشَّيبِ مَنكِبِي[٣]

وطُوِّلَت الأعنَاقُ من كل وجهَةٍ إليّ لأخلاقي وأهْلي ومَرحَبِي

رُجُوعِي عن العليَا ونقلُ طَبَائِعِي كمَن يتشَهَّى لَحمَ عنْقَاءَ مُغْرِبِ[٤]

ألا إنَّ لي في الجُودِ وَيحَكِ لَذَّةً كلذةِ غيري في طَعَامٍ ومَشْرَبِ

[قصيدة في حال الصغر]

ومما قاله عليه السلام في حال صغره بحجة:

---

[١] الخُرْقُ، بالضم، وبالتحريكِ: ضِدُّ الرِفْقِ، وأن لا يُحْسِنَ الرجلُ العَمَلَ والتَّصَرفَ في الأُمورِ، والحُمْقُ. ورجل مهذب: أي طاهر الأخلاق.

[٢] البَرْقُ الخُلَّبُ: المطْمِعُ المخْلِفُ، وماء خلّب كقُبّر: السَّحابُ لا مَطَرَ فيه.

[٣] في الديوان: وأصبح لا روّى عن الشيب منكبي، ومعنى تروت مفاصله: اعتدلت وغلظت.

[٤] والعَنْقاءُ المغْرِبُ، بالضم، وعَنْقاءُ مُغْرِبٌ ومُغْرِبَةٌ ومُغْرِبٍ، مُضافَةً: طائِرٌ مَعْروفُ الاسمِ لا الجِسْمِ، أو طائِرٌ عظيمٌ يُبْعِدُ في طَيَرانهِ، أو منَ الأَلْفاظِ الدَّالَّةِ على غيرِ مَعْنىً.

سَـلَا مَربعـي جُمـلِ الدَّرِيسِـينَ عـن جُمْـلِ وَلَا تَسـألا عَـن مَنـزِلٍ مُـوحِشٍ عُطْـلِ[١]

عَفَتـهُ الغَـوَادِي والسَّـوَارِي بِمَرِّهَـا فَأَضـحَى كَظَـنِّ السُّـوءِ فِـي مُهجَـةِ الخِـلِّ

تلاحظـه عينـي فأحسـب أنمـا ترحـل منـه قطعـة الإجـلِ مـن أجلـي[٢]

وَفِيـهِ كَـنَقْطِ الثَّـاءِ سُـفْعٌ رَوَاكِـدٌ أو البَقـرِ الوَحْشـي ضُـمْنَ علـى عِجْـلِ[٣]

وأَشْـعَثَ عَـارٍ كَالأَسِـيرِ مُسَـجَّحٌ أَعاضُـوهُ مـن طَـوقِ العَنَـا رِمَّـةَ الحَبْـلِ[٤]

تَبَـدَّلَ بعـد الأُدْمِ مـن نَسـلِ آدَمٍ بـأَدَمٍ مـن الصِّـيرَانِ مَسـلُوبَةِ الفَقْـلِ[٥]

تُـذَكِّرُنِي عَـينُ الغَـزَالِ وجِيـدُهَا بِجُمْـلٍ وجُمْـلٌ لا تُقَـايَسُ بالمِثْـلِ[٦]

وَلَيـلٍ أَتَـى كَـالْهَجرِ مـن جُمْـلَ أسـوَدٍ وأنجُمُـهُ مِثـلُ المَوَاعِيـدِ بِالوَصْـلِ

---

[١] في البيت جناس تام في كلمتي جمل: فجُمْل كقُفْل اسم امرأة، جمل بنت شراحيل المازني، أو جمل امرأة من بني عامر، الدريس: الطريق الخفي. وجمل جمع جَمَل، وهو معروف.

[٢] الإجل بكسر الهمزة: القطعة من بقر الوحش.

[٣] السُّفع جمع سفعاء: وهي واحدة الأثافي، وهي الحجارة التي يوضع القدر عليها، وهي من آثار أهل الدار، وهي ثلاث أحجار من ثلاث جهات والجهة الرابعة مفتوحة، ولهذا شبهها بنقط الثاء.
وضمن: أي صوتن، لأن المضمن من الأصوات: ما لا يستطاع الوقوف عليه حتى يوصل بآخر، والعجل بالكسر: ولد البقر. والمعنى أنه لم يبق من الدار وسكانها إلا الآثار كالأثافي، أو البقر الوحشي التي تصوت على أولادها.

[٤] الأشعث: الوتد، والأسجح: الحسن المعتدل، والطوق: كل ما استدار على الشيء، شبه الوتد في الدار بالأسير المطوق بالقيود في عنقه، ولكن ليس بقيود من حديد وإنما رمة الحبل البالي.

[٥] الأدمة في البشر: السمرة، والأدم محركة: سواد في قلب النخلة، والصيران جمع الصَّوْر: وهو النخل الصغار أو المجتمع، أو أصل النخلة، ومسلوبة الفقل: أي لا ثمر فيها. أي أن الدار تلك تبدلت بسكانها من البشر بني آدم، بالنخل الصغار الذي لا ثمر فيه، ولا أحد يهتم به، أو بأصول النخل.

[٦] جمل: اسم امرأة، والمراد به هنا اسم مستعار أطلق على من يقصد الإمام عليه السلام في هذه القصيدة، نزلهم منزلة المعشوق لحبهم ومكانتهم عنده.

وَفِيــهِ سُــهَيلٌ للنُّجُــومِ مُعَــارِضٌ ... كَمِثْــلِ زُهَيــرٍ فــي البَشَاشَــةِ بِالقَتْــلِ
عَلَيــهِ دِلاَصٌ مــن دَمِ القَــومِ مُجْسَــدٌ ... فَلَــم يَــرْوَ حَتَّــى صَــارَ يُرْعِــدُ لِلعَــلِّ[١]
فَمَــالِي وللــدُّنيَا مَحَــا اللهُ رَسْــمَهَا ... فَمَــا هَمُّهَــا هَمِّــي ولا فعلُهــا فِعْلِــي
يَبِيــتُ مَرامــي والهِــلاَلُ مِهَــادُهُ ... ورأسِــي فُوَيْــقَ السَّــبْعِ والمُشْــتَرِي نَعْلِــي
عَلَــوتُ علــى الرِّمــالِ الثِّقَــالِ فَلَــم تَجُــدْ ... عَلَــيَّ كمَــا جَــادَت بِوَبْــلٍ و لا طَــلِّ
وَلســتُ بِمُســتَبقٍ مــن العَــيشِ فَانِيــاً ... وَلَكِــنْ سَأُمْضِــيهِ وأَمْضِــي عَلَــى رَسْــلِي
ومَــا الأســدُ الضِّــرغَامُ يَــدخَرُ عَيشَــهُ ... وقــد جَمَعَــتْ لِلحَــولِ مَضْــعَفَةُ النَّمْــلِ[٢]
ومَــا حَقَنَــت رُوسُ الشَّــنَاخِيبِ مَاءَهَــا ... ولَكِــن بِمَــا تَحــوي تَجُــودُ علــى السَّــهْلِ[٣]
فَيَــا رَاكِبَــاً وَجْنَــاءَ خَرقــا شِــمِلَّةً ... مُنَعَّمَــةً إلا مــن الشَّــدِّ والرَّكْــلِ[٤]
يُــزِلُّ الشَّــذَى مــن صَــفحَتَيهَا نَعِيمُهَــا ... ولَا يَســتَطِيعُ العَــلُّ يعلــو إلَــى الرَّحْــلِ[٥]

---

[١] دلاص: أي درع ملساء لينة، ومن دم القوم، شبه الدم الذي على جسده بالدرع، أو شبه الدرع الذي عليه من تلطخه بالدم بالثوب المجسد، والمجسَد: هو مصبوغ بالزعفران، أو بالمِجْسَد كمنبر: أي ثوب الذي يلي الجسد، ويرعد أي يتوعد ويتهدد، والعلّ الشربة الثانية استعارها هنا للكرة الثانية.

[٢] أراد عليه السلام تشبيه نفسه في توكله على الله تعالى، وعدم ميله إلى الدنيا، وكراهيته لجمعها بالأسد الذي يأنف أن يدخر من فريسته شيئاً إلى الغد، وأن جمع القوت من شأن الضعفاء كالنمل الذي يجمع قوته للسنة.

[٣] والحقن: الحبس، الشناخيب: جمع شنخوب وشنخوبة: وهو رأس الجبل، وهنا أراد أن يبين أنه بما يملك ويحوي يجود على من دونه من المحتاجين، كمثل رؤوس الجبال يسيل ما وقع عليها من المطر إلى السهول، ولا تحبس الماء فوقها.

[٤] الوجناء: الناقة الشديدة، وبقية الأوصاف تقدم معناها.

[٥] يُزِلّ: أي يُذهب، الشذا: أي الجرب والأذى، من صفحتيها: أي جانبيها، نعيمها: أي سمنها وصلابة بدنها، ومن قوتها لا يستطيع العلّ أي الرجل المسن النحيف أو الصغير الجسم أو الرقيق

تَحَمَّلْ وشَمِّرْ لَا تُعَوِّجْ إذا انبَرَتْ جَنَادِبُ صِرِّ الأرض تدعوا إلى الظِّلِّ[1]

مِنَ المُضْرَمِ الأحشا فَلَو أنَّ مَا بِهِ أَصَابَ ثَبِيراً كَادَ من حَرِّهِ يَغْلِي[2]

إِلَى ابنَي رَضِيعِ المَجدِ مِنِّي أُلُوكَةً تُحَلَّى بِهَا الأوراقُ مَعدُومَةَ الْمِثْلِ[3]

تَغَيَّبْتُمَا عَنِّي فَنِلْتُ من الأَسَى وحَقِّكُمَا مَا لَمْ يَنَلْ أحَدٌ قَبْلِي

فَصِرتُ كَسَهمٍ فِي الكِنَانَةِ مُفرَدٍ خَلِيعٍ بِلَا رِيشٍ لِوَامٍ ولا نَصْلِ

الجسم أن يعلو على الرحل أي ركاب الناقة، والمراد أن حامل هذه الرسالة إلى من وجهت إليهم لا بد أن يكون قوياً على ناقة قوية لبعد المسافة ومشقة السفر.

[1] لا تُعوج: أي لا تعطف رأس الناقة بالزمام ميلاً إلى الراحة والظل إذا انبرت الناقة: أي إذا أتعبها وأضر بها السفر، بل تحمل وشمر وواصل السير حتى تصل، ولا تكن كالجنادب: جمع جندَب وجندُب بفتح الدال وضمها، وهو ضرب من الجراد. وصر الجندب: مثل يضرب لمن اشتد به الأمر حتى أقلق صاحبه.

والأصل فيه: أن الجندب إذا رمض من شدة الحر، لَمْ يقر على الأرض وطار، فتسمع لرجليه صريراً. والمراد لا تكن كالجنادب إذا اشتدت عليه الحرارة طار ميلاً إلى الظل والبرود.

[2] من المضرم الأحشاء: أي بلغ هذه الرسالة من المشتعل قلبه وفؤاده لهيباً وناراً، شبه ما في قلبه من الوجد والأسى والحزن على الفراق بالنار الملتهبة، ثم بين على سبيل الإستعارة التبعية والتخييلية أن الذي في أحشاءه لو وقع على جبل ثبير بمكة لصار يغلي من الحرارة.

[3] إلى ابني رضيع المجد: أي بلغ إلى ابني رضيع المجد، لعله عليه السلام يريد سليمان ومحمد ابني حمزة السراجي، ولم أتمكن من معرفة هذين الرجلين الذين قصدهما الإمام عليه السلام على جهة التحقق، ألوكة أي رسالة.

وقال عليه السلام في صباه:

يَـــــا دَارَ مَيَّـــــةَ بِالرَّوَاجِـــــبْ فَـــإلَى الأَسِـــلَّةِ فَالأَهَاضِـــبْ[١]

فَـــــدِيارِ نَجـــــدٍ فَالعَقِيْـــــ ق فَضَـــاحِيِينِ إلَـــى الصَّـــوَاقِبْ[٢]

أَضـــحَت خَـــلاَءَ مِـــن الأنِيْـــ ـــس وأقفَـــرَت تِلـــكَ المَلاَعِـــبْ

سُـــــقياً لِأيَّـــــامِ الشَـــــبَا بِ الخَالِصَـــاتِ مِـــنَ الشَّـــوَائِبْ

أيَّـــــامَ أســـــحَبُ مُطْرَفِـــــي جَـــذْلاَن تبرُقُنـــي النَّوَائِـــبْ[٣]

وَأَزُورُ مَيَّـــــــةَ والجَبِيـــــــ ـــن عليـــهِ مَـــاءُ الحُسْـــنِ ذَائِـــبْ

ومـــــن الهُنُـــــودِ مُشَـــــايِعِي إن خِفـــتُ خَائِنَـــةَ الأعَـــارِبْ[٤]

صَـــــلتٌ أَغـــــرُّ مُشَـــــطِّبٌ لَـــم يَخـــشَ نَبْوَتَـــهُ مُصَـــاحِبْ[٥]

---

(١) الرواجب لعل المراد بها الرجب بضم الراء وفتح الجيم: وهي رياض بأسفل وادي رحقان، وهي من المناطق الحجازية.

(٢) نجد: اسم للأرض الطويلة العريضة التي أعلاها تهامة واليمن وأسفلها العراق والشام، قال السكري: حد نجد ذات عرق من ناحية الحجاز كما تدور الجبال معها إلى جبال المدينة، وما وراء ذات عرق من الجبال فهو حجاز كله، فإذا انقطعت الجبال من نحو تهامة فما ورائها إلى البحر فهو الغور، والغور وتهامة واحد، الضاحي: جبل معروف من طرف غران من الشمال. والضاحي يطلق أيضاً على جبل في رأس مخيط جنوب غربي المدينة المنورة.

(٣) مُطْرَف كمُكْرَم: رداء من خز مربع ذو أعلام. والنوائب: هنا الجماعة من الناس، وفي الديوان: جذلاً تعرفني النوائب.

(٤) الهنود: المراد السيوف الهندية، وفي هذا البيت تورية.

(٥) الصلت: السيف الصقيل الماضي، الأغر: الأبيض. والمشطِّب: المقَطِّع. والنبوة: يقال نبا السيف إذا كلَّ حدُّه.

أَمسَى مُضاجِعَنا تُدَفِّـ ـعُهُ النُّهُودُ مِنَ التَّرائِبْ[1]
وَغَدًا وَمَضرِبُ جَفنِهِ خَضِلٌ مِن الجادِي خَاضِبْ[2]
عُمْرِي لَقَد ذَهَبَ الزَّمَا نُ بِحُلَّةِ العُرْبِ الأعَارِبْ
فَمَضَى الشّبَابُ وعَصْرُهُ وتَصرَّمَت تِلكَ المَآرِبْ
وبَقِيتُ فِي خَلَفٍ كَأنْـ ـنَهُمُ الأسَاوِدُ والعَقَارِبْ
وَتَرى ثِيَابَ مُسَالِمٍ مِن تَحتِهَا بَدَنُ المُحَارِبْ

[قصيدته في حال صباه إلى محمد وسليمان ابني حمزة]

ومما قاله عليه السلام في صباه [إلى محمد وسليمان ابني حمزة][3] أيام كونهمَا بقطابر:

دَارٌ لِمَيَّةَ أَقفَرَت بِزَرُودِ أَوْدَتْ ومن حُكم المرابِع تُودِي[4]
لَمَّا تَوَلَّت مَيُّ فِي أظعَانِهَا عَنهَا أحَدَّتْ فِي الثِّيَابِ السُّودِ
عرَّجتُ فِيهَا للسؤالِ فلم أجِدْ إنساً سِوى تَرجَاعِ صَوتِ السِّيدِ[5]

---

[1] النهود: المرتفع الناتي من الثدي. والتَّرَائِبُ: عِظَامُ الصَّدْرِ، أو ما وَلِيَ التَّرْقُوَتَيْنِ منه، أو ما بَيْنَ الثَّدْيَيْنِ والتَّرْقُوَتَيْنِ، أو أرْبَعُ أضْلاعٍ من يَمْنَةِ الصَّدْرِ، وأرْبَعٌ من يَسْرَتِهِ، أو اليَدانِ والرِّجْلانِ والعَيْنَانِ، أو مَوْضِعُ القلادة.

[2] الجفن: غمد السيف، ومضربه: المكان الذي يمسك منه، والخضل: المتبلل الذي أصلبه بلل وندى، والجادي: الزعفران، والخاضب: المصفر أو المخضر.

[3] ما بين القوسين زيادة من الديوان.

[4] الزرود: اسم موضع، وقيل اسم رمل مؤنث. أودت أي هلكت، ومن حكم أي من عادة وطريقة المرابع جمع مربع وهي المحلة أو الدار أن تودي أي تفنى وتهلك.

[5] السيد: الذئب أو الأسد.

وجَـــرَاثِمٍ سَـــفْعَ الخُـــدُودَ مُلَيَـــقٍ مِثْـــلِ السِّـــوَارِ وأشـــعَثٍ مَشْـــدُودِ[١]

فَبَكيـــتُ حَـــولاً كَـــامِلاً فِـــي رَبْعِهَـــا شَـــجواً كَحُكـــم العـــامِرِيِّ لَبِيـــدِ[٢]

أيَّـــامَ مَـــيَّ كَأَنَّهَـــا يَزَنِيَّـــةٌ تَنْـــآدُ بَـــينَ القَاصِـــرَاتِ الغِيـــدِ[٣]

يحْتَفُهَـــا لُعْـــسُ الشِّـــفَاةِ نَـــواعِمٌ كَضِـــبَاءِ وَجْـــرَةَ أو نِعَـــاجِ عَقِيـــدِ[٤]

هَيفَـــاءَ تَخطُـــرُ كَـــالنَّزِيفِ وتَنثَنِـــي بَـــاوًا كَغُصْـــنِ البَانَـــةِ الأملُـــودِ[٥]

بَـــلْ أيُّهَـــا الغَـــادِي عَلَـــى عَيهَامَـــةٍ قُمُـــدٍ عَلَـــى الـــلأواءِ كَـــالجُلمُودِ[٦]

---

[١] الجراثم: هو التراب الذي تسفي به الريح. والليقة: الطينة اللزجة. وفي (النسخة الأصلية) وملتوٍ بدل مليق. ولعله يريد به الحبل ونحوه. والأشعث: الوتد.

[٢] شجواً: أي حزناً.

[٣] في(م) كأنها بردية. وتنآد: أي تنعطف. والقاصرات جمع مقصورة، وهي التي تحبس بالبيت ولا تترك أن تخرج. والغيد جمع غادة: وهي المرأة الناعمة اللينة البينة الغيد.

[٤] وجرة: موضع بين مكة والبصرة، قال الأصمعي هي أربعون ميلاً ليس فيها منزل، وهي مرت للوحش، وقد أكثر الشعراء من ذكرها.

[٥] الهَيْف: شدة العطش، والهافة الناقة تعطش سريعاً. والهَيَف بالتحريك: ضم البطن ورقة الخاصرة والإبل هُياف بالكسر والضم: استقبلت هبوب الريح بوجهها فاتحة أفواهها من شدة العطش. والمخاطِر: المراد به هنا التبختر في المشي. يقال: خطر الفحل بذنبه يخطِر خَطْراً وخَطَرأنا وخطيراً ضرب به يميناً وشمالاً. وهي ناقة خاطرة. والنزيف كأمير: المحموم والسكران، ومن عطش حتى يبست عروقه وجفَّ لسانه. تنثني: أي تلوي عنقها لغير علة. بأواً: فخراً، والناقة جهدت في عدوها وتسامت وتعالت. الأملود: الأملس اللين من الغصون.

[٦] العيهم: الشديد والناقة السريعة. قُمُدٌ بالضم والتخفيف: شديد أو غليظ. والأواء: الشدة. والجلمود: الصخرة الصماء العظيمة.

تَطْـوِي بِهَـا الخَـرقَ المَخُـوفَ وتَتَّقِـي بِنَجَاتِهَـا مِـن سَـطْوَةِ الْمِرِّيـدِ[(١)]
بَلِّـغْ مِـن النَّـزرِ المَنَـامِ إلَـى الأُبَـا ةِ الصِّـيدِ أَبنـاءِ الأُبَـاةِ الصِّـيدِ[(٢)]
طِرسَـاً عَلَـى بُعْـدِ المَـزَارِ تَخُصُّـهُم بِتَحِيَّـةٍ تُـزرِي بِنَشـرِ العُـودِ[(٣)]
إن يُنْصِـتُوا سَـمِعُوا تَحَـدُّرَ دَمعِـهِ مِنهَـا ورَنَّـةَ قَلبِـهِ المفـؤودِ[(٤)]
مَـا وَجْـدُ صَـادٍ عـن رِوًى مُصَـدُودِ مَـا وَجْـدُ شَـمطَاءٍ عَلَـى مَولُـودِ[(٥)]
يومَـاً بِـأَعظَمَ مِنـهُ وَجـدَاً إنَّـهُ لَيَـرَى قَرِيـبَ الصَّـبرِ أيَّ بَعِيـدِ
هَصَـرَت لِبُعـدِكُمُ الخُطُـوبُ عَمُـودِي وَحَـذَتْ شَـرَابِي ثُـمَّ رَضَّـت عُـودِي[(٦)]
وأَتَيـتُ أَستَسـقِي الزَّمَـانَ فَصَـبَّ لِـي سُـمَّاً ذُعَافَـاً مِـن شُـدُوقِ السُّـودِ
زُورُوا فَقَـد طَـالَ البِعَـادُ وسَـوِّغُوا بِالوَصْـلِ غُـدَّةَ وَاجِـمٍ مَفْـؤُودِ[(٧)]
[كَيـفَ اصـطِبَارِي بَعـدَ بَـينِ أَحِبَّتِـي وَالكَـون بَـينَ مُطَرَّفِـي ويَهُـودِي

---

(١) الخَرَق: القفز، والأرض الواسعة تتخرق فيها الرياح. والمرِّيد -كسكيت-: الشديد المرادة فهو مارد ومريدة ومريد ومتمرد: أقدم وعتا، وهو أن يبلغ الغاية التي يخرج بِهَا من جملة مَا عليه ذلك الصنف. جمعه مردة ومُرَدَاء.

(٢) النزر المنام: أي القليل المنام.

(٣) الطِّرس بالكسر: الصحيفة أو التي محيت ثم كتبت. والمراد بها الرسالة.

(٤) المفؤود: المشوي أو المحروق.

(٥) الصادي: العاطش، والرِّوِي: الشرب التام. والشمطاء: المرأة التي نصف أولادها ذكور ونصفهم إناث.

(٦) الهصر: الجذب والإمالة والكسر والإدناء. والوحذ: القطع.

(٧) الغُدَّةُ: كل عُقْدَةٍ في جسد الإنسان أَطاف بها شَحْم. أو التي في اللحم، وكل قِطعة صُلْبة بين العصَب. والواجم كصاحب: العبوس المطرق لشدة الحزن.

قَـارعتُهُم بِكتَـابِ رَبِّـي مُصـلِتاً | ورِيَـادِ نَـاذِرتي وقَـولِ جُـدُودِي[1]
أَشـرَبتُ أَوجُهَهُـمْ سَـوَاداً إنَّهُـم | فِـي العَصـرِ أَربَـابُ الوجـوه السُّـودِ
شَـأَوْأتُهُم نَحـو الهُـدَى فشَـأَوْتُهُم | هَيهَـاتَ قُـرِّرَ حَـربُهم بِهُجُـودِ][2]

[أبيات في حال الصغر حول نزول المطر]

وقال عليه السلام هذه الأبيات التي أنشأها في حال الصغر بِحَجَّة، قبل القيام والدعوة:

وكـم مـدعٍ للعلـم جـاء مصـمِّماً | ينـازعُني فـي مـذهبي ويمـاري
يقـول حكـى أشـياخُنا عـن شـيوخهم | بـأن انهمـار المـزن فضـلُ بخـارِ
وَصَـغَّرَ خَـدّاً ثُـمَّ كَشَّـرَ ضَـاحِكاً | كَمِثْـلِ حمـارٍ شَـمَّ بـولَ حمـارِ
فقلـتُ لـه: تُربَـاً لِفِيْـكَ وَجَنْـدَلاً | ألسـتَ لآيـاتِ المُنَـزَّلِ قَـارِي
فقـالَ: ومِـن هَـذَا نَفَـرتُ لأنّنـا | مِـن السَّـمعِ للقـرآنِ أهـلُ نِفَـارِ
فقلـتُ لـه بُعـداً لَكُـمْ ولِـدِينِكُمْ | كمَـا أَبْعَـدَ الـرَّحْمَنُ أَهـلَ وَبَـارِ

---

[1] رياد ناذرتي: أي رسلي إليهم الذين ينذرونهم ويحذرونهم.

[2] الشأو: السبق أي سابقتهم فسبقتهم. وهذه الأبيات التي بين القوسين من الديوان وليست في نسخة مجموع الرسائل والأشعار.

ذكر فضله عليه السلام وبركته، وما ظهر من كراماته

[فضله وبركته وكراماته والمنامات والملاحم المروية]

ذكر فضله عليه السلام وبركته، وما ظهر من كراماته والمنامات المروية عن الثقات المعروفين بالصدق، والدلالات القديمة

[إجماع العلماء على فضله]

أما الفضل: فمعلوم من إجماع كبار العلماء وأهل الفضل من أهل البيت عليهم السلام على تفضيله، والاعتراف له بالتبريز في كل فن من فنون العلم والزهد والورع، ومن اجتمعت فيه هذه الخصال فهو الفاضل بلا خلاف في ذلك بين أهل العلم، وقد أجمع على ذلك من العترة الطاهرة:

الأميران الكبيران الداعيان إلى الله شيخا آل الرسول -صلى الله عليه وآله- شمس الدين وبدره ورأس الإسلام وصدره، يحيى ومحمد ابنا أحمد بن يحيى بن يحيى بن الهادي إلى الحق عليهم السلام، ومن العلماء والفقهاء والمسلمين من تقدم ذكره في أول هذه السيرة الشريفة.

وأجمع على فضله من أهل اليمن من العترة الطاهرة الأمير الأجل محمد بن فليتة بن القاسم، والأمير السيد يحيى بن علي بن فليتة العلوي السليماني[1].

وممن كان معدودًا في الأكابر لولا موته على التطريف محمد بن مفضل الملقب بالعفيف[1]، وأبو الفتح بن محمد العلوي العباسي.

---

[1] الأمير الأجل العالم الفاضل، نظام الدين، السيد يحيى بن علي بن فليتة السليماني، سيأتي له ذكر حسن، ومواقف كريمة في أثناء هذه السيرة.

وكذلك فإنه عليه السلام يوم فتح الجنات وكانت من أقوى عمدة الظالمين يأوون إليها ويتحصنون بها ويجمعون الأموال إليها، ويملؤون الجيوش من الناس فيها، ففتح الله تعالى على يديه بالاستظهار على العدو فيها، وإطلاق أهل الحبوس، وكسر آلة الخمور وإرهاقها، وإرغام أهل الفساد فيها، فوصل من هجرة قاعة قدر خمسين رجلاً منهم من كبارهم وأهل المعرفة منهم، فعقد لهم الإمام عليه السلام مجلساً حضره الأمير الكبير شيخ آل الرسول الداعي إلى الله يحيى بن أحمد بن يحيى بن يحيى بن الهادي إلى الحق عليه السلام، وحضر طائفة من العلماء والمسلمين وأهل الدين وغيرهم.

فافتتح الأمير الكبير الكلام بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على محمد صلى الله عليه وآله، وقال:

إنا قد وقعنا وإياكم في أمر عظيم، وتكليف شاق على النفوس، وقد صرت على هذه الحال من الكبر أتقوَّم باليدين، فأتيت من البلاد النازحة خوفاً من الله تعالى، واتباعًا لأمره، ولما علمت من وجوب طاعة هذا الإمام، فإن كان عندكم شك في

---

[1] هو الأمير محمد بن مفضل بن الحجاج - واسمه عبد الله- بن علي بن يحيى بن القاسم بن الإمام الداعي إلى الله يوسف بن الإمام المنصور بالله محمد بن الإمام الناصر أحمد بن الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليهم السلام، كان العفيف عالماً فاضلاً، قام محتسباً قبل دعوة الإمام المنصور بالله، فلما ظهر الإمام بايعه، وهو صاحب هجرة وقش، وإليه انتهت الرئاسة في أهله كافة في جهات اليمن، في هذه الهجرة المذكورة من زمن الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان عليه السلام، وتوفي في شهر صفر في سنة (٦٠٠)هـ، ورثاه الإمام بقصيدة موجودة في الديوان، وفي السيرة في المجلد الثاني من المطبوع.

أمره أو برهان واضح أو دليل يخفف عنا مؤونة هذا الأمر الذي قد تحملنا ثقله- فلا نكره التخفيف بعد وضوح الحجة، فمن كان معه منكم شيء فليورده؛ فهذا موضع السؤال، وميدان الجدال، وليشهد جميع من حضر أنَ من أراد ذلك منكم فإنه لا رهق عليه ولا خوف، وأنه جار لي من كل ما يخشاه في هذا المقام.

وإنما أراد الأمير لئلا يقال: إنما نخاف صولة الإمام ونمنع بالشدة عن السؤال، وقد قيل ذلك، فما أجابه أحد منهم إلا بالاعتراف له بالسبق، وأنه الإمام السابق المفترض الطاعة.

ثم تكلم الإمام عليه السلام بكلام طويل ليس هذا موضع شرحه، وأشار إلى كل واحد منهم بأصبعه واحدًا بعد واحد وهو يقول: هل بقي عندك سؤال أو عليك شبهة في هذا الأمر؟ إلى آخرهم، وكلهم يقول: ما بقي عندي شك ولا شبهة؛ فوقع الإجماع منهم على فضله عليه السلام والاعتراف له بالسبق ووجوب الطاعة، وهذه الخصال هي الأصل المعمول عليه.

وإنما ذِكرُ الدلالات، والمنامات الصادقة، والكرامات الظاهرة، يزيد الحق وضوحاً، وميزان الصدق رجاحة، ويقوي علائق اليقين، وينور قلوب المتقين.

[البركة التي حصلت له عليه السلام]

وأما البركة والكرامات الظاهرة والمنامات الصادقة فما لو رمنا إحصاءه في هذا الموضع لما اتسع لشرحه، وإنما نذكر طرفاً من كل شيء منها مما شاهدناه ومما رواه الثقات الأخيار:

أما البركة: فما شاهده جماعة من خواص الإمام عليه السلام وهم خمسة عشر أو يزيد على ذلك، منهم الشيخ المكين فخر الدين مرحب بن سلمان السهلي الحرازي[١]، وكنت حاضرهم والباقون لم أذكر أسماءهم، وذلك أن الإمام عليه السلام راح إلى قرية عتم من بلاد بكيل من الملقى بجرن القيل من نواحي مُقرى[٢] بعد الحادث على سيف الدين جكو بن محمد، وقد أصابنا جوع شديد، فأتى له صاحب المنزل الذي نزل به بقليل من عيش يكون نصف صاع أو دونه ليفطر منه، مَقدمُه إليه، فأكل منه لقيمات ثم دفع باقيه إلينا فأكلنا منه وشبعنا ببركته، وذكرنا ذلك في الحال، وأقسم كل واحد منا أنه قد أصاب ما يكفيه لو لم يحصل غيره.

ومن ذلك: ما رواه الشيخ يحيى بن الحسن الجالس[٣] - وهو من الثقات الأخيار-، أنه أصاب صبياً من أهل صنعاء أيام فتحها وإقامة الإمام عليه السلام

---

[١] فخر الدين مرحب بن سلمان السهلي الزواحي الحرازي، من أهل الورع والدين والمتابعة والموالاة الصادقة للإمام المنصور بالله عَلَيْهِ السَّلاَمُ، ومن الثقات المأمونين عند الإمام عَلَيْهِ السَّلاَمُ وله مرتبة ودرجة رفيعة عنده، وله مواقف صادقة تدل على ولائه وإخلاصه، وكان أحد رسل الإمام عَلَيْهِ السَّلاَمُ للمفاوضات والإصلاحات، ذكر له في السيرة المنصورية مواقف كثيرة، وكان قوي العزيمة، شديد الشكيمة، مشهوراً بالشجاعة، وَلَمْ يزل مرابطاً ومجاهداً في سبيل الله وناصراً للإمام بقلبه ولسانه ويده حتى توفاه الله شهيداً في وقعة شبام في شهر رجب سنة ستمائة.

[٢] مُقْرى - بضم الميم وسكون القاف وراء وألف مقصورة-: اسم قديم لمخلاف كبير من آنس، كان يطلق على ما يسمى اليوم مخلاف المنار من آنس ومغارب عنس.

[٣] يحيى بن الحسن الجالس:فقيه عالم فاضل، كان من فضلاء شيعة الإمام المنصور بالله، وأحد العلماء الذين قاموا بالرد على اعتراضات المعترضين على الأئمة.

فيها بعينيه آفة حتى ابيضتا وذهب نظره، فأخذ له كتاب بركة منه عليه السلام، فما كان إلا أن تعلق الكتاب وأبصر في الحال وعوفي وعاد إلى صنعته من الخياطة.

ومن ذلك: ما رواه القاضي الفاضل راشد بن الحسن بن أبي يحيى، قال: أصاب بنية لي صغيرة رمد شديد حتى طلع على عينيها البياض وتيبستا، وخشينا ذهاب بصرها، فأتيت إلى الإمام عليه السلام بقليل من سليط، فرقى عليه ونفث فيه وتركنا منه شيئاً في عينيها، فعوفيت ببركته وزال الألم والبياض، وكان ذلك سبب العافية المعجلة.

ومن ذلك: أن كتباً وصلت منه عليه السلامإلى الأمير شهاب إلى عضدان[1]، فأمر بضرب الريح[2] حتى اجتمع أهل الحصن، وأمر بتنقية مسنى في الماجل وقال نستسقي بهذه الكتب، فتعقب ذلك المطر من وقته، وامتلأ بعض المناهل، وتنغض بالماء بعضها، وذلك مشهور، وهو من دواعي شهاب إلى طاعته.

ومن ذلك: أن رجلًا أتى إليه عليه السلام إلى حصن ثلا[3] من أهل الحَدِّ، وشكى جدباً عظيماً في بلدهم، وذلك في الشتاء، وأنهم قد انقطعوا من الماء وتعطلت بركهم، وأنهم في مشقة شديدة، وسأله أن يدعو لهم إلى الله تعالى أن يسقيهم، فدعا لهم عليه السلام، فما غربت شمس ذلك النهار حتى سقاهم الله تعالى ببركته ومستجاب أدعيته مطراً غزيراً هنيئاً على بلدهم خاصة دون غيرها،

---

[1] عضدان: حصن في الجنوب الغربي من صنعاء على مسافة ميل.

[2] الريح: الطبل التي تقرع للأمور الهامة.

[3] ثلا –بالضم–: مدينة جنوب غرب مدينة عمران

وشاهدنا المطر على بلدهم من الحصن المذكور دون غيرهم، فعجب الحاضرون من ذلك.

ومن ذلك: ما رواه الشيخان الفاضلان محمد وأحمد ابنا الحسن بن محمد الرصاص، قالا: لَمَّا راح الإمام عليه السلام من حجة بعد استفتاحها واستقرار أمره فيها، فلما صار بوادي ثعلان أتاه رجل من أهل الوادي فشكى عليه الجدب وقلة المطر، وسأله الدعاء لهم إلى الله تعالى ففعل وكتب إليهم كتابًا وراح إلى مغربة العرق، فأتى الخبر بالمطر الغزير والسيول آخر النهار في ذلك الوادي ببركته عليه السلام.

ومن ذلك: ما حصل في أيام دولته من البركة والخير الذي عم البلاد، وطبق الأغوار والأنجاد، من ظهور معادن الحديد بجبال بني جماعة من أعمال صعدة وبلاد خولان، وكان قد بلغ في دولة الغز نصف رطل بدينار سباتي، فصار في دولته سبعة أرطال، وبلغ خمسة عشر رطلًا بهذا الدينار؛ وذلك لأنهم منعوا الناس من شرائه وبيعه إلا من تحت أيديهم لما استحكم أمرهم في اليمن، فمنعوا من يصل به إلى مدينة عدن من الهند من بيعه، ومنعوا أهل اليمن من شرائه، وألجأت الخلق الضرورة إليه فأخذوا فيه من الأموال ما لا يعلم قدره إلا الله تعالى، فوسع الله تعالى على خلقه بظهور هذه المعادن في دولة الإمام عليه السلام وببركته.

ومن ذلك: العذق الذي أمر به القاضي الفاضل علي بن نشوان من جبل طلَّان في مغارب مخلاف حيدان، وشاهدناه عند الإمام عليه السلام في هجرة دار معين من سنة ست وتسعين وخمسمائة على ما وصفه القاضي المذكور في شعره، وذكر فيه أيضًا آيات ظهرت في دولة الإمام عليه السلام، وذكر منها

الخوخ الذي أكل من النُّقم، وقد شهد بذلك جماعة كثيرة ثقات أنهم شاهدوا ذلك وأكلوا منه، فذكر ذلك في شعره هذا:

أنـــار بعـــدلك وجـــه الزمـــانِ ... وأصـــبح بـــاليُمن صـــبحُ الأمـــانِ
فقـــرت عيـــون وطابـــت ســـنون ... وأســـعف للنـــاس نيـــل الأمـــاني
وأنعمـــت البركـــات الـــبلاد ... فكـــل مكـــان بـــه الخيـــر دانِ
فقـد دام خصـب وقـد زال جـدب ... وبانـــت فضـــائل هـــذا الأوانِ
وحالـــت شـــرور ودام الســـرور ... وخـــاب الكفـــور ورب الأغـــاني
وأيســـر ذو عـــدم معســـر ... وفـــك عـــن القيـــد والأســـر عـــانِ
وكـــل البريـــة فـــي غبطـــة ... وعيشـــهم ظـــاهر النفـــع هـــاني
وقـد كـان تـروى مـن المعجـزات ... ظهـــور بوقـــت إمـــام معـــانِ
ومنصـــور حـــق مـــن آل الرســـول ... رفيـــع المحـــل كبيـــر المكـــانِ
فقـــد ظهـــرت للـــورى المعجـــزات ... بوقـت ابـنِ حمـزة شـمسِ الزمـانِ
وقـــد أُكـــلَ الخُـــوخُ فـــي عصـــرهِ ... مـــن الـــنَّقم الغـــض ينعًـــا لجـــاني
وقـــد حلبـــت وقـــت ميلادهـــا ... عنـــاق مـــن المعـــز قبـــل الثمـــانِ
وقـــد أحـــدث الله فـــي عصـــره ... حديـــدًا يفـــوق علـــى الهنـــدوانِ
وكـــان يجـــيء مـــن ارض العـــراق ... ومـــن فرضـــة الشـــحر أو مـــن عمـــانِ
فصـــارت معادنـــه بالصـــعيد ... فـــأرض جماعـــة أبنـــاء هـــانِ
وفـــاض الحديـــد لسُـــعد الإمـــام ... وقـــدرة خالقنـــا المســـتعانِ
وقـــد أنبتـــت حبـــةٌ بقلـــةً ... فجـــاءت بعـــذق عجيـــب المبـــاني
بلـــونين أبـــيضَ مِـــن حَبِّهَـــا ... وآخـــرَ أحمـــرَ كـــالأرجوانِ
فـــالابيض نصـــفان مـــن جانبيـــ ... ـــنِ والاحمـــر يزهـــي بـــه جانبـــانِ
وأرباعـــه فـــي ترابيعهـــا ... ســـواء بقـــدرة رب المثـــاني

وهـذا يكـذب أهـل الطبـا ... ع ويلحـق مـذهبهم بـالهوانِ
فقـل لـذوي الشـك فـي ابـن النبي ... تقـوا لحمـيم لـدى النـار آنـي
وقـل للمُضِـلِّين ضـيعتم ... نصـيبكم مـن رحيـق الجنـانِ
وقـل للمحقـين فـزتم معـاً ... بجـم العلـوم فصـيح اللسـانِ
بـأبيض كالبـدر مـن عتـرة ... مفضـلة بالهـدى والبيـانِ
إمـام هـدى قـائم بالصـلا ... حِ رؤوف لطيف على الناس حاني
أجـاب لدعوتـه المشـرقا ... نِ فـدان بطاعتـه المغربـانِ
تجلـت فضـائله للأنـا ... مِ فمـا يفتقـرن إلـى ترجمـان
وأزهـرت الأرض لَمَّـا بـدا ... وأشـرق مـن عدلـه الخافقـان
أزال جنـود الخنـى عـن أزا ... لَ بغـرب الحسـام وحـد السـنان
وعـزم لـذي الحادثـات الجسـا ... مِ أمضـى مـن المشـرفي اليمـاني
ومـزق شـملهم فـي ذمـا ... رَ وكـانوا هنالـك فـي عنفـوان
بخيـل جسـام وقـوم كـرام ... مصاليت في الحرب أهل افتنانِ
وحاصـرهم مـن ثـلا بعـد ذاك ... فـلاذوا مخافتـة بالرعـانِ
فمـا انتصـروا بعـد فـي معـرك ... ولا ثبتـوا للقـا فـي مكـانِ
وعاضـده القـرم سـلطانه ... هلـدري المعظـم ثبـت الجنـانِ
حليـف السـداد مزيـل الفسـاد ... جزيـل النوافـل سـمح البنـانِ
فأسـقط همـة أهـل العنـاد ... عـن الحـرب خشـية حـرب عـوانِ
فمـالوا عـن الحـرب مسـتقربين ... لشـرب القنـان ونكـح القيـانِ
ووافـى المبـارز مـن قومـه ... غطـاريف مـا فـيهم مـن جبـانِ
ليـوث مـن الكـرد مـا يفتـرو ... نَ من الضرب والطعن يوم الطعانِ
مسـاعير همـتهم فـي الـوغى ... وهمـة أعـدائهم فـي الخـوانِ

وقـد أيـد الله ديـن الهـدى وأصـلحه مـا بـدا الفرقـدانِ
بشـيخي صـلاح مـن آل الرسـو لِ همـا لإمـام الهـدى داعيـانِ
همـا شـاهدان علـى صـحة الـ إمامـة عـدلان لا يجرحـانِ
همـا العالمـان همـا الزاهـدا نِ همـا الراشـدان همـا المرشـدانِ
همـا الحاميـان لـدين النبـي مـن كـل بـاغ همـا الهاديـانِ
أقامـا قنـاة الهـدى والسـدا دِ وقـادا إلـى الرشـد مـن يرشـدانِ
فـداما جميعـاً ودام الإمـا مُ وسـلطانه للعـدا يكبتـانِ
ولا برحـوا كلهـم ملجـأً وعونـاً لعَـانٍ وشـيناً لشـاني

ومن ذلك: ما رواه الشيخ الأمير دحروج بن مقبل بحضرة الإمام عليه السلام، قال: أصاب الإمام عليه السلام مرض ببراقش ودعاه داع إلى اللحم وشهوة، ولم يكن اللحم يوجد ببراقش إلا في النادر؛ لانقطاعها وبُعدها من الحي، فجاءت حمامة في الحال وحشية يتبعها الصقر وهو يسوقها حتى أدخلها الدار فوقعت في طاقة، فلزمها محمد بن عامر العذري وذبحها وأتى له بها، ولم يوجد ذلك قبل ولا بعد، وأمثال ذلك كثير وميلنا إلى الاختصار، وسمعت ذلك من الإمام عليه السلام، وقد رواه لجماعة على أبلغ من هذه الصفة، وذكر أنه لو تأخر عنه اللحم في تلك الحال لانقطع داعيه إليه؛ لِمَا يجده من المرض، فشويت الحمامة مع الخبز، وقد كان في التنور، وأتي به جميعاً إليه مع قوة الداعي والشهوة.

وأما الكرامات المشهورة الظاهرة:

فمنها: ما شاهده الثقات ورواه أهل الديانة والأمانة بمدينة شبام وقد أقبل الإمام عليه السلام متوجهًا إلى بلدهم، وقد نهض من شوابة إلى المنقل، وذلك في

الثلاث الباقية من شهر جمادى الآخرة من سنة أربع وتسعين وخمسمائة، وهو أنه وقع على البلد نور عظيم ساطع بعد صلاة العشاء الآخرة أضاءت له الأرض ضياءً شديداً، حتى إن رجلاً من كبارهم وأهل الديانة منهم وهو المتولي أمر المسجد الجامع يقال له: سليمان بن أقيان، وقد كان شيخًا كبيرًا، روى الثقة عنه أنه كان إذا خرج من المسجد بعد صلاة العشاء الآخرة يتعثر في طريقه لضعف في بصره، ولا يكاد ينظر شيئًا، فخرج في ذلك الوقت على جاري العادة فرأى ذلك النور، وقال للجماعة الذين خرجوا من المسجد وقد شاهد الكل تلك الآية: إني لأفرق الليلة بين الحصمة البيضاء والسوداء وأراهم ذلك وعجبوا منه، وأصبح المسلمون يتحدثون به في المساجد ويتراجعون في أمره وما سببه، وشهدت أنا بذلك ورأيته، وأخرت صلاة المعرب لأجل ذلك النور حتى دخل أول وقت العتمة وبعده، وكنت قاعدًا في البيت، وظننت بعد ذلك أنه ضوء القمر حتى نبهني من حضر أنه آخر الشهر لما ذكرت ضوء القمر، فخرجت إلى حجرة البيت فإذا النور ساطع في الجدرات، وظننت أنه لم يره أحد غيرنا، حتى أصبح المسلمون يروون ذلك في مسجد الغيل ويذكرونه ويتعجبون منه.

ومنها: ما نزل بأهل قرية المحافد بجبل ضلع[1] من المرض الذي أجلى أكثرهم خصوصاً دون سائر القرى حولهم، وذلك أن الإمام عليه السلام أمسى عندهم وهو يريد التوجه إلى حصن كوكبان فلم يفعلوا في حقه معروفاً وتركوه وأصحابه خصوصاً

---

[1] ضِلَع: جبل متصل بكوكبان مشرف على شبام يقال له ضلع كوكبان، من أعمال الطويلة، وهو المسمى بجبل ذخار.

بلا عشاء، وخيله ودوابه بلا علف ولا حسيك، وأكرموا آخرين ممن كان معه خوفاً منهم ومداراة لهم، ولم يلتفتوا إلى الإمام عليه السلام ولا سألوا عنه، فأنزل الله عليهم المرض حتى مات أكثرهم، وبقي منهم جماعة قليلة فجاءوه إلى كوكبان فقصوا له خبرهم واعتذروا إليه وسألوه الدعاء لهم إلى الله، فعذرهم ودعا لهم فرفع الله عنهم.

ومنها: ما رواه الفقيه الفاضل الورع الصادق علي بن أحمد بن الحسين الأكوع[1]، قال: لَمَّا سمعت بذكر الراية الخضراء التي نظرها الأمير نظام الدين أبو الفتح بن محمد يوم قدومهم إلى شبام يريدون لقاء الإمام عليه السلام، وكان في معسكرهم ثلاث رايات فواحدة للأمير المذكور، وراية للأمير المنتصر بالله العفيف محمد بن المفضل، وراية للأمير الفاضل محمد بن فليتة القاسمي، قال الفقيه: فتقدمت إليه وهو في صرحة المسجد الجامع بمدينة شبام بعد اللقاء ومراح الكل إلى شبام، وسألته بحضرة الإمام عليه السلام قصة الراية الخضراء الرابعة التي رويت عنه، فحكى أنهم لَمَّا طلعوا من الأهجر[2] صاروا في القاع الذي هو أعلى من باب الأهجر تأخر عن صاحبه لحاجة فرأى راية خضراء

---

[1] العلامة المجاهد، إمام الناسكين، وسيد السالكين، صاحب الجهاد والاجتهاد، والسبق لأهل الفضل والاقتصاد، علي بن أحمد بن الحسين بن المبارك بن إبراهيم الأكوع رحمه الله ورضي عنه، هو سيد الشيعة وإمامهم وحجتهم، كان عمار زمانه، وسلمان أوانه، بطانة خالصة لآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم بقول وفعل، ناصر الإمام المنصور بالله وشاركه في فعله المشكور، وله كتاب في اختيارات الإمام المنصور بالله عليه السلام، ولم أقف على تاريخ وفاته، وأما قبره فهو في مسجد الملاحة هجرة بيت الأكوع من مرهبة.

[2] الأهجر: بلدة حميرية في بلاد الأتلا من أعمال ذمار بالقرب من قرية ورقة شرقي ذمار، ويطلق الأهجر: على بلد من ناحية شبام كوكبان فيه جملة قرى ومزارع وعيون جارية.

رابعة من بعيد، فلما دنى من أصحابه لم ير شيئًا، فسألهم عن ذلك فقالوا: ما كان معنى سوى ما نعرفه، فشهد بذلك ورواه.

ومنها: ما رواه الشيخ الفاضل المكين فخر الدين مرحب بن سلمان السهلي الحرازي وقد أتى إلى حصن كوكبان من حراز لَمَّا وصلت إليه دعوة الإمام عليه السلام، قال: مررت بقرية في أسفل الأهجر يقال لها: خدار[1]، وبها زرع ثخين قد ذوى ويبس، فسأل رجلاً من أهل تلك القرية عن قصة ذلك الزرع، فذكر له أنهم كانوا يسقونه بغيل فأصبح ذلك الغيل قد غار من بلدهم وخرج في موضع فايش ليس فيه موضع لزرع، ولا يقع فيه نفاعة إلا لمن يشرب منه، وسأل عن السبب فقيل: إن الإمام عليه السلام أمر إليهم لطلب معونة فجرى منهم سب وأذية من سفائهم ولم ينكر ذلك عليهم عقلاؤهم، فأصبح ماؤهم غوراً، وأرضهم بعد نضارتها غبرا، وهو إلى الآن على حاله.

ومنها: الآيات الظاهرة المشهورة التي يعلمها المخالف والموالف، منها ما هو بالمشاهدة، ومنها ما هو بالأخبار المتواترة التي صارت ضرورية، نذكرها ههنا مجملة وذكر تفصيلها يأتي في مواضعه على ترتيبه في فتح صنعاء إن شاء الله.

منها: دخول الإمام عليه السلام على سبعمائة فارس أو يزيدون وما كان معه من العرب إلا القليل اليسير بعد هروب السلطان إسماعيل منها في اليوم الذي دخل فيه عليه السلام.

---

[1] خدار: من ملحقات حصن ذمرمر في أعلى قرية شبام الغراس على بعد ١٨ كم شمال شرق صنعاء.

ومنها: فتح باب غمدان بشقصة من نشابة كانت في يد صبي يعبث بها، أخذها منه صخرب بن مسعود وشصها وفتح بها من غير تعب.

وروى القاضي راشد بن الحسن أنه شاهد ذلك، وروى لي الشيخ صخرب بن مسعود الضراب أنه فتحه بيده ووافق ذلك وصول الإمام إلى الباب وكان لا يفتح بمفتاحه إلى بعد علاج ومشقة.

ومنها: ما رواه الشيخ الفاضل أحمد بن الحسن الرصاص، قال: رأيت طيوراً بيضاء لم أشاهد جنسها قبلها وهي تكون ثمانية عند دخول الإمام المدينة من باب غمدان وهي مظلة عليه، وكذلك رواه أخوه الشيخ الفاضل عبد الله بن الحسن الرصاص بهذا اللفظ، وذكر أنه كان مع أخيه وهما ينظران إلى الطيور المذكورة.

ومنها: السحابة الممتدة التي رآها الناس عند إقبال الإمام عليه السلام من نقيل عصر وهي ممتدة من جبل عصر إلى سور المدينة مختلفة الألوان تحكي قوس قزح، شاهدها خلق كثير من أهل صنعاء، وروايتها مشهورة عندهم ظاهرة.

ومنها: انفضاض الغز وقد أحاطوا بالإمام عليه السلام في المسجد الجامع إحاطة البرجال، وهم قدر ثلاثمائة فارس لابسين لا يُرى منهم إلا حدق العيون، وقد هموا فيه وفي أصحابه الذين معه وهم دون ثلاثين رجلًا بما لم ينالوا وما لم يبلغهم الله إليه، وسألته عليه السلام: هل دعا عليهم في ذلك الوقت؟ فقال: دعوتان عجل الله الإجابة فيهما، إحداهما: في ميتك وهي: (اللهم إنه قد عجز الناصر من خلقك فمِثْهُم كما يماث الملح في الماء)، والأخرى هذه، وذلك لَمَّا علم الله في بقائه من صلاح الإسلام وإقامة الدين.

ومنها: مجيء فرسيه عليه السلام في تلك الليلة وعليها العدة والسلاح من قدام المسجد الجامع تتلو إحداهما الأخرى من غير قائد ولا سائق في أزقة مختلفة إلى جهات مختلفة حتى أتيا الشارع الذي فيه الدار التي كان فيها الإمام عليه السلام، ولم يدخلا صنعاء قبلها؛ إذ هما من خيل نجد وهما معه منذ قيامه.

ومنها: فتح ذمار وبها ستمائة فارس من خيار الجند وأشدهم عزيمة، وما رماهم الله به من الخذلان وتفريق الشمل، حتى صدر منهم شهاب الجزري في مائتي فارس إلى صنعاء، وأراد بذلك فض عسكر الإمام عليه السلام وإطفاء نور الله، والله متم نوره ولو كره الكافرون.

وروى لي الشيخ المكين فخر الدين مرحب بن سلمان، قال: روى لي جماعة كثير من أهل ذمار ومن الجند الذين كانوا بها أنهم شاهدوا عساكر من خيل ورجال سدت عليهم الآفاق، وريح عظيمة كفت وجوههم وأبصارهم حتى منعتهم من التصرف في القتال، وأنهم يريدون الرمي بالنشاب فتتساقط من أيديهم، وربما يتفقأ وينكسر في الهواء، قال: وكانت خيل الإمام عليه السلام يومئذ العربية نيفا وعشرين، والغزية ما تبلغ المائة، فكان ما سنذكره في موضعه إن شاء الله من أسرهم وتغنم الأموال الجليلة منهم.

ومنها: الماء الذي وقع عليه عسكر الإمام عليه السلام في غزاة حرض وقد أشفوا على الهلكة وكادوا يموتون من السَّمُوم والظمأ، وقد مال بهم الليل عن الطريق فصاروا في خبت نازح من الحي والماء، فوجدوا ذلك الماء الكثير في تلك الأرض ولم يعهدوه فيها ولا علموا به، ولا كان بها أثر مطر ولا نهر جار، وذكروا أنه لولا ما منَّ الله به عليهم من ذلك الماء لما راح منهم مخبر.

ومثلها: في غزاة نجران وقد أصاب العسكر عطش عظيم وسموم شديد حتى صار بعضهم صرعى تحت الشجر من شدة الظمأ، فأنزل الله تعالى عليهم مطرًا في غير وقته من غير سيل ما كفاهم، فشربوا منه واستراحوا واستمروا في طريقهم حتى فتح الله على أيديهم واستظهروا على عدوهم.

ومنها: ما رواه الشيخ محمد بن الحسن الرصاص عن الشيخ الفاضل العالم العامل محيي الدين محمد بن أحمد بن الوليد، وكان يحضر في جماعة من أصحابه إلى الفقيه عبد الرحمن بن محمد المحلي الشافعي بمدرسة شهاب المعروفة بصنعاء مداراة له وخوفاً منه، وذلك أيام كان الإمام عليه السلام بالجوف، فكان يتكلم على الإمام ويسبه ويؤذيهم بذلك ويتعمد ذلك في حضورهم للمبالغة فيما يؤدي إليهم من الغم، وكان يسميه الخارجي الكذاب على صاحب العتبة الشريفة، يعني خليفة بغداد، ويفتي بجواز قتل الإمام عليه السلام، وقال في بعض الأيام: إن اخضرت هذه السارية اعتقدت إمامة عبد الله بن حمزة، ويحتج بالخبر عن النبي صلى الله عليه وآله على جواز قتله: ((إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهم))، وكانت عنده بغضة شديدة، وعداوة أكيدة، فقال في بعض الأيام واستغفر الله وتاب إليه: أنسيت أن أسب إمامكم يوم الجمعة على المنبر، وقد كنت نويت ذلك، ووعدهم بأنه يسبه في الجمعة المقبلة، وكان عند شهاب بمنزلة عالية، وعند الفقهاء من أهل مذهبه لمكان معرفته وسعة رواياته في الأخبار، فما دارت عليه الجمعة حتى أمر السلطان إسماعيل إلى شمس الخواص بشنقه، فشُنِقَ وصار عبرة للعالمين، وأراح الله منه على المسلمين.

[بقية الكرامات التي ذكرها في الدر المنثور]

ومنها: ما حكى عن السلطان يحيى بن سبأ الدغفاني الشمداني أن رجلاً أتى إلى الإمام عليه السلام وقد تقلعت أضراسه، ما بقي منها إلا ضرس واحد، فآلمه ألماً شديداً، فوضع الإمام عليه السلام يده المباركة على ذلك الضرس ودعا له، فعوفي من ألمه، وعادت أضراسه على أحسن قضية.

ومنها: ما رواه الشيخ علي بن سلمان الحرازي أنه دعا في حراز إلى طاعة الإمام عليه السلام فاتفق برجل يقال له حسن بن أحمد البعثري -وهو مقلد للباطنية- فأدخله منزله وجمع أولاده فمنهم رجل مقعد لا يستطيع قعوداً ولا قياماً منذ تسعة أشهر، قال فقرأ عليه شيئاً من مصنفات الإمام عليه السلام فكان لها تأثيراً في قلوبهم، وسألني رقوة ببركة الإمام عليه السلام لمشافهته له ووصولي من عنده، فوضعت يدي عليه ودعوت الله تعالى بنيه خالصة أن يجعل تعجيل عافيته سبباً لميل قلوبهم وطاعتهم، وانصرف فجاء أحد أولاده فسأله أبوه عن أخيه المقعد، فقال عوفي ومشى على رجليه، ثم بايع ودخل في الطاعة.

ومنها: ما حكاه سلمان بن محمد بن غليان أنه جرى بينه وبين الشريف المعروف بالمشرقي -وهو مطرفي-، وبين سلمان بن مفرح الضريوه بثُلا كلام، فقال المشرقي: من كفرنا فهو كافر، ومن سار بغير سيرة أهل البيت فهو فرعون من الفراعنة -يريد بذلك الإمام عليه السلام-.

قال ثم دُعي للغداء فزلت به قدمه، فعصفها، فخر مغشياً عليه، فحمل إلى المسجد ورش عليه الماء، وورمت رجله، فكان يصيح منها ليلاً ونهاراً من شدة

الألم خمسة أيام ولياليها، ثم انفجرت رجله بالقيح من مواضع كثيرة وأقامت تسيل ثلاثة أيام ولياليها، ولبث في مضجعه قدر أربعين يوماً، فما وقع منه إعتبار ولا زاده ما نزل به إلا عداوة وشدة نفار.

ومنها: ما رواه يحيى بن محمد الفطيح -وظاهره الثقة- عن رجل أراد نساخة مطاعن محمد بن نشوان على الإمام عليه السلام، وأراد بذلك نشرها، فشرع في نسخها قدر ثمانية أسطر فيبست له ثلاث أصابع من يده، فألقى الكراسة وأمسك ساعة، ثم عاد للنساخة وقد لامت أصابعه، فيبست مرة أخرى، فأمسك أياماً عن النساخة، ثم نسخ ثماني قوايم فأصابه الله تعالى بوجع في إحدى عينيه، ونجم حوليهما ثلاثة أثاليل فرمى بالكراسة من يده، وانضجع من شدة الوجع، وتاب إلى الله تعالى، وعزم على ترك النساخة فعوفي، وكانت عبرة ظاهرة لمن شهدها.

ومنها: أن رجلاً من أهل مدع[1] قال أردت أشتري بيضاً من رجل له دجاج كثيرة وعلم أني أريده للإمام عليه السلام، فكره ذلك وجحد وامتنع من البيع، فأصبحت الدجاج والديك موتى جميعاً.

وحكى القاضي علي بن سليمان البكيلي عن جماعة منهم -وكانوا مطرفية المذهب- أن شريفاً بايعه في كبش أراده للإمام عليه السلام فامتنع من بيعه كراهة لذلك، فأصبح كبشه ميتاً.

ومنها: ماحكاه سابق بن قاسم الحزبي العبدي قال: كانت لي شويهة قد أجهدها الضعف، فوثب عليها الذيب فقطع حلقومها فأغرت وأتيت وهي

---

[1] مُدع – بضم الميم –: قرية من عزلة المصانع، ناحية ثلا، جنوب غرب هجرة قاعة.

ملقاة لجنبها، وقلت في نفسي: لا أكل ما فرسه السبع وعدت وقد يأست منها، فذهبت المرأة إليها وقد بقي فيها بعض رمق، فنذرت نصفها للإمام عليه السلام ولفقت حلقومها، وحاطته بسرج من متن، وحملتها وقربت لها علفاً وأكلته وجبر جرحها وصلحت أحوالها، وأتت بسخلتين توأمين بعت واحدة بخمسة دنانير، وتركت الأخرى في غنمي.

ومنها: ما حكاه الشريف فاضل بن يحيى الحرابي قال كان لي زرع بساية قد حصد وصار الحب في سنبله، وأقبلت الجراد فنذرت فيه للإمام عليه السلام بست روب ما بقيت في ذلك الموضع، فحطت عليه الجراد وعلى ما حوله وما استطاع أحد دفعها لكثرتها، فسلم الله تعالى ذلك الزرع خاصة، وأكلت جميع ما حوله، وعجب الناس من ذلك، ثم جاءت الجراد بعد ذلك ثلاث سنين فما ضرت زرع ذلك الموضع خاصة.

ومنها: ما حكاه إبراهيم بن محمد وهو من موالي بني حراب، قال: أصابني مرض ذهب منه إحدى عيني فما بقيت أبصر بها شيئاً، فنذرت على سلامتها ديناراً للإمام عليه السلام، فرد الله علي نظري فيها بعد اليأس منها.

ومنها: ما حكاه رجل يقال له حسن بن منصور قال: عدا ذئب في غنمي فأخذ شاة فاستدركها منه، وقد أشفت على الموت فنذرت ربعها ولمن ولدها للإمام عليه السلام فسلمت وقل لبنها فأرضعت سخلتها شاة أخرى وسلمتا جميعاً.

قال: ونذرت في حظيرتين لي نذراً للإمام عليه السلام فأنزل الله تعالى حاصباً من برد على جميع الوطن إلا هاتين الحظيرتين فسلمتا من البرد، وأخذ ما هو أعلى منهما وأسفل منهما.

ومنها: ما حكاه الشريف عبدالله بن يحيى بن موسى العباسي، قال: وقع جدب في البلاد وقحط فجمعت أهل الشظية قوم من الصيد وحضضتهم على نذر للإمام عليه السلام على بلدهم، فنذروا إلا أهل درب البير ودرب الذيب، فإنهم كرهوا النذر فأتى الله سحابة بمطر غزير من جهة لم تجر العادة أنهم يمطرون منها، فسقى وطن البلد خاصة وسال السيل بين الوطنيين، قال: فسقى هذا وترك هذا، ثم عاد المطر مرة أخرى على الحدود المتقدمة من غير زيادة ولا نقصان.

ومنها: ما حكاه غلاب بن الظبي وقد أتى هو وولده بنذر للإمام عليه السلام قال: أصاب ولدي هذا مرض أشفى منه على الموت وأقام منه ثلاثة أيام ولياليها لا يذهب، ويئس أبوه وأمه من حياته، فنذروا ذلك النذر فخرج أبوه منه وعاد من ساعته وقد أفاق، وهو يقول: أبشروا فإني عوفيت، وقد رجعا -يعني الملكين - ابشروا فإني أعمر ثلاثاً وسبعين سنة، ولا أموت إلا في يوم الخميس الثالث من شهر رجب.

ومنها: ما رواه السلطان شمر بن علي بن مالك قال أردت ضيفة الإمام أيام قدومه إلى مسور[1]، وكانت والدتي مقعدة من مدة طويلة وامرأتي والدة ولا أجد من يقوم بذلك، فخرجت وأنا مهموم، وعدت إلى المنزل، وإذا بوالدتي تمشي سوية، فقلت: ما السبب؟ قالت: مَنَّ الله بالعافية، فقامت بإصلاح تلك الضيفة فزادني ذلك يقيناً في أمره عليه السلام.

---

[1] مسور: واد وعزلة في بلاد خولان العالية.

ومنها: ما حكاه الشريف قاسم بن إبراهيم بن محمد الحمزي عن رجل من أهل محصم[(١)] أنه نذر للإمام عليه السلام على حظيرة عنب له، فأنزل الله عز وجل المطر الغزير على تلك الحظيرة خاصة، وعجب الناس لذلك.

ومنها: ما حكاه الجرمي بن النفيل عن رجل من أهل شظب[(٢)] أنه آذى الإمام وأنكر إمامته، فأصابه في الحال تنحر على ثديه فصار يصيح من شدة الألم ويقول: أنا مستغفر تائب، وأنا أشهد أن الإمام مفترض الطاعة، محكوم بقيامه على وفاء خمس وتسعين، قال: أو وفاء خمس وثمانيين -الشك من الجرمي- فبرئ من حينه.

وحكى أن رجلاً من أهل غناد يقال له عبدالباعث، آذى الإمام عليه السلام فسقط من حيد، فكسر يده فجبرها فما جبرت بل خرجت من موضع الكسر.

ومنها: ما حكاه عثمان بن بن علي بن عثمان الحجاجي -وكان مطرفياً- فأسلم، قال: سمعت رجلاً من كبار المطرفية، يقال له منصور بن محمد الخليفة يسب الإمام عليه السلام، فأصابه آخر يومه ذلك سعال، وتمادى به حتى هلك -لا رحمه الله-، وتبعه من أهل بيته ثماني جنائز في شهر واحد.

ومنها: ما هو مشهور مع نقل الثقات من قصة علي بن موسى القيلاني المطرفي، بقرية سما الرأسين - من بلاد بني عبيد من بلد وادعة-، حكى عدة

---

(١) محصم - بكسر الميم وسكون الحاء وكسر الصاد-: قرية من عزلة بني سليمان، ناحية أرحب، شرقي ريدة.

(٢) شَظَب: جبل فوق مدينة السودة، غربي مدينة خمر من بلاد حاشد، وهو جبل واسع فيه قرى ومزارع.

من الثقات أنه أتى يلتمس منهم شيئاً من الزكاة، فقالوا: قد سلمنا زكاة أموالنا إلى الإمام، فأطلق لسانه بالسب الفظيع، والأذى الشنيع، ثم انصرف إلى جانب من القرية، فقعد بموضع وبالقرب منه كلبة رابظة، يجوز عليها الصغير والكبير والغريب والأهيل، فلا تعدو لأحد بشر، فلما استقر في مجلسه وثبت عليه خاصة دون الناس، فوضعت يديها على كتفيه وهرت في وجهه، واستخرجت لسانه من بين أضراسه فشدختها بأنيابها، وأغار الناس عليه وقد تركته عبرة يلوك لسانه في فيه، فحملوه ولبث مدة عليلاً يتململ على فراشه من شدة الألم، ولا يسيغ المعاش حتى عاف الناس قربه، ونفروا عن مجالسته، وتأذوا من نتن رائحته، فلم يعتبر وناظر بعد أن عوفي، على أن الله تعالى يساوي بين النبي واليهودي، وأنه ما اختص نبيه صلى الله عليه وآله بفضل ولا اجتباه لرسالة، حكى المناظرة عنه الشريف الفضل بن علي العباسي، فلما صح ذلك للإمام عليه السلام أمر بضرب عنقه -لا رحمه الله-، وذكر قصته مع الكلبة حسن بن عزوي[1] العصيفري في أبيات، وقد شاع ذلك في الآفاق قال:

اسمع أمير المؤمنين قضية ... أضحى بفضلك ذكرها مشهورا

أنبيت بالراسين كلباً مسلماً ... سميته لوداده قطميرا

سمع الذي أطرى عليك بسبه ... فجرى يعض لسانه تحذيرا

ها تلك معجزة غدا لك ذكرها ... في بطن كل صحيفة مسطورا

---

[1] الحسن بن عزوي العصيفري، الفقيه البليغ فصيح آل محمد، كان عالماً فاضلاً، من بيت علم معمور بالخير حميري النسب شيعي الحسب، ومسكن أهل هذا البيت بميتك بنواحي عفار، وأكثر شعره ـ رحمه الله ـ في نصرة الإسلام وتهييج أرباب الحق، وكان شعره واضح المعاني فصيح المباني.

ومنها: ما رواه الأمير تاج الدين أحمد بن محمد بن الهادي عليه السلام أن رجلاً من خولان من بني ريامة، يقال له حسن بن خليد، وكان ينتحل مذهب الجبر، وهو شاك في الإمام عليه السلام، وكان مسكنه بوادي ضمد، فأتاه سيل عظيم من أعلى الوادي مفاجأه، فأيقن بالهلاك ويئس من الحياة، فقال في نفسه: اللهم إن كان عبدالله بن حمزة إمام حق فسلمنا من هذا السيل، فسلموا وما لحقهم منه مضرة، قال: وغزاهم قوم فأخذوا أموالهم بأسرها، وصدروا بها ففزعوا في أثرها فضلوا عن الطريق التي سلكها المال، فقال: اللهم إن كان عبدالله بن حمزة إمام حق فرد علينا مالنا وظفِّرنا واهدنا إليه، فظفروا بأموالهم واسترجعوها، فأيقن ودخل في الطاعة، وتاب إلى الله تعالى، ومات على التوبة، وكان كبيراً في قومه، مقدماً في عشيرته.

ومنها: ما رواه عثمان بن علي بن عثمان الحجاجي قال: صحبت رجلاً من المطرفية يقال له منصور بن محمد الخليفة في الرحبة من أعمال صنعاء، فأطلق لسانه بسب الإمام عليه السلام، وكان في يده عصا يتوكأ عليها، فعثر فوقع طرفها في عينه، فتتعتع وأكب من شدة الألم، وهو على ذلك إذ حمل عليه ثور كان في الطريق، فشاله بقرنيه من بين الجماعة ورمى به ناحية، قال: وكان ذلك من أقوى أسباب اللطيف في خروجي من مذهب المطرفية.

ومنها: عن سعيد بن أحمد المرفي أن رجلاً خرص عليه الحق الواجب في أرض له، فاحتال في إسقاطه عنه بأن قال: قد بعت هذا المال من فلان -يعني رجلاً مؤتمناً لمولانا الإمام عليه السلام- ولا حقيقة لذلك، فخاست تلك الأرض وتهورت.

وحكي عن جابر بن جبران وهو ثقة، أن جماعة خرص عليهم الحق الواجب في أموالهم وهي أعناب فجاروا وأظهروا دعوى الجور، ولا حقيقة لما ادعوه، ودعوا بالبرد، وأخلف مالهم ذلك خاصة خمس سنين متوالية.

وحكي عن رجل يقال له بن القناص اتهمه والي الإمام عليه السلام في طعام كان معه، فحلف وعاد إلى منزله، وأصابه من ساعته ألم شديد في جسمه، وانفجر ما بين أنفه وعينه بالقيح، وأشفى على الهلاك.

ومنها: ما حكي عن رجل من أهل الصيد أنه قطف عنب جبله في أوساط ماله وأعتصره خمراً وشربه، فيبست أصولها، حتى لم يبق منه إلا جرثومة أصلها يابس، فلما رأى هذه الآية جعلها نذراً للإمام عليه السلام فأعادها الله تعالى أوفى مما كانت عليه وثمرها أكثر، حكى ذلك الشريف محمد بن موسى بن مهدي العباسي العلوي.

وحكي أن رجلاً من أهل الصيد كان له أصل رمان، يأتي في كل غصن رمانة واحدة، فقال: اللهم إنه ما زاد في كل غصن على واحدة فإنه للإمام، فأتى في كل غصن منه أربع رمانات وخمس والأقل ثلاث.

ومنها: أنه نذر هو وأخوه ما حصل في شرع حبلات قد يبسن، واسود من الجدب وقلة المطر، فخرج فيه عنب كبير صالح خاصة دون عنب الحظيرة، حتى أنه خرج في الشرع الأسود الكبار الذي لم تجر العادة أن العنب يخرج منه.

ومنها: ما حكاه عن نفسه أنه بايع رجلاً في ثلاثة كباش للإمام عليه السلام وزاد في قيمتها، فامتنع صاحبها كراهة لمصيرها إليه، فغدا الذئب في غنمه فافترس الثلاثة الكباش بأعيانها، وافترس منها ستة من خيار كباشه، فهلك منها خمسة.

ومنها: ما حكاه جماعة ثقات في كتب وصلت منهم للشيخ جبر بن سالم، والقاضي نازل، وسليمان الحويت، ذكروا أن جابر بن فلاح -وكان من كبار المطرفية المرتدة، وفي معاونة المشرقي المطرفي- فأصابه الله بآفة في لسانه حتى أخرجت لسانه من فيه، ونزلت على لحيته، وبلغت إلى صدره، ومات من آفته هذه -لا رحمه الله-.

ومنها: ماحكاه ذعفان بن علي البحيري عن رجل قاسمه الإمام عليه السلام في ماله، وكان من أهل الربا بشوابة، فأخذ منه بعض ماله وأقره على بعضه، وأمر بزرع ذلك البعض، فأتى الرجل ليأخذ من الزرع على وجه السرقة، فوثب عليه حنش عظيم فطرده، وما تمكن من أخذ شيء من الزرع، فعاد في اليوم الثاني فنبق من الزرع شيئاً فوضعه في الجربة، فوثب عليه الحنش فأزاحه عن الزرع ومنعه من حمله، فرماه بمفرس كان في يده وانهزم، وحاول أخذ المفرس فلم يستطع الوصول إليها، فقعد بارزاً من الجربة ناحية حتى مر به صبي لم يعلم بالقصة، فقال له: ناولني المفرس، فأخذها الصبي ولم يتعرض له الحنش، فلما كان في اليوم الثالث أتى ليأخذ من الزرع فدخل الجربة فوثب عليه الحنش، فحكى ذلك عن نفسه وأظهر التوبة من دخول الجربة وأخذ الزرع.

ومنها: ما حكاه علي بن صهيب -وهو ثقة من مخلاف مُقرى-: أن رجلاً من بني الدربي يسمى قاسم بن أحمد كان منقطعاً من الذرية ومعه امرأة لم تعلق له بولد، فنذر للإمام عليه السلام مائة درهم فحملت في وقتها، وجاءت بثلاثة بنين متتالين.

وحكى هذا الرجل أيضاً: أن رجلاً آخر يقال له أسعد بن زهير حصل له من امرأته ثلاث بنات متتاليات، فنذر يوماً للإمام عليه السلام خمسين قفلة فضة إن حصل له ولد ذكر، وواقعها في يومه ذلك فلعقت له بولد ذكر من ساعته تلك.

ومنها: ما حكاه يحيى بن ناصر الباقري -وهو ثقة-، عن سليمان بن عامر بن ربيح الذعفاني الشهابي قال: ذهبت أضراسي بعد أن قد صار لي أولاد كثير، فأتيت إلى الإمام عليه السلام فشكوت عليه ذهاب أضراسي، وسألته أن يمسح بيده الكريمة عليها من ظاهر الوجه، فلم ألبث إلا مدة يسيرة حتى نبتت الأضراس جميعها، حتى ما كأنه ذهب منها شيء، وشاهدتها على ما وصف لي، وذكر ذلك يحيى بن أبي الخير، ويعرف بالأسقع -من هجرة سناع في كتاب كتبه إلى الإمام عليه السلام على الحماية: أن رجلاً من بني ذعفان ذهبت أضراسه، فأتى إلى الإمام فمسح عليها فنبتت ورجعت، وذكر أيضاً أن رجلاً أتاه وفيه غبشة قد أتعبته فمسح عليها فذهبت ولم يبق لها أثر.

وذكر أيضاً أن رجلاً أتى إليه وقد أصيب في رجله نصابة فشلت رجله، فمسح عليها فبرئ في الوقت والحين.

ومنها: ما رواه الشريف محمد بن عقبة الحسني قال: لما غزونا إلى تهامة انفردت من أصحابي فصادفت جماعة من أهل تهامة، فدنا إليّ رجل منهم فلقيته الرمح فلزمه وجذبني حتى وقعت على الأرض، وعلي درعي، وأتى أصحابه فقادوا الفرس وصعدوا به الجبل حتى غاب عني ويئست منه، فعند ذلك نذرت عشرين درهماً للإمام عليه السلام في تلك الحال، ثم أقبل أصحابي فاردفني أحدهم على فرسه وسرنا في أثر القوم، فبينا نحن بالوادي إذا بالفرس مربوط إلى شجرة في بطن الوادي، قد ربطوه إليها وهم ينظرون إليه من أعلى الجبل، فدنوت منه ونقضت رباطه، وركبته وهو سالم مسلم.

عودة إلى النسخة

المنامات الصادقة المروية عن الثقات المعروفين بالصدق، والملاحم المبشرة به عليه السلام

[المنامات الصادقة]

وأما المنامات الصادقة التي جاءت أخذاً باليد، ورواها أهل الصدق والأمانة والثقة والديانة:

[رؤيا الإمام عليه السلام في فتح صنعاء]

فمنها: ما رواه الإمام المنصور بالله عليه السلام في حصن كوكبان وقد وقع ضيق شديد من أمر العدو وقوته، قال: رأيت في المنام كأنا قصدنا صنعاء والغز فيها، فلما قربنا منها دخلناها من باب غمدان في عدة يسيرة من العشرين فما فوقها بقليل، وكان علي ثياب بياض لم تر العيون أحسن منها، وكأنا نطلب كتمان أمرنا، فأقول في نفسي: واعجباً كيف ينكتم من عليه مثل هذه الثياب، ما المؤمِّن أن يقال: من صاحب هذه الحال؟ فيقال: فلان، فأَرُدُّ على نفسي في المنام: بأن الغز لو أرادوا شرّاً لم يدعهم أهل صنعاء، ثم استمر السير على تلك الحال إلى أوسط المدينة ومعي قناة بلا سنان، فلما قربنا من حانوت حداد أمرته ركب في القناة سناناً متوسطاً بين الحسن والشواهة والقوة والضعف، ثم قلت لرجل كان بقربي يقال له محمد بن صبرة: اطلب لنا دار فلان نكمن فيها حتى يأتي عسكرنا، وكأني أظن أن خارج المدينة لنا عسكر، فإذا دخل إلينا عسكرنا عمدنا دار شهاب فقتلناه، وصحنا لسائر الجند بالأمان.

هذا منامه عليه السلام، وكذلك كانت الصورة في اليقظة، وهذا لفظه من غير زيادة ولا نقصان.

ومنها: ما رواه الشيخ المكين فخر الدين مرحب بن سلمان، قال: لما برز السلطان إسماعيل بالجند يريد أخذ مدينة شبام والإمام عليه السلام بها، فكتب كل من أصحاب الإمام وصيته، وجدد نيته على الجهاد في سبيل الله، وتوطين النفس عليه، وحمدوا الله تعالى حيث أدركوا إمام حق يجاهدون بين يديه، فنام على تلك النية فرأى في المنام كأن آتياً أتاه فقال: أبشروا بالنصر العاجل، والثواب الآجل، فوقع فتح صنعاء بعد ذلك بيومين أو ثلاث، وبعد الخوف الشديد وما بلغ من كثرة الجند وقوة الأمر مع إسماعيل يوم تبريزه إلى مسجد شرارة.

[*منامات الفقيه علي بن أحمد الأكوع*]

ومنها: منامات عجيبة للفقيه الفاضل الصادق علي بن أحمد بن الحسين بن المبارك بن إبراهيم الأكوع رواها لي بنفسه وأجاز روايتها لي عنه، قال:

لما كان قبل موت سيف الإسلام بأيام قلائل رأيت في المنام كأني في سفح جبل وإذا بناس أقبلوا من جهة الشام عليهم نور وهم يمشون في نورهم وهم طوال على كل رجل إزار ورداء، ومعهم غُنيمة يسوقونها، فمروا بي وهم يسلمون علي مصافحة، حتى كأني حاذيت أوساطهم، وإذ برجل معتدل القامة، صبيح الوجيه، حسن الخُلق، رقيق الخَلق، جاء فسلم علي وسلمت عليه سلام المحب على حبيبه الذي طالت غيبته عنه، وقلت في سلامي عليه: سلام على من يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، وسُرَّ كل واحد منا بصاحبه سروراً عظيماً وفرح فرحاً شديداً، ولم يكد يفارقه، فلما انتبهت علمت أنه لا بد من إمام يقوم مقام علي بن أبي طالب

عليه السلام؛ لأن الخبر ورد فيه عن النبي -صلى الله عليه وآله- فانتظرت بعد ذلك قائم الحق واستبشرت به، ومات سيف الإسلام بعد ذلك.

وكنت متردد الخاطر بين الأمير الكبير يحيى بن أحمد وبين الإمام عليه السلام، فرأيت في المنام كأن الأمير واقف معي، فقلت: يا مولانا، كثر الجور والظلم وهلك الدين، ألست تقوم؟ فقال: لا، فضقت من قوله، ثم أعدت السؤال فقال: لابد من حملة أعين فيها فأما صاحب الأمر فليس أنا هو، فاستيقظت وأخبرت والدي بالمنام وجماعة من المسلمين، وقطعت بعد ذلك على أن صاحب الأمر عبد الله بن حمزة، وبقيت بعد ذلك مشغول الخاطر مشتاقاً إليه، فلما قام العفيف محمد بن المفضل لحرب الغز قلت: لا يكون صاحب الأمر هذا، ثم قلت: إن لقيني وسلمت عليه فلعله هو، فوقعت بي صوايب، فما زدت التقيت بأحد من كبار الأشراف حتى لقيت الإمام عليه السلام إلى شوابة وسلمت عليه مثل ما رأيت في المنام، وكان بي من الفرح والسرور مثل ذلك.

وكان المنام الأول في شوال، والثاني في ذي القعدة من سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة.

قال: وتقدمت بعد ذلك إلى حراز فوقفت مدة فلما كان في شهر ربيع الذي قام فيه الإمام عليه السلام في ليلة الاثنين قبل طلوع الفجر رأيت في المنام: كأني في سناع في شرقي مسجد نضار، وعليّ سروال أبيض وعمامة بيضاء، فصعدت في الهواء حتى عاليت رأس الصومعة، فرأيت الأرض بين يدي أنظر أبعدها، فأقبلت أدعو أهل الأرض فأول من دعوت أهل صعدة ثم أهل الشام، ثم التفت

فدعوت أهل المغرب، ثم التفت فدعوت أهل اليمن، ثم التفت إلى أهل المشرق فدعوتهم، فلما استكملت الدعاء قلت: صنعاء صنعاء فمن تأخر فعليه لعنة الله.

ثم انتبهت في تلك الساعة وهو أول صلاة الفجر، فعلمت أنه لا بد من أمر عظيم يعز الله به الإسلام. قال الفقيه المذكور: والتفت في آخر الرؤيا إلى شخص فقال: يا هذا، ومن يسمع نداك، فالتفت إليه كالمستهزئ فقلت: الذي قدر على تبليغ صوت إبراهيم عليه السلام حين قال الله عز وجل: {**وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ**}[الحج/٢٧]، فأجابوه من مسيرة شهر أو شهرين وأجابوه من جميع الأرض فهم يجيبونه إلى يوم القيامة، هو قادر على أن يبلغهم صوتي حتى يجيبوه.

قال: ثم بقيت بعد ذلك أنتظر الفرج من الله عز وجل بقيام القائم ولست أشك في أنه عبد الله بن حمزة، فما كان إلا أيامًا حتى بلغ خبر قيامه، فبحثت عن ذلك فإذا هو يوم الخميس الثاني عشر من شهر ربيع الأول سنة أربع وتسعين وخمسمائة في الشهر الذي رأيت فيه المنام، فما كان بين قيامه وبين المنام إلا ثلاثة أيام، فلما صح قيامه لم أستحل وقوفاً عن الوصول إليه.

فرحت من حراز إلى سناع فوقفت فيها يومين أو ثلاثاً ونزلت صنعاء، وأخذت في أهبة السلاح واللحاق وذلك في جمادى الأولى، فرأيت ليلة في المنام كأن والدي يقول لي: يا سبحان الله العظيم ما هذا التواني، يتمنى الواحد قيام إمام الحق، فلما صح له ما تمنى توانى هذا التواني، وغلظ علي في ذلك وعنف، فاعتذرته بأنه ما قطع بي إلا التأهب للمسير، فحثني على ذلك.

قال الفقيه: ولما توجهت إلى الإمام عليه السلام أمسيت في بيت الجالد، فرأيت في المنام كأني مع الإمام وهو في عسكر عظيم وهو يسير، فقلت: يا مولانا، هؤلاء يسيرون ميمنة وهؤلاء يسيرون ميسرة، وأنت في الوسط، فقال: فأنت أين تسير؟ فقلت: يا سبحان الله يا مولانا أسير معك في إثرك، فسرت إثره، ثم رأيت أني طلعت درجة وإذا سيف الإسلام وهو في حفير على هيئة السرير وهو يتألم تألماً عظيماً أشد ما يكون من الألم، فقلت: لا يكون يتشجع عليّ، فقال قائل: لا يا هذا، انظر إلى ذلك العود المكوي ثَبَّتَ وسطه لا يريد يقوم معه أبداً، وإذا بجارية باركة عليه وهي ترزمه إلى أسفل غاية الرزم، وإذا بجارية أخرى ترزم تلك الجارية وهي تقول لها: موتي فقد مات مولاك، وهي تكرر ذلك، فاستيقظت فأيقنت بهلاك الغز وزوال دولتهم.

قال: ودخل الإمام صنعاء وكنت معه وأكثرَ الناسُ الأراجيفَ بمجيء إسماعيل فضاق صدري لذلك، فرأيت في المنام كأني ألقن هذه الآية: {**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا**}[النور/٥٥]، واستيقظت وقد أنسيتها، ثم نمت فأعيدت علي في المنام حتى حفظتها.

[رؤيا إبراهيم بن حميدان القاسمي]

ومنها: ما رواه لي الشريف الفاضل الصادق إبراهيم بن حميدان القاسمي، قال: كنت شاكّاً في أمر الإمام عليه السلام مُخَطِّئاً له في أفعاله وأقواله، وأنا

أُسِرُّ ذلك من العوام، وأظهره على من أثق به، وأنا أظن أني مصيب، فرأيت في المنام ذات ليلة شخصاً ينشد هذه الأبيات بصوت حسن:

الحمد لله عز الدين وارتفعا ... ونصر آل رسول الله قد طلعا

والأرض معشبة من بعد ما مجلت ... وزاح عن جانبيها الظلم وانقشعا

وذا بعبد الإله الطهر مالكنا ... العالم العلم العلامة الورعا

فيال علي آل فاطمة ... يا آل هاشم يا للمسلمين معا

أوبوا إليه معاً من كل ناحية ... بالصافنات وخلوا الكبر والطمعا

قال الشريف الأجل المذكور: فعدت عما كنت عليه وعلمت أني قد أخطأت في أمري، وظلمت نفسي، وأثمت في اعتقادي في الإمام عليه السلام، وعلمت أن هذه الرؤيا لطف لي من الله عز وجل، فتبت إليه من سيء فعلي.

[رؤيا إسحاق الحميري]

ومنها: ما رواه القاضي الفاضل علي بن نشوان عن إسحاق بن علي بن فلفل الحميري، قال: كنت مع الإمام عليه السلام بحلملم[1] في شهر رجب من سنة أربع وتسعين وخمسمائة وهو يريد التقدم إلى حصن كوكبان، فأمسيت في المسجد وبحذائي سالم بن عقبة البحيري فرأيت في المنام: كأني لقيت رجلاً من بني شرع بصنعاء وكأنه يسألني عن الإمام، وعن حاله، وأين هو؟ ومتى يصل؟، فقلت: هو غير متخلف، ورأيت في كفه كتاباً فقلت له: ما في كتابك

---

[1] حلملم: تطلق على قريتين، حلملم الأعلى، وحلملم الأسفل: وهما في الشمال الغربي للأشمور، ناحية عمران.

هذا؟ فقال: فيه أبيات شعر، قلت: أرنيها أو أعطني الكتاب، قال: أنا أُحَفِّظُكَ ما فيه، فقلت: هات، فقال: اسمع، وأنشد هذه الأبيات:

الله أكبر هذا سيد النذر ... بعد النبي وهذا أفضل البشر

هذا ابن حيدرة هذا ابن فاطمة ... هذا الذي جاء في التنزيل والسور

هذا الذي وعد الله الأنام به ... يحيي الهدى كحياة الأرض بالمطر

هذا الذي كانت الأخبار من قِدَم ... فيه وأمسى عيان الخُبْرِ كالخَبَرِ

صلوا على شخصه يا حاضرون معاً ... صلوا على صورة من أشرف الصور

الله ناصره جلت جلالته ... من عالم فاتح بالنصر مقتدر

قد قال في سورة الفرقان ما سمعت ... آذانكم ثم في طس والزمَرِ

أيضاً وفي آية الكرسي فاستمعوا ... لقوله يا ذوي الأذهان والفِكَرِ

قال القاضي أيده الله: وسألت سالم بن عقبة البحيري وقد وصل صحبته إلى مدينة أثافت عن هذه القصة، فقال: نعم كنت نائماً بمسجد حلملم بحذائه فسمعته يترجم بحديث لا أفهمه، فأمسكت عن إيقاظه فلم يسكت، فلما انتبه سألته عن قصته فقص لي رؤياه هذه وذكر هذه الأبيات، وأخذ يكررها حتى حفظها.

قال القاضي: ومن أبلغ دلائل هذه الرواية أن رائي هذه الأبيات لا يحسن نظم الشعر جملة.

[منامات متعددة]

ومنها: ما رواه القاضي أيده الله عن الشريف الفاضل سليمان بن حمزة الحسني السراجي[(١)]، قال: رأيت وأنا عند الفقيه الفاضل ركن الدين سليمان بن ناصر للدراسة في مسجد بني موسى بالعرام[(٢)] أن قائلا يقول: أبشر بقيام الإمام المنصور عليه السلام.

ثم رأيت وأنا بالضبعات ذاعياً يدعو أن أجب الإمام عبد الله بن حمزة - وذلك قبل قيامه بأربع سنين - فظهرت وإذا بجيش قد ملأ المحفد[(٣)]، من جبل الريد إلى وردان، والإمام عبد الله بن حمزة في ذلك الجيش، فناولني اللواء وأمرني بالقتال في سبيل الله.

ومنها: ما رواه الشريف الفاضل القاسم بن يحي الحمزي عن شبعان بن الأعشى -وهو من الثقات-، قال: رأيت مذ خمسة أشهر كأن قائلاً يقول لي: لا عذر أن يدخل الإمام عليه السلام صنعاء ويملكها في ذي الحجة، وكانت الرواية بمدينة شبام يوم الاثنين التاسع من ذي الحجة والأخبار تصل إلينا بأن

---

(١) الإمير النبراس الخطير سليمان بن حمزة الحسني السراجي، هو العالم الكبير والإنسان الخطير، عالما محققاً منصفاً رواية للأخبار، مقداماً في الحروب، وكان مشاراً اليه بين العلماء، وهو الذي أرسلته المطرفية إلى الإمام عبدالله بن حمزة عَلَيْهِ السَّلَامُ ليجدد لهم موعداً يختبرون الإمام فيه. (مطلع البدور لابن أبي الرجال).

(٢) العرّام -بتشديد الراء-: بلدة من ناحية ذيبين من مرهبة.

(٣) المحفد: بلدة في حزاز جبل عيبان المطل على مدينة صنعاء من الغرب، وهي من بني شعاب ثم من بني مطر.

إسماعيل قد برز يريد إلى شبام، والناس بها في خوف شديد وأكثرهم يبيت متحيزاً في الجبل، فلما كان في اليوم الثاني وهو يوم الثلاثاء العاشر من ذي الحجة آخر سنة أربع وتسعين صلى الإمام عليه السلام صلاة العيد ونهض في الحال وقد بلغه خلاف شمس الخواص فدخل صنعاء آخر يومه ذلك وملكها.

ومنها: ما رواه السلطان محمد بن إسماعيل بن حاجب الشهابي عن نفسه، قال: لما قدم الإمام عليه السلام بعد البيعة إلى كوكبان خطر ببالي في أمره شيء لأجل ما بين الزيدية من الاختلاف في المسائل والإمامة، فأمسيت ذات ليلة على وضوء وسألت الله تعالى أن يريني شيئًا في أمر الإمام عليه السلام لإشكال اختلاف الزيدية فيه، فرأيت قائلاً يقرأ عليّ قوله تعالى: {**وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ**}[التحريم/٤].

ومنها: ما رواه هذا السلطان عن نفسه، قال: لما جرى على جكو القتل وعاد الإمام عليه السلام إلى ثلا والظاهر، دخل في نفسي أن أمر الإمام عليه السلام يختل فرأيت شخصاً في النوم يقرأ عليّ قوله تعالى: {**حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ**}[يوسف/١١٠]، ثم قال لي تالي الآية علي: هي في آخر سورة يوسف مثل المقرر، فعلمت بذلك أن الله تعالى يريد نصر وليه عليه السلام.

ومنها: ما رواه هو عن نفسه في ذمرمر[١] المحروس -رآه في شوال أو ذي القعدة- في أمر الإمام والعدو هل بقي له معهم حكم أو يد؟ فرأى قائلاً يقول

---

[١] ذمرمر: ويقال: ذي مرمر: جبل مشهور، من ناحية بني حشيش، شمال شرق صنعاء.

له: {**كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**}[المائدة/٦٤]، يعني: للغز، روى هو عن نفسه هذه المنامات للإمام عليه السلام.

[رؤيا الفقيه الحسن بن عمر القرشي]

[**ومنها**: ما أتى في كتاب من رجل من أهل المغرب اسمه الحسن بن عمر القرشي المياسي [المالكي] قال: لما بايعت الشريف الأجل يوسف بن علي الحسني بينبع للإمام عليه السلام - وكان إذ ذاك المذهب والعقيدة مالكياً- فعرضَتْ لي فكرة في الطاعة بالقول واللسان، والمخالفة بالقلب والجنان، وكثر ترددي في ذلك، فجرى في خاطري قوله تعالى: {**وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ**} فعلمت أني إن استقمت على ذلك انتظمت في سلكهم، وتحملت من إفكهم، فأداني اجتهادي إلى أني لم أجد مسلكاً إلى الخلاص إلا في التوسل إلى الله تعالى بالغدو والآصال بالعترة النبوية صلوات الله عليهم، بأن يوضح لي طريق الرشاد، ويوفقني لمسلك السداد، ففتح الله تعالى علي في ليلة جمعة من جمادى الأولى من سنة تسع وتسعين، وأنا بين النائم واليقظان، فرأيت ناساً في فضاء من الأرض محدقين على شخص، فتطلعت نحوهم ودنوت، فإذا بشخص جالس على دكة مبنية عالية، وحدَه، وإذا برجل نحيف الجسم عليه آثار المجاهدة والعبادة قائم على الأرض عن يمين ذلك الشخص، وهو أقرب الناس منه، فسالت من هذا -أعني القاعد-؟ فقيل: هذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فتقدمت إليه وأخذت يده أقبلها، وأقول

أشهد أنك إمامي حقاً، فقال لي: لا، بل أنا نبيك، وهذا أمامك، فاتبعه، فأعدت القول ثلاثاً، فأعاده ثلاثاً، فقلتُ: قبلتُ ورضيتُ، فحولت من بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقمت عن يمين ذلك الشخص، ثم قلت: يا رسول الله، ما اسمه؟ فقال: عبد الله، المنصور بالله، أبو محمد، ثم قال: معاشر الناس هذا إمامكم فاتبعوه -ثلاث مرات -، فانتبهت وإن يدي لفي يده، وأنا أقبلها، وأنا أقول جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً، أنت إمام المؤمنين حقاً حقاً، فاعتقدت من ساعتي متابعة الإمام عليه السلام بالمذهب والاعتقاد ظاهراً وباطناً، وأشهدت على ذلك الشريف أبا علي، والفقيه منصور، والشريف السيد الإمام محمد بن خالد، وفارقت الشريف يوسف بنية المثول بين يدي الإمام عليه السلام، فلما وصلت إلى مكة حرسها الله قَلّ ما بيدي، وبقيت منتظراً جواب أمير المؤمنين إما بالإقامة أو الظعن، والله تعالى يقدر الخير ويقضي به.

وكتب بتاريخ العشر الأولى من جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وخمسمائة.

ومنها: ما جاء منه أيضاً في كتاب تاريخه لخمس وعشرين ليلة خلت من ذي الحجة، آخر سنة تسع وتسعين وخمسمائة، قال في كتابه:

ومما يجب المطالعة به، وإفشاؤه بين الجماعة، أن خادمة للإمام[1]، ظعينة لي، وهي أم أولادي، كانت معينة لي في أول إظهاري هذا الأمر، إلى أن ظهر منها اعتزال وهجران، فرأت كأنها في أرض فلاة، فإذا بشرر من النار من السماء

---

[1] خادمة للإمام: باعتبار الولاية لا باعتبار الملك.

يسقط عليها، أمثال الفِهرة[1]، وإذا برجال بيض بأيديهم سيوف مشهورة يريدون ضربها، فكأنها تقول: يا سادتي أتوب إلى الله تعالى مما خالفت فيه، تكرر هذا القول مراراً، إذ رأت كأن غلاماً -يكون عمره من العشر سنين فما حولها- قد جاءها فألقى عليها رداءه وزجر أولئك عنها، وانثنى إلى السماء فأمسك ذلك الجمر، وكأنها تسأل عن ذلك الفتى، من هو؟ فقيل لها: هذا الإمام المعصوم محمد المهدي بن الإمام المنصور، فأقبلت تقبل يديه ورجليه، ثم انتبهت وتابت إلى الله سبحانه من مخالفتي، واتبعت رأيي.

وكأنها شكت في ذلك كَرة أخرى فأخذتها الأرنبة التي أخذت أهل الطائف وغيرهم بعد الوقعة، فلما وصل تشريف المولى بالخط الشريف أتيتها به وهي على حال التهلكة، فأمرتها أن تمسح بالخط الشريف موضع وجعها، فأَمَرَّتْ مجرى قلم الإمام على الموضع الذي فيه الألم، فسكن بقدرة الله تعالى، ولم تشك منه وجعاً بعد ذلك، فآمنت وصدقت وتابت إلى الله توبة نصوحاً.

ومنها: ما حكاه الشريف الفاضل الحسين بن الحسن القاسمي قال: رأيت في شعبان سنة أربع وستمائة في منامي رجلاً يؤذن الأذان المعروف حتى انتهى إلى آخر الشهادتين فقال عقيب ذلك: أن عبدالله بن حمزة إمام مفترض الطاعة.

ومنها: ما رواه أسعد بن علي الصعيدي -وهو لا يقول الشعر- قال: رأيت في منامي كأن الإمام عليه السلام قاعد في مسجد متسع، وإلى جنبه أخوه

---

[1] الفِهرة: الحجر مقدار ما يملأ اليد.

عماد الدين يحيى حمزة، وكأن رجلاً يسأل الفسح في إنشاد قصيدة، فأذن له، فأنشد قصيدة حفظت منها هذا البيت:

آنَ القيام فقم لله مجتهداً ومثل دينك هذا الوقت قد فُقِدَا

ومنها: ما حكاه ولدي علي بن محمد بن الوليد القرشي قال: لما بلغ العلم بانحسار عسكر وردسار وأن الذي هزمهم من عسكر الإمام عليه السلام ثلاثة عشر فارساً، استبعدت ذلك، فرأيت في ليلي في المنام كأن قائلاً يقول: أتظن أنه هزمهم ثلاثة عشر فارساً، إنما هزمهم أربعمائة فارس نزلت من السماء، منها مائة حمر، ومنها مائة قال: شهباً وشقر.

ومنها: ماحكاه أهل جيلان في كتاب ورد منهم إلى الإمام عليه السلام عقيب إجابتهم للدعوة، وإقامة الجمع، ودخولهم في الطاعة، قالوا: إن رجلاً من المحققين من علماء نواحينا رأى في المنام كأن هاتفاً يهتف من السماء بأعلى صوته: أيها الناس، عليكم بالله الأكبر، والإمام الأطهر، والنور الأزهر، والعلم الأنور، وإلا فعليكم لعنة الله أجمعين، فهذه جملة كافية في هذا الباب] [1].

---

[1] ما بين القوسين من الدر المنثور.

[الملاحم التي وردت بقيامه وصفاته عليه السلام]

وأما الدلالات المتقدمة التي دلت على تاريخ قيامه ونطقت بصفاته:

فمنها: ما رواه الأمير الأجل الأوحد الكبير الفاضل، بدر الدين، داعي أمير المؤمنين، محمد بن أحمد بن يحيى بن الهادي إلى الحق عليه السلام، قال: وجدت في كتاب في صارة قديم قد كاد يتلف من البلى، وله مائة وعشرون سنة إلى وقت قيام الإمام عليه السلام كلاماً في ذكر قيام القائم المنصور بالله، قال: (ثم يظهر القائم المنصور بالله في سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة)، وكان نهوض الإمام عليه السلام من الجوف إلى دار معين وحركته لطلب البيعة ودعاء الناس إلى القيام والجهاد في سبيل الله في أول ذي الحجة من سنة ثلاث وتسعين، وهو موافق لما ذكر في الكتاب.

ومنها: ما رواه القاضي أيده الله عن الشريف الفاضل سليمان بن بدر بن عبدالله بن جعفر[1]، قال: وجدت في رواية صحيحة عن محمد بن الحنفية في شعر:

وديعــة عنــدي لآل محمــد ... أُودِعتُهــا وجُعلــتُ مــن أمنائهــا
فــإذا رأيــتَ الكــوكبين تناوحــا ... في الجدي عند صباحها ومسائها
فهنــاك يبــدو عــز آل محمــد ... وقيامهــا بالنصــر فــي أعــدائها

يعني **بالكوكبين** ههنا زحل والمريخ، قال الشريف المذكور: والدليل على ذلك ما في الرواية المشهورة في الملحمة المأثورة من الشعر الذي فيها قد مرت عليه مؤون من السنين، وقيل: هو من قول ابن عقيب معلم الحسن والحسين عليهما السلام، وأوله:

---

[1] الأمير سليمان بن بدر بن عبد الله بن جعفر، أمير كبير علامة خطير، من أعيان السادة القاسميين، كان يسكن جهة الأهنوم.

عـــدى قـــوم علـــى الملـــك وكـــــان الله قـــــد شـــــده
ولا بـــــد لأهـــــل البيـــــت أن يســـــترجعوا عقـــــده
إذا مـــا ظهـــر المنصـــور بعـــد اليـــأس والشـــده
إذا كيـــوان والمـــريخ مجتمعـــان فـــي البلـــده
فيـــا لله عينـــا مـــن رآه طاويـــاً صـــعده
بفتيـــان مصـــاليت وأشـــياخ ذوي نجـــده
دقيـق السـاق ضـخم الـرأس فـــي نظراتـــه حـــده
ليلقـــى أمـــة مالـــت إلـــى التعطيـــل والـــرده

ثم قال في بعضها:

وفـــي شـــوال شـــال القـــوم واقتعـــدوا بـــذي القعـــده
وفـــي ذي الحجـــة الفـــتح وفـــي الشـــهر الـــذي بعـــده
وفـــي يـــومين مـــن شـــهر ربيـــع تظهـــر الزبـــده
بتشـــتيت لأقـــوام عـــن الإســـلام مرتـــده

وهذا البيت في رواية أخرى:

قليـــل اللحـــم فـــي المـــرأى نحيـــف أصـــفر الجلـــده

وفي هذه الملحمة دلائل قوية وبراهين واضحة في صفات الإمام عليه السلام وقيامه وما كان في أمره.

أما العادون: فإن هؤلاء العجم عدوا على ملك العرب بديار اليمن فسلبوه منهم، وقهروهم عليه، وقتلوا ملوكهم، وهدموا منازلهم، وعفوا آثارهم.

وأما استرجاع عقدة أهل البيت: فهذا واضح؛ لأن الإمام عليه السلام من أهل البيت، وأنه القائم بالحق عبد الله بن حمزة، وكان قيامه عليه السلام وزحل والمريخ في البلدة.

قال القاضي أيده الله: وهذا من الدلالات الواضحة التي رأيناها بالعيان وشاهدناها.

وأما قوله: «**واقتعدوا بذي القعدة**»: فإن الإمام عليه السلام أقام بحصن كوكبان لم يتحرك إلى بلد، وكان في شوال انتقض الأمر على الغز ووقع الخلاف عليهم من مخاليف صنعاء، فخالفت سنحان في جبل كنن[1]، وخالف الأمير جكو بن محمد إليهم في نيف وعشرين فارساً بعد مكاتبته للإمام عليه السلام والدخول في طاعته والكون من جملته، فأخذ خزانة من المال وصلت لإسماعيل من جهة اليمن تريد إلى صنعاء، وكان قد انضاف إليها قطار ذكر أن فيه سبعين جملاً عليها البر والبضائع والأموال، وقتل جماعة من المماليك، وأغار شهاب الجزري في خيل كثيرة مختارة من صنعاء، وقد فزع بالخزانة وأهلها ولم يزيدوا يطمعوا بانتصار، وولى على إثره هو وأصحابه وتبعهم الأمير جكو بأصحابه بعد إيصال غنائمهم إلى مأمنهم، وأمعنوا في لحاقهم إلى قرب صنعاء ففاتوهم.

---

[1] كنن: جبل مشهور في بلاد سنحان، على مسافة ٣٥كم شرق صنعاء.

ووقع في شوال المذكور خلاف في نهج حضور[1] وقتلت رتبة من الغز هنالك، وقتل منهم قوم، قتلهم رجال من بني صاع[2]، وحزوا رؤوسهم، ووصلوا بشيء من دوابهم إلى الإمام عليه السلام إلى كوكبان.

وأثار عليهم الخلاف والحرب الشيخ المكين سيف أمير المؤمنين عزان بن أسعد الحبيشي في بلاد مذحج، وكانت لهم رتب في بلاد حاشد وبلاد عذر وما يليها، فحاربهم الأمير الكبير ذو الكفايتين صفي الدين محمد بن إبراهيم بن محمد الحمزي، ونفاهم منها وصارت غوائره وغزاوته إلى شق الرحبة، وامتحصت البلاد عليهم واضطربت، وكان ذلك سبب وصول السلطان إسماعيل إلى صنعاء في ذي القعدة من سنة أربع وتسعين في جنود متكاثفة وعساكر عظيمة حتى قيل: إن عددها ألفا فارس، والرجل إلى عشرة آلاف، فانهزم في ذي الحجة شر هزيمة، وكان الفتح الذي ذكر في الملحمة في ذي الحجة للإمام عليه السلام بدخول صنعاء وملكها وما لحق بعد ذلك من ملك الجبال إلى نقيل صيد.

وأما ظهور الزبدة وتشتيت الأمر: فما شاهدناه عياناً في يومين من شهر ربيع من أخذ شهاب وأسرهم وربطهم بالحبال في أعناقهم وتقييدهم بالقيود الثقال.

وذلك: أن شهاباً لما صار في ذمار في قدر ستمائة فارس يوم فتح الإمام عليه السلام ذمار، فأراد الله تشتيت شملهم فخرج من ذمار في مائتي فارس يريد صنعاء فمنعه أهلها لما وصل إليهم، وعاد الإمام عليه السلام بعد فتح ذمار

---

[1] حضور: هو المعروف بجبل النبي شعيب.

[2] بنو صاع: هم فخذ من فخوذ همدان، محلة في عزلة عيال منصور ناحية نهم قضاء صنعاء.

فحصره في حصن براش[1]، وخرج منه على شروط لم يف بها، سنذكرها في موضعها إن شاء الله، فأُخذَ وأصحابه وشتت الله شملهم وفرق جمعهم، وكان أسرهم ليومين من ربيع الآخر.

ومنها: أبيات من قصيدة قديمة ذكر صاحبها الخوارج التي تقدمت قبل خروج قائم الحق، ثم ذكر ظهوره وصفات الغز التي شاهدناها فيهم عياناً، فقال:

أهل فسق ولواط ظاهر	**أهل تعذيب وضرب بالخشب**
كفروا بالدين ثم اشتغلوا	**بفراغ الناس حبًّا للذهب**
يتركون الفرض والسنة لا	**يعرفون الله ليسوا بعرب**
فهم كالجن من أبصرهم	**طار رعبا ثم خوفا وهرب**
ينقلون المال من أرض سبأ	**نحو مصر ودمشق وحلب**
فإذا ما الناس ضاقوا منهم	**في بسيط الأرض طرًّا والجدب**
ظهر القائم من أرض سبأ	**يمني السكن شامي النسب**
اسمه باسم أبي الطهر النبي	**ذاك عبد الله كشاف الكرب**
يملأ الأقطار عدلًا مثلما	**ملئت جورًا وهذا قد غلب**
تظهر الخيرات في أيامه	**وترى الباطل فيه قد هرب**
وترى الأشيب في دولته	**يتمنى كل يوم أن يشب**

فقد بين في هذه النبذة اليسيرة من هذه الدلالات من صفاته في خَلقِهِ وخُلُقِهِ وأفعاله ما هو ظاهر لمن شاهده، موافق لما نطقت به الملاحم والدلالات.

---

[1] براش: جبل عظيم متصل من جهة الشرق بجبل نقم، وهو حصن مشهور بصنعاء وبه آثار قديمة، وطريقه من سعوان.

أما دقة الساق: فمعلوم بالمشاهدة لكل من رآه.

وأما حدة النظر: فظاهر لكل من خبره وحضره، ولقد رأيته مرارًا وشاهدته أسفارًا في جماعة من أصحابه يقرأ الكتب المضمخة في أوساط البيوت بين المغرب والعشاء الآخرة حيث لا نستطيع القراءة ولا نظر الكتابة وهو يقرأ مستمرّاً، ولقد رأيته مرة بأثافت في بيت سفل مظلم بين صلاة المغرب والعشاء ينسخ في كراسة فعجبت من ذلك وقلت: يا مولانا، كيف تستطيع الكتابة في هذا الوقت؟ فقال: ننظره إذا أتى الضوء، فلما أتي بالسراج نظرناه جميعاً فإذا نحن لا نفرق بينه وبين نساخته في الضوء قبل ذلك.

وكذلك قلة اللحم وصفرة الجلد: كل ذلك معروف بالمشاهدة.

ومنها: اسمه الذي ذكر المتقدمون، **وأنه يمني السكن شامي النسب**؛ لأن جده أبو هاشم الحسن بن عبد الرحمن الإمام القائم من أرض الحجاز، الخارج إلى اليمن أتى من جهة الشام، ومضر كلها شامية، والفتوح الموافقة التي كانت على يديه في الأوقات المذكورة والتاريخات التي نطقت بوقت قيامه من غير زيادة في أكثرها ولا نقصان.

حدود الدولة المنصورية

و

المناطق التي يجبى خراجها

[حدود الدولة المنصورية]

ومنها: العدل الشامل في البلاد التي ملكها واستقر أمره فيها، وذلك من بيحان[١] إلى مأرب[٢] إلى نجران من المشرق.

إلى دوين بيشة من بلاد نزار وقحطان من القبلة.

فإلى بلاد خولان ومساقط تهامة، فإلى حجة وما يواليها، فإن العدل قد ملأ هذه البلاد المذكورة وأمنت سبلها والمقاطع المخوفة التي لم تكن الجماعات الكثير تجوزها مع الحفير ودفع المال إلا على المشقة الشديدة من الخوف، فصارت على تباعدها يسلكها الواحد والاثنان، وشملها من الخير والخصب وتتابع الثمار ما لا مزيد عليه.

[المناطق والبلدان التي يجبى خراجها إلى الإمام عليه السلام]

وأما البلاد المنفصلة التي يجبى إليه خراجها، وتؤدى الحقوق الواجبة إليه منها: فإن فيها سعة، وهي بلاد مذحج: من بني حبيش[٣] وبني ربيعة[٤] وبلاد زُبَيد[٥] في جهة المشرق.

---

[١] بيحان: واد مشهور في قاع فسيح يمتد من شمال البيضاء إلى أطراف رملة السبعتين، يشكل حالياً مديرية من مديريات شبوة، ويضم عدداً من المناطق الأثرية الهامة، ويسكنه كثير من الفئات والقبائل كآل بالحارث والمصعبيين وأهل نعيم وغيرهم.

[٢] مأرب: من أهم وأقدم وأشهر المدن اليمنية، فلا تحتاج إلى زيادة بيان.

[٣] بني حبيش –بضم الحاء–: ناحية من قضاء المخادر، في الشمال الغربي لمحافظة إب.

[٤] بني الربيعة: من مخلاف نَقِذ في وصاب العالي.

[٥] زُبَيد –بضم الزاي وفتح الباء–: اسم لقبيلة من مذحج، وهم ولد زبيد بن ربيعة بن سلمة، ومخلاف زُبيد من بلاد عنس وأعمال ذمار.

وبلاد بكيل[١]، ومخاليف مُقرى، فإلى حراز[٢] وأعمالها من جهة المغرب، ومخلاف بني سليمان، وحلي بن يعقوب[٣]، والحجاز.

يضاف إلى البلاد المتصلة التي تقدم ذكرها إلى بلاد الأعذار وشاحذ[٤] والباقر والماعز والحُمَر[٥] والصَّيْد[٦] والحيمة[٧] والجحادب[٨] والأغمور إلى نواحي مسار ويناع[٩] وأعماله، فهذه بلاد متصلة جرت فيها الأحكام، وقبضت منها الأموال، واستقرت فيها الولاة، خارجاً عن البلاد التي يخرج منها البيت والقبيلة والرجل، كحراز المستحرزة فإنهم ممن استقام وسلم الحقوق وانقاد للأمر، وفيهم مودة ومحبة لم تعلم في غيرهم؛ لأنهم أقاموا الحقوق، وأنفذوا الأحكام، وصار من خاف الظلم منهم دخل للسوق وصاح بأنه جار الإمام فلا يروع سربه أبداً، ودخل من كان منهم في مذهب الجبر في دين الزيدية من آل محمد عليه وعليهم السلام، وأقاموا الجمعة.

---

(١) بلاد بكيل: ما بين صنعاء وصعدة في الجانب الشرقي، وهي بلاد واسعة فيها نواح كثيرة، منها ناحية برط وأرحب وسفيان ونهم والجوف وهمدان ومرهبة وعيال سريح وريدة وعيال يزيد.

(٢) حراز: صقع واسع غربي صنعاء، مركزه في رأس جبل مناخة، ويشمل مخلاف هوزن ومسار ولهاب وبني مقاتل والثلث والأغمور وحَصَبان وبني خطاب وبيت القابلي ودايان واليعابر وسلف القابل وبني إسماعيل وغيرها.

(٣) حلي بن يعقوب: بلد من تهامة في شماليها، جنوب القنفذة.

(٤) شاحذ: وهي ما تسمى اليوم بالشاحذية، عزلة من ناحية الرجم قضاء الطويلة، بمحافظة المحويت.

(٥) حمر -بضم الحاء وفتح الميم-: عزلة من بلاد ماوية وهي بلدة مشهورة جنوب الجند.

(٦) الصيد -بسكون الياء-: يعرف اليوم بنقيل سمارة.

(٧) عزلة من بلاد تعز. أما الحيمتين فهي من بلاد حراز.

(٨) من ناحية الحيمة الخارجية وبلاد حراز.

(٩) يناع: حصن من أعمال الأخروج ناحية الحيمة، الواقعة في مغرب صنعاء.

شجاعته عليه السلام

و

قوته على تدبير الأمر

(وقعة ميتك وهران)

ذكر شجاعته عليه السلام وقوته على تدبير الأمر

فإن له من رباطة الجأش، والثبات عند الأمور الكبار، والمواقف الهائلة في مقامات القتال والحروب التي كانت بعد انتقاله من هجرة سناع بعد الدرس ولم يقص بَعدُ شاربه.

[وقعة ميتك]

[إقامة الإمام قبل الدعوة في الجوف وإصلاح أحواله]

وذلك: أنه انتقل إلى حجة لنصف شهر شعبان من سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة وقد علت كلمته وذكره، ووقعت الهيبة في قلوب أهل الظلم منه، فقام بميتك محتسباً لحرب السلطان علي بن حاتم(١) ، وفي إثره حارب سيف الإسلام(٢) قبل الدعوة إماماً سابقاً مجاهداً، ثم حارب إسماعيل(٣) بعد ذلك

---

(١)هو السلطان علي بن حاتم بن أحمد بن عمران بن الفضل اليامي، هو الثاني من سلاطين الدولة الحاتمية، تولى بعد وفاة أبيه حاتم سنة (٥٥٦)هـ، وسيطر على حصون كثيرة، وكان له مواقف كثيرة مع الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان عليه السلام، ثم مع الإمام المنصور بالله عليه السلام، ومواقفه بين الولاء والعداء، بقيت صنعاء تحت سلطانه إلى شوال سنة (٥٨٥)هـ، حين استولى عليها طغتكين الأيوبي، فانتقل إلى حصن ذمرمر، وتوفي به سنة(٥٩٧)هـ.

(٢) سيف الإسلام: هو طغتكين بن أيوب أخو صلاح الدين الأيوبي، أحد سلاطين الدولة الأيوبية في اليمن، تولى سنة (٥٧٩) هـ، وسيطر على معظم أجزاء اليمن، وقد وقعت بينه وبين الإمام المنصور بالله عليه السلام معارك والإمام في أيام دعوته الأولى بالإحتساب التي دعاها(٥٨٣) هـ، وتوفي طغتكين سنة(٥٩٣) هـ.

(٣) هو الملك المعز إسماعيل بن طغتكين بن أيوب، ملك بعد وفاة أبيه، سنة (٥٩٣)هـ، كان مجرماً مصراً على الظلم وشرب الخمر، أهوج كثير التخاليط، حتى أنه ادعى أنه قرشيّ من بني أمية، وخطب لنفسه بالخلافة وتلقب بالهادي، وقيل كان مولعاً بذبح بني آدم وأكل لحومهم، وكان سيء السيرة مع أجناده وأمرائه، وأخاف مماليك أبيه، فهرب منهم طائفة، وكان معظم جنده من الأكراد، فوثبوا عليه فقتلوه في رجب سنة (٥٩٨)هـ، خارج مدينة زبيد، واستمر ملكه خمس سنوات.

وأقام بها سنتين وثلاثة أشهر، ثم هاجر إلى الجوف الهجرة الأولى فأصلح أحوال أهله، وهداهم سبيل الرشاد بعد أن كانوا على الغي والضلال، وأكثرُ الاختلال في المعاملات كان يختص الجوف الأسفل، فإنهم كانوا يتظاهرون بالربا والفسوق، وظلم الحقوق، وكانت المرأة إذا طلقها زوجها زوجت قبل انقضاء عدتها، فلما حل بينهم عرفهم ما يجب عليهم بلطف وحسن سياسة، فصلحت بحسن تدبيره أحوالهم، واستقامت أمورهم.

[استدعاء أهل ميتك للإمام عليه السلام]:

ولما استولى السلطان علي بن حاتم على ميتك وعلت مملكته، بعد أن أتاه مشايخ ميتك وكبارهم فسلموا له حصن جرع[1] ورهنوا أولادهم على الطاعة.

قال القاضي أيده الله: وكان هنالك من كبار الأشراف بني حمزة: الشريف الفاضل محمد بن الناصر، والشريف الفاضل إبراهيم بن يحيى، والقاضي الأجل شرف الدين إبراهيم بن أحمد، واجتمع إليهم من أفاضل أهل البلد وأهل الدين جماعة، واشتوروا في هذا الأمر المهم، وما قد دهم بلدهم، وبلغهم التوعد بخراب هجرهم وأخذ أموالهم، فنظروا في أمرهم فوقعت خواطرهم على الإمام عليه السلام، فكاتبوه وسألوه الوصول لدفع هذا الأمر عنهم في رجب وشعبان ورمضان من سنة ثلاث وثمانين، فاعتذر إليهم بما هو فيه من إصلاح أمور الجوف فلم يعذروه، وعلم ما يجب من المدافعة عنهم، فنهض.

---

[1] حصن جرع: حصن مشهور مَا بين تاج الدين وبلاد عفار، في بلاد بني مَوْهب من مديرية كحلان عفار.

[توجه الإمام إلى ميتك]

فلما طلع إلى شوابة[١] أمسى بمكان يقال له: الخايسين، وقد كان بلغ العلم إلى صنعاء، فخرجت الخيل والرجال إلى ابن حفيظ -وهو الوالي في البون والظاهر[٢]- فأثبتوا عليه العيون والأرصاد، فعزم على التقدم في أصحابه، وهم صنوه عماد الدين يحيى بن حمزة، وابن عمه صفي الدين محمد بن إبراهيم وفارسان، وأربعة عشر راجلاً، فقال له أصحابه وشيوخ البكيليين: (بق علينا وعلى نفسك فلا طاقة لنا بالقوم)، فساعدهم على كره، وعاد إلى شوابة وكتم أمره.

وكان قد استعمل الركوب، وأخذ السلاح والخروج بأصحابه إلى ظاهر البلد كل يوم، فلم يبق أحد ينكر ذلك، فركب على العادة قبل عيد رمضان المذكور بيوم، وقد كان أعد ما يحتاجون إليه من الزاد، وكان ركوبه وقت الظهر، فوصل منهل سيلان للطهور على العادة، فأمر أصحابه بالمسير، فارتاعوا لذلك وسألوه فقال: أريد ميتك إن شاء الله، فساروا مستعظمين للأمر؛ إذ لا طريق إلا أوساط بلاد همدان، وعلى العيون والأرصاد.

فوصل بركة مزود[٣]، وتطهروا وصلوا عليها، ونهض وقد كادت الشمس تغرب، وصدروا إلى قرب ريدة، وصلوا المغرب والعشاء الآخرة، ثم ساقوا سوقاً عظيماً إلى طلوع الفجر، وأمر أصحابه بالتفرق عنه؛ لئلا ينكر حاله، فمر

---

[١] شوابة: بلد معروف من أعمال ذي بين في بلاد بكيل.

[٢] الظاهر: المراد ظاهر همدان، من بلاد بني صريم، ويشتمل على خمروالوادي ويشيع والعقيلي وغيرها.

[٣] مزود: منطقة وقبيلة من بني حكم، إحدى قبائل أرحب في شمال صنعاء.

بالجنات فقسمها نصفين، ثم أتى قاعة والليل مرخ سدوله، فوصل قرية الأشمور[١] وقت الفجر، فصادف طائفة من خدم الظلمة يريدون كوكبان في مكان ضيق بين صدفين يقال له الفُجر، فظنهم مرصدين له فأمر أصحابه بالحزم ووطنهم على القتال، فلم يعرضوا لهم، ووصلوا إلى هجرة (يند[٢])، قبل طلوع الشمس، فتلقاهم الشرفاء أولاد يحيى بن الحسين بالإكرام، وأقاموا عندهم ثلاثة أيام، ثم أتاه الشريف إبراهيم بن يحيى يستحثه فنهض، وكان وصوله إلى ميتك لثلاث ليال خلون من شوال سنة ثلاث وثمانين.

[وصول الإمام إلى ميتك، والكرامة التي حصلت له]

فوصل إليه الشريف محمد بن الناصر في جماعة من المسلمين، وكبار الموهبيين والصعاريين والهوسيين فسلموا عليه، وذكروا الحكاية المتقدمة عن آبائهم: بأن صاحب الحق يطلع من وادي شرس[٣] في سبعة نفر، وكانت عدة أصحاب الإمام عليه السلام سبعة؛ لأن بعضهم مر طريقاً أخرى، فعجب الجميع من ذلك، وأيقنوا بصدق الحكاية.

ثم طلع عليه السلام إلى قرية صبرة[٤] في موكب عظيم، وأقام بها سبعة أيام.

---

[١] الأشمور: ناحية مشهورة، في الغرب الشمالي من صنعاء على مسافة يومين متصلة بجبال المصانع.

[٢] يند: قرية في جبل الأشمور بمغارب عمران بجوار مدينة المصنعة.

[٣] شرس: بفتح الشين وكسر الراء، واد في بلاد حجّة.

[٤] صبرة: قرية من عزلة بني موهب، ناحية كحلان عفار.

[تفاصيل الوقعة]

فلما كان يوم الخميس نهض إلى الفاضلة بجبل بني صعارة، وحصن جُرع ملزوم للسلطان علي بن حاتم، واجتمع الناس وأمرهم عليه السلام بالصبر وحثهم على الجهاد، ووعدهم لليوم التالي، وبقرب من الحصن موضع يسمى (المرقب(١)) يسمع الصوت الهين منه إلى الحصن، ولما رأى عليه السلام صعوبة الحصن ومنعته، أمر بخيله إلى صبرة، فلما كان من الغد أمر بالصارخ إلى مخاليف ميتك المطيعة له فأقبلوا إليه، فحضهم على الجهاد وعرفهم ما لهم عند الله من الأجر، وأمر الأمير إبراهيم بن يحيى بالتقدم في طائفة من العسكر إلى قلعة بني حماد، وقد كان أمر الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة فلزم قلعة المكرام، ولما توافى الناس أمرهم بالقتال فأحاطوا بالحصن من كل جانب، وكان فيه عدة وافرة من الديوان[٢] المختارين، ومن أهل البلد الراغبين في تقوية الظلم، وجاءتهم رتبة المادة من قرن شاور[٣]، فردهم الأمير إبراهيم بن يحيى ومن معه على أعقابهم، واشتد القتال إلى نصف النهار وكثرت الجراحات في أهل الحصن، وطلع عليهم منصور خادم الإمام عليه السلام - وكان غلاماً حدثاً يجيد الرمي ولا يكاد يخطئ ولا

---

(١) المرقب: يطلق على المكان المرتفع.

(٢) المراد بالديوان: الجنود الذين يقومون بشؤون المنطقة التي يتواجدون فيها، حفظاً وحراسة وأمناً، وغير ذلك.

(٣) شاور بفتح الشين وكسر الواو: من بطون حاشد من ولد شاور بن قدم بن قادم، وبلاد شاور في كحلان تاج الدين من ناحية حجة.

يقف له سهم في جنة -، فأكثر الصوائب في القوم حتى انقشعوا عن القطع، فزحفت الغوامر وحملوا عليهم فألجأوهم إلى باب الحصن ولم يزل القتال إلى الليل.

فلما كان بكرة السبت نهض بنفسه فلما رأوه أعلنوا بالتهليل وسألوا الأمان، فأمر إليهم براية، وطلب أهل البلاد قتلهم فمنعهم من ذلك، ودخل الحصن إليهم وحده ومعه خادم له، وهم سبعون رجلاً الذين بقوا في المكان فلما صار في رأس الحصن أشار إلى الناس بالانصراف، وأمر لأهل الحصن فبايعهم، ومَنَّ عليهم، وأخرجهم بسلاحهم وقماشهم، ولقد استوهب خادم فرسه من أحدهم قدر ربع صاع، فأمر برده وشد عليه في ذلك، ولما استقر أمره بالحصن أمر لأهله وقال: قد ملكت هذا الحصن ولكم فيه العمارة ولست أقيم فيها إلا بإذنكم، فإن أذنتم وإلا خرجت منه، فقالوا بأجمعهم: رضينا أزلت منا الخوف وأمنتنا من الحرب.

[إقامة الإمام بميتك والصلح مع السلطان علي بن حاتم]

وكانت إقامته فيه سنتين وثلاثة أشهر يحارب الظالمين، وسار في البلاد أحسن سيرة، وأمنوا على أنفسهم وأموالهم، واختلطوا في الليل والنهار، ووجدوا راحة العدل، وظهر الصلاح وارتفع الفساد ببركته وحسن تدبيره.

ووقع الصلح بينه وبين السلطان علي بن حاتم في شهر ذي القعدة على يد الشريف الأجل يحيى بن عبد الله بن سليمان بشرط صيانة بني معمر[1]؛ لأنهم وصلوا إليه إلى الجوف وبايعوه، فأقام السلطان مدة يسيرة وخرج لهم مخرجاً عظيماً وانتقض الصلح وثار الحرب.

---

[1] معمر: المراد بها هنا: بلدة في حجور مديرية ظليمة، شمال عمران، أعلاها حصن نعمان.

فأمر عليه السلام أخاه عماد الدين يحيى بن حمزة إلى الرويس من بلد بني أعشب[١]، والأميرين الفاضلين محمد بن الناصر وصفي الدين محمد بن إبراهيم إلى خاملة[٢] - وهو حصن منيع جدّاً وفيه رتبة منيعة للسلطان، ولم يكن يخطر ببال أن أحداً يأخذه قهراً-، فلما أسفر الصباح نهض الأميران بمن معهما ووقع الحرب، وصرخ الصارخ بالغارة في ميتك والنفير، ونهض بهم الأمير إبراهيم بن يحيى، فلما توافت الجنود طلعوا عليهم الحصن على عيدان في مراش صعبة، فلما رأى عليه السلام استظهارهم على الحصن أمر إليهم بأن يؤمنوهم، وقد كان قتل منهم ثلاثة رجال والباقون على أمر القتال فكفوا عنهم، وكان يحب العفو عند المقدرة، وملك الحصن وبلد بني أعشب، وبلغ ذلك إلى السلطان عمرو بن علي بن حاتم فعاود بعسكره، وقد كان أشرف على ملك المغرب، وطلع الإمام عليه السلام إلى الرويس فأقام به عدة أشهر والحرب قائمة، وكان أصحابه لا يخربون حجراً، ولا يغيرون ثمراً، ولا يغيرون على أحد، فإن أخذوا شيئاً من بلد رده على أهله.

ثم نزل إلى ميتك واستمرت الحرب بينه وبين السلطان عمرو بن علي، وكانت الرتب والمواد بالأموال متواترة إلى الشاهل، والقتال مستمر، وكلّت العشائر وذات، ولم يبق قائم بالحرب إلا الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة، والأمير صفي الدين محمد بن إبراهيم، والأشراف الحمزيون، وجماعة من الديوان، فصبروا وتطاولت بهم المدة.

---

[١] الأعاشب: هم بنو عَشَب - بفتحتين - بطن من قبائل همدان، نسبة إلى أعشب بن قُدم بن قادم بن زيد، ومساكنهم في منطقة بني عشب من ناحية كحلان تاج الدين (كحلان عفار) شرقي مدينة حجة.

[٢] خاملة: حصن منيع جداً وهو المسمى بكحلان.

وكان أهل ميتك يصلون إليهم فيقاتلون اليوم واليومين ويروحون، حتى حضر الصراب واشتغل كل في نهجه، وفسد بنو أعشب من غير مشقة تلحقهم كراهة للحق وأهله، وخرج السلطان عمرو بن علي من كوكبان في عسكر كبير، ولقيه السلطان محمد بن الحسين صاحب مسور في عسكر آخر، وخالفت بنو أعشب على ولاة الإمام، وكان المتولي بها يومئذ الشريف أبو هاشم بن محمد، وكان المجتهد في ذلك أبو السعد بن سعيد من بني هب، وعبد الحميد بن علي من بني كنب، فراح منهم لما علم بفسادهم، ولقيه المادة من ميتك فلقيهم الخبر باختلال القوم، فلما استقر أمر السلطان على بني أعشب وقعت بينهم مصالحة وموادعة.

[طلوع سيف الإسلام إلى حجة وصنعاء]

وفي خلال ذلك سيف الإسلام قد بلغ إلى حجة وكتب إلى الإمام فلم يرد له جواباً يشفيه، ونصب نفسه لحربه.

فاجتمع إليه أصحابه وقالوا: كيف نعمل، هذا سلطان العرب حاط خلفك وهذا سلطان العجم أمامك، وكلاهما يريد هلاكنا؟.

قال: نُلَقِّي هؤلاء وجوهنا وهؤلاء ظهورنا، فالعرب أرفى بنا وأبقى لو قدروا علينا.

قالوا: وكيف ذلك؟.

قال: إن قتلتنا العرب لم تسلبنا، وإن سلبتنا لم تصلبنا، وإن صلبتنا لم تكشف حريمنا.

فكفى الله سلطان العجم وأتى كتابه بالملاطفة والمناصفة، وكفى الله المؤمنين القتال.

ووصل سيف الإسلام بعد ذلك في عسكر عظيم إلى صنعاء فأخذ الأهجر والفص[1] والظفر[2]، وفيها قوة عظيمة وأموال جليلة، وحط على كوكبان وأمر رجلاً يقال له: يحيى بن أحمد الشاوري إلى جهة ميتك وبني شاور وتلك الجهات، في عسكر فتسلم حصن سيد، وتسلم حصناً يقال له: شبعان في شق جبل ميتك، عامل فيه قوم يقال بنو الصوي، وضربت في الجرانيات، وأجابت العشائر رغبة ورهبة، فاضطرب أصحاب الإمام وخافوا، وأتوا إليه وحققوا له فساد العشائر، وشاوروه على الانتقال في الليل فلم يساعدهم.

فلما كان الصبح أحاط بالحصن عسكر كثير، ذكر أنهم قدر أربعة آلاف، وتودّى أكثر أهل الجبل وسلموا ثماني عشرة رهينة، واشتد الأمر، وألح أصحابه عليه السلام عليه في التأخر عن المكان حتى طال ذلك، فأقسم بالله تعالى: (لا تأخرت عن هذا المكان إلا غالباً أو مغلوباً).

[مقتل الأمير محمد بن حمزة صنو الإمام عليهما السلام]

ثم أمر أخاه محمد بن حمزة وأصحابه بالنزول إلى قرية صبرة يلزمون فيها ولا يتعدونها، وكان العدو حاطًّاً في قرية شوحطين، ثم أمر إليه رسلاً متواترة يلزم القرية ولا يتعداها، فأزعجه الناس إزعاجاً عظيماً فنزل في عسكره إلى جهة

---

[1] الفص: حصنان يقال لأحدهما الفص الكبير، وللآخر الفص الصغير، بالقرقب من ذمرمر، وهما خاربان في العصر الحاضر.

[2] حصن الظُفُر: من حصون صنعاء، يقع على بعد ٥ كم جنوب شرق كوكبان، وهوفي أقصى شمال بني مطر.

العدو، وقال لأصحابه: (لا نحاربهم حتى يبدأونا بالحرب)، وكان قوي الدين، شديد الورع، كاملاً فاضلاً، فما حاربهم حتى بدأوه بالحرب، وكان لا يملك نفسه عن الإقدام، فلما تلاحم القتال زحف في طائفة من الناس، فلم يزل يقاتل قدماً قدماً وهم ينكشفون عنه، وأصحابه يتأخرون عنه جماعة بعد جماعة، حتى صار إلى مكان عند البركة المعروفة بشوحطين، والعدو لازم بها، فأحاطوا به من كل جهة فقاتل أشد قتالاً، وهم يرمونه بالصخر والنبل، ولم يبق معه أحد من أصحابه سواه، فلم يزل يقاتل حتى صرعوه، وصار يضاربهم بسيفه حتى أثخنته الجراحات، فبرك على ركبتيه وهو يضارب، وأصاب رجلين بضربتين، ولم يزل كذلك حتى قتل رضي الله عنه مجاهداً في سبيل الله.

وجاء رجل من بني شاور بسيفه بعد ذلك وهو مثلم، فتمثل الإمام عليه السلام، بقول الشاعر:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب
يخبرن من أزمان يوم حليمة ... إلى اليوم قد جربن كل التجارب

[ترثية الإمام لأخيه الشهيد محمد بن حمزة]

ثم رثاه بقصيدة أولها:

رُوَيدَكُمَا لَا تَعْذِلَانِي فَإِنَّنِي ... نَهضْتُ لِمَا يُرضِي المهيمنَ طَالِبَا
وَفِي مَا يُرِيدُ الله مَا تَكرَهَانِهِ ... وَمن كَانَ منهُ غَادَرَ النَّاسَ جَانِبَا
نَصِبْتُ مِنَ الأَحدَاثِ وهي فَضِيلَةٌ ... عَلَيَّ بأن أصبحتُ فِي اللهِ نَاصِبَا
إلَى كم يَتِيهُ المرءُ في طلبِ البَقَا ... فيركبُ في جَنْبِ الحَيَاةِ مَصَاعِبَا
ومِيتَتُهُ تَحتَ السيوفِ حَياتُهُ ... إذا كان في دار الكرامةِ رَاغِبَا

بِنْفسـيَ مَـنْ بَـاعَ المهـيمنَ نَفسَـهُ ... فـأحرزَ مُلكـاً دائمَـاً ومَوَاهِبَـا
مضَـى قُـدُماً والمُرهفَـاتُ تَنُوشُـهُ ... لَعَـاً لـك مَضـرُوباً ولاَ كُنـتَ ضَـارِبَا
أغـرٌّ كَنَصـلِ المشـرَفِيِّ تَخَالُـهُ ... علَـى السَّـرْجِ نَجمَـاً فِـي الدُّجُنَّـةِ ثَاقِبَـا[1]
تَقَـدَّمَ نَحـوَ المـوتِ يَبسُـمُ للظُّبَـا ... لِيَنْصُـرَ مَظلُومَـاً ويُحـرِزَ وَاجِبَـا
تَخَلَّـفَ عنـه نَاصِـرُوهُ ولَـمْ يَكُـن ... لِيُعهَـدَ خَـوَّارَ العَزِيمَـةِ خَايِبَـا
تَخَلَّـفَ عنـه صَـحبُهُ ولَرُبَّمَـا ... عَـدِمتَ إلَـى حَـوضِ المنِيَّـةِ صَـاحِبَا
تَجَرَّعَـهُ ياحبـذَا لَـكَ مَشـرَباً ... وحُيِّيـتَ عنـدَ اللهِ ذَلـك شَـارِبَا
مُحَمَّـدُ غـادرتَ القلـوبَ جِرَاحَـةً ... وكُـلَّ مَسِـيلٍ للمـدَامِعِ سَـاكِبَا
سـيثأرُ فيـكَ اللهُ دون عِبَـادِهِ ... فقـد كُنـتَ للـرحْمَنِ نفسَـكَ وَاهِبَـا
وبِـيضٌ كِـرَامٌ مـن سُـلاَلَةِ هَاشِـمٍ ... إذا غَضِـبُوا كَـانَ المهـيمنُ غَاضِـبَا
سَـنُنْفِذُ فيـكَ الصُـفْرَ والبِـيضَ عُنـوَةً ... وجُـردَ المـذاكي والقَنَـا والقَوَاضِـبَا
فَنُـدْرِكُ مـن أَرضِ الضَّـلاَلَةِ ثَأرَنَـا ... ونَتْـرُكُ أَرضَ الظـالِمِينَ سَبَاسِـبَا
فليتَـكَ عَاينـتَ المَصَـانِعَ والقُـرَى ... تركنَـا ذُرَاهَـا للرِّيَـاحِ مَلاَعِبَـا

ورثاه بمراث منها قصيدة أولها:

أَلِخَطْـبٍ حَـادِثٍ فِـي شُـوحَطِينْ ... صَـدَعَ الـرِّزْءُ قلـوبَ المـؤمِنِينْ
يَـا نَهَـاراً كَـان شَـرّاً كُلُّـهُ ... أنـتَ عنـدي شـرُّ أَيَّـامِ السِّـنِينْ
غـابَ فيـك البـدرُ تِمَّـاً وامَّحَـى ... واعتَلَـى الأوطـانَ دُخَّـانٌ مُبِـينْ
غَـدَرَتْ شَـاوِرُ فِينَـا واعتَـدَتْ ... وأَتَـتْ فِعْـلاً يُشِـيبُ المُرضِـعِينْ
فعلَـتْ فِعـلاً قَبِيحَـاً شَـانَهَا ... عنـدَ أهـلِ الأرضِ طُـرَّاً أجمَعِـينْ
لَـمْ تَحُـطْ أحْمَـدَ فِـي أبنَائِـهِ ... وعليـاً مُسـتبيحَ المـارِقِينْ

---

[1] الدُّجُنَّة كحُزُقَّة: الظلمة.

وابنـــةَ المُرسَـــلِ فَطْمَـــاً أُمَّنَـــا مـــن غـــدتْ خيـــرَ نســـاءِ العـــالَمِينْ

لَـــم يُفِـــظْ حَتَـــى أتـــاه رُوحُـــهُ ببشـــارَاتٍ ورَيْحَـــانٍ ثَمِـــينْ

قالـــتِ الخيـــرُ لكـــم فِـــي دَارِكُـــمْ فادخلُوهَـــا بِســـلاَمٍ آمِنِـــينْ

فلما قتل رضي الله عنه انكسر العسكر جملة وحقت الهزيمة فيهم، ولم يقع من العدو تحقيق، لما كان قد دخلهم من الرعب.

وكان الأمير صفي الدين محمد بن إبراهيم في جماعة الشرف الأيسر فقاتلوا قتالاً شديداً حتى تخلص الناس على حمية، وعادوا إلى قرية صبرة.

[دعاء الإمام عليه السلام]

وعظم الخطب، وكثر الرعب، وأزعجه أصحابه، فقال عليه السلام: (الآن وقع الثبات، ولزم فرض الوقوف حتى يحكم الله لنا وهو خير الحاكمين)، وفزع إلى الله تعالى ودعا دعوة عجلت إجابتها على عسكر الظالمين حكاها لأصحابه، وهي قوله: (اللهم مث قلوبهم كما يماث الملح في الماء)، فلقد اجتمع ذلك العسكر ثم انفض كما شاء الله، وتعطل الحصن بغير حرب ولا قتال، ومضوا لا يلوي أحد على أحد، ولقد أخبر بعض من لحقهم في هزيمتهم وهم يرمون بشيء من سلاحهم من غير شيء، وكان ذلك آية.

وراح بنو شاور فحيزوا وعطلوا جبلهم، فجاء إليه أصحابه وقالوا: نطلع عليهم الجبل ونقتلهم، فقال: إن كان يمكنكم لزم الجبل، وكف أيدي الناس عن القرى وأخذ أموالهم، حتى نأخذ القوم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله.

فقال له محمد بن الناصر: ما هذا ممكن، فقال: لا حاجة لي في ذلك.

وتركهم ثلاثة أيام، وكتب إليهم كتاباً يدعوهم إلى الله، وإلى إبلاغ الحق في قتل أخيه، وتسليم الجناة إليه ليحكم فيهم بحكم الله، فعاد جوابهم أن أيديهم في القتل والحرب واحدة، فجهز إليهم الجنود، وحاربهم الحرب الشديد، وضيق عليهم المسالك، ولم يعرض لزرعهم جملة في بدئ الأمر، فتقوى نظره واجتهاده أن للمحتسب أن يفعل ما يفعله الإمام السابق إلا الحدود والقصاص والتولية والجمعة، فأمر بخراب زرعهم، وشدد عليهم الحرب، وهم في خلال ذلك يطلبون النجدة من الظلمة، وهم يمنونهم بالنصرة.

حتى خرج سيف الإسلام المخرج العظيم إلى الجوف وصعدة والمغارب واستولى عليها ثم صار إلى الظهيرة، والإمام عليه السلام يحض الناس على حربه ويوطن النفس على لقائه، ويقول لأصحابه: (غرضنا الجهاد في سبيل الله والشهادة، وقد كنا نتمنى لقاء الترك والروم والإفرنج في بلادهم غضباً لله، فهذه المقادير قد ساقتهم إلينا).

ولما قرب سيف الإسلام من البلاد فسد أهلها وذلوا وكاتبوه، فنهض بجنوده وسبق العيون التي كانت عليه حتى حط شرقي جبل ميتك فأصبحت خيامه منصوبة، وقد كان أصحاب الإمام عليه السلام يزعجونه ليتأخر عن مقاتلة العدو، ويعلمونه بفساد العشيرة، فلا يؤثر فيه قولهم حتى قالوا له: يا هذا قد ركنت على الجنة فما بقيت تخاف الموت، فيقول: أنا أخوفكم من النار.

واشتد الأمر وعظم الخطب فأمر صارخاً في العشيرة فما جاءه سوى رجلين في أهبة الحرب، وقد كان أتى قبلهما أو بعدهما أنفار على غير أهبة مودِّعين، فبينا هم كذلك إذ طلع من العسكر الحصن المعروف بشبعان قدر أربعمائة،

وطلع آل حفيظ قرن شاور، وصار الإمام في أوساط القوم وما معه إلا أصحابه، فأمرهم بأخذ ما كان لهم، وأمر لأهل المكان، وقال: اجعلوا لكم به وجهاً وسألهم الحل، فضجوا بالبكاء، وأكبوا على قدميه يقبلونهما، وأخذ قوساً كانت له ولحق بأصحابه فقال لهم: ما رأيكم في لزم جبل نشب والقتال منه، فجذبوه وأزعجوه، فلما صار بأسفل النقيل مستقبلاً لوادي شرس جمع أصحابه وذكرهم بالله، وقال: (قد فعلنا ما أمكننا وأنا أريد منكم الطاعة لله ولنا)، قالوا: ومتى عصيناك، فقال: (أردت ذلك تأكيداً).

وصدروا وقدامهم قبائل متمردة، فتقدم منهم جماعة فتلقاهم قوم من قُدَم، فجرى بينهم مهاوشة وأخذ شيئاً من سلاحهم، فلحق أولئك بأصحابهم، ولزموا فم الطريق في مكان ضيق لا يجوز فيه إلا رجل واحد لضيقه، فتبعهم عليه السلام يركض فرسه فمنع أصحابه من القتال، وتقدم إلى القوم وهم يرمونه بالحجارة، وهو لا يظهر الريبة منهم حتى نزل عن فرسه، ومد يده للسلام فسلموا عليه ولاطفهم وسألهم عن شأنهم، فقالوا: إن أصحابك قد قتلوا منا رجلاً، فقال: دونكم هذا الغلام -يعني أخاه الحسن بن حمزة- بصاحبكم، فأنكروا حاله وعلموا أنه أخوه، فقالوا: (نريد رجلاً من أصحابك)، فقال: لا سبيل إلى ذلك، فينا هم في الجدال إذ أتى رجل من أصحابه فقال: هذا صاحبكم سالم، وقال لهم: خلوا سبيلنا، وقدم أصحابه خيفة عليهم وكان هو آخرهم.

وتقدموا إلى موضع يقال له: بنو الطربي[١]، فتلقاهم الشرفاء أولاد يحيى بن الحسين بالإنصاف والإكرام وأقاموا عندهم ثلاثة أيام، وجاءته كتب من أهل مسور يستدعونه إلى بلادهم وجاء أهل شهارة[٢] يدعونه إلى جبلهم، فأمر معهم صنوه عماد الدين يحيى بن حمزة في ثلاثين رجلاً.

ثم نهض في الليل متوجهاً إلى الجوف -والبلاد كلها في يد سيف الإسلام-، فمر بقارن[٣] وقاعة[٤] وقطع البون[٥] نصفين، وكمن نهاره في كهف قريباً من أهل زيد، ونهض ليلته إلى قوم من الصعاتر بالتوّ أهل محبة ودين، منهم عامر بن سعيد وإخوته، وكان ولده محمد من المرابطين وله بين يدي الإمام عليه السلام مواقف محمودة، وعَزَم على السُّرى فأقسموا لا سرت من عندنا إلا نهاراً.

ثم صدر إلى براقش فتلقاه الشرفاء آل أحمد بن جعفر بما هم أهله، وكان كبيرهم والمقدم فيهم شريف بن علي فأنزله في داره، وكان قد عزم على التقدم

---

[١] بنو الطربي: مركز من مديرية كحلان عفار، يشمل على عدة من القرى، يسكنها قبائل من حاشد.

[٢] شهارة: مدينة مشهورة في بلاد الأهنوم شمال مدينة حجة، وهي عبارة عن مدينتين شهارة الأمير نسبة إلى الأمير ذي الشرفين محمد بن جعفر بن القاسم العياني عليهم السلام، وشهارة الفيش، وهما في أعلى جبلين بينهما هاوية عميقة يربط بينهما جسر حجري جعلهما مدينة واحدة، وتفصيل حالها يطول.

[٣] قارن: قرية غربي مدينة عمران، تتبع مديرية عيال يزيد، وهي عامرة في ظاهر مصانع حمير، مطلة على البون الأعلى من غربيه.

[٤] قاعة: بلدة وحصن في منطقة عيال حاتم من مديرية جبل عيال يزيد وأعمال عمران، وكانت من مناطق تجمع المطرفية، وأول من سكنها منهم عليان بن إبراهيم.

[٥] والبون: قاع فسيح يمتد من جنوب مدينة عمران إلى شوابة، ومساحته لا تقل عن ٦٠ كم تقريباً.

إلى الجوف الأعلى والحلول بغيل مراد، فكرهوا ذلك، وقاسمه شريف خمس ماله، وأعطاه الشرفاء موضعاً آخر مباحاً، وأقبل إليه أهل الجوف للسلام والتهنئة، وأعطاه جحاف بن حميدان طيناً جليلاً في موضع يسمى بنات دواس، فاشترى البقر وزرع، وأصلح بحلوله أمور أهل الجوف، وانقاد الكل لحكمه، فزال ظاهر المنكر، من شرب الخمر، والفواحش، ونكاح السفاح، بالبطلان والشبه، وظهر المعروف، وعلت كلمة الإسلام، وصلح الأكثر من حال الناس، وكان لا يقطع التذكرة لهم في المجامع والملاقي فينتفع الأكثر بذلك، وغطى أكثر شرورهم وأصلح بينهم، وظهرت البركة في زرائعهم ومواشيهم، ورغبوا في ذلك، وأنست قلوبهم.

[وقعة هران]

ومن ذلك: ما رواه القاضي عن الأمير المقدم ذكره، قال: ومما أروي من شجاعة مولانا عليه السلام ما هو معروف مشهور يوم هران[1]، وقد طلع من الجوف في خيل كثير حتى صاروا بوادي هران، فخرج عليهم قوم من البدو في ذلك الوادي يريدون الحرب، وكانت الخيل خمسة وثمانين فارساً أكثرها لوابس، وكان القتال من نصف الوادي إلى أعلاه مكان يقال له: الجفجف - وهو واد طويل-، وكان الحرب من جنبيه، ورأى ذلك اليوم من أيادي الله تعالى ما يجب شكره عليه ونشره، وذلك أنه كان حاسراً كما قال في بيت من قصيدته التي قالها في فتح صنعاء، وهو:

وفي يوم هران ألمْ أَحْمِ حَاسِراً ... ذوي الزرد الموضون قوماً متمما

والقوم من رماة العرب وأشدهم، وقد كان أصحابه انهزموا عنه فلزم على أعقابهم وهو يحمل عليهم ويطلع فرسه في عرض الجبل ويعمدوه بالرمي لما شغلهم عن أصحابه، وذكروا ذلك بعد الوقعة، فما أصابه شيء من ذلك ولا أصاب فرسه، ولقد كان الرمي يقع من القرب والبعد مع طول القتال فكانت هذه من نعم الله على أهل ولايته التي يبعد أن يقع مثلها لغيرهم.

وذكر عليه السلام أنه لما تلاحم القتال وأعجل عن لبس السلاح واعتمد أيضاً بركة ليعرفه القوم فيتجهموا مكانه فيحفظوه في أصحابه، فلما اشتد القتال وحقت الهزيمة قصدوه بالرمي فلم يتمكن في تلك الحال من لبس السلاح،

---

[1] هران: واد من بلاد بكيل في ناحية ذيبين، وهو من أجل أودية اليمن.

فدعا إلى الله تعالى في صرف معرتهم عنه، فاستجاب الله دعوته، وحكى أنه قال: (اللهم لا درع إلا سترك، ولا تحفاف إلا نصرك)، فستر الله عليه وحمى أصحابه، وسلموا بصبره وإبلائه، ونصر الله له، وراح ذلك العسكر كله لنشر حق ذلك المقام، ويقيسه بأيام لهم ومواقف لأهل البأس من كبارهم، وهو في نفسه لا يعده شيئاً، ولا عظم في نفسه إلا من تعظيمهم له.

وكان في تلك المدة وقبلها وبعدها إلى وقت بيعته للناس بالإمامة ما همُّه إلا إخماد ظاهر فساد الخلق، وإصلاح حالهم للقائم من آل محمد صلوات الله عليه وعليهم، ويسأل الله تعالى في أوقات خلواته ومظان الإجابة أن يلحقه قائم الحق، وأن يرزقه الجهاد في سبيل الله تعالى.

[ملحق القصائد التي قالها عليه السلام بميتك]

[قصيدته إلى الشيخ عمران بن زيد]

وله عليه السلام وهو في ميتك إلى الشيخ الأجل عمران بن زيد:

عَلَى تَاجِ المَكَارِمِ والمَعَالِي ... وأشرَفِ آلِ قَحطَانَ بنِ هُودِ

ومن يُروِي الرِّمَاحَ- إذا تَلاَقَتْ ... نَواصِي الخَيلِ - مِن عَلَقِ الكُبودِ[١]

تَحِيَّةُ من يَرُومُ بِصِيدِ جَنْبٍ ... وهَمدَانَ الذُّرى قَمعَ العَنِيدِ

نَهَضتُ فمَا بَسَطتُ يَدَاً بِشَرٍّ ... لِهَمدانٍ ذَوي الحَسَبِ التَّلِيدِ[٢]

وَكَيفَ وهم وُلاَةُ المجد قِدْمَاً ... وأنصارُ الأئمَّةِ من جُدُودِي[٣]

وَلكِنْ خَانَنِي فِي القومِ ظَنِّي ... وجَرَّأَهُمْ على رَفضِي قُعُودِي

هُمُ رَامُوا عِشَارِي يَومَ رَامُوا ... دَمَارَ دِيَارِ مَيتَكَ بالجُنُودِ

ونَالُوا مِن بَنِي عَمِّي مَنَالاً ... عَظِيمَاً لَا يُضَافُ إِلَى رَشِيدِ

فلم تَصبِرِ عَلَى المكرُوهِ نَفسِي ... فَقُمْتُ هُنَاكَ للهِ الْحَمِيدِ

فَإِنْ عَادُوا لِمَكْرُوهٍ فَإِنِّي ... صَلِيبُ العُودِ فِي الخَطبِ الشَّدِيدِ

---

[١] العلق محركة: الدم عامة، أو الشديد الحمرة أو الغليظ أو الجامد.

[٢] التليد: القديم.

[٣] في حاشية النسخة الأصلية من الديوان المخطوطة عام(٦٣٠هـ) التي دُرست على عمران بن الحسن الشتوي، قال فيها: عن عمران بن الحسن فِي قول الإمام عليه السلام (وأنصار الأئمة من جدودي) روى السيد الإمام أبو طالب الأخير عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((يا علي المهاجرون والأنصار أنصاري، وهمدان أنصارك وأنصار أولادك إلى يوم القيامة)).

فَمَهــــلاً قَــــدْكِ يَــــا هَمـــدانُ مَهـــلاً أُعيــــذُكِ بـــــالمُهَيمنِ أن تعُـــــودِي[١]
فَـــوُدُّكِ ثَابِـــتٌ فِـــي القَلـــبِ بَـــاقٍ عَلَـــى رَغـــمِ المُعَانِـــدِ والحَسُـــودِ
وهَـــذَا مَـــا شَـــكَونَا يَـــا ابـــنَ زَيـــدٍ وَدُمْـــتَ لَنَـــا مَـــدَى الـــدَّهرِ الْمَدِيـــدِ

[قصيدته في الشوق إلى الجوف]

وقال عليه السلام وهو في مَيْتَك متشوق إلى الجوف:

تَـــذَكَّرْ عَـــاذِلِي وَلَـــن تُلاَمَـــا لَذِيـــذَ نَسِـــيمِ أنفَـــاسِ الرِّيَـــاحِ
وركــضَ الأعوجِيَّــةِ فِــي كُمَــاةٍ تُلاَعِـــبُهُم بِـــأطرَافِ الرِّمَـــاحِ
أفَاضِــلَ مــن سُــرَاةِ بَنِــي دَعَــامٍ ومِــن نِهْــمِ الجَحَاجِحَــةِ الصَّــبَاحِ[٢]
هُــمُ حَفُّــوا بِســرجِي فِــي خَمِــيسٍ يَسُــكُّ السَّــمعَ مِــن رَهَــجِ الصِّــيَاحِ[٣]
وقــد نَصَــرُوا بِــلاَ كَــذْبٍ وَوَالَــوا وفَـــازُوا بـــالمرُوَّءَةِ والسَّـــمَاحِ
ألَا فَسَــقَى الإلــهُ الجَــوفَ غَــادٍ مِـــن الأنـــوَاءِ مُنهمِـــرَ النَّـــوَاحِي
وَلَــولَا صَــبرُ مَيتَــكَ فِــي أُمُــورِي سَـــبَقتُ إلَـــيهِمُ فَـــوحَ الرِّيَـــاحِ[٤]

---

[١] مهلاً: أي رفقاً وسكوناً ولا تعجل، قدك: أي يكفيك.

[٢] بني دعام: أهل درب ظالم بالجوف بطن من بكيل الهمدَانية. ونهم من قبائل بكيل يسنبون إلى نهم بن عمرو بن بكيل وتقع بلادهم في الشرق الشمالي لصنعاء. والجَحْجَح السيد الكريم، والهاء فيه لتأكيد الجمع. والصباح: يوم الغارة.

[٣] الخميس: الجيش، لانه خمس فرق: المقدمة، والقلب، والميمنة، والميسرة، والساقة. والرهج: الغبار، والصياح والصيحة: والصَّيحةُ: الغارةُ إذا فُوجِئَ الحيُّ بها.

[٤] مَيْتك ويقال فيها مَوْتك بفتح الميم وسكون الوأو أو الياء ثم تاء مثناة من فوق وكاف وهو مَا يسمى عفار في الشمال الشرقي من حجة. والفَوْحُ من الريح والفَوْخُ إذا كان لها صوت.

وَلَكِنِّي وَصلتُ إلى قَبِيلٍ | شَرِيفِ الفِعلِ من عَرَبٍ صَرَاحِ[١]
فَلَبُّوا دَعوَتِي وَمَضَوا لِأمرِي | ولَم يَتَنَهنَهُوا من لَحْيِ لاَحِي[٢]
وَلَكِن كَسَّرُوا الأسيَافَ قِدْمَاً | بِعَزْمٍ مِن قُلُوبِهِمُ الصِّحَاحِ
سَمَوْتُ بِهِم إلَى جَرَعٍ نَهَاراً | فَآبُوا بِالمَسَرَّةِ والنَّجَاحِ[٣]
وَأمسَى سَاكِنُوهُ لَنَا أُسَارَى | نُصَرِّفُهُم كَسَائِمَةِ الأضَاحِي
وَكَانُوا فِي قَرَارَةِ مُشمَخِرٍّ | رَفِيعِ الطَّودِ مُمتَنِعِ الصَّبَاحِ[٤]
وَخَامِلَةٌ أجابُوا رَجعَ صَوتِي | إلَيهَا بِالأسِنَّةِ والصِّفَاحِ[٥]
بِخَرسَاءَ يَدُبُّ المَوتُ فِيهَا | مُكَلَّلَةٍ بِفتيَانِ الصَّبَاحِ[٦]

---

[١] القبيل: الزوج والجماعة من الثلاثة فصاعداً من أقوام شتى، وقد يكونون من نجر واحد، وربمَا كانوا من بني أب واحد. والصَّراحُ والصِّراح والصُّراحُ: بالضم والفتح والكسر، وهو أفصح: المحْضُ الخالصُ من كل شيء.

[٢] النهنهة: الكف، تقول: نهنهت فلاناً، إذا زجرته فنهنه، أي كففته فكف، أصله من النهي. والملاحاة: المنازعة والمشاتمة والتعنيف.

[٣] جَرَع: حصن مشهور مَا بين تاج الدين وبلاد عفار.

[٤] ممتنع الصباح: أي الغارة، لارتفاعه يعجز غازيه عن الغارة عليه.

[٥] خاملة: حصن منيع جداً وهو المسمى بكحلان، وكان ذلك: إن الإمام عَلَيْهِ السَّلاَمُ أمر الأميرين الفاضلين محمد بن الناصر، وصفي الدين محمدِ بن إبراهيم إلى ذلك الحصن، وفيه رتبة للسلطان علي بن حاتم اليامي، وَلَمْ يكن يخطر ببال أن أحداً يأخذه قهراً، فلمَا استقر الصباح نهض الأميران بمن معهمَا ووقع الحرب، فطلعوا الحصن على عيدان صعبة، فأمنوا أهل الحصن، فاستولى الإمام وجنده على حصن خاملة (التحفة العنبرة –خ–) .

[٦] كتيبة خرساء لا يسمع لَهَا صوت لوقارهم فِي الحرب أو صممت من كثرة الدروع ليس لَهَا قعاقع. وفتيان الصباح: رجال الغارة.

عَلَيهِم كُلُّ سَابِغَةٍ دِلاَصٍ ... يَدُقُّ فُصُولَهَا جَللُ البِطَاحِ[١]

وحِقبَانٌ بِهِ الأوَانِ جَمعَاً ... يُصَدِّعُ مَتْنَهُ صُمُّ القِدَاحِ[٢]

وَبِيضٌ لَا يَهُمُّ الصَّخرُ فِيهَا ... تَلُوحُ كَأنَّهَا بِيضُ الأدَاحِي[٣]

وَلَم أَعجَل وقد أَمهَلتُ حَتَّى ... خَشَيتُ حلُولَ عَاقِبَةِ الجُنَاحِ

سَأشكُرُ مَيْتَكَاً شُكرَاً مُنِيرَاً ... يَلُوحُ كَأنَّهُ فَلَقُ الصَّبَاحِ

لِسَبقِهِمُ إلَيَّ النَّاسَ طُرَّاً ... وَوَصلِهِمُ إلَى الهَيجَا جَنَاحِي

وظَنِّي فِي الأعَاشِبِ خَيرَ ظَنٍّ ... لِأنَّهُمُ ذَوو الحَسَبِ الصُّرَاحِ[٤]

هُمُ رَدُّوا ابنَ حَاتِمَ حِينَ وَافَى ... إلَيهِم بِالكَتَائِبِ للنَّجَاحِ

وَجَاءَ بِمَنجَنِيقِ الغُزِّ جَهرَاً ... فَرَدُّوْهُ وَصوبُ سَنَاهُ ضَاحِي

وَطَاعتُنَا علَى الأيَّامِ فَرْضٌ ... بَنِي عَشَبٍ فحَيَّ عَلَى الفَلَاحِ

---

[١] درع سابغة تامة طويلة. تمت قاموس. ودرع دِلاص ككتاب ملساء لينة وقد دلصت دلاصة جمعها دِلاص أيضاً. فهي اسم جمع.

[٢] حِقبان بالكسر جمع حقيبة وهي الرفادة في موخر القتب، وكل مَا شد في مؤخر رحل أو قتب فقد احتُقب.

والأوان: لعلها جمع أون وهي أحد جانبي الخرج، ولعل المعنى – والله أعلم –: إن على ظهر الخيل رِفَادٌ في الخرج ممتلئ بالقداح التي هي السهام يكاد أن يصدع متنه (أي ظهر الخيل) .

[٣] البيض: السيوف. لا يهم: أي لا يؤثر فيها الصخر إذا ضرب بها. والأداحي: مبيض النعام في الرمل.

[٤] الأعاشب: هم بنو عَشَب – بفتحتين – بطن من قبائل همدان، نسبة إلى أعشب بن قُدم بن قادم بن زيد، ومساكنهم في منطقة بني عشب من ناحية كحلان تاج الدين (كحلان عفار) شرقي مدينة حجة.

[قصيدة إلى مؤمل بن جحاف]

وقال عليه السلام: [وكتب بِهَا إلى مؤمل بن جحَّاف مدة إقامته بميتك][١]:

أبَـا جَـابِرٍ يَـا مَـنْ فَوَاضِـلُ كَفِّـهِ ... عَلى النَّاسِ من قَاصٍ بَعِيدٍ ومن دَانِي

بَعُـدْنا فَلَـم يَسْـلُ الفُـؤَادُ لبُعْـدِكُم ... وَكَيـفَ سُـلُوِّي عـن صَـنَادِيدِ هَمـدَانِ

يُـذَكِّرُنَاكَ الغَيْـثُ عنـدَ نُزُولِـهِ ... أَفَـانِينَ مـن جُـودٍ خَفِيـفٍ وتَهْتَـانِ[٢]

فَيهنَـاكَ يَـا تَـاجَ المفَـاخِرِ والعُلَـى ... فَخَـارٌ سَـمَا فَـوقَ السِّمَاكِ وكَيْـوَانِ[٣]

وَدُمـتَ لِهَمـدَانَ بـنِ زَيـدِ بـنِ مالـكٍ ... مُقَـدَّمَ فُرسَـانٍ ومَنْـزِلَ ضِـيفَانِ

فَيَـا نَـاقِمَ الثَّـأرِ القَـدِيمِ تَعَطُّفَـاً ... وأَكـرَمَ مَـن يَعفُـو إذا أذنَـبَ الجَـانِي

أَطِـعْ عِصْـمَةَ الهُـلاَّكِ آلَ مُحَمَّـدٍ ... فَأنـتَ عَظِـيمُ القَـدرِ مُرتَفِـعُ الشَّـانِ

وإِيَّـاكَ لَا يَخـدَعكَ عـن آلِ أَحمَـدٍ ... نَميمَـةُ كَـذَّابٍ وَحِيلَـةُ سُـلْطَانِ[٤]

فَهُـمْ سُـفُنُ الحَـقِّ الَّتـي يُلْتَـوى بِهَـا ... إذَا جَـاشَ بَحـرٌ مـن ضَـلاَلٍ وطُغْيَـانِ

[قصيدة في الجواب عن يحيى الظليمي]

وله عليه السلام جواب [عن شعر وصله من يحيى بن قاسم الظليمي][٥]:

---

[١] ما بين القوسين زيادة من الديوان.

[٢] هَتَنَتِ السَّماءُ تَهْتِنُ هَتْناً وهُتُوناً وهَتناناً وتَهْتاناً، وتَهاتَنَتْ: انْصَبَّتْ، أو هو فَوْقَ الهَطْلِ، أو الضَّعيفُ الدائِمُ، أو مَطَرُ ساعةٍ ثم يَفْتُرُ، ثُمَّ يَعُودُ.

[٣] كَيوان: زحل.

[٤] في النسخة الأصلية: وحيلة شيطان.

[٥] يحيى بن قاسم الظليمي الميتكي، من كبار أهل ميتك ومشائخهم، ومن أهل المحبة والولاء والطاعة، ذكر هذا في السيرة المنصورية(١/١٨١) ، وأثنى عليه، وذكر له مواقف في نصر الإمام

أَلَـــمَّ كَأزهَـــارِ الرِّيَـــاضِ النَّـــواجِمِ بَكَـــتْ فَوقَهَـــا وَهْنَـــاً عُيُـــونُ الغَمَـــائِمِ

وَكَالمِســـكِ والكَـــافُورِ نَفـــحُ نَســـيمِهِ وَكَالـــدُّرِّ واليَـــاقُوتِ فِـــي سِـــلكِ نَـــاظِمِ

كِتَـــابُ امـــرِءٍ قَـــد كَـــانَ أولَـــى بِوُدِّنَـــا مِـــن النَّـــاسِ فِـــي أنْجَادِهَـــا والتَّهَـــائِمِ

وَلَكِنَّـــهُ أَعطَـــى الضَّـــلاَلَ زِمَامَـــهُ فَتَـــاهَ بِـــهِ فِـــي زَاخِـــرٍ مُـــتلاَطِمِ[1]

وَشَـــايعَ أعـــدَاءَ الكِتَـــابِ وَلَـــمْ يَكُـــنْ لِيحْسُـــنَ مِنـــهُ فِعـــلُ تِلـــكَ المَـــآثِمِ

وَنَابَـــذَ مَـــن قَـــد كَـــانَ أولَـــى بِنَصـــرِهِ ومَـــا أَحـــدٌ مـــن نَقـــصِ عَيـــبٍ بِسَـــالِمِ

وَكَـــانَ أبُـــوهُ قَبـــلَ ذَاكَ وَجَـــدُّهُ وُلاَةَ الهُـــدَى والقَـــامِعُوا كُـــلَّ ظَـــالِمِ

وَأحنَـــى عَلَـــى آلِ النَّبِـــي مُحَمَّـــدٍ وأدفَـــعَ عَـــنهُم للخُطُـــوبِ العَظَـــائِمِ

وَلَمَّـــا نَشَـــا يَحيَـــى تَعَـــاظَمَ ظَنُّنَـــا وَقُلنَـــا لَبِيـــبٌ عَـــالِمٌ أيَّ عَـــالِمِ

فَصِـــيحٌ شُـــجَاعٌ مَاجِـــدٌ ذُو حَفِيظَـــةٍ لَـــهُ شَـــرَفٌ فَـــوقَ النُّجُـــومِ العَـــواتِمِ

عَلِـــيمٌ بِأسْـــبَابِ الأمـــورِ مُجَـــرِّبٌ لَـــهُ عَزمَـــةٌ تُـــزْرِي بأهـــلِ العَـــزَائِمِ

فَلَمَّـــا وَصـــلَنَا مَيْتَكَـــاً خَيـــرَ مَعشَـــرٍ سُـــرَاةَ بَنِـــي قَحطَـــانَ أهـــلَ المَكَـــارِمِ

تَلَقَّـــوا بِإنصَـــافٍ وَبِـــرٍّ وحَكَّمُـــوا ضُـــبَاةَ المَوَاضِـــي فِـــي الطُّـــلاَ والجَمَـــاجِمِ

وجَـــادُوا بِـــأروَاحٍ وَمَـــالٍ وَسَـــلَّمُوا وَلَـــمْ يُثْـــنِهِمْ عَـــنْ نَصـــرِنَا لَـــومُ لاَئِـــمِ

وَقَـــالُوا أَقِـــمْ فِينَـــا عَلَـــى الأمـــنِ سَـــالِمَاً عَزِيـــزَاً وَمَـــن عَـــادَاكَ لَـــيسَ بِسَـــالِمِ

وَصَـــاحَبتُهُم دَهـــرَاً أُلَبِّـــي كَلِـــيمَهُم وأُشَـــرِكُهُم فِـــي السِّـــرِّ فِـــي كُـــلِّ نَـــاجِمِ

وفَـــارَقتُهُم والعـــذرُ للكُـــلِّ وَاضِـــحٌ فَـــأكرِمْ بِمَـــن فَارقتُـــهُ غَيـــرَ لاَئِـــمِ

في حرب حصن العادي، وفي معركة درب شاكر، وذكر في السيرة المنصورية أنه من الشهداء الذين استشهدوا في معركة درب شاكر سنة (٦٠٠) هـ، وهذه القصيدة من الإمام عليه السلام تحمل على أنها كانت في بداية أمر الإمام وأنه تاب بعدها وأناب وأصلح.

وما بين القوسين زيادة من الديوان

[1] تاه من التيه: وهو الضياع والضلال.

وَأنـتَ حَقِيـقٌ بِـالرُّجوُعِ إلَـى الهُـدَى | وأدرى بِوَجـهِ الحَـادِثِ المُتفَـاقِمِ
فَشَمِّرْ فَخَيرُ النَّصرِ فِي الغَيـبِ واعتَرِفْ | بِـأَنَّ مُعَادِينَـا عَـدُوُّ المُسَـالِمِ
وَكُـنْ للعـدَوِّ فَـوقَ مَـا فِـي نُفُوسِـنَا | لِتُصبـحَ سَـيفَاً فِـي يَـدَي آلِ هَاشِـمِ
وَكُـلُّ الـذي قَـدكَـانَ خَلـفَ ظُهُورِنَـا | إِذَا ظَهَـرَت لِلعَـينِ أَفعَـالُ نَـادِمِ
فَخَيـرُ الـذي أرجُـو بِيَحيَـى بـنِ قَاسِـمٍ | دِفَـاعَ العِـدَى عَـن دِيـنِ يَحيَـى وقَاسِـمِ
وَلاَغَـروَ إن أَصـبحتَ نَجمَـاً مُحَلِّقَـاً | مُنِيفَـاً عَلَـى بُـرْجِ السَّـهَى والنَّعَـائِمِ
أَلَـيسَ أَخُـوكَ مَـاتَ فِـي طَلَـبِ الهُـدَا | وَوَالِـدُهُ البَـانِي قُصُـورَ المَكَـارِمِ
وَسَـوفَ تُـوَافِي جُنـدُنَا آلَ شَـاوَرٍ | صَـبَاحَ ثَمُـودٍ فِـي جِنَايَـةِ آثِـمِ
لَـئِن لَـمْ يَتُوبُـوا مِـن تَمَـادِي ضَـلاَلِهِمْ | لَنقَـتَلِعَن بُنيَـانَهُمْ بِالـدَّعَائِمِ
بِعَـونِ الـذِي قُمنَـا لِإحيَـاءِ دِينِـهِ | لِشِـيدِ مَبَانِيـهِ وحِفْـظِ اللَّـوَازِمِ
وَلَا تَحسِـبُوا أَنَّـا نَسِـينَا مُحَمَّـدَاً | أَنَنْسَـى أَخَانَـا ذَاكَ فِعـلُ البَهَـائِمِ

[قصيدته عليه السلام بعد تخليه عن الأمر بعد الإحتساب]

وقال عليه السلام أيّام الوصول إلى بَرَاقش من ميتك وتخليه من الأمر بعد طلب السُّلطان محمد بن حسين ذلك منه، وكذلك أهل شهارة وكثير من الشرق والغرب، فَأبى إلا الهجرة حتى ينظر فِي الأمر، أو يأتي الله بالفتح من عنده [لثلاث خلون من ربيع الأول سنة سبع وثمانين وخمسمائة]:

هَـل تَعْـرِفُ الـدَّارَ بِـذَاتِ الأبـرَقِ | دونَ الهِضَـابِ فِـيَ الفَـلَا المُشَـقَّقِ[1]

---

[1] الأبرق: قرية في وادي خب بالجوف.

ويطلق الأبرق لغة على الغِلظ (المكان من الأرض) الذي فيه حجارة ورمل وطين مختلفة.

دَارٌ لِأَحْوَى كَالهِلالِ المُشْرِقِ | أَضحَت كَأَثْنَاءِ الرِّدَا المُسَحَّقِ[١]
فِيهَا ثَلاثٌ كَالرِّيَادِ لُصَّقِ | والأربعُ الهُوْجُ عليها تلتَقِي[٢]
تُخْلِقُ منها كُلَّمَا لَمْ يَخْلَقِ | فَصِرْتُ ذَا جُفْنٍ غَضِيضٍ مُتْأَقِ[٣]
أذكُرُ والذِّكرُ عَذَابُ الشَّيِّقِ | عَصْراً سَقَاهُ رَبُّنَا فَقد سُقِي
أيَّامَ نَلهُو فِي مُتُونِ السُّبَّقِ | بِالرَّكضِ فِي عَرضِ الفَلَا بِسَمْلَقِ[٤]
والكُحْلُ مبثُوثُ الغُبَارِ الأورَقِ | والمِيْلُ مظرُورُ العَرَارِ الأزرَقِ[٥]
وَتَحتَ سَرجِي سَابحٌ ذو مَعْرِقِ | فِيهِ الجِيَادُ الفَائِقَاتُ تَلتَقِيْ[٦]
تَفلِقُ بِالشَّدَّةِ قَلبَ الفَيلَقِ | ذُو غُرَّةٍ مِثلُ الصَّبَاحِ المُشرِقِ
وَجبْهَةٍ كَالمَسَكِ المُدَرَّقِ | مُعَرَّق الخَدِّ لِلحِيٍّ أَشدَقِ[٧]

---

[١] الأحوى: الذي يضرب إلى السواد لخضرته.

[٢] والرِّياد: جميع ريد الحرف الناتئ من الجبل. الهوج: جمع هوجاء: وهي الريح الشديدة.

[٣] غض طرفه يغض غِضاضاً. بالكسر. وغضاً وغَضاضاً بفتحهن فهو مغضوض وغضيض: كفه وخفضه وكسره. والمِتأَق كمنبر: الحاد، أو الممتلىء غضباً وغيضاً.

[٤] سملق كجعفر: القاع الصفصف.

[٥] الغبار الأورق: الرماد الدقيق، والمراد بهذا تشبيه حالهم أثناء السباق بمن دخل الغبار في أعينهم فصاروا كمن اكتحل.

والمظرور: هو الحجر المدور المحدد، والعرار كسحاب: الوادي أو المكان من الأرض الذي لا يصل إليه السيل، والأزرق: لون للحجارة، والمراد أن الميل الذي يتسابقون فيه إما واد فيه أحجار زرق محددة أو مكان من الأرض لا يصل السيل إليه.

[٦] في الديوان سابق ومعرق بدل سابح ذو معرق.

[٧] المسَك بالتحريك: قشرة على وجه الصبي أو المهر. والمدَرَّق: الصلب. أي أن جبهته صلبة قوية.

ومعرق كمعظم: قليل اللحم. والأشدق: واسع الشدق، والشدق بالفتح مالكسر: جانبا الفم من باطن الخدين.

وَمَنخِـــرٍ كَـــالكُمِّ رَحـــبٍ أَفْهَـــقِ ... عُـــوجُ اللِّبَـــانِ ذُو صِـــفَاقٍ مُلْصَـــقِ[١]

مُحـــدَودَبُ السَّـــاقِ حَدِيـــدُ المَرفِـــقِ ... ذُو وَثبَـــةٍ كَمَنْبَـــعٍ مِـــن ضَـــيِّقِ[٢]

وَحُرقَـــةٍ كَخَطفَـــةٍ فِـــي مَهْـــرَقِ ... وخِـــدْنُ كِشْـــحي صَـــارِمٌ ذُو رَونَـــقِ[٣]

كَـالبَرقِ فِـي عَـرضِ السِّـحَابِ الأبلَـقِ ... يُخبِـــرُ عَـــن هُـــودَ النَّبـــي مَـــا لَقِـــي

والـــدِّرْعُ ذَاتُ الـــذَّيلِ مِنْـــهُ لَا تَقِـــي ... كَأَنَّهَـــا فِيهَـــا إِهَـــابُ الخِرْنِـــقِ[٤]

قَـــد قَادَنَـــا الحَـــقُّ بِحَبـــلٍ أَبْـــرَقِ ... مِـن سَـاحَةِ المَغـرِبِ نَحـوَ المِشْـرِقِ[٥]

يَـــا رَبِّ فَانصُـــر دِينَنَـــا وحَقِّـــقِ ... بِطَـــاهِرٍ مِـــن هَاشِـــمٍ مُوَفَّـــقِ

يَحْمِلُنَـــا عَلَـــى الطِّعَـــانِ الأَخـــرَقِ ... يَسْـعَدُ مَـن فَـازَ وَيَشْـقَى مَـن شَـقِي

---

[١] الكم: مدخل اليد ومخرجها من الثوب. والرحب: الواسع. والأفهق: الواسع من كل شيء. والعوج: المنتصب من كل شيء. واللبان: الصدر أو وسطه، أو مَا بين الثديين، أو صدر ذي الحافر. والصفاق: ككتاب الجلد الأسفل تحت الجلد الذي يليه الشعر، أو مَا بين الجلد والمصران، أو جلد البطن كله.

[٢] الحدب محركة: خروج الظهر ودخول الصدر والبطن، فهو حَدِب كفرح، وأحدب واحدودب.

[٣] الحُرقة -بالضم-: الماضية من السيوف.

والخَطْفةِ: وهي ما اختطف الذئبُ من أَعضاء الشاة وهي حَيّةٌ من يد ورِجل، أو اختطفه الكلب من أَعضاء حَيَوانِ الصَّيدِ من لحم أَو غيره والصيد حَيّ، والمراد تشبيه السيف في مضائه وقطعه للأعضاء بما يختطفه السبع من الفريسة. والمهرق كمكرم: الصحراء الملساء.

الخدن بالكسر: الصاحب. والكشح: مَا بين الخاصرة إلى الضلع الخلفي، يريد عَلَيْهِ السَّلاَمُ أن سيفه مصاحب كشحه. والصارم: القاطع.

[٤] الخرنق: ولد الأرنب ذكراً كان أو أنثى، وقيل: هو الفتيُّ من الأرانب.

[٥] حبل أبرق: أي غليظ.

وقعة عجيب

[وقعة عجيب]

ومن ذلك: ذكر عجيب[1] وأسبابه ومقامه المشهور فيه عليه السلام.

[أسباب الوقعة]

أما أسبابه: فلما جعل السلطان سيف الإسلام لولده إسماعيل ولاية كوكبان وأعماله، وجه الأمير عيسى في ثلاثمائة فارس ورجل كثير إلى نهج ظاهر بني صريم من بلد همدان، فأظهر فيها الفساد من ارتكاب الفواحش، وشرب الخمور في المساجد مع الفواسد، ولم يتركوا شيئاً من المنكرات يقدرون عليه حتى فعلوه، وكان مستقره بمصنعة أثافت عند بني المكم، وكذلك فعلوا في مسجد حوث فإنهم جمعوا الفواسد والغلمان وشربوا به الخمر، وطلعوا إلى أثافت فأرادوا قتل بني المكم وأخذ أموالهم، بعد أن اقتسموهم وصار لكل واحد منهم قسم، فأمروا بالمشايخ، أحمد بن المكم، وولديه، والمطهر بن المكم، فلزموهم وحبسوهم، وجعلوا المطهر وابن أخيه في قيد واحد، فوقع الحرب بينهم وبين أهل البلد، وأمروا صارخاً في بلاد بكيل وبلاد وادعة، وأقبل الناس من كل جهة، ووقع الحرب باقي نهارهم وليلتهم.

---

(1) عجيب: بوزن رشيد، نقيل بين البون وظاهر حاشد.

وفي هامش النسخة الخطية ما لفظه: رأيت بخط الإمام عليه السلام: كانت وقعة عجيب يوم عاشر المحرم أول سنة تسع وثمانين، قال: على شك في ذلك، فنسأل الله برد اليقين، فيما يوجب رضوانه. كتبه أحمد بن محمد بن الحسن الرصاص، ونقله عن خطه صلوات الله عليه وعلى آبائه الأكرمين.

وخرج الغز يوم الثاني معدين مستعدين فوقع الحرب قدام البلد، فردوهم إلى المصنعة منهزمين فدخلوا عليهم، وفرضوا عليهم المكان وقتلوهم وأخذوا أموالهم، وقتلوا الديوان الذين معهم، وعقروا الخيل والدواب والبغال والجمال.

وقيل: كانت القتلة منهم ومن بهائمهم سبعمائة حتى إن البلد ما اقتربت من نتن القتلى زماناً طويلاً، وقتل ذلك اليوم أحمد بن المكم –وهو شيخهم ورئيسهم– بعد قتل الغز.

وذلك: أنه حط بيضة من رأسه ودخل على قوم –بقيوا في حَرٍّ– من الغز فضربه أحدهم ضربة فقتله، وقُتلوا بعد ذلك، وتقوت عزائم العرب من وادعة وبكيل.

وكانت محطة سيف الإسلام على حصن ثلا، وفيها الكثرة والقوة من الخيل والرجال، وكانوا قد حصروا ثلا وأضروا بأهله.

وقيل: كانت الخيل في المحطة قدر ثمانمائة فارس، والرجل لا يعلمهم إلا الله، وكان إسماعيل بن سيف الإسلام يومئذ في المحطة، فأجمعت القبائل من وادعة وداعي بكيل وغيرهم في جمع كثير، وفيهم من الخيل قدر عشرين فارساً، وكان ممن عني في هذا المخرج وجمع الناس السلطان حاتم بن معن القتيبي، والشيخ المطهر بن المكم، والشيخ عزوان بن أسعد السريحي الصاعي، فقصدوا المحطة بثلا في آخر النهار والعين تنظر العين، فأراد الغز حربهم فلم ينصرهم الله تعالى، وكثرت العساكر من العرب عليهم وانهزموا من المحطة لا يلوي أحد على أحد، وتركوا المحطة بما فيها وتركوا أكثر خيلهم وسلاحهم، فأخذوا جميع ما في المحطة من الخيل والدواب والسلاح والأموال والآلات والخيام، وانهزمت طائفة إلى صنعاء، وطائفة مع

إسماعيل إلى شبام، ثم راح إلى صنعاء، ونزل المشايخ أهل ثلا في لقاء العسكر فأثنوا عليهم بما فعلوه، ووصلوا مشايخهم والمقدمين بقدر أربعة آلاف دينار.

فلما بلغ العلم بانكسار المحطة إلى سيف الإسلام تحرك للمخرج إلى الظاهر، وأمر الجنود والخيل الكثيرة إلى (بوزبا) -وكان مقدم الجند، ومتولي الأمر بصنعاء وأعمالها، وكان شديد العزيمة، وعارفاً بأمور الحرب وتدبيرها، وقد كان سلطنه، وعظم في قلوب الناس أمره لما علم منه-.

[وصول وجوه القبائل إلى الإمام ليدفع عنهم]

وبلغ الخبر بذلك إلى وادعة وبكيل، وعلموا أنه لا طاقة لهم بالمقاومة، وأنه لا يدفع شر العجم عنهم إلا زعيم من أهل البيت عليهم السلام، وأنه لا يقوم بذلك إلا الإمام عليه السلام، فوصل إليه المطهر بن المكم، وصبرة بن محمد، **ومن بني صاع**: عزوان بن أسعد وساعد بن جبل، **ومن آل القبيب** عامر بن عبد الله، وحاتم بن معن، **ومن بكيل**: علي بن ذعفان، وأبو حماد بن جحاف، وشيوخ كثير من حاشد وبكيل، وسألوه التقدم معهم بالمدافعة عنهم، وألحوا عليه في السؤال، وقالوا: نجاهد بين يديك، وننفق الأموال والأنفس في سبيل الله.

فرغب فيما عند الله، وساعدهم لما يرجوه من دفع الشر عنهم، وطلع إلى الظاهر، واجتمعت إليه قبائل وادعة وبكيل وحاشد والصيد وغيرهم، فحلفوا له الأيمان المؤكدة على النصيحة، وبايعهم على طاعة الله سبحانه وطاعته، والجهاد في سبيل الله بين يديه، والانقياد لأمره، وأعانوا بالبر ابتداء منهم.

وعلمت العجم بذلك فاضطربت أمورهم، وخشوا أن يتقوى أمر الإمام ويلحقهم منه المضرة في البلاد، فنهض (بوزبا) بالعساكر الكثيرة من الخيل والرجل فحط بريدة، وكان غرضه سلامة السهول والمحادّة على الجبال، فطمع بذلك وبذل الوثيقة منه على ذلك، فلم يساعده الإمام عليه السلام طمعاً في إزالة الغز، وكسر شوكتهم، ووثق بعقود العرب وعهودهم.

[عدد جنود الإمام عليه السلام، وجنود الغز]

قال القاضي أيده الله: روى لي الشريف الأمير صفي الدين، ذو الكفايتين، محمد بن إبراهيم الحمزي، قال: كان عدة الخيل معنا قدر ثمانين فارساً بعضها معربة والرجل شيء كثير.

قال: وروى مطهر بن المكم قال: كانت الفياس يومئذ خمسة وعشرون ومائة، وسائر أهل السلاح لا يعلم عدتهم إلا الله تعالى.

قال الأمير المذكور: صح لنا أن خيل الغز كانت ثمانمائة فرس سوى البغال والبراذين، فأما الرجل فخلق كثير لا يحصى، قال: فحاربناهم يوماً في شق السهل فكسرناهم وهزمناهم، مع كثرة خيلهم ورجلهم، بفضل الله وسعادة الإمام عليه السلام.

[بداية المعركة وثبات الإمام عليه السلام في عدد من أصحابه]

ثم عزم عليه السلام على بياتهم في محطتهم بمن معه من العسكر، وأن ينزل من الجبل -وكان رأياً محكماً لو سلم ما وقع من خلل عسكره-، فإن كبارهم فسدوا

وطمعوا، وعمل فيهم الدينار والدرهم، فوصل إلى بوزبا جماعة منهم فخلع عليهم، ووعدهم بالتقديم في البلاد، وأعطاهم الأموال لهم ولمن بقي في محطة الإمام من مشايخهم، وصاروا يبينون لهم عورات المحطة، ويوضحون أخبارها، وصار من في محطته عليه السلام من المرجفين يذكرون للعسكر بأن كبارهم قد خالفوا على الإمام عليه السلام، فوقع ذلك الفساد في قلوب الناس والرعب.

فلما علم بما قد وقع من الخلل في العسكر جمعهم وشددهم، وأمرهم بالصبر والجهاد، فوعدوه بذلك، وقد صار في قلوبهم ما فيها، وبلغ العلم إلى الغز، فتقوت عزائمهم وتحركوا للحرب ووصول المحطة، فأمر الإمام الناس بالإمساك عن القتال وترك العجلة فلم يتقيد له الناس، وتقدموا في لقاء الغز وغلبوا على أمرهم، فلما التقى الجمعان وتصادمت الخيل انهزم من كان في نفسه الفساد، ومن قد وعد بالطمع من عسكره عليه السلام، وانهزم الباقون لانهزامهم، وتبعهم (بوزبا) وأصحابه، وقد تأهب الإمام في المحطة للحرب بمن بقي معه، فاجتمع إليه جماعة يشيرون بالانصراف فقال عليه السلام: (لا بد من لقاء القوم)، فاجتهدوا في تأخيره فلم يساعدهم، ونزل في جماعة قليلة يؤم القوم حتى لقيهم وجهاً لوجه، وقد تقلل الناس وما بقي معه من الخيل إلا ثمانية فرسان أو تسعة، فيهم الشريف الأجل شريف بن علي القاسمي، وعامر بن عبد الله، وحاتم بن معن القبيبان، وجحاف بن ربيع الأرحبي الدعامي، والأمير عماد الدين يحيى بن حمزة، وقدر خمسة عشر راجلاً: فيهم الأمير صفي الدين محمد بن إبراهيم، والشريف جعفر بن الحسين الحمزيان، وكان انحدارهم من المحطة والعسكر في نهاية الهزيمة، فلما رأوا راية الإمام عليه السلام قاصدة رايتهم لم يكن لهم همة إلا قصده فكان ذلك سبب قلة القتل وسلامة الناس، وقد كانت

طائفة يسيرة تقدمت للحرب فحاربتهم حرباً شديداً وسائر الناس منهزمون، فقتل بين يديه جماعة من أصحابه قدر أربعة عشر رجلاً، وهو لازم على الأعقاب، وما ثنى رأس فرسه عن العدو، حتى تخلص باقي أصحابه، وألمّ به العدو من يمين وشمال وخلف ما بينهم وبينه فارس ولا راجل، ولقد اجتهد أصحابه في إزعاجه خوفاً عليه، حتى دقه الأمير عماد الدين بعقب رمحه دقة وقع معه منها ألم شديد، وما أقدم أحد عليه لما ألقاه الله في قلوبهم من هيبته، وما شاهدوه من شدة بأسه، وعرضه سيفه ورمحه دون أصحابه، وما علم الله في سلامته من عز الإسلام وصلاح الخلق، فدافع عنه بلطفه ورد عنه كيد عدوه.

وروى الإمام قصة عجيب وأقسم بالله: (ما دخل قلبي خوف ولا فزع ولا رهبة من القتل، وإن الشهادة كانت أحب إلي لولا أني رجوت أن السلامة أصلح للإسلام والمسلمين، وأن تقع الرغبة في ذلك أو في من تقع الشهادة ما وليت من ذلك المقام حتى يقضي الله من الشهادة ما يقضي، ولكان أحب إلي وأسر لقلبي).

فهذه خصال الإمامة قد بلغ عليه السلام منها الغاية، وأدرك النهاية، فنذكر الآن دعوته في الجوف على وجه الاحتساب وبعد ذلك دعوته العامة.

[ملحق قصيدته عليه السلام في انكسار عسكره يوم عجيب]

وله عليه السلام بعد انكسار عسكره في عجيب:

حَمَلتِنِي آثَارُ آبَائِي الصِّيـ ... ـد وأفعالُهُم عَلَى الإقدَامِ

صَيَّرَت عندِي العَظِيمَ ذَمِيمَاً ... إذ تَيَقَّنْتُ مَا يكُونِ أمَامِي

خَيرُ أيّامِ المرءِ يَومٌ يُعادِي ... فِيهِ أعداءَ رَبِّه ويُرامِي

وَطعَانُ الكُمَاةِ أشهَى إلَينَا ... مِن سَمَاعٍ وَقَيْنَةٍ ومُدَامِ[1]

كَم فَتَىً لَامَنِي وقَد جَاشَتِ الحَرْ ... بُ إلينَا بِكَهلِهَا والغُلَامِ

ولدينا بحرٌ من الخيل سَاجٍ ... حرَّكَتْهُ الأعرَابُ فَانصَاعَ طَامِ[2]

بَاعَ صَاعٌ دِيْنَ الإلهِ فَأضْحَى ... ذَا خَسَارٍ عِندَ الأنَامِ وَذَامِ[3]

فوقفنَا لَهُم صُدُورَ المَذَاكِيْ ... والعَوَالِي مِنهُم وَرَاءَ السِّهَامِ[4]

وَتَوَلَّت جُنُودُنَا عن كَمَالٍ ... عن يَمِينٍ ويَسْرَةٍ وأمَامِ

وَفُؤادِي صَلبٌ وعَزمِي قَوِيٌّ ... ومَرامِي من فوقِ كُلّ مَرَامِ

وَتَوَلَّى صَحبِي دِفَاعِي عن القَو ... مِ وسُوقُ السِّهَامِ فِي الجَوِّ حَامِي

---

(١) المدام: اسم من أسماء الخمر.

(٢) سجا سجواً: سكن ودام، ومنه الطرف والبحر الساجي. وانصاع: انفتل. وطم الشيء: كثر حتى علا وغلب.

(٣) صاع أراد بهم بني صاع ومن معهم من المشائخ الذين غدروا وانهزموا كما هو موضح في الحاشية السابقة، وهم فخذ من فخوذ همدان، محلة في عزلة عيال منصور ناحية نهم قضاء صنعاء.

(٤) المذاكِي من الخَيْلِ: التي أتَى عليها بعدَ قُروحِها سَنَةٌ أو سَنَتَانِ، والعوالي: الرماح.

وَرِمَــاحُ الأقْــوَامِ نَحْــوِي كأشْــطَا نِ الرَّكَايَــا تَجُــولُ بــالأعلَامِ[١]

فَرَأيــتُ انحيَــازَ مِثلِــي عــن القَــو مِ حيَــوةً للــدِّين والإســلَامِ

ورَجَــائي فِــي هَاشِــمٍ وذوي الدِّيْـ ـنِ مــن الشِّــيعة الكُمَــاة الكِــرامِ

أن تُجَلِّــي سَــوادَ وَجهِــيْ بِيَــومٍ فِيــهِ هتــكُ الأعَــاجِمِ الأغْتَــامِ[٢]

إن مِثلِــي أهْــلٌ ولَا فَخَــر أن يَنـ ـصُرَهُ كُــلُّ صَــائِمٍ قــوَّامِ

سِــيْرَةٌ بَــرَّةٌ وديــنٌ حنِيْــفٌ وكتــابُ الإلَــهِ يَمشِــي أمَــامي

وَجِهَــادٌ لَا شَــكَّ فِيْــه لِــذي مَعْـ ـرِفةٍ فِــي شَــرَائعِ الإســلامِ

أهــلُ بِغــيٍ دِمــاؤُهُم هَــدَرٌ لِلسْـ ـسافكيها فِــي غَيــرِ وَقــتِ الإمَــامِ

لِتمَــادِي طُغيــانِهِم لــيسَ لِلدَّفْـ ـعِ ومَــا طُــرق حــربِهِم بِمَعَــامِي[٣]

فَانهَضُــوا للقَــاءِ نَحــوِي سِــرَاعَاً فَهــو طِــبٌّ لِكــلّ داءٍ عُقَــامِ

وَبَقِيــتُمْ مَــا لَاحَ للأُفْــقِ نَجــمٌ وعلَــيكُم تَحِيَّتِــي وسَــلَامِي

---

[١] الأشطان جمع شَطَن محركة: وهي الحبل الطويل، أو عام لكل حبل. والركايا جمع ركية: وهي البئر، والأعلام جمع علم: وهي الراية أو ما يعقد على الرمح. وفي البيت تقديم وتأخير تقديره: ورماح الأعداء نحوي تجول بالأعلام كأشطان الركايا.

[٢] الأغتم: من لا يفصح شيئاً.

[٣] المعامي: أغفال الأرض التي لا عمارة فيها. والمراد: ليست طرق حربهم بصعبة ولست عنها بغافل.

الدعوة الأولى

الإحتساب

ذكر دعوته الأولى عليه السلام وهو محتسب

كانت في الجوف في سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة لهجرة النبي صلى الله عليه وآله، دعا الناس عليه السلام إلى طاعة الله تعالى وإلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجهاد الظالمين، وإظهار كلمة الحق، ودفع الفساد.

فأجابه أهل الجوفين كافة، فبايعهم للرضا من أهل البيت عليهم السلام، وكان طامعاً في قيام الأمير الكبير شمس الدين، شيخ آل رسول الله -صلى الله عليه وآله- يحيى بن أحمد، بل الخلق كافة طامعون فيه، وكان عليه السلام حريصاً مجتهداً على أن يكون من أنصاره وأعوانه؛ رغبة في حياة الدين وكراهة لتولي الأمر بنفسه، فأمر الناس بالحق ونهاهم عن الفساد، ونشر العدل، وأمضى أحكام الله، ومنع ولاة الجور، وسلاطين البلاد من عوائد السوء، وقطع مواد الشر.

ونهض عقيب مكاتبات إلى الأميرين الكبيرين شمس الدين وبدر الدين يحيى ومحمد ابني أحمد متوجهاً إلى جهة الشام ونواحي الحقل في مقدار مائة فارس ورجل كثير، فلما وصل الحقل لقيه لأميران الكبيران في جمع كثير من خولان من بني جماعة والأبقور وبني حي وبني مالك وغيرهم، واجتمع أهل الحقل ومن يواليهم من القبائل، فتحدث معهم الإمام عليه السلام ووعظهم وذكرهم ، وأنس الناس به، وكان الناس ينتظرون قيام الأمير الكبير المقدم الذكر.

فجرت مراجعة عرض فيها على الإمام عليه السلام تسليم البيعة له فكره ذلك واستعظمه وقال: (إنما أردت حياة الدين، وكرهت إهمال هذه الأمة، وأنت العمدة والقدوة وكبير أهل البيت الشريف، فإن علمت عذراً يخلصك

عند الله سبحانه فأنا بذلك أولى؛ لأنك أكبر أهل البيت عليهم السلام وأولاهم بهذا الأمر)، وجرى كلام طويل هذا معناه وزبدته، ولم يكن قصده عليه السلام بالحركة في الجوف إلا لينظم أعواناً للدين، وكان في نفسه أنه إذا وصل بأولئك القوم أن الأمير الكبير يساعد إلى تقلد الأمر، وكانت بيعته لأهل الجوف وغيرهم على طاعة الرضا من آل محمد عليهم السلام، وهو لا يريد غير الأمير الكبير؛ لما ظهر من فضله واستحقاقه.

وروى لنا الإمام عليه السلام أن ذلك العسكر الذي طلع به قد كانت التوبة عمتهم فلا يكاد يوجد فيهم من لا يصلي.

ولما علم أهل الحقل بطلوع ذلك العسكر بادروا إلى صريب مقاضبهم، وضم أطرافهم خوفاً من معرة ذلك العسكر.

وحكى لنا من نثق به أن تلك الخيل عموماً قل ما وطئت فرس منها بطن جربة؛ تحرجاً وتورعاً، ولما ألقى الله سبحانه من هيبته، وحبب إليهم من طاعته، ولا علم أن أحداً منهم أخذ علفاً غصباً، ولا آذى أحداً بأذية.

ولقد حكى لنا شيخ من شيوخ أهل الحقل أنه قال: أنا على هذا السن وقد دخل الحقل في ذكري من العساكر من لا أحصي، فما رأيت عسكراً أعف من هذا العسكر، ولا انقاد لصاحب الأمر.

وحكى لنا الإمام عليه السلام أنه لما تعسر الأمر من قبل الأمير الكبير وامتنع من الانتصاب لهذا الأمر، قال عليه السلام: (قلت في نفسي: هذا الذي كنت أرجو ويرجو الناس من أهل هذا البيت الشريف وقد امتنع من القيام والظن به

جميل، وهو عالم أهل البيت عليهم السلام وعاملهم، وما أنا إلا أقيم في هذه الناحية لاكتساب العلم والتفرغ له).

قال عليه السلام: فلما عزمت على ذلك وظهر أتى سلاطين الجوف وشيوخهم إلي وقالوا لي: قد جمعتنا ولولا أنت ما اجتمعنا، وكل واحد منا عنده ثأر صاحبه في النفوس فما دونها، وقد عزمت على الوقوف، فإن كنت تريد هلاكنا فامض على عزمك هذا.

فقال: إني آمر معكم إخوتي وكبار الشرفاء.

فقالوا: ما يحمينا إلا هيبتك، وما بيننا وبين أن يقتل القوي الأضعف، والأكثر الأقل إلا أن تغيب عنا، فإن كنت قد عزمت على اطراح هذا الأمر فأوصلنا إلى بلادنا وبين عشائرنا.

فلم أر بداً من القدوم بهم إلى بلادهم، وعلمت صدق كلامهم، وتقدمت معهم منطوياً على الرجعة بعد إبلاغهم مأمنهم.

قال عليه السلام: فلما وصلنا الجوف أقمنا مدة يسيرة والأمور جارية على الاستمرار المعهود، وإن لم نتشدد فيه التشديد الأول.

وتقدم عليه السلام بعد العودة إلى الجوف إلى شوابة وتواترت إليه كتب الشرفاء والمسلمين والمشايخ بميتك يستغيثون به ويستدعونه، فكان منه من الإجابة ما تقدم ذكره، وعاد إلى الجوف فأقام به مدة ثم نهض إلى هجرة دار معين، وكانت البيعة العامة عقيب ذلك، وهذا موضع ذكرها.

[ملحق القصائد التي قالها الإمام عليه السلام أثناء الإحتساب أو قبله]

[قصيدته إلى بني هاشم يستثيرهم]

وقال عليه السلام: [سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة](١):

بَنِـي هَاشِـمٍ حُكـمُ الكِتَـابِ مُضَـيَّعٌ ... وأنـتُمْ وُلاَةُ المَجـدِ والحَسَـبِ العِـدِّ(٢)

وَفِـيكُمْ – وَإن عَـضَّ الزَّمَـانُ عَلَـيكُمُ ... وَشَـدَّ – هُـدَاةُ العَـالَمِينَ إلَـى الرُّشْـدِ

وَكَـم لَكُـمُ مِـن سَـطْوَةٍ عَلَوِيَّـةٍ ... عَلَـى كُـلِّ جَبَّـارٍ كَقَاصِـفَةِ الرَّعْـدِ

أَبُـوكُم أَبِـي الأَدنَـى وأمُّكُـمُ أُمِّـي ... وعَمُّكُـمُ عَمِّـي وجَـدُّكُمُ جَـدِّي

وقَـد رُمْـتُ أَمـرَاً فِيـهِ عِـزُّ جَمِـيعِكُمْ ... فَقُومُـوا إليـهِ بِالعزِيمَـةِ والجِـدِّ

أَجِيبُـوا نِـدَاءَ الحَـقِّ يَـا سُـفُنَ الهُـدَى ... بِسُـمْرِ القَنَـا والمشـرَفِيَّةِ والجُـرْدِ

فَقَـد سَـاعَدَتْنِي مِـنْ دَعَـامٍ عُصَـابَةٌ ... مَصَـالِيتُ يَـومَ الـرَّوعِ تَخْطُـرُ كالأُسْـدِ(٣)

يَقُـودُهُمُ حُـامِي الحَقِيقَـةِ مَاجِـدٌ ... أَغَـرٌّ كَمثـلِ البَـدرِ فِـي ليلـة السُّـعْدِ

مُؤَمِّـلٌ الرَّاقِـي إِلَـى رُتَـبِ العُلَـى ... بِهِمَّتِـهِ مُـذْ دَبَّ مِـن خِـرَقِ الْمَهْـدِ(٤)

ونِهْـمٌ حُمَـاةُ الجَـارِ عنـدَ نُزُولِـهِ ... وجَنـبُ ابـنُ سـعد والقبائِـلُ مِـن سَـعْدِ

وجَـاءَت إلينـا مِـن سَـبَآءٍ ومَـذحِجٍ ... فَـوَارِسُ تَعصِـي بِالسُّـيُوفِ وبِالْهِنْـدِ(٥)

---

(١) ما بين القوسين زيادة من الديوان.

(٢) الحسب العِدُّ: القديم، والذي له مادة لا تنقطع.

(٣) آل دعام: أهل درب ظالم بالجوف، وهم من بطون بكيل من همدان.

(٤) هو مؤمل بن جحاف الأرحبي.

(٥) تعصي بالسيوف: أي تضرب بها.

وَغُلْبُ بَكِيلٍ حيثُ قَرَّ قَرَارُهَا ... أَطَاعَت وأَصفَت مَا تُكِنُ ومَا تُبْدِي
وَحُزْتُ بِلاَدَاً لا يَهُونُ ضَعيفُهَا ... يُفَضِّلُها الغَوْرِيُّ والرائِدُ النَّجْدِي
يُطِيفُ بِهَا نَهرَانِ من جَنبَاتِهَا ... أَلَذُّ وأَشهَى فِي المَذَاقِ من الشُّهْدِ
فَلَم يَسْلُ قَلبِي مُنذُ فَارقتُ مَعشَرِي ... بَنِي هَاشِمٍ أهلَ الفَضَائِلِ والحَمْدِ
ذَوِي الحَسَبِ الوَضَّاحِ والشَّرفِ الذِي ... سَمَا وتَعَالَى عَن نَظِيرٍ وعن نِدِّ
هُمُ عُدَّتِي فِي النَّائِبَاتِ وجُنَّتِي ... وَهُمْ صَارِمِي بَل هُمْ سِنَانِي وهُمْ عَضْدِي
فَيَا ليتَ شِعرِي والحَوَادِثُ جَمَّةٌ ... أَعِندَهُمُ لِي مِثلُ مَا لَهُمُ عِنْدِي
ولَا نَومَ لِي حَتَّى تَطِيفَ قِبَابُهُمْ ... بِدَارِي ويُضحِي جُندُهُم وَاصِلاً جُنْدِي

[قصيدته إلى السيد يحيى بن علي يستحثه على القيام]

وكتب عليه السلام وهو في حجة إلى السيد يحي بن علي السليماني يحضه على القيام للجهاد في سبل والدعاء إلى دينه:

أَبَتْ عَينُهُ إلَا انسِكَاباً ومَا هَمَتْ ... لِنَأيِ الغَوَانِي وانْدِرَاسِ المَعَالِمِ
وَشَدَّ حُدُوجَ العَامِرِيَّةِ غُدوَةً ... عَلَى شَدْقَمِيَاتٍ طِوَالِ القَوَائِمِ[1]
يُرَقِّصُهُنَّ الأَلُّ دُون عُرَاعِرٍ ... وَيَمْرُرْنَ بالمَومَاةِ مَرَّ النَّعَائِمِ[2]
وَيَخرُجنَ من عَرضِ الفَلاَةِ سَوَاهِمَاً ... وَمَن حَمَلَت فِيهِنَّ غَيرُ سَوَاهِمِ[3]
وَلَا وَأَبِيهِ مَا أَهَابَ بِدَمعِهِ ... تَذَكُّرُ سِربٍ واتِّسَادُ مَعَاصِمِ

---

[1] الحدوج جمع الحِدج بالكسر: وهو المحمل أو مركب النساء يشد على البعير، والشدقميات من الإبل: نسبة إلى فحل اسمه شدقم.

[2] الألّ: عود في رأسه شعبتان، تضرب به الإبل كي تسرع، والترقيص: الإسراع والإهتزاز والإضطراب، والعراعر بالضم: السيد والشريف، والموماة: الفلاة. والنعائم: جمع نعامة.

[3] سواهم الأولى جمع ساهمة: وهي الناقة الضامرة.

وَرَجــعُ حَــدِيثٍ وارتِشَــافُ سُــلافَةٍ ... وَعَضَّــةُ خَــدٍّ كالوَذِيلَــةِ نَــاعِمِ[1]

وَكَيــفَ وَجَــدَّاهُ الحُســينُ وقَاسِــمٌ ... وهــل كَــانَ فِــي الآلِ الكِــرَامِ كَقَاسِــمِ[2]

يَقُــولُ لِــيَ القَرحَــانُ مِــن أَلَــمِ الجَــوَى ... أَكَــانَ عَلَيــكَ الــدَّمعُ ضَــربَةَ لازِمِ

فَقُلــتُ وَلَــمْ أَعــي الجَــوَابَ ورُبَّمَــا ... عَيِيــتُ لِبَــينٍ مِــن أَخٍ لَــكَ رَاحِــمِ

جَهِلــتَ وَسُــبْلُ الحَــقِّ غَيــرُ مَجَاهِــلٍ ... وَنِمْــتَ ومَــا لَيــلُ الشَّــجِيِّ بِنَــائِمِ

دَعَــا الــدَّمعَ مِنِّــي بَــيْنُ أَروَعَ مَاجِــدٍ ... كَــرِيمٍ عَلِــيمٍ مِــن ذُؤَابَــةِ هَاشِــمِ

يُــذَكِّرُنِي الهِنــدِيُّ صَــرمَةَ عَزمِــهِ ... وفِكرَتَــهُ فِــي الحَــادِثِ المُتَفَــاقِمِ[3]

أجَــامِعَ أصــنَافِ المَكَــارِمِ مُــذْ نَشَــا ... كَمَــا جَمَــعَ البَــاقُونَ سِــلكَ النَّــوَاظِمِ

إِذَا اســتَعجَمَتْ بَــينَ القُضَــاةِ قَضِــيَّةٌ ... تَنَــاوَلَ أقصَــاهَا بِفِكــرَةِ حَــازِمِ

بَقِيــتَ لِشَــيدِ المَكرُمَــاتِ مُكَرَّمَــاً ... ودُمْــتَ ومَــن عَــادَاكَ لَــيسَ بِــدَائِمِ

أَيحَيَــى أَرَى الإِســلامَ قُــصَّ جَنَاحُــهُ ... وَلَا يَــنهضُ البَــازِي بِغيــرِ قَــوَادِمِ

وَلَــيسَ لَهَــا إِلاكَ يَــا عَلَــمَ الهُــدَى ... وأنــتَ بِــأمرِ الــدِّينِ أَعلَــمُ عَــالِمِ

وأنــتُم مَوَالِيــهِ وأهــلُ حِفَاظِــهِ ... ومَنْعَتُــهُ مــن كُــلِّ أَطلَــسَ ظَــالِمِ[4]

وَقَــد نَجَمَــت فِــي الــدِّينِ يَــا ابــنَ محمــدٍ ... نَــوَاجِمُ هَدَّتــهُ وأَيَّ نَــوَاجِمِ

مُطَرِّفَــةٌ غَاضَــت مَقَــالَ نَبِيهَــا ... وَلَــم تَخــشَ فِــي العِصــيَانِ لَومَــةَ لائِــمِ[5]

---

[1] الوذيلة: القطعة من شحم السنام والألية.

[2] هما الحسين وأبوه القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، جدا الإمام المنصور بالله عليه السلام.

[3] المتفاقم: العظيم والذي لم يجر على استواء، يقال فقُم الأمر: إذا عظم.

[4] الأطلس: يطلق على السارق، وعلى الرجل الذي يرمى بقبيح، وعلى الذئب وغيرها.

[5] غاضت: أي نقصت.

فَكَـم فِـيهِمُ مِـن جَاهِـلٍ مُتَفَيهِـقٍ ... كَرِيـهِ الْمَحَيَّـا كالكُبَـاعِ جُرَاضِـمِ[١]
غَـدَاً يَـدَّعِي أنَّ النَّبِـيَّ شَـبِيهُهُ ... فَـأعظِم بِهَـذَا مِـن عَظِيمَـةِ زَاعِـمِ
فَـأَينَ بُنَيَّـاتُ الوَجِيـهِ وَلاَحِـقٍ ... وَسُـمْرُ العَـوَالِي مَـعْ مَوَاضِـي الصَّـوَارِمِ
وَكُـلُّ طَوِيـلِ البَـاعِ أَصـيدَ مَاجِـدٍ ... كَـرِيمِ المَحَيَّـا مِـن ذُؤَابَـةِ هَاشِـمِ
مُكصـدرِ الرُّدَينِـيِّ المُثَقَّـفِ مَتنُـهُ ... يُحَلِّـلُ بُـرداً مِـن بُـرُودِ الأرَاقِـمِ[٢]
مُضَـاعَفَةً جَـذلاَءَ ذَاتَ طَرَائِـقٍ ... سَـلُوقِيَّةً تَغشَـى ظُهُـورَ البَـرَاقِمِ[٣]
فَكَـم مَلِـكٍ ضَـاقَ الفَضَـاءُ بِجَيشِـهِ ... رَدَدتُـمْ بِـأنفٍ للضَّـلاَلَةِ رَاغِـمِ

[قصيدته إلى الأمير الكبير شمس الدين يطلب منه القيام بالدعوة]

وكتب عليه السلام إلى الأمير الكبير يحيى بن أحمد هذه الأبيات يشكو فيها ما حلّ بآل علي عليه السلام وبالعرب من سطوة الأعاجم، ويحركه على القيام:

ألاَ هَـل يَحمِلَـنَّ لِـيَ البَرِيـدُ ... عَلَـى خَطَـرِ المَسَـافَةِ مَـا أُرِيـدُ
مُغلغَلَـةً إِلَـى بَـانِي المَعَـالِي ... وَمَـن هُـو للعلـى رُكْـنٌ شَـدِيدُ[٤]
سُـلاَلَةِ أحمـدٍ مَـولَى البَرَايَـا ... وهَادِيهَـا وقَائِـدُهَا الرَّشِـيدُ
وأعظمُهَـا علـى الأعـداءِ رُكنَـاً ... وأصـبَرُهَا إذا اقْتَـرَعَ الحَدِيـدُ
كَتبـتُ إلَيـهِ عـن قَلـبٍ جَـرِيحٍ ... تُقَلِّبُـهُ الخُطُـوبُ كَمَـا تُرِيـدُ
أَعَـزُّ بَنِـي النَّبِـي أبَـاً ونَفسَـاً ... هِزبَـرٌ لا يَصِـدُّ ولا يَحِيـدُ

---

[١] تفيهق في كلامه: تنطع وتوسع كانه ملأ به فمه. والكباع: المرأة الذميمة. والجراضم: الأكول الواسع البطن الثقيل الوخم.

[٢] الرديني: الرمح، والمثقف: المسوى، والمتن من السهم: ما بين الريش إلى وسطه.

[٣] الدروع السلوقية، تنسب إلى قرية في اليمن تسمى سلوق كصبور.

[٤] رسالة مغلغلة: أي محمولة من بلد إلى بلد.

بــــأنَّ الــــدِّينَ مَلبَسُـــــهُ دَرِيــــسٌ ... وثــــوبَ الكُفـــرِ مَوْشِـــيٌّ جَدِيـــدُ
تغلغلـــت السَلاَسِـــلُ فِـــي هــوادِي ... بَنِـــي حَسَـــنٍ وأثقلَـــتِ القُيُـــودُ
وعُطِّلَـــتِ المَسَـــاجِدُ لِلبَغَايَـــا ... وبَالَـــت فِـــي جَوَانِبِهَـــا اليَهُـــودُ
كَفَـــى حُزْنـــاً لِـــذِي لُـــبٍّ بِهـــذَا ... تَجُـــولُ علـــى منابرنـــا العَبِيـــدُ
وأنـــت عَمُـــودُ هـــذا الـــدِّينِ فَـــانهَضْ ... وشَـــمِّرْ أَيُّهَـــا الهـــادي الرشِـــيدُ
فقـــد فَعَـــلَ الأعَـــاجِمُ فِـــي البَرَايَـــا ... فِعَـــالاً تَقشـــعِرُّ لَهَـــا الجُلُـــودُ
ومِثلُـــكَ لا يَنَـــامُ عـــن المَعَـــالِي ... وَلا يُثنِـــــي عَزائمَـــــهُ الوَعِيـــــدُ

[قصيدة أخرى إلى الأمير شمس الدين يطلب منه القيام]

وله عليه السلام إلى الأمير يحيى بن أحمد يستحثه ويستنهضه على القيام:

أَصْـــدَقُ مـــا قَـــالَ بِـــهِ القَائِـــلْ ... مَـــا أَحـــوَجَ السَّـــيفَ إِلَـــى الحَامِـــلْ
يَـــا ابـــنَ عَلِـــيٍّ بـــنِ أَبِـــي طَالِـــبٍ ... قُـــمْ فَانصُـــرِ الحَـــقَّ عَلَـــى البَاطِـــلْ
وَلَا تَشَـــكَّكْ فِـــي اتبَـــاعِ الهُـــدَى ... وَلَا تُشِـــح إن عَـــذَلَ العَـــاذِلْ[1]
وادعُ لعمـــــري إِنَّهَـــــا دَعــــوَةٌ ... كَامِلَـــــةٌ فِـــــي رَجُـــــلٍ كَامِـــــلْ
وأنـــتَ فِـــي صِـــيدِ بَنِـــي أحمَـــدٍ ... لَا سَـــــاقِطَ الـــــذِّكرِ ولَا خَامِـــــلْ
لَـــو عَمِـــلَ العَامِـــلُ فِـــي ظُلمَـــةٍ ... لَـــم يُخْـــفِ رَبِّـــي عَمَـــلَ العَامِـــلْ
والحِـــقُّ لا يُتْـــرَكُ - أعنـــي بِهَـــا ... نفســـي - مَكَـــانَ الجَمَـــلِ البَـــازِلْ
وَنَحـــنُ أعوانُـــكَ فيمَـــا جَـــرَى ... مِـــن كُـــلِّ خَطـــبٍ جَلَـــلٍ نَـــازِلْ
كَـــأَنَّنِي أنظُـــرُ بـــالله ذِي الطَّـــ ... ـــوْلِ وعَالِيهَـــا بِهِـــمْ سَـــافِلْ
وَهُـــمْ - وبِـــيضُ الهِنـــدِ عِصْـــيَانُنَا- ... شَـــــوَارِدٌ كَـــــالنَّعَمِ الحَافِـــــلْ

---

[1] التشييح: التحذير والنظر إلى الخصم مضايقة.

فإن أَعَدُّوا السيفَ لَمْ يَنْثَلِمْ والرُّمحُ لايشكُو من الحَامِلْ

فلا تُسَنِّمْنِي بَنُو أحمدٍ فَوقَ سَنَامِ المَجدِ والكَاهِلْ

يا أهلَ بيتِ الذِّكرِ حُفُّوا بِهِ فَالبيتُ مُحتَاجٌ إلَى الآهِلْ

وأخلِصُوا للهِ سُبحَانَهُ فِي خَارِجِ الأعمَالِ والدَّاخِلْ

كَأنَّنِي أنظُرُهَا شُزَّبَاً تَحكِي قَطَا كَاظِمَةِ النَّاهِلْ[١]

تَؤُمُّ بدراً من بَنِي أَحْمَدٍ فِي أُفُقِ المَجدِ بَدَا كَامِلْ

[قصيدة جواباً عن شعر علي بن حاتم]

وكان وصل إليه عليه السلام شعر من السلطان الأجل سعيد الدولة وابن حميدها علي بن حاتم إلى ميتك يحضه على القيام، أوله:

عليكم سلام الله يا آل هاشمٍ فمثلكم يرجى لكشف العظائمِ

فأجابه عليه السلام بشعر وجد منه هذه الأبيات:

ألَا مُبلغٌ عَنِّي السَّلامَ مُكَرَّرَاً أخَا الجُودِ والعَلَيَا عَلِيَّ بنَ حَاتِمِ

مُقدَّمَ قَحطَانَ بنِ هُودٍ وتَاجَهَا وأضربَهَا بالسَّيفِ وَسْطَ الجَمَاجِمِ

وَأرجَحَهَا حِلمَاً وأكثَرَهَا نَدَىً وأصبَرَهَا فِي الحَادِثِ المُتَفَاقِمِ[٢]

يُدَافِعُ عَنهَا كُلَّ رُكنٍ عَظِيمَةٍ بِعزمَةِ فَتَّاكٍ وفِكرَةِ حَازِمِ[٣]

أبَا الجَفَنَاتِ الدَّائِمَاتِ لَدَى القِرَى وبَحرَ النَّدَى وابنَ البُحُورِ الخَضَارِمِ

مَلِيكٌ لَهُ دَانَت نِزار ويَعرُبٌ فَلَا غَرْوَ إنْ غَارَتْ مُلُوكُ الأعَاجِمِ

---

(١) كاظمة: اسم موضع فيه ركايا كثيرة، وماؤه شروب، وقيل: بئر عرف الموضع بها.

(٢) المتفاقم: أي العظيم، يقال فقُم الأمر: إذا عظم.

(٣) الركن: الأمْرُ العظيمُ، وما يُقَوَّى به من مَلِكٍ وجُنْدٍ وغيرِه، والعِزُّ، والمَنَعَةُ.

أَبَا حَسَنٍ لَا كَانَ مَن لَمْ يَكُنْ لَهُ إلَيكُم نِزَاعُ الصَّادِيَاتِ الحوَائِمِ[1]

فَصَبراً فَقبْلَ اليومِ مَا تُقرَعُ العَصَا لِذِي أَرَبٍ مَاضِي العَزِيمَةِ فَاهِمِ

كَأَنِّي بِهذِي الحَادِثَاتِ وقَدْ غَدَت أَحادِيثُ أَسمَارٍ كَأحلاَمِ نَائِمِ

إِذَا ذُكِرَت غَارَاتُكُم قُلتُ لَيتَنِي أُشَارِكُكُم فِي الطَّعنِ لَا فِي الغنَائِمِ

فَصبْرَاً ذُرَى هَمدَانَ فَالصَّبْرُ عَادَةٌ لِأُوْلَاكُمُ فِي المَأزِقِ المُتَلاَحِمِ[2]

---

(١) النزاع: الشوق، والصاديات: جمع صادية، وهي العطاش. والحوائم: جمع حائم، وهو العطشان، فكل عطشان حائم، والمعنى: شوق العطاش إلى الماء.

(٢) المأزِق كمجلس: المضيق، والمتلاحم: أي الشديد الضيق.

الدعوة العظمى للإمامة

مع

ذكر البيعة

وكتاب الدعوة العامة

ذكر بيعته العامة ودعوته العادلة سلام الله عليه

تقدم من الجوف إلى الحقل في شهر ذي القعدة من سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة، وصار إلى هجرة دار معين فأقام بها أربعة أشهر تنقص أياماً، وكان في هذه المدة ما تقدم ذكره من اجتماع العلماء إليه واجتهادهم واختبارهم، والاعتراف له بالفضل والسبق، ووجوب الطاعة وتسليم الأمر إليه، واستحقاقه له.

وطلع بَرِيدٌ من الأميرين الكبيرين الداعيين إلى الله، شمس الدين وبدره، يحيى ومحمد ابني أحمد بن يحيى لما وصل إلى دار معين للقاء، وعزما على ذلك، واتفق طلوع الأمير بدر الدين محمد بن أحمد من الغور فعارضه مرض فكان ذلك سبب تأخرهما، فلما أَبَلَ من مرضه وصلت مطالعتهما بالوصول، وكان اللقاء إلى الصعيد من أرض بني مالك، فاجتمع به خلق كثير.

قال القاضي أيده الله: ذكر لي من أثق به أنه اجتمع من الشرفاء والفضلاء والعلماء والمسلمين خاصة أربعمائة، فوقعت المفاوضة والمراجعة وافترق الناس فأمسوا في البطنة وأورد كل من أولئك سؤاله وامتحانه من تلك الليلة، ثم استمروا ثمانية أيام يسألون الليل والنهار حتى ازداد الحق وضوحاً وبياناً.

وكان للأميرين من الاجتهاد في ذلك ما ليس لغيرهما، فعرفا ما لم يعرفه غيرهما، وأقرا بسبقه وفضله، وعلما وجوب طاعته.

[خطبة الأمير شمس الدين والبيعة للإمام عليه السلام]

فلما كان يوم الجمعة الثالث عشر من شهر ربيع الأول من شهور سنة أربع وتسعين وخمسمائة، وقد امتلأ الجامع الشريف بصعدة مسجد الهادي إلى الحق عليه السلام وغص بالعلماء والفضلاء والمسلمين، قام الأمير الكبير شمس الدين خطيبًا في الناس فقال:

يا جميع المسلمين، إنا قد أطلنا خبرة هذا الإمام وشهدنا بفضله، وإنه أحق الناس بهذا المقام وأولاهم به، وقد تعينت علينا وعليكم الفريضة، ولزمت الحجة، فهلموا فبايعوا الإمام واستبقوا إلى شرف هذا المقام، فقد ارتضيناه إماماً، لما كملت فيه الخصال، فماذا بعد الحق إلا الضلال، وها نحن مبايعون، ولأمره طائعون.

ثم تقدم ومد يده فبايعه الإمام عليه السلام على كتاب الله تعالى وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وعلى آله، والأمر بالمعروف، والنهي عن الفحشاء والمنكر، والعدل في الرعية، والقسم بالسوية، واقتفاء سيرة الأئمة من آبائهم الطاهرين.

ثم تقدم بعده صنوه بدر الدين الأمير الكبير داعي أمير المؤمنين محمد بن أحمد فبايع على ما جرت به بيعة أخيه، ثم تقدم بعدهما كبار الشرفاء وأفاضل العلماء والقضاة والفقهاء فبايعوا، ثم تقدم سائر المسلمين وأهل الدين فبايعوا على ما بايع عليه الأولون.

ثم ارتقى الإمام عليه السلام المنبر فخطب الناس وأبلغ في الوعظ حتى صاروا يبكون من وعظه، وصلى بهم الجمعة.

[حث الأمير شمس الدين للناس على بيعة الإمام عليه السلام]

فلما قضيت الصلاة، خرج إلى ضفة المسجد الشامية، والأميران والمسلمون، وأقبل من جَمَعَه السوق من أهل صعدة، وسائر قبائل العرب: من خولان، وسنحان، وهمدان، وأهل الحقل، وأهل نجران، وغيرهم.

فتقدم الأمير الكبير شمس الدين داعي أمير المؤمنين فوعظ الناس وأخذهم باللطف وبين لهم وضوح الحق، وقال:

أيها الناس، إنا قد اختبرنا هذا الإمام أبلغ الاختبار، وامتحناه أشد الامتحان، فوجدناه من الأئمة السابقين، ووضحت لنا المحجة، فوجبت علينا الحجة.

قال القاضي أيده الله: روى لي من أثق به أنه قال في كلامه:

أيها الناس، والله لقد جهدنا في حط هذا الأمر عن رقابنا ورقابكم بكل ممكن، فما وجدنا إلى ذلك سبيلاً، وقد علمتم أن ملوك اليمن عرضوا علينا أموالهم وخيولهم وحصونهم وطاعتهم، وحضونا على هذا المقام فلم نساعدهم إلى ذلك؛ لوجود العذر بيننا وبين ربنا، فلم نجد سبيلاً إلى التأخر، وإنما هو الإقدام أو النار.

قال الراوي: فتلجلجت ألسن الناس بالجواب، فالتفت إليهم الأمير الكبير أيده الله بضجرة محرور، ونفثة مصدور، ولزم على قائم سيفه -وهو يشير به إليهم- ويقول:

ما لكم تتثاقلون عن البيعة كأنكم لقولنا لا تعقلون، والله لئن لم تبايعوا طوعاً لأحكمن فيكم سيفي هذا ثم لتبايعن كرهاً.

فأقبل الناس يتزاحمون على البيعة عقيب هذا القول أفواجاً، ويتبادرون فرادى وأزواجاً، حتى مضى أكثر النهار.

وصورة بيعته وألفاظها:

هو أن يبسط يده ثم يقول للرجل: (أبايعك على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله، وعلى الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وموالاة ولينا، ومعاداة عدونا، والجهاد في سبيل الله بين أيدينا)، فإذا قال الرجل: نعم.

قال: (عليك بذلك عهد الله وميثاقه وأشد ما أخذ الله على نبي من عقد أو عهد)، فيقول الرجل: نعم.

فيقول الإمام عليه السلام: (الله على ما نقول وكيل.

فإذا أراد التأكيد قال بعد أيدينا: (وعلى أن نقيم ألسنتنا بالحق، ولا تأخذنا في الله لومة لائم)، وربما زاد لبعض الأغراض: (وعلى الصبر في البأساء والضراء وحين البأس).

[كتاب الدعوة العامة]

وهذه دعوته عليه السلام:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، وصلواته على رسوله محمد وآله.

من عبد الله، المنصور بالله، أمير المؤمنين، عبد الله بن حمزة بن سليمان بن رسول الله صلى الله عليه وآله، إلى كافة من بلغ إليه كتابنا هذا من الشرفاء والمسلمين، وأطل عليه من جميع العالمين، في أقاضي الأرض وأدانيها، سلام عليكم.

فإني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم، الذي دل على وجود ذاته بما أظهر من آياته، وعلى عدله وحكمته بما بين من دلالاته، بعث إلى كل أمة رسولاً ليكون عليهم بأفعالهم شهيداً، ولهم إلى الخيرات دليلاً، وخلف النبوة بالإمامة لتنفيذ أحكام النبوة في البلاد إلى يوم انقطاع التكليف على العباد، فقال لا شريك له: {**إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**}[الرعد/٧]، وصلى على المبعوث بجوامع الكلم، وبدائع الحكم، المفضل على جميع البشر من العرب والعجم، وعلى آله مصابيح الظلم، ومفاتيح البهم.

وبعد ذلك: فإني لما رأيت الأحكام قد بدلت، والشرائع قد أهملت، والحدود قد عطلت، ولم أر من الدين إلا رسماً عافياً، أو طللاً بالياً، ورأيت الآمرين بالمعروف قد قلوا، والناهين عن المنكر قد قُهروا فذلُّوا؛ فصار الحق لا يعمل به، والباطل لا ينهى عنه، وقلّ الراغب في لقاء ربه، والفار إليه من عظيم ذنبه، بقلب خاشع، وعنق خاضع، ونفس معتبة، وعزمة منصبة، وفكرة ثاقبة، وروية صائبة، ورأيت

فرض القيام قد تعين عليّ بواضح البرهان، ولزمني بأبين البيان؛ إذ نحن أمناء الله على عباده، وخلفاؤه في بلاده، وقد أمرَنا أن نجاهد فيه حق جهاده، فقال لا شريك له: {**وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ**}[الحج/٧٨]، وقرننا بكتابه المبين، على لسان رسوله الصادق الأمين، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين، وذلك ثابت فيما روينا عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: ((أيها الناس، اعلموا أن العلم الذي أنزله الله على الأنبياء من قبلكم في عترة نبيكم، فأين يتاه بكم عن أمر تنوسخ من أصلاب أصحاب السفينة، هؤلاء مثلها فيكم، وهم كالكهف لأصحاب الكهف، وهم باب السلم فادخلوا في السلم كافة، وهم باب حطة من دخله غفر له، خذوا عني عن خاتم النبيئين حجة من ذي حجة قالها في حجة الوداع: ((إني تارك فيكم ما إنتمسكتم به لن تظلوا من بعدي أبدًا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض)).

وأوجب محبتنا في الذكر الحكيم، فقال تقدس وتعالى ربّاً: {**قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**}[الشورى/٢٣]، وروينا أنه صلى الله عليه سئل فقيل له: من قرابتك الذين أمر الله بمودتهم؟ فقال: ((فاطمة وابناها)).

فلما كان ذلك كذلك عرضت نفسي على أهل البصائر والأديان، ونصبتها في معرض الامتحان، متصدياً للإصدار والإيراد، من الأوداد والأضداد، بلين وإنصاف، وبشر وإتحاف، في كل ما تحتاج إليه الأمة من أسباب دينها، وعلم نبيها، وما يرد على قواعد الدين من أصناف المخالفين، هذا مع الإحاطة بمعاني كتاب الله عز

وجل وحقائق الخطاب، وما يتبع ذلك من الأوامر والنواهي، والخصوص والعموم، والمجمل والمبين، والناسخ والمنسوخ، والقصص والأخبار، والعبر والأمثال، بين الدفتين من لدن فاتحته إلى خاتمته، وما يطابق ذلك من سنة نبيه صلى الله عليه وآله وأحكام أفعاله وتقريراته، ودلالة الإجماع على أنواعها، وتقرير أوضاعها، وكيفية حمل الفروع على الأصول، وما ينبني على ذلك من معاني الشرع وأدلة العقول، فلم يبق للعلماء جو إلا طرت في أرجائه، ولا بحر إلا سبحت في أثنائه.

هذا مع النشأة المعروفة بالطهارة من لدن حال الطفولة إلى يوم الناس هذا، والمنصب الذي دونه فلق الصباح، وقوة القلب التي تفل حد الصفاح، عرف ذلك الخاص والعام في مقامات ارتعشت فيها الأقدام، وقل رجع الكلام، مع الإعراض عن الدنيا الدنية، والتحفظ عن المكاسب الردية، واستشعار خوف باري البرية.

هذا مع الاعتراف لله بالمنة في الهداية، في حال البداية والنهاية، **{هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ}**[النمل/٤٠]، فلما تقررت قواعد الإمامة ولزمني فرضها، دعوت الناس عموماً إلى كلمة جامعة غير مفرقة، صادقة مصدقة ترجع بها الحقوق إلى أربابها، وتقام الحدود على أصحابها، وتؤخذ الأموال من حلها وترد إلى أهلها، فتشبع بطون غرثى طاوية، وتصبح رسول الظلم خاوية، فلا يبقى من أهلها باقية، فمن أجاب دعوتنا هذه القويمة، وكلمتنا هذه المستقيمة، رجونا أن نلقى جدنا صلوات الله عليه وآله ويكون له شفيعاً؛ لكونه لنا مطيعاً، فقد روينا عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: ((دخرت شفاعتي لثلاثة من أمتي: لرجل أحب أهل بيتي بقلبه ولسانه، ورجل قضى لهم حوائجهم لما احتاجوا

إليه، ورجل ضارب بين أيديهم بسيفه))، ومن تخلف عن جماعتنا، وقلل سوادنا، وكثر أضدادنا، جاثيناه للخصام بين يدي جدنا عليه وعلى آله أفضل السلام، في موقف شهوده الملائكة الكرام، وحاكمه العزيز العلام، وكيف يجترئ على ذلك ذو بصيرة، ونفس خطيرة، ورسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ((من سمع واعيتنا أهل البيت فلم يجبها كبه الله على منخريه في نار جهنم)).

فالله الله عباد الله في أنفسكم فأنا حجة الله عليكم، فهلموا {**إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ**}، وعليكم بتقديم النية الصادقة قبل القدوم، واستشعار عظمة الحي القيوم، {**يَاقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ** (٣١) **وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ** (٣٢)}[الأحقاف]، فابذلوا نفوسكم لله تعالى إذ هي منه وله، فاسلكوا سبله، وتصوروا هجوم الآجال، واقتحام بحور الضلال، فنحن سفينة النجاة للناجين المستبصرين، كما حكي عن جدنا خير المنذرين، صلى الله عليه وعلى آبائه الطاهرين: ((مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق وهوى))، فلا تسللوا عنا لواذاً، ولا تصدوا عنا أزواجاً وأفراداً، فإنكم بعين من يعلم السرائر، ويطلع على الضمائر، ولا يغيب عنه ولا يفوته هارب إلا من هرب منه إليه، فاشتروا منه الجنة الباقية، بالدنيا الفانية، فإن ذلك بيع ربيح، ومتجر مفيد، قال الله تعالى: {**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ** (١٠) **تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ**

اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ}[الصف]، وفائدة هذه التجارة وربحها الجنة، ألم تسمعوا الله تعالى يقول: {**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ**}[التوبة/١١١]، وعليكم بالاستعانة، بمن وعدكم الإعانة، فهو سبحانه خير معين لكل مستعين، ألم تسمعوا إلى قول موسى لقومه كما حكى الله سبحانه في كتابه المبين : {**قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (١٢٨) قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (١٢٩)**}[الأعراف]، ولا تصموا عن داعي الحق، ولا تفشلوا من كثرة حزب الشيطان، فإن الله المتولي لنصر دينه، وله المنة عليكم إذ عرضكم لذلك مع قدرته على الانتصار، وقطع دابر الأشرار، ألم تسمعوا إلى قوله تعالى: {**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤) وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢٥) وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٢٦) يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ**

وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٧) وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (٢٨)} [الأنفال]، ونحن نرجو إن صدقتم الله تعالى أن يجعل لكم عاقبة الدار، فلا تستكثروا أموال الفجار، فإنها زادهم إلى جهنم، وجند الله هم الغالبون، وحزبه المفلحون، قال الله عز وجل في إخوانهم: {**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ**} [الأنفال/٣٦]، وعليكم بالاستعداد لآلة الجهاد، فإن الربح عظيم، والمتاجر كريم، وعلى قدر قوة رأس المال يكون الربح، وقد أمركم الله بذلك في قوله سبحانه: {**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ**} [الأنفال/٦٠]، ولا تخلفوا عن عترة نبيكم فإنهم أدلتكم إلى الخير، وقادتكم إلى الجنة، وبهم تنالون الفوز في القيامة، فإن البيعة لرسول الله صلى الله عليه وآله عقدت على حفظهم، وعلى الجهاد بين أيديهم، روينا ذلك عن أبينا علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: (أخذت البيعة لرسول الله صلى الله عليه وآله على أن نقيم ألسنتنا بالحق، ولا تأخذنا في الله لومة لائم، فلما تقوى الإسلام قال: ((يا علي، ألحق فيها: وعلى أن تمنعوا رسول الله وذريته من بعده مما تمنعون منه أنفسكم وذراريكم))، قال علي عليه السلام: فوضعتها من الله تعالى على رقاب القوم وفى بها الله من وفى وهلك بها من هلك).

فلا ترغبوا بأنفسكم عن أنفسهم فالله عز من قائل يقول: {**مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ**

نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (١٢٠) وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢١)} [التوبة]، فانظروا -رحمكم الله- لأنفسكم نظراً مخلصاً، وسيروا إلى نجاتكم سيراً حثيثاً، ولا تربصوا بأهل بيت نبيكم، وكونوا لهم فئة يأوون إليها، وقاعدة يعتمدون عليها، فإنهم لا يصدونكم عن هدى، ولا يدلونكم على ردى، وكونوا عباد الله الذين اعترفوا بعبوديته، وأطاعوا عترة نبيه وصفوته، ونابذوا أعداءه ولم ينظروا إلى هذه الدنيا الفانية بعين الرغبة فيها، رحم الله عبدًا أخذ بعنان فرسه، وجاهد في سبيل ربه، وعمل لمعاده، ولم يخلد إلى الدنيا الغرارة الفانية، فإنا ما دعوناكم إلى ذلك حتى استحققنا رتبة الزعامة، ودرجة الإمامة، وشهد بذلك أكابر العترة الفضلاء، عليهم سلام الملك الأعلى، ومهما جهلتم من الأمور فلن تجهلوا أمر ركني هذا الدين، وعمودي هذه الملة، وسيفي العترة الطاهرة، الصابرين المحتسبين، السابقين المقربين، اللذين شهد بفضلهما المخالف اضطراراً، والموالف اختياراً:

وكيف يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

ثم هاهما قد أديا بيعتهما طائعين، وإلى الله تعالى بذلك متقربين، يريدان بذلك تجديد رسوم السنة، ولابسين من طاعة الله بهذه البيعة أستر لباس وأوقى جُنة، وإحياء محكم الكتاب والتزاماً بأمر رب الأرباب، قال الله تعالى فيما توجه لنا من الحق على ذوي الألباب: {**أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ**} [النساء/٥٩]، فكيف يجوز لمسلم أن يختار لنفسه غير اختيارهما، أو يتوهم أن نظره

للأمة أفضل من نظرهما، وهما ممن يستغنى بالإشارة في أمرهما، لعلو قدرهما، لكنا نذكرهما تبركًا بتسميتهما وذكرهما، وهما يحيى ومحمد ابنا أحمد بن يحيى بن يحيى بن الناصر بن الهادي إلى الحق عليه السلام، وتبعهما على ذلك أفاضل العترة الطاهرة، وأخيار العلماء، عليهم رضوان رب السماء، فهل يسع بعد ذلك مسلماً يؤمن بالمعاد، أن يسوغ بالأماني عناً تخلفاً، فيأكل كفيه تأسفاً، ويقطع أنفاسه تلهفاً، حين لا تفيد الندامة، ولا يجد طريقاً إلى سبيل السلامة، قال الله تعالى: {**انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**}[التوبة/٤١]، ولا تقولوا كما قال قوم موسى لموسى: {**اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ**}[المائدة/٢٤].

واعلموا أن حق الله يترتب عليكم على قدر منازلكم – والجميع غير معذور–:

أما من انتسب إلى نجار النبوة، وحاز شرف القرابة والبنوة، فقد انتسب إلى من شرع شرائع الإسلام، وسن سنن الإيمان، وطمس رسوم الجور، وأعلن كلمة الحق، وأخمد نار الباطل، ومن حق الخلف اتباع السلف، قال الله تعالى في محكم القرآن: {**وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ**}[الطور/٢١]، فهؤلاء أولى الناس باتباعه عليه وعلى آله أفضل السلام واقتفاء آثاره وإحياء رسوم دينه.

وأما أهل العلم: فالعلم وراثة النبوة، والإمامة خلافتها، فمن لم يحفظ خلافة النبوة فقد تزحزح عن الوراثة قصيّاً، ولم يكن لله تعالى ولا لأوليائه وليّاً.

وأما سائر المسلمين: فهم جند الله المجند، وسيفه المجرد، ولهم أموال منهوبة، وحقوق مغصوبة، لن ينالوها إلا بما فتح الله عليهم من رجوع الحق إلى نصابه،

والملك إلى أربابه، من أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومهبط الوحي، ومختلف الملائكة.

وأما سائر الرعية على اختلاف طبقاتهم: فهي ظالمة مظلومة، غاشمة مغشومة، يأخذ قويها ضعيفها، ويهضم كثيرها قليلها، فلا بد لها من مقوم يقوم أودها، ويطرد لددها، ويجري حكم الله فيها، وينشر رداء العدل عليها، حتى تسكن عفاريتها ومردتها وطغاتها وعندتها، بلين وشدة، وحلم وحدة، فلا يستعمل السوط مكان السيف فيكون مستضعفاً، ولا السيف مكان السوط فيكون جباراً مترفاً.

واعلموا: أن الله أدب عباده بأدبين: أحدهما: السوط، والثاني: السيف، لم يجعل تعالى عند أولي الأمر فيهما هوادة.

واعلموا: أن أبعد الظالمين وأقربهم عندنا في الحق سواء، فهلموا رحمكم الله إلى قسمة السوية، على مقتضى الشريعة النبوية، والسيرة العلوية، فوالذي يحلف به عبدُ الله متنكباً طريق التحريف: لإن أقبلتم إلى دين الله، وأجبتم داعي الله، لأحملنكم على المحجة الوسطى، ولا عدلت بكم عن منهاج رسول الله صلى الله عليه وعلى آله قيد الشعرة، ولا أستثني إلا مشيئة الله تعالى وتسديده، وعونه وتأييده، ولأعرفنكم أحكاماً طامسة من أحكام النبوة، قد جهلها كثير من العلماء، لتظاهر دول الجور وقوة سطوة الجائرين، ولأكونن إن شاء الله تعالى لليتيم كالأب الرحيم، وللأرملة كالزوج الشفيق، ولا عال منكم مسلم، ولا اضطهد معاهد، وكيف نضن عليكم بما جعل الله لكم، من علم خاصكم وعامكم، أنه لا يضن على أحد من ضعفة المؤمنين وسائر المسلمين بمضنون ماله، وتراث أبيه وكسب يده وأيدي المسلمين في ماله، شرع واحد، شهد

بذلك المشاهد مشاهدة، والمتباعد خبراً متواتراً، ونقلاً ظاهراً، فلا تهملوا ضالتكم الثمينة نائية، وأقبلوا بقلوب صافية، وأفئدة على عترة نبيكم حانية، فنحن آل محمد نجاة كل مؤمن ومؤمنة، بنا ينفي الله تعالى ربق الذل عن أعناقكم، وبنا يفتح ويختم لا بكم، فلا تَلْقَوا الحق بوجوه باسرة، وقلوب نافرة، فتصبح صفقتكم خاسرة، وتجارتكم بائرة، وقد أكرمكم من خلقكم عبيداً، لا تستطيعون في خلقكم نقصاً ولا مزيداً، ثم صيركم بعد ذلك له جنوداً، ومعالم دينكم له حدوداً، فاقبلوا ما منحكم من الفضيلة الجليلة، وجنبكم من الدنية والرذيلة، وسنوا رحمكم الله سيوفكم سناً رقيقاً، وأمهوها أمهاً عتيقاً، فإن الشيطان لا يخفض لكم جناح الذلة، ويتنكب الفساد في الملة، حتى تصب المواضي على هامات جنوده صباً، وتفض بيضة سلطانه غصباً.

فهلموا رحمكم الله إلى راية حق، من خفقت على رأسه لم تطعمه النار، وإلى مقامات ساعةٌ فيها تعدل عبادة ستين سنة عند العلي الجبار، وإلى الفوز بالرحمة والبركة، في كل سكون وحركة.

واعلموا: أن الأعشار والزكوات، والنذور والكفارات، وما جرى مجراها من الحقوق والواجبات، محرمة علينا أهل البيت وعلى موالينا، إلا ما يختص بنا من أخماس المغانم، ويتوجه من الصفي، والأرض التي أجلي عنها أهلها بالإمام القائم، ويتقرب به من النذور لمعين من أهل البيت عليهم السلام فهو له، وكذلك أموال الصلح والخراج وجزية أهل الكتاب فلنا فيها نصيب لن نعدوه إن شاء الله تعالى إلى غيره.

واعلموا: أني قد قومت نفسي بتقويم الله، وأدبتها بأدبه، وألزمتها أن تكون في مال الله الذي يسوغ لي تناول ما أفتقر إليه مما يعود إلي أو مما يعود على الأمة صلاحه

كولي اليتيم ذي العدل، إن كان فقيرا أكل بالمعروف، وإن كان غنياً استعفف، كما قال الله تعالى في ذلك: {**فَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ**}[النساء/٦]، أترون عبد الله يفتتن بدنيا قد عرف باطنها أتقنَ من معرفة جُلِّكم بظاهرها، وأهتم بآجلها أعظم من اهتمام أكثركم بعاجلها، يأبى الله ذلك عليه ورسوله صلى الله عليه وآله، وجدود طابت، وحجور طهرت، ومواليد شرفت، ومناكح استنجبت، كيف تكون النفوس النبوية العاملة، كالبهائم الهاملة.

فعليكم -رحمكم الله- بتقديم التوبة والإنابة، قبل الإقبال والإجابة، فإني آمركم بفعلي قبل الأمر لكم بقولي، وأنهاكم عما أنهى منه نفسي وأهلي، المساوي لي منكم في السن أتخده أخاً، والمتقدم أباً، والصغير ولداً، لا آنسُ إلا بأهل العلم منكم والطاعة، ولا أنفر إلا عن أهل المعصية والضلالة، ولا أحتجب عنكم بمراكمات الستور، بل أواسيكم بنفسي في جميع الأمور، أذاكر عالمكم في معاني علمه، وأدل جاهلكم إلى سبيل رشده، وكيف لا أفعل ذلك والله عز من قائل يقول: {**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ**}[الأحزاب]، {**وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ**}[الممتحنة/٦]، ونحن أولى الناس بالتأسي به؛ لأنا لحمه ودمه ولحمته وذريته، وقد حكى الله سبحانه عن المشركين أنهم عابوا عليه اختلاطه بالناس ومشيه في الأسواق فقال سبحانه حاكياً عنهم: {**وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ**}[الفرقان/٧]، ولن نقفو إن شاء الله إلا أثره، ولن نسلك إلا منهاجه؛ ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيي عن بينة، {**وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ**

وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} [هود/٨٨]، {**هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**} [يوسف/١٠٨]، {**فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ**} [التوبة/١٢٩].

والحمد لله رب العالمين، وصلواته على نبيه الأمين محمد، ووصيه علي أمير المؤمنين، وعلى الأئمة من ذريتهما الطيبين، وسلامه عليهم أجمعين، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

سألت الإمام عليه السلام -وقد حكى جماعة كثيرة ممن حضره أنه أنشأ هذه الدعوة الشريفة الفاضلة ما بين صلاة الظهر وصلاة العصر- فصحح ذلك وصدقه، فلينظر من تأملها بعين البصيرة، من أهل العلم والفصاحة والبلاغة، ما أودعها عليه السلام من جزالة الألفاظ، وحسن المعاني، والإيجاز والإعجاز، والمواعظ البليغة، وما وشحها به من آيات القرآن الكريم، والأخبار النبوية عن رسول الله صلى الله عليه وآله، كل شيء في موضعه في هذه المدة اليسيرة فإن ذلك من أقوى الدلائل على النهاية في كل فن وبلوغه المنازل العلية.

عهده عليه السلام للأمير الكبير علي بن المحسن والشيخ ظهير الدين أحمد بن حجلان

[عهده عليه السلام إلى الأمير علي بن المحسن والشيخ ظهير الدين]

وهذا عهد للأمير الكبير المكين، حسام الدين، ناصر أمير المؤمنين، علي بن المحسن بن يحيى[١]، والشيخ الفاضل ظهير الدين أحمد بن حجلان[٢]:

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمد وآله وسلم

هذا ما عهد عبد الله، المنصور بالله، أمير المؤمنين، عبد الله بن حمزة بن سليمان بن رسول الله عليهم السلام[٣]، للأمير الشريف الأمين، الأوحد المعتمد المكين،

---

[١] هو الأمير الكبير المجاهد، منصور الألوية مرغم الأعداء، جمال الإسلام، الشهيد السعيد، شيخ آل الرسول، وحجة أهل المعقول، جمال الدين، ناصر أمير المؤمنين: علي بن المحسن بن يحيى بن يحيى بن الهادي إلى الحق عليهم السلام، كان طوداً من أطواد العترة الكرام سيداً سرياً علماً جهبذياً، كان يلي ممايليه الأئمة، ولاه الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة عليهم السلام أمر صعدة، وقتل شهيداً غدراً، وسيأتي مقتله، والأخذ بثأره، أثناء السيرة.

[٢] الفقيه العلامة، ظهير الدين، أحمد بن حجلان الوادعي، عالم كبير، ورئيس خطير، من بيتٍ ورثوا الرياسة كابراً عن كابر، وكانت تناط بهم الأمور، ويستصلح بهم الجمهور، وكان رجلاً عالماً، ورعاً حليماً، مجرباً جيّد المعرفة، حسن السياسة، عدل القضيَّة، رؤوفاً بالرعيّة، ويقال بأن مسكنهم الأصلي هجرة معين من جبل صعدة، ولاه الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة عليهما السلام نواحي صعدة ومخاليفها جميعها لقبض الواجبات وحفظ بيت المال والتصرّف به على مقاصد الشرع بأمر.

[٣] في نسخة المجموع: صلى الله عليه وآله وسلم.

حسام الدين، ناصر أمير المؤمنين، علي بن المحسن بن يحيى بن يحيى، والشيخ الموفق المكين، ظهير الدين، ناصح أمير المؤمنين، أحمد بن حجلان اليعيشي الهمداني، عهد إليهما لا يشركان بالله تعالى شيئاً، ولا يتخذان من دونه وليّاً، وأن تعظم جلالته في قلوبهما إلى منتهى واجب حقه عليهما، حتى لا يدعا أمره لغير أمره من أمر آحاد عباده أو جماعتهم، فهذا عندنا هو من الشرك بالحكيم سبحانه - نعوذ بالله تعالى منه لنا ولجميع نوابنا وولاتنا-، بل يكون غضبنا ورضانا له وقيامنا به وفيه.

وأن يعظما ملائكة الله سبحانه وأنبياءه وأئمته والصالحين من عباده، وأن يسويا في الحق بين القريب والبعيد، والولي والعدو، ويردا القوي ضعيفاً حتى يعطي الحق، والضعيف قويّاً حتى يأخذه، وأن يقيما ألسنتهما بالحق فلا تأخذهما في الله لومة لائم، وأن يصبرا أنفسهما لله تعالى وفيه، وأن تكون أعيانهما مغضوضة عن الدنيا، طامحة إلى الآخرة، فلا يكون همهما إلا بالموت وما بعد الموت، فإن ذلك أجدر أن لا يركنا إلى الدنيا الغرارة، الخداعة الفانية الفتانة المكارة.

واعلما - أعانكما الله وإيانا بعونه، الذي من منحه إياه هانت عليه الشدائد، وقرت له الشوارد، وغلب المعاند- أنَّا حَمَّلنَاكُمَا ما أبت السماء على سعتها وارتفاعها، والأرض على صلابتها وقوتها، والجبال على طولها وشدتها حملَه، وهابت ثقله، من الأمانة، فاستعِينَا بالله تعالى على حملِ ما حملتما، ولا تكونا غافلين عن أنفسكما، فإن لله تعالى عليكما حفظة في ليلكما ونهاركما، لا ينامون إن نمتما، ولا يغفلون إن غفلتما، خوفهم لله تعالى أشد من خوفكما، وطاعتهم له أمتن من طاعتكما وطاعة إمامكما، إلا أن تداركه نعمة من ربه وتدارككما، فيا له من رصيد ما أروعه، وجند ما أطوِعه، ولا يغفل كما يغفل الأحراس، ولا يسهو كما

يسهو الناس، هيهات هيهات، وكيف يكون ذلك وقد علم ما جهلوا، وحفظ ما أهملوا، وخاف ما أمنوا، واستلان من طاعة الله ما استخشنوا، واستقبح من معصية الله ما استحسنوا، فهل إلى الإقالة سبيل، أو بالسلامة كفيل، وكيف وقد استحكمت أناشيط عقد العهود، وحال الوعيد دون الهجود، بلى - رحمكما الله- المفازة تقطع بالدليل الشفيق، والمخافة تجاز بالرفيق الوثيق، فاجعلا إمامكما دليلكما في ملتبس سبيلكما، فإن الله تعالى قد صغر الدنيا في عينه حتى صار يراها بعين القلة، ويضربها بسوط الذلة، زادُه منها كزاد الراكب، لا يجمع لها شتاتاً، ولا يتزود منها بتاتاً، همه منها فرسه وسلاحه، وما يستعين به على جهاد عدوه، وما عدا ذلك يراه حجراً محجوراً، ودنيّاً مهجوراً.

وعليكما بالأناة في أموركما، وترك العجلة في تصرفاتكما، فإن الأناة ثمرة العقل، والعجلة ثمرة الجهل، أعاذنا الله وإياكما من الجهل المؤدي إلى الخسران، والإفراط المجاوز للإيمان، فإذا التبس عليكما أمر فاتركا سنة الاستبداد، وافزعا إلى المشورة لأهل العقول، واعلما أن للمشورة آفة إن سلمتما منها نلتما نفعها إن شاء الله.

وهو أن المشير لا بد أن يجمع أربعة أمور: الدين، والعقل، والنصح، والمودة.

ومن كان بغير هذه الصفة فمشورته الداء الدفين، وبعد هذه الخصال تصح المشورة وتثمر، لكنها لا تستمر ما لم يعلم المستشير طبع المشير، فإنّ جهلَ المستشير طبعَ المشير أمرٌ يؤدي إلى الغرر، ويوصل إلى ميدان الضرر، وإنما كان كذلك لأن المشير إنما يشير بما يناسب طبعه:

إن كان نزقاً أشار بالتنمر والعجلة.

وإن كان جباناً أشار بالوهن والاستكانة.

وإن كان متهوراً مقداماً أشار بالاقتحام على غير بصيرة قبل معرفة المصدر.

وإن كان يقظاً حازماً، مِخْلَطاً مِزْيَلاً[١]، حُوَّلاً قُلَّباً[٢]، أشار بما ينتظم به التدبير، ويصلح الأمور، ويسد الثغور، فقد رأيتما أن لا بد من معرفة طبعه، كما نبهتكما على برهانه، حتى يعمل العامل على بصيرة، ويسلك في ذلك أحسن سيرة.

وعليكما بتوقير أهل الأسنان والرفعة والرئاسة، وتقديم أهل العلم والمعرفة، واجعلا أهل الورع والأمانة لكما وليجة وبطانة، فإنهم جندكما على الشيطان، وعونكما على طاعة الرحمن.

ولا توليا شيئاً من عملكما من لم تظهر أمانته، وتفقد خيانته، ويحسن في أمور نفسه نظره، ويحمد في طرق الخير أثره.

ولا تغفلا عن التفقد لأحوال الرعية، واجهدا في أن لا تقول الرعية، فإن من قال يوشك أن يفعل.

ولا تلينا في وقت الخشونة، ولا تخشنا في وقت اللين، وليكن نظركما في العواقب ثاقباً، فإن المهتم بالحاضر، الناسي للغائب شبيه بالبهيمة المهملة، والضالة المبهلة[٣].

---

[١] المِخْلَطُ، كمِنْبَرٍ ومِحْرَابٍ: من يُخالِطُ الأُمورَ. وهو مِخْلَطٌ مِزْيَلٌ، كما يقالُ: راتِقٌ فاتِقٌ. تمت قاموس. والمِزْيَلُ، كمنبرٍ ومِحْرابٍ: الرجُلُ الكَيّسُ اللَّطيفُ.

[٢] والحُوَّلُ القُلَّبُ: المحْتالُ البَصيرُ بِتَقَلُّبِ الأُمورِ.

[٣] ناقَةٌ باهِلٌ، بَيِّنَةُ البَهَلِ: لا صِرارَ عليها، أو لا خِطَامَ، أو لا سِمَةَ، وناقة مُبْهَلَةٌ ومُباهِلٌ: حُلَّ صِرارُهَا، وتُرِكَ ولَدُها يَرْضَعُها.

وعليكما بفعل ما وضح برهانه، وظهر بيانه، وترك ما التبس حاله، واشتبهت أفعاله، فإن لله تعالى في علمه بقية استبقاها لنفسه، ولأهل الرسوخ في العلم من عترة نبيه عليه وعليهم أفضل السلام.

واجعلا أعمالكما كلها خالصة لوجه الله تعالى فإنه عز من قائل يقول: {**مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**} [الكهف ١١٠]، وأقبلا على الضعفاء عند قضاء حاجاتهم بوجوهكما، ولينا لهم في كلامكما، فإن ضعفهم قد أرعب قلوبهم، وتظاهرَ دول الضلال قد أمات هممهم، فقد يئسوا من روح الحق ولم يطمعوا أن نقبل عليهم بالوجوه الشريفة.

وإذا خرجتما من منزلكما فأفشيا السلام على مَن لقيكما من جميع الناس، ما لم يكن سكران تريدان حده، أو مجنوناً ظاهر زوال العقل فله شبهة بالبهيمة، وحكمه يفارق الصبي المميز.

ولا تطلبا هيبة بغلظ الجانب، وترك الواجب، وأحسنا القول لمن أردتما رده من حاجة سألها، فإن حسن الرد قد يقوم مقام قضاء الحاجة، واسبقا بضماد الورم، قبل انفجاره بالقيح والدم، فتفتقرا له إلى العلاج بالمرهم الأخضر [والأدهم] أو زاد.

وألزما الرعية تقدير أهل المراتب على مراتبهم، فقد كان رسول الله –صلى الله عليه وآله– يقدم أهل البيوتات والأسنان والمروآءات، ويتجاوز عن هفواتهم ما لم تكن من الحدود الواجبات، والبراهين تقضي بذلك.

من سب نبيّاً من الأنبياء كفر، ومن سب إماماً فسق، ومن سب عالِماً [أجرم، ومن سبّ] مؤمناً عصى وظلم، ولا يعلم تقدير ذلك مفصلاً إلا الله تعالى.

ولا تقولا قولاً لا تعلمان كنهه ألكما أم عليكما، ولا تبسطا أيديكما في مال الله بسط المغتنم، ولا تمضغا مضغ القرم[١].

قَسِّطَا الأمر تقسيطًا، وتخففاً ما استطعتما تلحقا بالمحقين إن شاء الله، فإن هذه الدنيا من أصاب منها أصابت منه، ومن مال بها مالت به، كم من مستق لها سقته صرف العلقم، وسم الأرقم، ومعتز بسلطانها قد أوقعته لليدين والفم، وكم من مثقل بهضه حمله فانقطعت أباهره، وعدم ناصره؛ فآض سهيراً[٢]، وانقلب خاسئاً حسيراً، فلا مالٌ نَفَعَه، ولا نصيرٌ مَنَعَه.

فخذا -رحمكما الله- من أنفسكما لأنفسكما، وأكثرا الفكر في معادكما، وتزودا لمنقلبكما، وحاسبا أنفسكما قبل أن يحاسبكما من يزن الذرة بقسطاس مستقيم، تخفه وترجحه كراعها، ويميل به برثنها وذراعها، وذلك في الحقيقة كرأي العيان، فالله تعالى المستعان.

فنسأل الله تعالى توفيقكما وتسديدكما، وعونكما وتأييدكما، وهو خليفتنا عليكما وعلى كافة المسلمين قبلكما في أديانكم وأماناتكم وخواتيم أعمالكم، فهو خير المستخلفين والمستنصحين.

وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على رسوله محمد الأمين وآله وسلم.

وتاريخه في الأصل بهجرة دار معين لتسع عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر من سنة أربع وتسعين.

---

(١) القَرَمُ، محرَّكَةً: شِدَّة شَهْوَةِ اللَّحْمِ

(٢) في نسخة المجموع: (بهيراً): وهو انقطاع النفس من الإعياء.

ذكر الولاة والقضاة وبعض الوفود للبيعة

ذكر الولاة والقضاة

ولما انعقدت البيعة في المشهد المقدس بصعدة ممن تقدم ذكره عقد الإمام عليه السلام الولاة والقضاة على أعمالهم:

فولى صعدة الأمير الأجل حسام الدين، **علي بن المحسن بن يحيى**، أمرها.

وولى الشيخ الفاضل ظهير الدين **أحمد بن حجلان** جباية خراجها، وتأديب أهل الفسق والدعارة فيها، وتنزيل الناس مراتبهم.

وولى القضاء فيها القاضي الفاضل جمال الدين **محمد بن عبد الله بن حمزة بن أبي النجم**.

وولى نجران الأمير الأجل الكبير، الداعي إلى الله، بدر الدين، **محمد بن أحمد بن يحيى بن يحيى بن الهادي إلى الحق عليه السلام**، سياسة جمهورها، وسد ثغورها.

وولى معه الشيخ الفاضل **محيي الدين محمد بن أحمد الربعي النجراني**، جباية خراجها، وترتيب قضاتها.

فتولى القضاء عن أمره فيها: القاضي **محمد بن سعيد اليماني** في أسفل الوادي من بلاد **بني الحارث ويام**.

وولى القضاء في بلاد وادعة القاضي عبد الله بن معرف.

وولى في أملح[١] **وبلاد شاكر**[٢] الشريف الأجل **الحسين بن أحمد العلوي العباسي، وسليمان الأملحي**.

وولى عليه السلام **مغارب بلاد خولان**، الشريف الأمير، **يحيى بن الحسين بن يحيى**.

وولى معه القاضي **علي بن نحيم القضاء**، وجبايات الخراج وجزية أهل الكتاب.

وولى شام بلاد خولان -بني جماعة[٣] والأبقور[٤] وبني بحر[٥]-، الأمير الكبيرِ الداعي إلى الله، شيخ آل الرسول، **يحيى بن أحمد بن يحيى بن يحيى بن الهادي إلى الحق عليه السلام**.

ثم أضاف إلى الأمير بدر الدين محمد بن أحمد نواحي الشام، من العرين[٦]، فبلاد بني حي[٧]، وغيل جُلاجِل[١]، وبلاد يام[٢]، وبلاد سنحان[٣]،

---

[١] أملح: واد كبير واسع في شرق صعدة، وتقع عليه عدة قرى منها: غرير والبرقة والسهلين والعقلين والحامضة ونواش وغيرها.

[٢] شاكر من قبائل بكيل، وهم ولد شاكر بن ربيعة بن الدعام، ويطلق على قبيلتي وائلة ودهم، وبلاد شاكر ما بين مأرب ونجران، ومنها الجوف وبرط وخب وأملح وغيرها.

[٣] بنو جماعة -بضم الجيم-: من كبريات قبائل خولان، مساكنها في الشمال الغربي من صعدة، وقبائلها كثيرة تتكون من فِرعين أساسيين: حلفي ونصري، ومن قراها: مجز ورغافة ويسنم وباقم وضحيان وفللة وغيرها.

[٤] الأبقور: قبيلة من خولان، في شمال صعدة.

[٥] بنو بحر: بطن من خولان.

[٦] العرين: قرية من مديرة الحشوة شرق محافظة صعدة.

[٧] بنو حي: قبيل من قضاعة، ثم من خولان بن عمرو، يسكنون في شعب حي غربي صعدة.

وبلاد جنب، وراحة[٤] وأعمالها، فولى من تحت يده فيها القضاة والعمال، فاستمرت الأوامر في هذه النواحي، وجرت الأحكام على الخاص والعام، وقَوَّم أهل الفساد بالحبس والقيد والسيف والسوط، فجرت الأمور على سننها.

وكتب إلى أهل الذمة كتاباً يقرأ عليهم في جميع الآفاق، عرض عليهم فيها الدخول في الإسلام، والتعزز بطاعة ذي الجلال والإكرام، والخروج من ذلة لكفر إلى عزة الإسلام، فإن قبلوا كان لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم، وإن أبوا فليعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، وإن امتنعوا فليأذنوا بحرب من الله ورسوله، فقرئ عليهم في جميع هذه الأعمال فدخلوا تحت الجزية إلا ثلاثة أنفار أو أربعة فأسلموا في أوقات متفرقة.

ثم كتب عليه السلام كتاب إعذار وإنذار قدمه فقرئ على الناس في الأسواق قبل إيقاع الحدود ثلاثة أيام، وجعل إلى الأميرين الكبيرين العزل والتولية في جميع أعمال الدولة المنصورية، فجرت على الأحوال المرضية.

ثم ترتبت بعد ذلك العمال في الأعمال، والقضاة في الأمصار، والأمراء في الأطراف، وسنذكر كل شيء من ذلك في موضعه إن شاء الله.

---

[١] جلاجل –بضم الجيم الأولى وكسر الثانية–: غيل وبلد في منطقة وادعة مديرية الصفراء من أعمال صعدة يصب في وادي الخانق.

[٢] يام: قبيلة من حاشد ثم من همدان الكبرى، مساكنهم في نجران.

[٣] سنحان: المراد هنا سنحان جنب: قبيلة شمال صعدة من مذحج، من قبائلها منبه وشمران والحارث.

[٤] راحة: من ديار جنب.

ثم وقف الإمام عليه السلام بصعدة مدة أيام البيعة فأجرى فيها أحكام الله تعالى، وأمر بهدم كنيسة اليهود وتغييرهم، وقبض الجزية منهم، وأمر بتفقد المكاييل والموازين، ورفع أسباب الظلم، فجرت الأمور على أوفاها.

[حضور السلاطين آل حاتم لبيعة الإمام عليه السلام]

وكان ممن حضر البيعة وأجاب دعوته السلاطين الأجلاء: بشر بن حاتم بن أحمد بن عمران بن الفضل اليامي، وولده عمرو، وأولاد أخيه السلطان الأجل علي بن حاتم، وهم: زيد وسالم ومسعود وحنظل، وصلوه إلى براقش لما اشتدت شوكة الغز، وغلبوهم على أكثر حصونهم وبلادهم، فتلقاهم بما هو أهله مما يتلقى به مثلهم من الإنصاف والإكرام، وحل عنده السلطان بشر بن حاتم، وكان وصول الجميع صحبته إلى صعدة يحضونه على القيام، ويبذلون له الحصون والأموال، ويسألونه عليه السلام النصرة والنجدة بعد أن يئسوا من نصرة العرب، وبعد تقدم السلطان المذكور إلى مرباض يطلب النصرة من السلطان محمد بن منجوة فراح منه بغير شيء بعد الإقامة الطويلة، فأقاموا عند الإمام عليه السلام إلى وقت قيامه، وما فارقوه جميعاً حتى وصل إلى حصن كوكبان وكان من فتح صنعاء ما كان.

[قصيدة السلطان عمرو بن بشر عقيب الدعوة]

وهذا الشعر للسلطان عمرو بن بشر عقيب الدعوة:

طَيفٌ ألمَّ بذي الغرام مُسَلِّمُ ... بعثَتْ به من بعد هجرٍ تَكتُمُ

وشجاه برق بالحمى متبسمٌ ... لله ذاك البارقُ المتبسمُ

أمسى يلوح وميضه متكتماً والدمع يجهر بالذي أنا أكتمُ
يا سالبي لبي بأكناف الحمى رَوَّى بروعَكم الغمامُ المُتخِمُ
هل أنتم وافون لي بعهودكم أم هل أحالكم الزمان فحِلتُمُ
رعياً لأيام مضين بسلوة كانت وأجفان الحوادث نُوَّمُ
ولياليا بتنا معاً ويصدُّنا عن فعل فاحشة حَيَاً وتكَرُّمُ
حتى إذا برد السوار وبادرت حذر الصباح إلى المغيبِ الأنجُمُ
قامت تثني بعد عض أنامل كالدر قَمَّعَ روسَهُنّ العندَمُ
ولكم فلاةٍ قد قطعتُ وللقطا في جانبيها بالصباحِ تَرَنُّمُ
ومصاحبي صافي الغرار مهندٌ ومُثقَّفٌ لدنٌ ونهدٌ صَلْدَمُ
والنجمُ في كبد السماء كغرة راقت وقاربها جوادٌ أدهَمُ
حتى بدا ضوءُ الصباح كأنه وجه الإمام وبِشرُه يَتَبَسَّمُ
العالمُ النِّدسُ الكميُّ المرتجَى للعالَمِ العلمُ الإمامُ الأعظَمُ
رجلٌ إذا التقت الفوارسُ بالظُّبَا فنصيبه منها الكميُّ المُعلَمُ
يومان يومُ دراسةٍ أو غارةٍ فخضابه إما مدادٌ أو دَمُ
يا ابن الذين سَمَتْ بهم نحوَ العلا هممٌ غدا مِن دُونهنَّ المَرزَمُ
وابن الذين لهم فخارٌ شامِخٌ عال على برجِ السِّماك مُخيِّمُ
نطقت بفضلهم الملا طرّاً ولا عجب إذا نطق الحطيمُ وزمزَمُ
شَيدتَ ركنَ الدين بعد تَهَدُّمٍ هل يستوي بانٍ له ومهدِّمُ
وشَتَتَّ شملَ المال جوداً مثلما في الروع يشكوكَ الحُسامُ المخذَمُ
ويؤم جيشَك شيخُ آل محمد يحيى كما أمَّ القناةَ اللَّهذَمُ

العــالِمُ العلــمُ الــذي بكمالــه نطـق الفصـيحُ شـهادةً والأعجَـمُ
ومحمـدُ الطهـرُ الكمـيُّ ومـن غـدا يزهَـى بـه الـدينُ الحنيـفُ القَـيِّمُ
مَـن مبلـغٍ عنـا رجـالاً لـم تـزل قَـدَمٌ لهـم فـي المكرمـات تُقَـدِّمُ
بـالأبلقِ الفـردِ المنيـعِ محلُّهُـم فـي حيـث لا ظلـمٌ ولا متهضِّـمُ
أنَّـا عَلِقْنَـا بعـدهم بمُعظَّـمٍ نَـدْبٍ لنـا عنـد الأنـامِ يُعَظَّـمُ
فزنـا بطاعتـه وأخلصـنا لـه والله أعلـم بالـذي لا نعلَـمُ

[*الوفود من القبائل للبيعة*]

ولما ظهرت الدعوة المباركة أقبل الناس إلى مدينة صعدة من الجهات المختلفة، والبلاد النازحة والدانية، ممن حولها من الربيعة[(١)] وبني مالك وغيرهم من سكان الحقل ممن لم يحضر البيعة فبايعهم الإمام عليه السلام بعد الوعظ والتذكير، فسمعوا وأطاعوا.

وممن وصل إليه عليه السلام: بنو جُماعة والأبقورُ في جمع كثير، وبنو حي، ومشايخ وادعة[(٢)]، وبنو شُريف[(٣)]، وسنحان.

---

(١) الربيعة: لعل المراد بهم هنا: ألت الربيع، من قبائل جماعة ورازح.

(٢) وادعة: قبيلة كبيرة تنحدر من قبيلة حاشد ثم من همدان الكبرى، وهي بطون وفخائذ عديدة، وهم ولد وادعة بن عمرو بن عامر، وأشهر قبائلها: وادعة حاشد من قبائل بني صريم، ووادعة الشام من قبائل صعدة، ووادعة همدان من همدان صنعاء، وتفصيلاتها تطول.

(٣) بنو شُريف –بضم الشين–: من قبائل خولان من صعدة.

وممن وصل من قبائل نجران: وادعة وشاكر ويام وبنو الحارث بن كعب.

ومن همدان: وايلة[١] ودهمة[٢].

ووفد إليه دهمش بن البداخ من عنز، وهو الرئيس فيها، والمقدم عليها.

فكان عليه السلام يقرب كل من وصل إليه ويتلطف بهم بالوعظ والتذكير، فيزرع المحبة في قلوبهم، فيصدرون عنه بعد البيعة والدخول في الطاعة، وقد غرس المحبة في قلوبهم، ويعرفهم من ولاهم أمره، ممن تقدم ذكره من الولاة والقضاة فيسمعون قوله، ويتبعون أمره.

[إرسال الإمام الأمير شمس الدين إلى قبائل خولان]

ثم وجه الإمامُ الأميرَ الكبيرَ شيخ آل الرسول يحيى بن أحمد داعياً لقبائل خولان بالقد اليماني وما يواليه، فتقدم في جماعة من الأشراف وأشعر أهل البلاد اللقاء إلى سوق متوسط في بلادهم يسمى وَسْحة[٣]، فحضرت قبائل خولان على أصنافها، من شعب حي، والأديم[٤]، والرعاء، وقبائل بني ذؤيب[٥] أهل

---

[١] وايلة: قبيلة كبيرة مشهورة تنتمي إلى وائلة بن شاكر، مساكنهم في مشارق مدينة صعدة.

[٢] تقدم ذكرهم.

[٣] وسحة –بفتح الواو وسكون السين المهملة وفتح الحاء المهملة-: قرية من مديرية حيدان في الغرب الجنوبي من صعدة.

[٤] الأديم: قبيل من خولان قضاعة، وهم: الأوسوج والأحوال ومعيد وناشج والسائغ وتكتب.

[٥] بنو ذويب: من قبائل الحلف أحد بطون قبيلة خولان بن عمرو، يسكنون حيدان.

الشام وأهل اليمن، فقام الأمير المذكور في ذلك المجمع فذكرهم بأيام الله ووعظهم، ودعاهم إلى طاعة الله سبحانه، فسمعوا دعوته وأجابوا كلمته.

وكان ممن حضر وبايع القضاة الفضلاء: علي ومحمد ومراثد بنو نشوان بن سعيد، وكانوا قد قرأوا الدعوة الشريفة عليهم، وكان للقضاة عناية شديدة في تقريب خولان إلى طاعة الإمام عليه السلام واجتهاد في ذلك.

[إرسال الإمام صنوه الأمير يحيى بن حمزة إلى قبائل عذر والأهنوم]

ثم وجه الإمامُ عليه السلام صنوَه الأميرَ عماد الدين يحيى بن حمزة بن سليمان بعد دعوته العامة بصعدة بأربعة أيام إلى بلاد عذر[1] وبلد الأهنوم[2]، فحضر مجامعهم وأسواقهم، فدعاهم إلى طاعة الله وطاعة الإمام عليه السلام، وقرأ عليهم دعوته فبايعوا وسمعوا وأطاعوا، وأعلنوا بشكر الله تعالى والثناء عليه.

وقد كان تقدم من أهل شهارة كلام في تسليمها فتكلم معهم في أمرها فوعدوا بذلك، وسألوه مطالعة الإمام بأن يأمر إليهم الأمير الكبير شمس الدين في مادة قوية ففعل ذلك، وأقام عندهم ثمانية عشر يوماً، ثم وصل الأمير الكبير في سبعمائة قوس من الأبقور وبني جماعة.

---

(1) تقدم ذكرهم.

(2) الأهنوم: ناحية معروفة في الشمال الغربي من صنعاء، وهي سلسلة جبلية ممتدة تشتمل على قرى كثيرة، وجبال شامخة، وحصون منيعة، وهي في الأصل من حاشد، وأغلب قبائلها من بكيل: عوفي ونوفي ونسري، وأشهر محلاتها: معمرة وعلمان والمدان وشهارة.

[لقاء الأمير شمس الدين للأمير يحيى بن أحمد بن سليمان]

بعد أن وافق في بلاد عذر الأمير يحيى بن أحمد بن سليمان في مجمع كبير بايع فيه من لم يكن حضر البيعة، ودخلوا جميعاً في الطاعة.

وكان يحيى بن أحمد هذا قد توسم المعارضة والخلاف على الإمام، وتغيير قلوب الناس وتنفير العوام، واجتهد في ذلك فلم يتأت له ذلك، فلما التقى به الأمير الكبير في ذلك الموقف أعرض عنه ولم يسلم عليه ولا نزل عن مركوبه، فلما رأى ذلك بنو جُماعة والأبقور عزموا على رميه وقالوا: قد استوجب القتل بخلافه على الإمام، فزجرهم الأمير عن ذلك رجاء توبة منه.

ثم تقدم إلى الخموس فأقبل إليه الأهنوم مسرورين بوصوله، فأمسى تلك الليلة بالخموس وقد اتفق بالأمير عماد الدين، وصدر الجميع في اليوم الثاني إلى جهة صَوِر[١]، فاجتمعت إليهم قبائل الأهنوم فدعاهم الأمير الكبير إلى طاعة الله وطاعة الإمام، فأجابوا وسلموا البيعة.

ثم ضرب لكافة أهل تلك البلاد لقاءً جامعاً من سهول ظليمة[٢] وجبالها وما يواليها، ووعظهم وذكرهم بالله، ودعاهم إلى الطاعة والبيعة، فأجابوا وسمعوا وأطاعوا.

---

[١] صور -بفتح الصاد وكسر الواو-: قرة في جبل ذري أحد جبلي شهارة.

[٢] ظُلَيْمة -بضم الظاء وفتح اللام وسكون الياء-: جبل واسع من بلاد حاشد، ومركزها حبور، وتشتمل على بلدان منها: بنو دهس والخميس وبنو سوط وغيرها.

[خراب الأمير شمس الدين لمواضع الفساد وما لقي من العناء]

وكان بالقرب من المدائر[1] موضعاً للفواسد قد سموه بالكعبة - شرفها الله وعظمها عن ذلك - فأمر بخرابه، وخراب موضع آخر يقال له: الحصن، حتى لم يبق لهما أثر، بعد أن وقع من قوم من حجور[2] معارضة في ذلك، ومنع عن الخراب، فمال عليهم قوم من خولان فرموهم وهزموهم وكادوا يهلكونهم، فأمر إليهم الأمير بسوطه أماناً لهم، وطمست آثار الفساد في جميع تلك البلاد، ببركة مقدم شيخ آل الرسول صلى الله عليه وآله، وأتاه الناس من كل جهة للنظر إليه والتبارك به، إلا قومًا بهجرة يقال لها: الحلالة بجبل هِنْوَم، وكبيرهم يومئذٍ رجل يقال له: راشد بن محمد الجنبي، فلم يرغبوا في الوصول كراهة للقائم من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله، وطلباً للراحة من التزام الطاعة، وما يجب من التجرد للجهاد، وما يلحق من المشقة من فراق الأهل والأولاد، وأراد الأمير الكبير الكلام في أمر شهارة فبلغه كلام منهم، واختلاف في ذات بينهم، فمنهم محب وكاره، فرأى الغفلة عنهم وعن البحث لهم أولى، وجمَّل الأمر.

وكان في نفسه اللقاء للإمام عليه السلام بذلك العسكر إلى ناحية اليمن، فأصاب البعض مرض في تلك المغارب فسألوه الفسح لهم فرأى العودة لهم إلى صعدة أصلح، فرجع في ذلك الوقت.

---

[1] المداير: قرية في الجنوب الشرقي من مدينة حبور.

[2] حجور: بطن من حاشد، وهو ثلاثة أقسام: حجور الشام، وحجور اليمن، وحجور البشرى، وكل واحد يشتمل على عدة قبائل.

وكان قدومه إليه يوم الجمعة، فتكلم مع الناس بعد الثناء على الله، والشكر له، والصلاة على نبيه صلى الله عليه وآله بما فتح الله تعالى، من إقامة الحق في البلاد، ومبادرة الخلق إلى الطاعة، وما وقع من المصالح في تلك النواحي واستحكام الأمر.

قال القاضي أيده الله: روى لي الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة قال: لقي الأميرُ الكبيرُ شمس الدين في سفره ذلك من التعب والنصب ما لا مزيد عليه حتى ورمت قدماه من التعب، وكلما أصابه ألم قال: (اللهم إن هذا في سبيلك وطلب رضاك)، ومع ذلك ما يزداد إلا رغبة وشدة في طاعة الله، وحض الناس على خدمة الإمام وطاعته واتباع أمره، وتعريفهم ما في ذلك من الثواب الجزيل.

[*توجه الأمير بدر الدين إلى نجران وبقاء صنو الإمام لإصلاحها*]

وبلغ إلى الأمير الكبير أن اليهود بنجران عمروا شيئاً من الكنائس التي قد كان الإمام أمر بهدمها وذلك برضا قوم من أهل الوادي، فأمر الناس بالتأهب للخروج، وأمر صنوه بدر الدين محمد بن أحمد إلى بلاد الأبقور وبني جماعة ليقود العسكر من هنالك، وذلك بعد وصوله من راحة، وطلبه لقود الخيل وكانت قد أصابتهم حطمة شديدة فلم يتأت له شيء من ذلك، فتقدم إلى خولان، وتقدم الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة إلى بلاد شاكر ليزهب[1] أهلها للمخرج، ووقع الميعاد لثامن ذلك النهار، فاجتمع العسكر بصعدة من بلاد خولان.

---

[1] يزهب: التزهيب هو التجهيز والإعداد.

وحكى القاضي أيده الله عمن يثق به: أنه اجتمع من الفياس قدر ألف، ومن التراس نحواً منها، ثم نهض الأمير بدر الدين إلى موضع يقال له: رهوان[1]، واستمر في طريقه حتى وصل أعلى وادي نجران، فجاءه بنو الحارث مستسلمين متودين، فطلب منهم الرهائن، فرهن بنو الحارث: هشام بن حرب من بني عبد المدان، وولد علي بن هشام وهو مولى لهم، وكان يومئذ المتولي لأمرهم.

وتقدم الأمير في العسكر إلى كوكبان وأمر الناس بالمحطة في جانب من المدينة وأمنهم، فلما أصبح صاح رجل من خولان يقال له: أحمد بن غراب لمضرة أرادها بهم: إن الأمير قد أباح أهل كوكبان، فنهض العسكر بأسرهم فانتهبوا ما في المدينة، ثم ركب الأمير وقرع الناس بعد أن أصيب رجل من أهل المدينة بضربة فانقرعوا، وأمرهم بالاجتماع إلى المحطة، وعَظَّم عليهم الأمر، وأغلظ في القول، وأظهر الغضب، فأعلمهم أن ذلك لا يسوغ لهم، فرد كل منهم ما صار إليه، حتى ثلاثة أعواك من غزل، وقبضت الرهائن من بدو نجران وقرارها على الطاعة وتسليم الواجبات، وأخربوا الكنائس التي جددت عمارتها، وصلحت أحوالهم.

ثم عاد الأمير بدر الدين إلى الأرباط ولقيه الأمير عماد الدين بقبائل شاكر، ووقعت المراجعة، وقد حضر إليهما الأمير علي بن المحسن، والشيخ محيي الدين محمد بن أحمد النجراني في أمر البلاد، ومن يقوم بالأمر فيها، ويصلح أحوالها، ويجري أحكام الله فيها، فوقع الإجماع على وقوف الأمير عماد الدين يحيى بن

---

[1] رهوان: قرية بلاد وايلة.

حمزة فساعد، واستقرت الأمور بكونه في البلاد، وسار فيها سيرة محمودة، وأحسن تدبيرها حتى أمنت سبلها، وسكنت عفاريتها، وقبض خراجها.

وأتاه رسم الإمام عليه السلام بالوصول إلى حصن كوكبان ببلاد حمير، فنهض لليلتين خلتا من شهر شعبان من سنة أربع وتسعين وخمسمائة، وقد كان وقع فساد في السبل من قوم من يام ودهمة وبني الحارث فقتلوا رجلاً من وادعة كان يريد الوصول إلى الأمير، فلما بلغه ذلك أغار في جماعة ممن حضره إلى أسفل الوادي فظفر بسبعة أنفار منهم، ورأى التقدم بهم إلى صعدة لينقطع الفساد، ولما عزم على ذلك اضطرب أهل البلاد، وهموا بمنعه عن ذلك، ولم يستطيعوا إليه خوفاً ورجاءً، ولم يكن معه سوى خمسة عشر رجلاً، فأمر الوادعيين ونكفهم وشد عليهم، فاجتمع إليه منهم مائتا رجل فصدر بهم متوجهاً إلى صعدة.

ولما وصل وعلم به الأميران الكبيران فأمرا أهل صعدة بالخروج في لقائه فدخل في موكب حسن، وضربت القيود في أرجل الأسارى وأقاموا مدة، ثم وصل الصعيب فالتزم بما يجب، وبِرَدِّ ما فات، وأخذ من كل قليل وكثير، وحلف على ذلك - وعلى الوفاء به والطاعة للإمام، وإصلاح البلاد، وقطع الفساد- الأيمانَ المغلظة، ورأى الأمراءُ إطلاقَ أصحابه من القيود، ومراحهم معه، وتجميل أمرهم، وصلحت أمور نجران مدة.

[توجه الإمام عليه السلام إلى الجوف]

ولما استقرت الأوامر بالحقل ونجران وتلك الجهات نهض الإمام عليه السلام متوجهاً إلى الجوف، فوقف بهجرة دار معين يومين، وتقدم في اليوم الثالث،

وهو يوم الاثنين لإحدى وعشرين ليلة خلت من ربيع الآخر من سنة أربع وتسعين، وكان السلطان إسماعيل يومئذ بصنعاء في جند كثير، وعساكر جمة، وقوة قوية، فاضطربت البلاد خوفاً، وخشي أهل الحقل وصوله، وعظم عليهم الأمر، وحضر من أشار على الإمام عليه السلام بالرجوع إلى خولان وتجييش العساكر والإنفاذ للخيل، من بلاد عنز وبني وقشة وحذروه من الإقدام على ارتكاب الخطر فلم يقع شيء من ذلك عنده، وقال: (يا قوم، عوذُوا بالله من وسوسة الشيطان واتباع دواعي الجبن، وتقدموا على اسم الله متبعين لإمامكم، صادقين في قصدكم، فما ترون إلا السلامة إن شاء الله، والنصر من عند الله، فنرجو من الله أن يَفُلَّ حدهم، ويفرق جندهم، ويمحق جمعهم).

وتقدم عليه السلام في قدر مائتي رجل وابن البداخ معه في خيل من عنز فما نهض من قرية من قرى الجوف حتى أصلح أمورها، وأقام فيها من يأمر بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويتفقد مكاييلها وموازينها، ويقيم فيها أمر الله، فما تلقاه واحد منهم إلا بالطاعة والامتثال لأمره، وكانت بينهم شرور كثيرة، وحروب عظيمة فأصلح الله به أحوالهم، واختلط بعضهم ببعض.

وكان ممن ولاه قبض الحقوق الواجبة: مقبل بن أبي الفتوح الحارثي - وهو من الأخيار أهل الدين والورع-.

وكان الفقيه الفاضل العالم سليمان بن عبد الله السفياني، المتولي للأمر العام من إنفاذ الأحكام الشرعية، والأوامر الإمامية، وكان مستقره يومئذ بصيهد، فنفذت الأحكام ومضت الأوامر على أحسنها.

ثم نهض إلى الجوف الأسفل وكان عند الأكثر منهم الكراهة، وقلة الانقياد للطاعة؛ لِمَا كانوا عليه من الجهالة، فلما وصل إلى سدال وعلموا به أقبلوا إليه من كل جهة، فأحسن عليه السلام معهم الكلام وقربهم باللطف والوعظ والتذكير والإيناس، فنفعهم ذلك، ودعاهم إلى البيعة فبايعوا على الطاعة والانقياد للأمر، وشرط عليهم شروط البيعة.

وولى عندهم **القاضي الفاضل العباس بن محمد العنسي**، لما رأى فيه من الصلاح والديانة والأمانة، لإمضاء الحكم، وقبض الحقوق، فاستحكم أمرهم، مع ما هم عليه من الجفاوة، والجهل والبداوة، والعوائد المذمومة من الظلم والفساد، لا يفرقون بين الحلال والحرام، ولا يعرفون شيئًا من ذلك، فاستقامت أمورهم بلطف الله وبركات الإمام عليه السلام.

[توجه الإمام إلى براقش ووفود القبائل إليه]

ثم تقدم عليه السلام إلى مدينة براقش وهي هجرته ومستقر أهله، فأقام بها مدة والقبائل تفد إليه من الشرفاء وغيرهم من كل جهة، مجيبين لدعوته، متبعين لطاعته، ممتثلين لأمره:

فمنهم: الشرفاء بنو عمه بنو حمزة بن أبي هاشم.

ومنهم: الشريفان الفاضلان علي وسليمان ابنا بدر بن عبد الله بن جعفر بن القاسم من بلاد الأهنوم في جماعة من أصحابهما، فسمعوا وأطاعوا وبايعوا بعد الخبرة وإيراد الأسولة، وأخذ الأجوبة عن كل مسألة.

ومنهم: قوم من آل ربيح، وهم رؤساء ملح وبران[١].

وممن وفد إليه عليه السلام: قوم من أهل مأرب.

وكتب إلى أهل بيحان وكافة آل مكرمان كتاباً يدعوهم إلى طاعة الله ويعرفهم ما يجب عليهم من طاعته، ويحضهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

[وفود الأمير يحيى بن الإمام أحمد بن سليمان إلى الإمام للبيعته]

وكان ممن وفد إليه الأمير يحيى بن أحمد بن سليمان: بعد مكاتبة تقدمت إليه وهو بظاهر همدان من صعدة، فتثاقل عن الإجابة وامتنع، وتمادى في حرب أهل أثافت وبني حجاج، وتمادى في الخلاف، وأقام ثلاثة أشهر مجتهداً في المباعدة، والحرب والمناصبة.

فكتب إليه الإمام عليه السلام ثانية، وعرفه مكان أسلافه، وما في الألفة واجتماع الكلمة من المصلحة، واجتهد في تقريبه والتلطف به، فوصل في جماعة وافرة مقدار مائة رجل، فتلقاه الإمام عليه السلام بما يتلقى به مثله من الإنصاف والإكرام، فطابت نفسه، وبايع على طاعة الله تعالى وطاعته، والاجتهاد في نصيحته، والجهاد في سبيل الله بين يديه.

وأنشد القاضي الفاضل علي بن نشوان هذه القصيدة عند وصوله:

دلتك همتك الشريفة للتقى ... ولمرتقى في المجد أعلى مرتقى

ودعتك أنساب زكت علويةٌ ... نبوية للعز في دار البقا

صدقت حسن الظن فيك ولم تزل ... أبداً لِراجي الخيرِ فيك مُصدِّقا

---

[١] برّان: بلد في ناحية نهم في الشرق الشمالي من صنعاء.

أنت الأمير بن الإمام وصلت في … نصر الإمام الهاشمي المنتقى
العالم الندس التقي الفاضل ابـ … ـن الفاضل الورع المطهر معرقا
فالحمد لله الذي نصر الهدى … بدنو ألفتكم وسر ذوي التقى
قوما على اسم الله فالتوفيق قد … ضمن الفتوح فغَرِّبَا أو شَرِّقَا
والغز قد ذلوا وفَرَّقَ شملَهم … سُعدُ الإمامِ فأحرقا أو غرقا
يا آل أحمد جردوا بيض الظبا … واقنوا الجياد وأكرموها للقا
وزمان منصور لكم مستظهر … يمسي به الذاوي خصيباً مورقا
ويصير وجه الحق أزهر مسفراً … ويعود وجه الأرض أخضر مونقا
فتعاضدوا ليصير من عاداكم … خَوَلاً لكم يترفقون ترفقا
لا تبتغوا عمر ابن حمزة فرقة … الله يمحق من يريد تفرقا
إن ابن حمزة حجة لله قد … ظهرت فأضحى الحق منها مشرقا
قد صح بالحق اليقين بأنه الـ … منصور أظهره الإله وأنطقا
وتوافقت في نعته وصفاته الـ … ـعلماءُ ممن قد مضى أو من بقا
حسن الزمان وأشرقت آفاقه … بابن النبي وكان ليلاً مطبقا
واستحكم الأمر العظيم فلن ترى … ذئب الفيافي للسوام مؤرقا
وجرت فتوح لم تكن ترجى وفي الـ … ـوقت القريب ترى شهاباً مونقا
ويزول كفر في البلاد ويشمل الـ … ـيمن الأمان وينجلي ما يتقى
ويفوز بالعز العزيز من اتقى … وينال بغيته ويشقى ذو الشقا
إيهٍ أمين الله بادر فرصة … للظالمين معاً فقد صاروا لَقَا
لم يبق أمر مشكل فانهض بنا … عجلًا وأَدْنِ إلى الرجال الانتقا

مـا بيننـا وبلـوغ مـا نرجـو مـن الـ ـــآمال إلا أن نجـــوز الملتقـــى

[وفود الفقيه أبي القاسم بن شبيب من تهامة إلى الإمام]

وكان ممن وفد إلى الإمام عليه السلام: الفقيه الفاضل، شهاب الدين، أبو القاسم بن حسين بن شبيب الخشني من ناحية الشرفاء بني سليمان بتهامة - وهو من العلماء وأهل المعرفة والفضل-، وأخبر بأن الأمير نظام الدين السيد يحيى بن علي بن الحسن بن فليتة الحسني - وهو من الفضل والعلم والخصال المحمودة في أعلى منزلة، وكان ممن يرجى للقيام، وحفظ بيضة الإسلام - لما بلغت إليه الدعوة نشرها، ودعا الناس إليها في تلك الجهة، فسمعوا وأطاعوا وبايعوا، وأجرى أحكام الله تعالى على مقتضاها، وأصلح ما يواليه منها.

وأقام الفقيه ملازماً مجالس الإمام عليه السلام للمباحثة والمراجعة في دقائق العلوم وغوامض المسائل فيجد من الجواب عليها ما يثلج الصدور ويشفي الغليل، وارتجل الإمام عليه السلام بيتاً وأمر الفقيه بأن يتم عليه شعرًا وهو:

أَلِيَّـــةً بالجيـــاد الجـــرد ســـاهمة تـــردي بكـــل طويـــل البـــاع دفـــاع

فقال الفقيه:

وكـــل مســـرودةٍ كـــالنهي ســـابغةٍ وكـــل مـــاض رقيـــق الغـــرب قطـــاعِ

ومـــدلف الأســـد نحـــو الأســـد عابســـة تحـــت العجـــاج وبـــيض فيـــه لمـــاعِ

والســـمرُ ترعـــف والأبطـــال طائشـــةٌ وكـــل أزرق لـــلأرواح نـــزاعِ

لأبعـــثن علـــى العجمـــان داهيـــة زحافـــة فـــي خـــروم الحـــزن والقـــاع

شهباءَ ترفل في الماذي فوارسُها ... وفي الوشيج إلى الهيجا بأنصاعِ

كأنما البيض والنقع المثار بها ... بوارق بين وطف ذات تهماعِ

قد طال ما علكت خيلي مساجلَها ... غيظاً عليهم وطالت منه أوجاعي

كم مَعلَمٍ لمنار الحق قد طمسوا ... وأهطعوا في الخطايا أي إهطاعِ

فدع ملامي إذا أمسيت مرتبياً ... أرعى النجوم بطرف غير هجاع

فما يلذ لنفسي عيشها أبداً ... ولم يحل بهم بطشي وإيقاعي

ويصبح العدل في الآفاق قاطبة ... طلق المحيا طويل الزند والباع

وقل إذا ما سمعت الدهر ذا عذل ... أَقْصِر فكل امرئ في شأنه ساعي

يا حبذا الجرد تطفو في أعنتها ... إذا دعا لقراع المقنب الداعي

على مناسجها أسدٌ جحاجحة ... من كل بدر بأفق الحرب طلاع

يرى الغنيمة في ثجاج عارضها ... والغبن إن آذنت يوماً بإقلاعِ

وأسمعاني صليل البيض لا نغمَ الـ ... ـأوتار أنى له سماع أسماعِ

وأورداني حياض الموت مترعة ... بين الخميسين لا أدنان نقاعِ

يا قاتل الله من يضحي بعيشته ... قرير عين أخا لهو وتهجاعِ

ولم يكن برفيق العرب مرتقياً ... ذوائب العز والعليا بإزماعِ

على صُهَا شيظم عبل الشوى نزق ... قيد الأوابد إذ يعدو بإرجاعِ

يكاد من لبده ينسل منزرقا ... خوف القطيع ولم يذعر بإنجاعِ

أرساغُه رُكِّبَت في جَندلٍ شَظَفٍ ... يفلق الصخر في عدو وإسراعِ

بالأعوجيات قد نيطت معارقُه ... فهو الجواد على أحسابها راعي

فمن يكن عادلاً يوماً بصهوته ... خشية بين أسجاف وأوضاعِ

فقد دنت عن نزوح المجد همته — وإنني لعلاه نادبٌ ناعي
أنا ابن من أسمع الواعين حجته — والسيف أسمعها من ليس بالواعي
فلا وربك لا أنفك منصلتاً — حتى يعزَّ به ديني وأشياعي
ويصبح الحق عالي الكعب مبتهجاً — وفيه يكثر أشياعي وأتباعي

[قصيدة أنشأها الإمام عليه السلام بعد قيامه ببراقش سنة (٥٩٤)هـ]

وقال الإمام عليه السلام [بعد قيامه، وهو] بمدينة براقش في جمادى الأولى من سنة أربع وتسعين وخمسمائة:

طَرِبتُ ومَا مثلِي إِلَى اللهوِ يَطرَبُ — وَلكِن إِلَى خَيلٍ إِلَى الضَّربِ تُضرَبُ
خِفَافٌ عليهَا جُنَّةٌ عَبقَرِيَّةٌ — إذَا قَوَّضَ الأبطالُ فِي الرَّوعِ طَنَّبُوا[1]
بَهَالِيلُ بَسَّامُونَ فِي حَومَةِ الوَغَى — إذَا صَارَتِ الأبطَالُ فِيهَا تُقَطِّبُ[2]
نَمَتهُم لُيُوثُ الغَابِ فَاشتَدَّ بَأسُهُم — وَفِي مَنصِبِ الآبَا لُيُوثٌ وثَعْلَبُ
وَكَم مِن فَتىً يَطفُو إِلَى جَأشِ مَوجِهَا — وآخرُ فِيهَا عِندَ ذَلِكَ يَرسُبُ[3]
وَمِن ضَارِبٍ بالسَّيفِ حامَاتِ جَمعِهَا — وآخرَ بَينَ الفَيلَقَينِ مُذَبذَبُ

---

[1] الجنة: الدرع، وكل مَا وقاك فهو جنة. والعبقري: أصله صفة لكل مَا بولغ فِي وصفه، وأصله إن عبقر بلد يوشى فيها البسط وغيرها، فنسب كل شيء جيد إليها. البهلول: العزيز الجامع لكل خير، وقيل: الحيي الكريم.

[2] البهلول: العزيز الجامع لكل خير، وقيل الحيي الكريم.

[3] يطفو: أي يظهر، والجأش: القلب، والموج: شدة الحرب، والمعنى كم من فتى يعلو ويظهر إلى قلب شدة المعركة والحرب، وآخر يرسب أي يتأخر ويذهب عن القلب إلى المؤخرة.

يَرَى المَوتَ قَيدَ الرُّمحِ وهو مُصَمِّمٌ ... ويقضِبُ حَدَّ السَّيفِ والسَّيفُ يُقضَبُ
فَلَا تنعَتَا لِي الخَيلَ مَا لَمْ يَكُن بِهَا ... مناسِبُ فيهنَّ الوَجِيهُ ومُذهَبُ[١]
وَلَم يعتَلِق مِن لاَحِقٍ بِأَوَاصِرٍ ... ومِن أَعوَجٍ فَالخَيلُ كَالنَّاسِ تنجُبُ[٢]
أَقِيمَا صُدُورَ الخَيلِ فَالموتُ مَوْرِدٌ ... وكَأسُ المنَايَا خَلْفَهُ الدَّهرَ تُشرَبُ
سِمَا لِي جَبَانَاً نَالَ خُلداً بِجُبنِهِ ... لِكُلِّ امرءٍ فِي الموتِ عُضوٌ مُذبذَبُ[٣]
أَلَا إِنَّ دِيْنَ اللهِ أَسفَرَ وَجهُهُ ... فَلَم يَعْمَ عَنهُ طَالِبٌ جَاءَ يَطْلُبُ
وَهُزَّ لِوَاءُ النَّصرِ فَاطَّرَدَت لَهُ ... قَنَاةٌ لَهَا من عَوْنِ ذِي العَرشِ أَكعُبُ[٤]
لَنَا فِي أَقَاصِي الشَّرقِ شَرقٌ نَرُومُهُ ... وبعدَ دِيَارِ العُربِ فِي الغَربِ مَغرِبُ
نَرُومُ أُمُوراً والإِلَهُ ضَمِينُهَا ... بِإِنْجَازِ مَا نَرجُوهُ مِنهَا ونطلُبُ
فَقُلْ لِبَنِي العَبَّاسِ هَذا زَمَانُنَا ... وَمَا لَكُمُ إِلَّا إِلَى الحَقِّ مَهرَبُ
سَنجزِيكُمُ بِالإِثْمِ بِرّاً لِأَنَّنَا ... بَنُو أَحمَدٍ وَهوَ النَّبِيُّ المُقَرَّبُ
وَأَنتُم بَنُو الأعمَامِ وَالحَقُّ حَقُّنَا ... وَنَحنُ بِأَطرَافِ الأَسِنَّةِ أَدرَبُ[٥]
فَإِن لَمْ أَزُر بَغدَادَ عِشرِينَ دَوسَراً ... بِهَا حَاشِدُ العُظمَى وِنِهْمٌ وأَرحَبُ[٦]

---

[١] الوجيه: فرس من خيل العرب نجيب، سمي بذلك. وفرس مذهب: إذا علت حمرته صفرة.

[٢] لاحق: إسم فرس معروف عند العرب، وقيل: كان لمعاوية بن أبي سفيان.

الأعوج: اسم فرس نسب إليه الأعوجيات وبنات أعوج، وليس في العرب فحل أشهر ولا أكثر منه نسلاً.

[٣] أي سميا واذكرا لي جباناً من الناس ينال الخلد في الدنيا بجبنه وخوفه.

[٤] أي شرف وعلو وظفر.

[٥] المدرب: المجرب.

[٦] الدوسر: المراد به هنا الكتيبة.

وشَـاكِرُ طُـرًّا حيـثُ كانـت ومَـذحِجٌ وسَنحَانُ أهلُ الصَّبْرِ والبِيضُ تُخضَبُ[(١)]
وَكنـــدَةُ والأبطَـــالُ شُـــمٌّ قُضَـــاعَةٍ فَهُـم جَمـرَاتٌ حَرُّهَـا لَـيسَ يُقـرَبُ[(٢)]
وَخَـــولانُ أربَـــابُ الفَخَـــارِ وحِميَـــرٌ فَهُـم لإِمَـامِ الحَـقِّ جُنْـدٌ مُقَـرّبُ[(٣)]

وحاشد: إحدى كبريات قبائل همدان، وحاشد أخو بكيل، وتنقسم قبائل حاشد إلى أربع أرباع: صريمي وخارفي وعصيمي وعذري، وكل ربع يضم مناطق وبيوتاً كثيرة.

ونهم بكسر النون: قبيلة مشهورة من قبائل بكيل، تنسب إلى نهم بن عمرو بن ربيعة بن مالك، وتقع ديارها في الشمال الشرقي من صنعاء، وتنقسم إلى فروع كثيرة.

وأرحب: قبيلة سميت بأرحب بن الدعام بن مالك بن ربيعة، وتقع أرضها شمال صنعاء ما بين جبال نهم شرقاً وجبال عيال يزيد غرباً، وهي قسمان: زهيري وذبياني.

(١) مذحج كمجلس: حلف قبلي واسع يضم عدداً من القبائل داخل اليمن وخارجه أشهرها: مراد وعنس والحدا وبنو الريان وعبيدة والنخع وبنو مسلية وزبيد وجعفي وغيرها، مركزها نواحي ذمار وأبين والزاهر من البيضاء، وكانت تعرف قديماً باسم سرو مذحج.

سنحان: قبيلة وناحية في الشرق الجنوبي من صنعاء، كانت تعرف قديماً باسم ذي جُرْت، نسبة إلى جرت بن يكلى بن مالك بن الحارث، وتشتمل على قرى وأودية كثيرة.

(٢) كندة: قبيلة كبيرة من كهلان، وتنقسم إلى بطون وأفخاذ، منها السكاسك والسكون وتجيب والصيعر والكرب وغيرها.

وقضاعة: قبيلة كبيرة من حمير، تنسب إلى قضاعة بن عمرو بن مرة بن زيد، وهي قبائل كثيرة منها: خولان عامر وغيرها.

(٣) خولان: من القبائل اليمنية الكبرى، وهي تطلق على:

١- خولان الطيال (العالية) إحدى القبائل الحميرية، ومنازلها في شرقي مدينة صنعاء إلى قرب مأرب، ولها فروع كثيرة، منها: بنو سحام، وبنو شداد وبنو ضبيان وبنو جبر والأعروش وبنو جهم وغيرها.

٢- خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة، تسكن في مساحة واسعة في صعدة، ومن أشهر قبائلها: سحار وجماعة وبنو مالك ورازح ومنبه وبنو بحر وبنو خولي وحيدان وبنو بجيد والكرب والمهرة. =

وَأعمَامُنَــا مِــن حَــيٍّ بِكــرٍ وَتغلِــبٍ ... وَيغلِــبُ مَــن لَبَّتْــهُ بِكــرٌ وَتَغلِــبُ[١]

وَمِــن مُضَــرَ الحَمــرَاءِ كُــلُّ مُقَاتِــلٍ ... لَــهُ مَنصِــبٌ منــهُ النَّبِــيُّ المُهَــذَّبُ[٢]

وَعَــكُّ بــنُ عَــدْثَان بَنُــو عَمِّنَــا الأُوْلَــى ... أبُــوهُم إذَا عُــدَّ النَّجَــارُ لَنَــا أَبُ[٣]

فَــلَا حَمَلَــت كَفِّــي حُسَــامَاً مُجَرَّبَــاً ... وَدُونَ مُضي عَزمِي الحُسامُ المُجَرَّبُ[٤]

بَنِــي عَمِّنَــا الأوتَــارُ عَيــبٌ وَلَحنُهَــا ... وشَــارِبُ خرطــومِ المَدَامَــةِ أَعْيَــبُ[٥]

أَيَســتخلِفُ الــرَّحمَنُ قُلــتُم بَهِيمَــةً ... لَــه مَأكَــلٌ نَسْــلٌ حَــرَامٌ وَمَشــرَبُ

يَظَــلُّ وَيُمسِــي لَا يُقِــيمُ فَرِيضَــةً ... وَيلهُــو بِــأبوابِ المَلاَهِــي وَيَلعَــبُ

كَــذَبتُم وَبِيــتِ اللهِ لَا تَأخُــذُونَهَا ... مُرَاغَمَــةً مَــا لاَحَ فِــي الجَــوِّ كَوكَــبُ

وأما حِمْيَر بكسر الحاء وسكون الميم وفتح الياء: فتنتمي إلى حمير بن سبأ بن عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وهي قبائل كثيرة، من أشهرها: قضاعة والأصابح والمعافر والكلاع والشراعب ويحصب ورعين وغيرها.

[١] بكر وتغلب: ابنا وائل بن قاسط بن هنب بن أقصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان.

[٢] مضر الحمراء: بن معد بن عدنان، وسميت الحمراء، لأن مضر أعطي الذهب من ميراث أبيه، وقيل لأن راياتهم في الحرب كانت حمراء.

[٣] عك بن عدنان بن أدد أخو معد بن عدنان، وهو الذي يشعر به كلام الإمام عليه السلام في قوله أبوهم إذا عد النجار -أي الأصل- لنا أبُ.

وفي الديوان: (علكّ بن عدثان)- بالثاء المثلثة- بن عبد الله بن الأزد، قبيلة كبيرة من قبائل الأزد، ومن فروعها: غافق وساعدة وعبس، وبولان، وهي من القبائل التي هاجرت إلى الشام أيام الفتوحات الإسلامية، ولهم بقية بتهامة في وادي مور وسهام، ومن قبائلهم: الربصة والرقابا والحجبا والمغالسة وغيرها.

[٤] يعني أن عزمه أمضى من الحسام وهو السيف.

[٥] الخرطوم: الخمر السريعة الإسكار.

ذَرُونَا نُرِيْكُم كَيفَ تَشتَجِرُ القَنَا وَكَيفَ يَثُورُ النَّقعُ والنَّقعُ أَشهَبُ
أَلَا كُلُّ شَيءٍ مَا خَلَا اللهَ بَاطِلٌ وَنَحنُ جُنُودُ اللهِ واللهُ يَغلِبُ
فَقُلْ لِي لِأَملَاكِ البَسِيطَةِ سَامِحُوا فَلَا الحِصنُ مَنَّاعٌ وَلَا الجَمعُ يُرهِبُ
فَإن لَمْ تَدِيْنُوا قَبلَ يَومٍ عِصَبْصَبٍ فعِندِي لَكُم بِاللهِ يَومٌ عِصَبْصَبُ[1]
أَيَدفعُ أَمرَ اللهِ حِصنٌ مُشَيَّدٌ وَسَختٌ حُطَامِيٌّ وجُنْدٌ مُوَشَّبُ[2]
سَنجلِبُهَا شُعْثَ النَّوَاصِيْ كَأَنَّهَا جِبَالُ حُنَينٍ والجِبَالُ تُأَوِّبُ
وَنُرسِلُهَا رَهوَاً رِعَالَا كَأَنَّهَا عَصَائِبُ طَيرٍ فِي السَّمَاءِ تَقَلَّبُ[3]
أَمِثلِي يَنَامُ الليلَ والخَمرُ يُشرَبُ أمِثلِي يَلَذُّ العَيشَ والعودُ يُضْربُ
حَرَامٌ عَلَيَّ النَّومَ إِلَا أَقَلَّهُ وَوَجهُ المَعَاصِي ظَاهِرٌ لَا يُحَجَّبُ
غَضِبتُ لِرَبِّي حِينَ عُطِّلَ دِينُهُ فَهل غَاضِبٌ مِثلِي لِذِي العَرشِ يَغضَبُ
أَلا حَبَّذَا قَرعُ الحَوَاجِبِ بِالظِّبَا وسُمرُ العَوَالِي فِي النُّحُورِ تُقَضَّبُ
وصَبِّي لِرَأسِ الأعوَجِيِّ عَلَى العِدَى وحُمرُ الدِّمَا مِن عَارِضَيَّ تَصَبَّبُ
فَيَا حَبَّذَا قَولُ المُنَادِي بِسحرَةٍ أَلا طَالَ هَذَا اللَّيلُ يَا قَومِ فَارَكَبُوا
أَغِيرُوا أغيرُوا لَا أَبَاً لِأَبِيكُمُ أَتِمُّوا رؤوسَ الخيلِ لا تَتَهَيَّبُوا
وَجمعِيَ للأعرَاجِ والصُّبحُ أَشهَبٌ وَسَيرِي أَمَامَ الخَيلِ والليلُ أخطبُ
وَقَولِي لِخَيلِي لَا تَهُلكُم جُمُوعُهُم وشُدُّوا عَلَيهِم تَقتُلُوهُم وتَسْلِبُوا
أَلَا هَل لِأَمرٍ شَاءَهُ اللهُ دَافِعٌ وهَل لِقَتِيلٍ كَادَهُ اللهُ مَهرَبُ

---

[1] يوم عصبصب: أي شديد.

[2] السخت: الشديد، والحطامي: الدروع الثقيلة العريضة، التي تكسر السيوف، وهي منسوبة إلى حطمة بن محارب.

[3] جاءت الخيل رهواً: أي متتابعة يتبع بعضها بعضاً، وسيرها سريع، والرعال القطعة من الخيل متقدمة.

[قدوم الشيخ المكين عزان بن سعد المذحجي على الإمام عليه السلام]

وممن وفد إلى الإمام عليه السلام إلى براقش: الشيخ المكين، عز الدين، سيف أمير المؤمنين، عزان بن سعد بن عزان الحبيشي المذحجي، وهو رئيس قومه والمقدم في عشيرته، وكان ملتزماً بأسباب الدين، شديد البحث عن الأدلة والبراهين، قوي النظر، وكان الغالب على أهل بلاده مذهب الجبر، وكان أبوه في بدئ الأمر على رأيهم فخرج إلى مذهب الزيدية بعناية الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان بن الهادي إلى الحق عليه السلام فنشأ على طريقة أبيه، فانتشر المذهب في تلك البلاد وتقوى أمره، وعزم على الحج في تلك السنة وجعل طريقه عند الإمام عليه السلام، فكان وصوله سبباً لتقوية الدين، وعز المسلمين، وبايعه الإمام عليه السلام فبايع، وسمع وأطاع، وبذل من نفسه الجهاد في سبيل الله، وعلم أن فرض الجهاد أوجب من الحج، ووقف في جملة الإمام، رغبة في الجهاد، وما فارقه حتى وصل إلى كوكبان، وأمره بالتقدم إلى بلاد مذحج من هنالك في شعبان من سنة أربع وتسعين وخمسمائة، وكان يخشى عليها بعده من الغز؛ لأنه كان قد حاربهم في مواقف كثيرة حتى صارت له هيبة عظيمة عندهم، وكان يجيد الرمي بالنشاب، ويقتدر في اقتداراً عظيماً، وكذلك جماعة من أصحابه، ولم يكن أحد يقتدر في الرمي مثل اقتداره، حتى أنه غزاهم قوم من الغز على بغتة بعد طلوع الفجر وهو يتوضأ في موضع فوقع القتال بينهم فقتل من الغز خمسة بالنشاب، فرجعوا على أعقابهم منهزمين، فلما تقدم إلى البلاد ثبت اعوجاجها، وقبض خراجها، وجمع منها الأموال الجليلة، وملأ منها بيوت المال، وكان يأمر بالذهب والفضة جملاً كثيرة، وما كان يمنعه في بعض

من الإنفاذ إلا عدم الرسول وخوف الطريق، فكان من أقوى الأعوان، وأعظم الأنصار إلى أن اختار الله له ما هو أصلح، وقبضه إلى رحمته ورضوانه.

[قدوم الفقيه العلامة أحمد بن عبد الأعلى الضميمي]

وممن وفد إلى الإمام عليه السلام: الفقيه العالم أحمد بن عبد الأعلى الضميمي[1]، وصل من بلاد مذحج لما بلغته الدعوة، فلم يسعه الوقوف بعد ذلك، فبايع والتزم بحبل الطاعة، وحقق أمور أهل البلاد، وما عندهم من المحبة والإقبال إلى الطاعة، وأنشد هذا الشعر:

[قصيدة العلامة الضميمي في مدح الإمام عليه السلام]

الله أكبـر روح القـدس أم بشـرُ ... أم كوكب ضوؤه في الأرض منتشِرُ

في حلقة القوم نور ساطع شرق ... حسناً وآيات مجد ليس تنحصِرُ

لما علا ورأت عيني طلائعه ... غشوته وغشاه البدو والحضَرُ

فكم تجشمتُ من تنهاء مظلمة ... كالترس ليس لإنسي بها أثَرُ

وكم توردت والآمال طامحة ... منها موارد لا يرجى لها صدَرُ

حتى انتهيت إلى من لا يقاس به ... إلا أوائله الوضاحة الغرَرُ

أنشدت نفسي وقد عاينت غرته ... هذا الإمام الذي قد كنت أنتظِرُ

هذا ابن حمزة سيف الله مشتهر ... في كفه مرهف العرنين مشتهِرُ

---

[1] الفقيه العلامة الأجل، الأفضل الأكمل، أحمد بن عبد الأعلى الضميمي رحمه الله، شيخ معمَّر، جليل القدر، جميل الذكر، بحر من بحار العلم الزاخرة، وهو مدحجي الأصل، سكن بلاد بني حبيش.

هذا ابن حمزة عبد الله يشهد بالـ ـفضل المبين عليه الخُبرُ والخَبَرُ
هذا ابن فاطمة الساعي وطائره الـ ـميمون في كل ما يأتي وما يَذَرُ
هذا الذي أفصحت عن فضل والده وفضله محكمات الآي والسورُ
مهذب الجد وضاح شمائله يغضي له الأبهيان الوشيُ والزَّهَرُ
إذا تهلل مثل البدر مبتسماً تهللت من يداه البُدْنُ والبُدَرُ
وإن تذمر مات الموت من فَرَقٍ وماد بالأرض منه الخوفُ والحذَرُ
إن صال أو قال أو جادت أنامله فالغيث والليث والصمصامة الذكَرُ
يفتَرُّ مبتسماً والحرب عابِسَةٌ إذا هي ابتلت الأعطاف والغُرَرُ
أغر تحسب نصل السيف في يده نجماً يجول به في الحومة القَمَرُ
يا آل ياسين أنتم في الورى وزرٌ وملجأٌ حين لا ملجا ولا وَزَرُ
أنتم ينابيع علم لا تغيض وفي أيديكم العُضُبُ المشطوبةُ البُتَرُ
أنتم أناس أقام الدين صَعْدَتَهُ بكم وفيكم وأنتم ظُفرُهُ الظَّفرُ
ولا تظلكم الرايات في رَهَجٍ إلا أَطَلَّ عليها الفتحُ والظَّفَرُ
وكم لكم يا بني الزهراء من شرف صاف تنسم عنه مأزف كَدِرُ[1]
فالحمد لله قد قامت قناتكم آل العباد وقام العدل والنظَّرُ
يا آل أحمد أنتم خير من وَخَدَت به الركاب ومن سارت به السيَرُ[2]
وأنتم عصمة المستعصمين وأمـ ـن المؤمنين وأنتم للورى عَصَرُ[3]

---

[1] المأزف: الشيء القذر.

[2] الوَخْدُ: الإسراع.

[3] العَصَر -بالتحريك-: الملجأ والمنجاة.

في منشأ نشأت منه التلاوة لا حيث المزامر والعيدان والوَتَرُ
وأذهب الله عنه الرجس تطهرة له وجاء به القرآن والأثَرُ
والأمر والدين والبيت العتيق لكم وزمزم والصفا والحِجْرُ والحَجَرُ
مجد تغلغل في كنه العلو إذا تغلغلت قصرت من دونه الفِكَرُ
يا آل أحمد إن الله خصكم دون الأنام بما لم يؤته بَشَرُ
وقال قوم هم في الفضل مثلكم ولا أرى اليوم تحقيقاً لما ذكروا
أنى وطينة عليين طينتكم وطينة الناس إلا أنتم العَفَرُ[1]
والناس أرض وأنتم آل أحمد في أفق العلو عليهم أنجم زُهُرُ
وذكركم بعض أذكار الصلاة وما رأيتهم قط في أذكارها ذُكِرُوا
تلك المكارم لا قعبان من لبن وذلك الدين ليس الجبر والقَدَرُ

[مدة إقامته في الجوف واستنهاض القبائل له لرفع الظلم عنهم]

وكانت مدة إقامة الإمام عليه السلام في الجوف شهرًا وأحد عشر يوماً، والمكاتبات متواترة إليه من كل جهة يستنهضونه ويطلبون منه النصرة والمبادرة بالوصول، ويحققون له شدة الأمر وظهور الجور وانتشار الظلم.

فوصله كتاب السلطان الأجل علي بن حاتم بن أحمد بن عمران بن الفضل اليامي من حصن ذمرمر.

وكتاب من ولده عمرو من كوكبان.

---

[1] يوم عصبصب: أي شديد.

وكتاب من المشايخ بني الضريوه بحصن ثلا.

وكتاب من الأمير المنتصر محمد بن المفضل.

وكتاب من الأمير محمد بن فليتة من جهة جبل حضور.

وكتاب من جهة الشرفاء أولاد يحيى بن الحسين من ناحية المغرب، كل يستدعيه إلى ناحيته، ويرجو الفرج على يديه عليه السلام، وهو في خلال ذلك يصلح أحوال الجوف ويأمرهم بالتأهب للنهوض، وهم يعدونه يوماً بعد يوم.

[قصيدة القاضي علي بن نشوان في استنهاض الإمام عليه السلام]

فقال القاضي الفاضل علي بن نشوان هذا الشعر يحضه على النهوض:

يا مُوقد النارِ السعيرةِ أَجِّجِ	واشهر بمضرمها شعارَ المخرجِ
أشعل وشيكا جذوة ببراقش	لتضيء ما بين العراق ومَنبَجِ
بشرائع التغليس والتهجير والـ	ـآساد حين أقول أدلجِ أدلجِ
والكر بين الفيلقين وصولة	تحت العجاج وطعن كل مدجَّجِ
ولقد سئمتُ من المقام وظله	وتشوقت نفسي لظهر الأعوجِي
ولموقف حصني به سُمْرُ القَنَا	وشَبَا الظُّبَا وقَرَى الحصانِ المُسرَجِ[١]
قامت شواتي حين أنشد منشدٌ	ألجم جياداً يا غلام وأسرِجِ
وأرقتُ من طَرَبٍ إلى غزو العدى	بالجرد لا وصْل الغزال العَوهَجِ[٢]
يا مسعدَيَّ على مقارعةِ العدى	ومسابقَيَّ إلى الصريخ المزعِجِ

---

[١] القَرى —بالفتح—: الظهر.

[٢] الغزال العوهج: الطويلة العنق.

ذهب السلُوُّ فودعا طيبَ الكَرَى وتتبعا أثري وسيرا منهجِي
كلفي بطِرْفٍ لاحقيٍّ مُضْمَرٍ نهدِ المراكل لا بطَرفٍ أدعَجِ[1]
وكتيبة موصولة بكتيبة تختال في حلق الحديد المدمَجِ
وتطيبي بعجاج نقع ثائر ودم لأثواب الكمي مضرِّجِ
ولقد شهدت الخيل تقرع بالقنا في مأقط بحذا الوغى مُتَوَهِّجِ
ولقد سريت الليل حتى خلت ما أيقنت منه كالقميص المنهَجِ
ولقد دخلت على السباع وجارها وولجت غاب ضراغم لم تولَجِ
ولقد وردت أنا وأوسٌ مورداً في مسلك من أَمَّهُ لم يخرُجِ
والشمس في وسط السماء مظلةٌ والجو أقتمَ بالعجاج المرهِجِ
وكأن رقراق السراب بقيعة ذوب اللجين هرقته من بولج
قوما فشدا لي على عبلِ الشوى عُردِ النَّسَا صافي الأديم مدلَّجِ[2]
نهدٍ أَقَبِّ الأيطلين إذا عدا في البيدِ خلتَ مَمَرَّ ريحٍ سيهَجِ[3]
أَرِنٌ يُجاذب للمويث عناية طربًا ويصهل عند صوتِ المُسرِجِ[4]
وكأنه سيد إذا ناقلته وإذا مددت له فبارقُ زبرِجِ
إيهٍ فقد طال الثواء ولم يعد إلا الخروج إلى العلوج بمخرجِ
جم العديد تضيق كل تنوفة بكماته وبجمعه المتدجِّجِ

---

[1] الطرف –بالكسر–: الكريم من الخيل. والطرف –بالفتح–: العين.

[2] العرد: الصلب الشديد، والنسا: عرق من الورك إلى الساق.

[3] النهد: الفَرَسُ الحَسَنُ الجَميلُ الجَسيمُ اللَّحيمُ المشْرِفُ. والقَبَبُ: دِقَّةُ الخَصْرِ، وضُمُورُ البَطْنِ. والأيطل: الخاصرة. والريح السيهج: الشديدة.

[4] الأرن: النشط.

والصبر في الأزمات والعزمات في الـ حملات حتى تحتوي ما ترتجي
ولحاق أهل الظلم حيث توجهوا في كل فج في البلاد ومنهَجِ
حتى يعود الحق حقاً بَيِّنَاً يهدي الأنام بنوره المتبلِّجِ
لست ابن أحمد إن رَوِيتُ من الكَرَى أو إن نعمت بطيب ماء الحشرَجِ
والعجم عاكفة على فعل الخنا والفسق في صنعا وشرب المبهِجِ
لأحكمن البيض في هاماتهم حتى تُرى كالحنظل المتدحرِجِ
وأذيقهم كأس المنية عنوة عوضَ المدامة والشِّواء المنضَجِ
ولأقصين جموعهم بكتائب من غلب همدان الحماة ومذحَجِ
والشم خولان بن عمرو والذرى من حمير أبناء كل مُتَوَّجِ
ولأنشرن الحق نشراً شاملاً يحيى العراقُ بنشره المتأرِّجِ
وأطهرن الأرض من أدناسها ومن المظالم والأثام المحرِجِ
وأنزهن الظالمين بقتلهم والسيف خير مقوم للأعوَجِ
أنا حجة الله المبينة للهدى أنا عصمة اللاجي وحصن الملتجي
من يعتصم بلواي من كل الورى تفتح له أبواب كل مُرَتَّجِ
من كنت في يوم المعاد خصيمه في حجة عند المهيمن يفلِجِ

ثم لم يكن وقوف الإمام عليه السلام بعد ذلك إلا قدر ثلاثة أيام ونهض متوجهاً إلى اليمن **في شهر جمادى الآخرة من شهور سنة أربع وتسعين وخمسمائة**، فالتأم إليه من الجوف قدر خمسين فارساً، وقد كان قدم الكتب

إلى كافة القبائل يأمرهم باللقاء إلى بُهمان[1]، فاجتمعت قبائل حاشد وبكيل والشرفاء آل القاسم وأهل بلادهم، فاجتمع خلق كثير من كل جهة.

فتكلم معهم عليه السلام ودعاهم إلى الطاعة، وذكرهم بأيام الله، وحضهم على الجهاد، فلبوا دعوته، واستبشروا بالنصر من عند الله على يديه، ورفع أصناف الظلم والفساد ببركته، **وذلك يوم الأحد لست وعشرين ليلة خلت من جمادى الآخرة.**

[*التوجه إلى أثافت ثم بني شاور وإزالة مواضع الفساد*]

ثم نهض من الملقى بعد إجابة الناس له وامتثالهم لأمره فأمسى بأثافت، وهو يريد التوجه إلى كوكبان.

فلما كان من الغد نهض بمن معه حتى أتى بلاد بني شاور، فأمر بخراب مواضع الفساد في موضع يسمى جعرة، فأُخرب مع كراهة لأهل البلاد لذلك، وأتى إلى الإمام جماعة من أصحابه –وقد وقع عندهم خوف من أهل البلاد– لهذا السبب، وقالوا: إن رأيت الإمساك عن خراب هذه المنازل فنحن في أوساط القوم ولا يد لنا عليهم، فأغلظ في القول وقال: (لا بد من هدمها، وإنما الغرض الجهاد، وإزالة الفساد أينما كان)، فهدمت تلك الدور.

[1] بهمان: قاع واسع يقع في جنوب مدينة حوث في ظاهر همدان.

[اللقاء في الهجر والبيعة للإمام عليه السلام من الشرفاء والمشائخ]

وتقدم إلى الهجر وقد صارت خيله مائة وبضع عشرة فرساً، وأقبل الناس من كل جهة واجتمع جيش كثير فتقدم للكلام معهم، فوعظهم وبصرهم، وعرفهم بما يجب عليهم من إجابة دعوته، والانقياد لأمره، وبين لهم ما قد أصابهم من ولاة الجور والظلم، وما تعين عليه من فرض القيام والجهاد، وعرض نفسه في ذلك الموقف للامتحان وإيراد المسائل والاختبار.

وكان في جملة من حضر ذلك الجمع: **الشرفاء أولاد يحيى بن الحسين، وعبد الله وأحمد ابنا محمد بن عبد الله بن سليمان، والحسن بن يحيى بن عبد الله بن سليمان، هؤلاء من آل الهادي إلى الحق عليه السلام.**

ومن الشرفاء العباسيين: عبد الله وأسعد ابنا علي بن محسن، ومحمد بن حيدر، وعلي بن حاتم بن محسن، ومحمد بن علي.

والشيخ أحمد بن أسعد الفضيلي، صاحب هجرة قاعة، وجماعة من أصحابه، حضروا وبايعوا من غير سؤال وبحث بعد تحدثهم بذلك.

وحضر الشيخ **علي بن منصور الضريوه**، صاحب حصن ثلا، فبايع وسمع وأطاع.

[اللقاء الجامع في بلاد حمير]

ثم تقدم الإمام عليه السلام والقبائل ثابتة من كل جهة سامعة طائعة، حتى أتى إلى بيت أقرع من بلد حمير.

وأقبلت العساكر للملقى الجامع إلى هنالك، فوصل الأمير المنتصر بالله العفيف محمد بن المفضل بن حجاج، ويحيى ابن أخيه منصور بن المفضل[١]، والأمير الكبير محمد بن فليتة بن القاسم، والأمير نظام الدين أبو الفتح بن محمد العباسي، كل واحد منهم في عسكر عظيم، وجمع كثير من الشيعة من هجرة وقش[٢] والجبجب، وغيرهم من سائر الهجر، وأهل البلاد النازحة والدانية، وقد عقد كل منهم راية[٣].

---

[١] يحيى بن منصور بن مفضل، قال في تاريخ السادة -آل الوزير-: له من الحال في العلم والزهادة والخير والبركة والإفادة والنجدة والشره على الظالمين ومحاربة أعداء الدين مثل ما لأخيه، قام بعد الإمام المنصور بالله عليه السلام، واحتسب وتكنى بالمعتضد، ونابذ الغز وقاتلهم، وكان بينه وبينهم أيام حرب، منها يوم ضبوة وغيره من الأيام، وله أشعار في ذلك وافتخار، وتوعد لهم بإزالة ملكهم على يده، وأنه سيطهّر منهم البلاد، ويريح عنهم العباد، وكان الإمام المنصور بالله عليه السلام يعرف منه الهمة العالية، فكان يجله ويرفع مكانه، وله إليه مكاتبات كثيرة، وقفنا عليها، ومنها ما هو معنا وبين كتبنا، ومنها ما وقفنا عليه في بعض الكتب، ومما وقفنا عليه كتاب من الإمام عليه السلام إلى الأمير المعتضد بالله مع حي السيد المهدي علي بن الهادي، ويحيى بن منصور هو الذي بنى هجرة شمس وأحدثها، وكانت تسمى قبل ذلك العشة ـ أعني في ابتداء إحداثها. مات يحيى بن منصور فيما أحسب قبل أخيه محمد، وقبره بوقش.

[٢] وقش: قرية من عزلة بني قيس، ناحية بني مطر.

[٣] قال الأمير سليمان بن حمزة السراجي: وصلت مشائخ من الزيدية المطرفيَّة إلى دار البستان بصنعاء، ثم أرسلوني إلى الإمام عليه السلام في إجماعهم للمناظرة ليصح لهم هل وجبت عليهم الحجَّة، قال: وكان ممن حضر ذلك اليوم الأمير الأجل الفاضل العفيف بن محمد، والشيخ أحمد بن أسعد الفضيلي، والشيخ ناصر بن علي الأعروشي، وسعيد بن عواض الثآبي، وجماعة من أصحابهم، والشيخ علي بن براهيم الحجلم، وجماعة من العارفين من أهل الجبجب، والسلطان محمد بن إسماعيل، والفقيه علي بن يحيى في جماعة من علماء وقش، ومحمد بن ظفر، وجماعة من

ووصل السلطان عمرو بن علي بن حاتم في عسكر كثير، ووصل المشايخ أهل ثلا في جمع كثير.

ووصل السلطان زريع بن حسين بن الأمير من نهج مسور في جمع.

علماء سنحان، والسلطان يحيى بن سبأ الفتوحي، وأحمد بن مسلم في وجوه أهل مسور، والشريف علي بن مسلم، وجماعةِ من شيعة بلد الأنبا، وشيعة بني حبيب وبني سحام، فلقيهم الإمام في المجلس الذي عند البركة على يمين الداخل إذا أراد دار الإمام.

فتكلموا على مراتبهم وقالوا: نريد نختبر.

فأجاب الإمام عليه السلام – بعد الحمد والثناء والصلاة والسلام على محمد وآله – ثم قال: يا قوم أنا حجَّة الله عليكم، وإمام سابق، أدعوكم إلى بيعتي ونصرتي على أعداء الله سبحانه، وإنصاف المظلوم، وقمع الظالم، ولا أعدو بكم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، فمن كان منكم شاكاً في أمري، أو منكراً لإمامتي، أو مستقصراً لعلمي، فليسأل عمَّا بدا له، ولا يستحيي مني، فإن الله لا يستحي من الحق، ها أنا ذا قد نصبت نفسي للمعترضين عرضاً، لأؤدي مفترضاً، وأشفي من شك مرضاً، وأطلب بذلك من الله رضا.

فقال الجميع: ما وصلنا إلا لنعجُم عود مخبرك، ونستقصي غاية خبرك، ونأخذ في أمر ديننا باليقين، ونستوضح سبُل الحق المبين، فأنصت لسؤالنا، واصغ لمقالنا، وارفع عنا المنقود في هذا الباب، فهو مرفوع في هذا الأمر عند ذوي الألباب.

فقال: اسألوا عما أحببتم، وبالله لا أخرتم شيئاً من مسائلكم ولا كتمتم ، فما يحل فيه المحاباة، وخرجنا إلى باب التعنت والمعاياة.

فسأل كل من الجماعة المذكورين وغيرهم عن مسائل غوامض من العلوم، وأغرقوا في البحث عما لا يفهمه إلا الأئمة السابقون، والعلماء المحققون، والإمام عليه السلام يوضح لهم السبيل، ويحقق لهم الدليل، حتى إذا أوعب مسائلهم، وحصر سائلهم، قالوا مجتمعين: نشهد أنك إمام الخلق أجمعين، فبايعوه أجمعون.

ووصلت قبائل حمير، وجمع من همدان البون، ومن بني صاع، ومن بلاد بني أعشب، وبني شاور، فاجتمع خلق كثير لا يعلم عدتهم إلا الله تعالى.

[كلام الإمام عليه السلام يدعو الناس إلى بيعته]

فتقدم الإمام عليه السلام في ذلك المقام فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وعلى آله وقال:

يا معاشر المسلمين، إن الله تعالى لم يخلقكم عبثاً، ولم يهملكم سدى، ولم يشرك في خلقكم أحداً، ولم يُوجدكم للذات الدنيا، وخفض المعاش في المحيا، وإنما خلقكم لعبادته، وهداكم سبيل طاعته، وبَيَّنَ السبيل، وأوضح الدليل، وجعلكم ممكنين، وعن فعل الخير غير ممنوعين ولا مأسورين.

ثم بعث محمداً صلى الله عليه داعياً إلى الدين القويم، هادياً إلى الصراط المستقيم، مبلغاً للرسالة، منقذاً من الضلالة، بشيراً نذيراً، ظهيراً للحق نصيراً، فهدى صلى الله عليه، وبصر وقرب، وبشر وأنذر، وحذر وأعذر، فمن عباده من انتبه واهتدى، ومنهم من اختار الضلالة على الهدى، فذلل الله به أعناق الجبارين فخضعت، وقمع رؤوس المتكبرين فانقمعت، ووضع صياصي الظلم فاتضعت، ورفع ذُرى الإسلام فارتفعت، ووسع مسالك الحق فاتسعت، فلما أصلح الله به عباده، وأكمل له دينه قبضه إليه قابلاً له راضياً عليه، فصلى الله عليه صلاة تقارن روحه، وتنور ضريحه.

وجعل بعده الحجةَ على عباده كتابَه المبين، وعترةَ رسوله الأمين، كما روي عن خاتم النبيين: ((أهل بيتي فيكم كسفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق وهوى))، ((إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض)).

أيها الناس: إنه لما عظمت نعم الله لدينا، ووجبت حجته علينا، - وصرنا أعلم الناس بالحلال والحرام، وأعرفهم بشريعة محمد عليه السلام، وأولاهم بتدبير الأمور، وأبصر بسياسة الجمهور، ولم يبق لنا عند الله تعالى في الغفلة معذرة، في الدنيا والآخرة - قمنا إلى الله تعالى داعين، وإلى ما يرضيه ساعين، ولأمره مطيعين، ولهديه متبعين، حيث قال في كتابه المبين: {**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**}[آل عمران/١٠٤]، فدعونا الناس إلى رضا الله جاهدين، هادين إلى الحق مهتدين، باذلين للنفوس والأموال مجاهدين، وقد بلغتكم دعوتنا، وقرعت أسماعكم واعيتنا، ووجبت عليكم بيعتنا، وقد روي عن جدنا سيد البشر أنه قال: ((من سمع واعيتنا أهل البيت ولم يجبها كبه الله على منخريه في نار جهنم))، وقد طال ما أسدل الظلمُ رُواقَه، وألقى على بدر العدل محاقَه، وأظهر السلطانُ شقاقَه، وأخذ على الظالمين ميثاقَه، والآن قد أذن الله بعلو الحق واستظهاره، واشتهار العدل وانتشاره، ودمغ الباطل وخمود ناره، وهدم مناره، وانطماس آثاره.

فبادروا - رحمكم الله- فقد وجب عليكم الفرض، إلى جنة عرضها السموات والأرض، واغتنموا الفرصة، قبل نزول الغصة، واستقصاء كل قصة.

وانظروا لأنفسكم ما دمتم في مَهَل، قبل حلول الأجل، وانقطاع الأمل، والسؤال عن العمل.

واعلموا أنا قد أطلقنا لمن أنكر دعوتنا، وكره بيعتنا، المطالبة بالحجة والبيان، والسؤال عن واضح البرهان، والبروز إلى مضمار الامتحان، فقفوا على العَيِّنَة، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حيي عن بينة، واصدقوا النية، واسلكوا السبيل الجلية، وخذوا الفائدة نقداً لا نسية، فهذا الفرس وهذا الميدان، لكل شاسع ودان، ولا تأخذوا في دينكم إلا بالوثيقة، ولا تعملوا إلا على البصيرة والحقيقة، وتعاونوا على البر والتقوى، وتناهوا عن المنكر واتباع الهوى، وزعوا أنفسكم عما تحب وتهوى، {**هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**} [يوسف/١٠٨]، {**إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**} [هود/٨٨].

فلما سمع الناس كلامه ووعظه وتذكيره انثالوا إليه وتزاحموا عليه، فبايعه الأمراء المقدم ذكرهم، والشرفاء والسلاطين وسائر الناس، من كافة القبائل، وأهل الهجر المذكورة، وغيرهم ممن حضرهم ذلك الجمع إلى أن دنا الليل، ولم يبايع البعض للكثرة وضيق الوقت، وأمر الناس بالتفرق في القرى من نواحي بلاد حمير.

فلما أصبح **يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة خلت من شهر رجب المعظم من سنة أربع وتسعين** نهض متوجهاً إلى حصن كوكبان.

[كلام الفقيه أبي القاسم يدعو الناس إلى البيعة في الملقى الكبير]

وهذا مقام للفقيه الفاضل شهاب الدين، أبي القاسم بن حسين بن شبيب الخشني، قام بين يدي الإمام عليه السلام في الملقى الجامع المذكور من بلد

حمير، وناحية حضور المصانع، فقام هنالك، وقال - بعد الثناء على الله تعالى، والصلاة على محمد وآله-:

يا معشر القبائل، ويا أسود الجحافل، ويا خطباء المحافل، ويا معشر المسلمين خاصة دون الناس عامة، إني قائل فاسمعوا، فإذا سمعتم فعوا.

اعلموا أن الأمر الذي كنتم تطلبونه، والنور الذي كنتم تَوقعُونَه، وتعدون له الليالي والأيام، والشهور والأعوام، ها هو في عترة نبيئكم -صلى الله عليه وآله- قد لمع، وضياؤه قد سطع، وقائمهم للفضائل قد جمع، وفي العلم قد برع، وفارق الطمع، وباشر الورع، وفارق الراحة، وجانب الاستراحة، واشتدت على الظالمين شكيمته، وتقوت عزيمته، وغزرت ديمته، وعلت قيمته، وقام لله تعالى راغباً، ولأعدائه مناصباً، ولصلت جبينه ناصباً، حين بُدلت الأحكام، وعُطلت شرائع الإسلام، وشرب المدام، وارتكبت الآثام، واستغني عن الحلال بالحرام، وكثر الفساد بالبلاد، واستطالت أيدي أهل العناد، فبايعه السادة الأجلاء، والكبراء الفضلاء، أهل السؤدد الباذخ، والشرف الشامخ، والعلم البارع، والورع الذائع، من أهل بيت محمد -صلى الله عليه وآله وسلم-وغيرهم من أولياء الله المتقين، والعلماء المخلصين، وأهل الورع واليقين، بعد الاعتبار، والسبر والاختبار، فوجدوه خِضَمّاً لا تنزفه الدلاء، وطوداً لايناله الارتقاء، وليثاً لا تهوله الأهوال، ولا تقوم بصولته الأبطال، وحساماً لا تقوم له الجُنَن، ولاتروعه الفتن، وعزاماً لا يصاحبه الوسن، وجندلة تدمي منها المحاجم، وتتحاماها المراجم، فاحصدوا -رحمكم الله- ناجم الشك، وتعاونوا على حصاد أولي الإفك، وسابقوا إلى بيعته، وسيروا إلى طاعته، تحيوا سعداء، وتموتوا شهداء، فإن عترة نبييكم -صلى الله عليه- هم السادة القادة،

الذادة الحماة، الأباة الكفاة، وسفن النجاة، التي من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق وهوى، لله أبوكم من أي نور بعده تقتبسون، وبعد كتاب الله وسنة نبيه تلتمسون، فمن كان منكم ذا شك وارتياب، مستمسك من الخبرة بأسباب، فها هو في معرض الاعتراض، واقف نفسه لا يعيا عن جواب، ولا يكل عن خطاب، عالم بالسنة والكتاب، وهو الجدير بقول جده علي عليه السلام:

دبوا دبيب النمل لا تفوتوا — وأصبحوا في حربكم وبيتوا
فإنني قد طال ما عصيتُ — قد قلْتُمُ لو جيتنا فجيتُ
ليس لكم ما شيتمُ وشيتُ — بل ما يشاء المحيي المميتُ

ثم انتضى سيفه وقال:

ولو لم أكن فيكم خطيبًا فإنني — بسيفي إذا جد الوغى لخطيبُ
أخوض به للضرب في كل غمرة — فأثني به عن تلك وهو خضيبُ

[شعر القاضي علي بن سليمان الحيدرة بمَدَع]

وأنشد هذا الشعر بمدع للقاضي علي بن سليمان الحيدرة:

لعمري لئن ساء الزمان لقد سَرَّا — وأبدلنا بالعسر من حادث يسرا
بمبعث مولانا الإمام ابن حمزة الـ — ـمهذب عبد الله والدولة الغرا
هو القائم المنصور من آل أحمد — وبالقائم المنصور ننتظر النصرا
أبوه النبي المصطفى وهو فرعه — فأكرم به فرعا وأكرم بذا نجرا
وأحبب بها من دولة فاطمية — بديجور ليل الظلم أطلعت الفجرا
يقصر عن إدراكها ملكُ قيصر — ويُكسر لو يبغي مباراتها كسرى

فأنت إمام الحق قد شهد الورى بأنك أهداهم سبيلاً ولا فخرا
وأوسعهم علماً وأطولهم يداً وأزهدهم نفساً وأعلاهم قدرا
وأربطهم جأشاً إذا اشتجر القنا تيممت كبش القوم تجعله عَترا
فقم في سبيل الله قومة حازم خميصٍ عن الدنيا حريص على الأخرى
فقد ملأت غتم الأعاجم أرضه فجوراً وهذا حين تملؤها بِرًّا
بيوم يعز الله فيه جنوده ويبطش في أعدائك البطشة الكبرى
تجاثيهم للموت في حومة الوغى بحَرٍّ جلاد يذكرون به بدرا
ويسقون كأس الحتف بالبيض والقنا فتضربهم قصداً وتطعنهم شزرا
وتطحنهم طحن الرحى لبقالها فتثخنهم قتلاً وتوسعهم أسرا
بجيش كقطع الليل قد صير التقى شعارهم التسبيح لله والذكرا
وخيلٍ عرابٍ مقرباتٍ كأنها عفاريت جن تخطف السهل والوعرا
إذا حمرت بالدارعين حسبتها سفيناً عليها سندس تقطع البحرا
تسيرها نحو الحتوف فوارس ترى الموت تحت السيف لا ينقص العمرا
بأيمانهم بيض كأن شفارها بروق إذا ما أومضت قصَّت الصخرا
وسمر كحيات عليها لهادم تخيلها في النقع زاد الضحى جمرا
مساعير للهيجاء شوس كأنهم أسود إذا استقبلتها خلتها خورا
تروي صدى الرايات إن شكت الضما فتوردها بيضاً وتصدرها حمرا
فصبراً أميرَ المؤمنين وحسبة ستُنصرُ إن النصر ما فارق الصبرا
لقد خصك الرحمن بالفضل كله بأكرم أنصار فضاعف له الشكرا
بشيبة أهل البيت يحيى بن أحمد بـ ـن يحيى ين يحيى تملك البر والبحرا

وبالطـاهر الزاكـي أخيـه محمـد إذا شـهدا لـم تفقـد الشـمس والبـدرا
وبالفارس المشهور يحيى بن أحمد الـ ـذي سيفه بالهام مستهتر مغرى
وهذا الأمير الأوحد ابن مفضل فتى بذ أهل العصر بالفضل والعبرا
أمير كبير يملأ العين بهجة وهيبته من عظمها تملأ الصدرا
وميمون آل القاسم ابن فليتة ومن غرس النخل اجتنى طلعها تمرا

[دخول الإمام إلى كوكبان وطرد الغز]

[ولم دنا الإمام عليه السلام من كوكبان تلقاه السلطان عمرو بن علي بن حاتم إلى خارج الحصن، فسلم الحصن إليه، وسار في جملة العسكر بين يديه حتى دخلوا الحصن، فصار أمره إليه، ثم لما كان من الغد وهو يوم الجمعة نزل الإمام والعسكر إلى مدينة شبام، فصلى بالناس صلاة الجمعة، وبايعه الناس، ووقع مع أهل البلد الراة والأمن من الخوف، وكانوا على خوف شديد من الغز يتوقعون البيات، وقد غزوهم مراراً، وقتلوا منهم رجالاً، وفرضوا سور المدينة وأخذوا جانباً منها، وحصن الظفر يومئذ في أيدي الغز وديوانهم، يغزون منه ويرجعون إليه، وأمر الإمام عليه السلام جماعة من أصحابه في الليل فكنوا في موضع حول حصن الظفر، فلما أصبحوا طلعوا الأكمة السفلى فاستولوا عليها، وقتلوا فيها رجلين، وأخذوا جميع ما كان فيها، وصاح الصائح من الظفر إلى شهاب بالغارة، فركب في عسكر كثير من الغز، فوصل شبام ضحوة النهار الثاني، وقد كان اجتمع عساكر كثيرة، فأمر السلطان عمرو بن علي بعض

العسكر في ميسرة المدينة عند الميدان، وجعل السلطان بشر بن حاتم في الميمنة في عسكر عند باب الأهجر، وكان في جل العسكر وجمهوره في القلب، ووصل أوائل الخيل على جاري عادتهم إلى قريب من سور المدينة][1]، يتلو بعضهم بعضاً، فلما شاهدوا ما في المدينة من العساكر ألقى الله الهيبة في قلوبهم، فانقلبوا على إثرهم يسوق بعضهم بعضاً حتى ثار العجاج، بعد أن وقع مشاغبة بينهم وبين الناس، ورمي رجل على دائر المدينة بنشابه فقتل.

وعزم الإمام عليه السلام عند إقبالهم على الخروج للقتال فلم يلبثوا لذلك، وما زالوا في سَوقٍ على وجه الهزيمة إلى صنعاء، ولم يزد شهاب يَهِمُّ بشبام في تلك المدة، وكان بها زرع عظيم وكانوا يخافون عليه، فسلمه الله تعالى واستراح أهل المدينة وأمنوا بعد ذلك بالله تعالى وبركة الإمام عليه السلام.

---

[1] ما بين القوسين سقط من السيرة، وأكملته من التحفة العنبرية في المجددين من أبناء خير البرية.

[ملحق كتاب وقصيدة]

[دعوته عليه السلام للشيعة وتأكيد الحجة عليهم تضمنت شعراً]

وقال عليه السلام فِي دعوته إلى الشيعة وهي تأكيد الحُجَّة[1]:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمدلله وبه نستعين

من عبد الله المنصور بالله أمير المؤمنين عبد الله بن حمزة بن سليمان بن رسول الله صلى الله عليه وآله، إلى كافة المؤمنين والمسلمين.

سلام عليكم سنة من ربكم ماضية، وكلمة باقية، ورحمة الله وبركاته.

أما بعد: فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، الذي هدانا للإسلام، وجعل فينا النبوة والكتاب.

أيها الناس: فمن عرفنا فقد لزمه فرض معرفتنا، ومن لم يعرفنا فإنا نعرفه حق أنفسنا.

نحن أبناء البشير النذير، الداعي إلى الله تعالى بإذنه والسراج المنير، ونحن أهل البيت الذين كان جبريل عليه السلام إليهم يهبط ومنهم يصعد، رُبيت

---

[1] هذا الكتاب أضفته من مجموع آخر يحتوي على مجموع رسائل للإمام عليه السلام أجاب بها عن بعض الاعتراضات الواردة عليه، منها الناصحة المشيرة في ترك الاعتراض على السيرة والرافعة للإشكال وغيرهما، وستطبع قريباً إن شاء الله تعالى.

الحكمة في حجورنا، ودرجت في بيوتنا، وانبثت من منازلنا، ولا ينال الخير في الدنيا والآخرة إلا بنا، ونحن الحبل الممدود بين الله تعالى وبين عباده، فاعتصموا بحبل الله جميعاً، ونحن سفينة نوح من ركبها نجى، ومن تخلف عنها غرق وهوى، الويل لمن خذلنا، والويل لمن خالفنا، والويل والويل لمن طعن علينا وشتمنا، وكيف يجترئ على ذلك معترف بالله تعالى، وجدنا صلى الله عليه وآله يقول ((قدموهم ولا تقدموهم، وتعلموا منهم ولا تعلموهم، ولا تخالفوهم فتضلوا، ولا تشتموهم فتكفروا))، فما حال من خذلنا ورغب بنفسه عن أنفسنا، وزهَّد الناس في اتباعنا، بأي وجه يلقى جدنا، أيرجو أن يبلغ الخير بغير محبتنا، أو ينال السلامة بغير متابعتنا، وسلوك منهاجنا.

أيها الناس: إن كتابي هذا إليكم تأكيد لحجة الله تعالى عليكم، وإلا فالدعوة قد بلغتكم، والواعية قد قرعت أسماعكم، فما أقوى قلوبكم على معصية ربكم، وأشد جرأتكم على خلاف خالقكم، أما دين يمنعكم، ولا حمية تردعكم، ألم تسمعوا قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((من سمع واعيتنا أهل البيت فلم يجبها كبه الله على منخريه في نار جهنم)).

يا أصحاب الجباه السود، من كثرة السجود، خصوصاً دون الناس همود، أتظنون أن عبادكتم تعصمكم من النار، إذا خذلتم عترة نبيكم المختار، صلى الله عليه وآله الأخيار، ألم تسمعوا قول نبيكم صلى الله عليه وآله ((حرمت الجنة على من أبغض أهل بيتي، وعلى من حاربهم، وعلى المعين عليهم، أولئك لا خلاق لهم في الآخرة، ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب

أليم))، أتدرون من المعين عليهم - إن كنتم تعلمون-: ألا إنه الخاذل لهم، المتخلف عن داعيهم، الطالب العلل بتخلفه عنهم، الطاعن عليهم بلسانه، المستعين على تشتيت أمرهم بتجميع أعوانه، فانظروا رحمكم الله لأنفسكم نظراً مخَلِّصاً، فإنكم تنتهون إلى مقام لا تقبل فيه الفدية، ولا تنفع المعذرة.

يا معشر الفقهاء ويا أهل الحجا: أنا حجة الله تعالى عليكم، وعلى جميع أهل الأرض من غيركم، معروف النشأة، طاهر الميلاد، كريم الآباء والأجداد، والله فقد قلتُ والله — حلفة غير آثمة -: ما أعلم بيني وبين جدي رسول الله صلى الله عليه وآله رجلاً من غير أهل الجنة، إنما هم بين سابق ومقتصد، ولا أعلم من الأمهات إلا من هو سالك نهج السلامة، معروف بالجلالة والكرامة، ولا فعلت قبيحاً في سر ولا جهر أعلمه قبيحاً، ولا أكلت حراماً أعلمه حراماً، ولا طأطأت رأسي في مقام يجب عليّ فيه رفعه لله، وإني لشديد الغضب لدين الله، والأنفة على ملة رسول الله صلى الله عليه وآله، ولقد رجوت أن يصلح الله بي أمر هذه الأمة، ويلم شعث العترة، ويفقأ عين الفتنة، ويجمعكم على كلمة الحق يا معشر الشيعة، ويرحض عن أديانكم درن العداوة بماء الصفاء والمودة، فأي أرض تقلكم، وأي سماء تظلكم، ومن يجيركم من ربكم إذا عصيتم، قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((فتداركوا أنفسكم بالتوبة إلى الله تعالى، فليس بمسيء من أعتب، وأقبلوا فإن التوبة مقبولة، واستغفروا فإن الذنب مغفور.

وإن تماديتم في الخذلان، وقلتم كان وكان، وأخبرنا فلان عن فلان،

فأعدوا بلا مرية ولا فرية خلوداً للنيران، وقلوباً للأحزان، فإنكم لا تسترون بعدها بدنيا ولا آخرة، وستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري إلى الله.

أتظنون أني أنام ملئ عيني على وثير الوساد، والفسق ظاهر في البلاد، والعناد شامل للعباد، والله ما هو إلا تجريد السيف، ثم لا أغمده الشتاء والصيف، حتى يعرف اللهَ تعالى من أنكره، وينسى الشقاق من ذكره، فإن آخر هذا الدين لا يصلح إلا بما صلح به أوله، دعا رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الدين والمعجزات شاهدة، فقالوا: ساحر كذاب، فلما أمره الله تعالى بضرب أعناقهم، دخلوا في دين الله أفواجاً، ونحن أبناء ذلك الرجل.

فالحمدلله الذي استخلفنا في بلاده، واستأمننا على عباده، وليس لنا توسيع في الغفلة، ولا رخصة في المهلة، وكيف ونحن وكلاء الله، المستأجرون بجنات النعيم، وفي ذلك ما روينا عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال ((عند كل بدعة تكون من بعدي يكاد بها الإسلام، وليٌّ من أهل بيتي موكل يعلن الحق وينوره، ويرد كيد الكائدين، فاعتبروا ا أولي الأبضار، وتوكلوا على الله))، فالأمر كما ترون ناجز بناجز، وهذا عن التسهيل أكبر حاجز.

وَكَيفَ يَنَامُ اللَّيلَ مَن جُلَّ مَالهِ حُسَامٌ كَلَوْنِ المِلحِ أَبيَضُ صَارِمُ
وَفَضفَاضَةٌ مِثلُ الإضَاةِ وَبَيضَةٌ ومِطَّرِدٌ لَدْنٌ وأجْرَدُ سَاهِمُ[1]
وَدِينُ الهُدَى قَد قَلَّ مَن يَعتَنِي بِهِ وقَد عُطِّلَت آيَاتُهُ والمَعَالِمُ

---

[1] الفضفاضة: الدرع الواسع، والإضاة صفة للدروع، والمِطْرد: الرمح القصيرة، واللدن: اللينة، والأجرد المراد فرس قصير الشعر، وخيل ساهم الوجه: أي متغيره، إذا حمل على كريهة في الجري.

فَـإن لَـمْ أُجَـرِّد عَزمَـةً عَلويَّـةً تَقُـومُ لَهَـا فِـي العَـالَمِينَ المَـآتِمُ
وَأرمِـي بِهَـا شَـرقاً وَغربَـاً مُغِيـرَةً فَيُجبَـرَ مظلـومٌ ويُكسَـرَ ظَـالِمُ
فَلَا حَمَلَتنِي الخيلُ فِي مَأقِطِ الوَغَى ولَا هَتَفَت بِاسْمِي لَدَى الرَّوعِ هَاشِمُ[1]
أَلَيسَ أَبِـي قَـالُوا كَـذُوبٌ وسَـاحِرٌ فلمَّا انتضَـى الصّمصَـامَ قَـلَّ المُصَـادِمُ
وَكَـم جَاهِـلٍ فِـي أوّل الحَـوْل حَقَّنَـا سَـتَأتِي بَقَايَـا حَوْلِـهِ وهـو عَـالِمُ

فالله الله يا معشر المسلمين في أنفسكم، كونوا قادة للعباد إلى الخير، وذادة لهم عن الشر، فكم من هالك هلك فينا، وناج نجى بنا، فكونوا من الناجين، ولا تكونوا من الهالكين، ولا تُجَرِّؤوا الجهال المقلدة لكم على التخلف بتخلفكم عن هداتكم، وسفن نجاتكم، فيتبرأ – عن قليل ولا نستثني إلا مشيئة الله تعالى – **{الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ}**، فقد روينا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ((لَلزبانيةُ يوم القيامة إلى حملة القرآن أسرع منهم إلى عبدة الأوثان والنيران، فيقولون: يا رب بُدِءَ بنا، سُورِعَ إلينا، فيقول: ليس من يعلم كمن لا يعلم))، أتدرون من المراد بذلك، المراد به: المتخلفون عن إمام الحق، المنكرون لفضل العترة، المستغنون بأنفسهم عن عترة نبيهم صلى الله عليه وعليهم.

يا معشر السلمين: اعلموا أن الله تعالى نفى بنا ربق الذل عن أعناقكم، وفتح بنا وختم لا بكم، ونحن النمرقة الوسطى، إلينا يرجع الغالي، وبنا يلحق التالي، وأنتم – بحمد الله – منا إن أطعتمونا، ومن عدونا إن عصيتمونا، فاختاروا لأنفسكم أصلح الأمرين.

---

[1] المأقِط بكسر القاف: المضيق في الحرب، أو الموضع الذي يقتتلون فيه.

ذهب نوم المساجد، وظلها البارد، وعيش القصاع والموائد، فالفارس يطارد، والراجل يجالد، إلى متى تأكلون العيش وتشربون الماء، الجنة لولي الله، هدايتكم تحت السيوف البارقة، والرماح الخافقة، هبوا رحمكم الله فإنكم لا تقدرون على خصامي يوم القيامة، والله تعالى حاكمي وشاهدي، وم!ن أكبر شهادة من الله، وجدي محمد رسول الله صلى الله عليه وآله ووكيلي عليكم في الخصام، فبأي لسان تنطقون، وكيف ومع المعصية تكون الأفواه مختومة، والخراطيم موسومة، أيقول قائلكم: هذا الأمر مبني على الظلمة، فليت شعري أي الظلمة؟! يحيى بن أحمد وشقيقه محمد، الداعيان إلى الله، الصابران المحتسبان المقربان، تولى الله عونهما وتسديدهما، وتوفيقهما وتأييدهما، لقد تحملا الأثقال رغبة فيما عند ذي الجلال.

أغبيان هما وهو بزعمه الحاذق، لقد حلق دينه الحالق.

أجاهلان هما وهو العالم، لقد هدم دينه الهادم، وهزم جند حسناته الهازم، إلا أن تطرح الكبر وتدخل في التائبين، فرحمة الله قريب من المحسنين.

واثكلهـــا قـــد ثكلتـــه أروعـــا أبـــيض يحمـــي الســـرب أن يفزعـــا

أتظن أن ترضع فرقة قد أراد الله فطامها، أو تنقض دولة قد أراد الله تمامها، أو تحل عقدة قد تكفل المهيمن أحكامها، أو تحيي ضلالة قد أراد الحكيم موتها، أو ترد فتنة قد ضمن الجبار فوتها، هذا لتكون رئيساً للمخالفين، لعترة خاتم النبيين، فوالله لكون العبد ذنباً في الحق، خير له من كونه رأساً في الباطل، فأين العقول السوية؟ والنفوس الأبية؟.

إن الحق يا معشر المسلمين لا يضع أحداً عن درجته، ولا يحطه عن مرتبته، ولقد فرش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المخدة لعدي بن حاتم في حال كفره، وقال ((إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه))، فكان ذلك لطفاً في إسلامه، فكيف بمن تقدم في الدين سبقه، وعرف بالإسلام حقه، فالشريف يزداد على شرفه شرفاً، والعالم مجداً، والعرئيس رئاسة، الحق يرفع المنازل، لا ينقض الفضائل، فلا تغروا رحمكم الله أنفسكم، فإن الحق ثقيل مريء، والباطل خفيف وبيء، وإن هذا الدين محروس بعين الله تعالى، مرعي بكلايته، محفوظ برعايته، لا تزال عصابة من آل محمد الطاهرين، سلام الله عليهم أجمعين، وطائفة من إخوانهم الصادقين، يضاربون عنه إلى أن تقوم الساعة، فكونوا رحمكم الله مع الصادقين، واعتصموا بحبل الله المتين، واسلكوا الصراط المستبين، وتابعوا لمن وجبت على الأمة طاعته، وظهرت براعته، واشتهر علمه وشجاعته، وبان ورعه وزهده، وعرف فضله وحده، واتضح سخاؤه، وكرمت أنباؤه، فانظروا لأنفسكم نظراً تحمد عاقبته في المعاد، وأكثروا من الزاد، فإني إنما أدعوكم إلى سبيل الرشاد، فمن أطاعني كان من المرشدين، ومن عصاني كان من المهلكين، ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين، وها نحن لكم داعون إلى كتاب الله تعالى، وسنة نبيه صلى الله عليه وآله، وإلى أن نقيم ألسنتنا بالحق، وإلى أن لا تأخذنا في الله لومة لائم، وإلى العدل في الرعية، والقسم بالسوية، على مقتضى حكم الشريعة النبوية، فهل أنتم سامعون، ولدعوتنا مجيبون، إن في هذا لبلاغاً لقوم عابدين.

والحمد لله رب العالمين، وسلام على المرسلين، وعليكم جميعاً أيها المسلمون.

[قصيدة الإمام عليه السلام إلى أخيه علي بن حمزة]

وكتب عليه السلام وهو ببراقش إلى أخيه الشريف الأجل الأمير علي بن حمزة رحمه الله تعالى:

يَـــا دِيَـــارَ الخَلِـــيطِ بَـــينَ الإِكَـــامِ وَإِلَـــى جَنْـــبِ سَـــاحَةِ الأَعْـــلاَمِ

أَيْـــنَ أهلُـــوكِ السَّـــاكِنُونَ قَـــدِيمَاً هَـــل تبـــدَّلْتِ العَـــينَ بـــالآرَامِ

لَـــمْ تُجِبنَـــا دِيَـــارُهُم إِذْ سَـــأَلْنَا هَـــا ولا نفَّسَـــتْ بِرَجْـــعِ الكَـــلاَمِ

قُلْـــتُ لِلرَّكْـــبِ الـــوَاقِفِينَ عَلَـــى الـــ أكـــوَارِ حُطُّـــوا فَـــرَائِضَ الإِلْمَـــامِ

وانزِلُـــوا واخلَعُـــوا النِّعَـــالَ لِكَـــي تَمْـــ شُـــوا عَليهَـــا بِظَـــاهِرِ الأَقْـــدَامِ

والـــدَّوَادِي قَـــد نَكَّرتَهَـــا السَّـــوَافِي وأكَبَّـــت عَلَـــى عِمَـــادِ الخِيَـــامِ[1]

وبِهَـــا النُّـــويُ كالسِّـــوَارِ وَكَنَّـــا تٌ ثَـــلاَثٌ كَرَاكِـــدَاتِ الحَمَـــامِ

وجَـــوَادِي تُجيـــلُ أنفَـــاسَ ذِي وَجْـــ د خَشِـــينَا تُـــذِيبُ قَاسِـــي اللِّجَـــامِ

ذَكَـــرَ الـــدَّارَ والزَّمَـــانَ الـــذي عِشْـــ نَـــا بِـــهِ فِـــي غَـــوَابِرِ الأَيَّـــامِ

فَهْـــي دَارٌ عِشـــنَا بِهَـــا فِـــي سُـــرَاةٍ مَـــانِعِي جَـــارِهِم أُبَـــاةٍ كِـــرَامِ

لَـــمْ يَكُـــن لَهْوُنَـــا بِهَـــا لَهـــوَ أهـــلِ الـــ فِســـقِ بـــالعزفِ وارْتِشَـــافِ المَـــدَامِ

إنَّمَـــا لَهوُنَـــا بِـــركضِ جِيَـــادِ الـــ ـخيلِ والقَـــرعِ بِالقَنَـــا فِـــي الهَـــامِ

وَسَـــمَاعِ الحَـــدِيثِ عـــن جُلَّـــةٍ فِيـــ نَـــا مَسَـــاعيرَ رُجَّـــحِ الأَحْـــلاَمِ[2]

بِوَقَـــارٍ وعِفَّـــةٍ فكَـــأنَّ الطَّـــ يـــر فَـــوقَ الـــرُّؤوسِ والأَقـــدَامِ

(١) الدوادي: آثار أراجيح الصبيان. والسوافي من الرياح: اللواتي يسفين التراب.

(٢) مساعير جمع مسعر: وهو موقد نار الحرب.

فَسَــقَا اللهُ ذَلِــكَ العَصــرَ جَوْنَــاً صَــادِقَ الــوَدقِ مُســتَكِنَّ الغَمَــامِ[١]

وتَــوَلَّى حِفــظَ الشَّــرِيفِ أبِــي المَجــد أخــي الجــودِ كَافِــلِ الأيتَــامِ

ذِي الأيَــادِي الغُــرِّ التِّــي عُرِفــت فِيــه عَلَامَاتُهَــا أَوَانَ الفِطَــامِ

رَجُــلٌ ضَــيفُهُ يَقُومُــونَ عَامَــاً فِــي مَقَــامِ الإجــلَالِ والإعظَــامِ

وَفــدُهُ مَــا جَــرَى الجَدِيــدَانِ فِــي سَــاحَاتِــهِ الفِــيحِ فِــي أشَــدِّ الزِّحَــامِ[٢]

مَــا رَأينَــا لِوَفــدِهِ مــن شَــبِيهٍ غَيــرَ زُوَّارِ البَيــتِ عنــد المَقَــامِ

مُــدرِكٌ فِــي غَــوامِضِ العِلــمِ مَــا تَعــجَــزُ عَنــهُ غَــوائصُ الأفهَــامِ[٣]

صَــادِقُ البَــأسِ لَا يقُــولُ غَــدَاةَ الــرْرَوعِ مَــا قَــالَ الحَــارِثُ بــنُ هِشَــامِ

كَيــفَ أسـلُوا عَمَّــن إذَا غَــابَ عَنِّــي أيُّهَــا النَّــاسُ غَــابَ عَنِّــي مَنَــامِي

غَيــرَ أنِّــي أَصــبَحتُ عنــد بَنِــي أَحــمــدَ فِــي رَوضَــةٍ مــن الإنعَــامِ

مَــدَّ ضَــبْعَيَّ جُــودُهُم فكَــأنِّي فَــوقَ بُــرجِ السَّــهَى ضَـربتُ خِيــامِي[٤]

وَهُــمُ مَعشَــرِي وأَهلِــي وَعُضْــدِي وإلَــيهم تَنمِــي فُرُوعِــي السَّــوَامِي

سَــادَةٌ يَضــرِبُونَ إن حَمِــي الطَّعْــنُ ويَحمُــونَ الظُّعــنَ يَــومَ التَّرَامِــي[٥]

حَرَّمُــوا الــرَّكضَ للسَّــوَابِقِ إلاَّ فِــي إقتحَــامٍ عَلَــى الخَمِــيسِ اللُّهَــامِ

قُلــتُ لَمَّــا رَأيــتُهُم إنَّ سَــهمِي لَلْمُعَلَّــى عَلَــى جَمِيــعِ السِّــهَامِ

---

[١] المراد بالجون هنا: النهار، أي سقا ذلك العصر صادق الودق نهاراً.

[٢] الفيح: الواسعة.

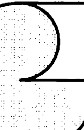
[٣] في الديوان: غوامض. الضَّبْعُ: العَضُدُ كُلُّها وأوسَطُها بِلَحْمِها، أو الإِبْطُ، أو ما بينَ الإِبْطِ إلى نِصْفِ العَضُدِ من أعلاهُ.

[٤] الضَّبْعُ: العَضُدُ كُلُّها وأوسَطُها بِلَحْمِها، أو الإِبْطُ، أو ما بينَ الإِبْطِ إلى نِصْفِ العَضُدِ من أعلاهُ.

[٥] الظعن: المرأة ما دامت في الهودج.

الخروج إلى جبل حضور

ووصول محمد بن نشون



قصة المخرج إلى جبل حضور

ولما طالت الإقامة بشبام وقعت المشورة في الخروج إلى حضور - ولم يكن ذلك في نفس الإمام عليه السلام حتى يستحكم الأمر، فأجمع رأي الأمراء والسلاطين على المخرج، فساعدهم الإمام عليه السلام على ذلك، فاجتمع عسكر كثير.

وكان المقدم عليه الأمير الكبير المنتصر بالله العفيف محمد بن المفضل، ومن السلاطين بشر بن حاتم، ولم يكن الخيل إلا قدر أربعين فارساً، ولقيهم الأمير الحسن بن علي بن داود القاسمي في عسكر من المغرب، وذلك بعد أن أخربوا مواضع كانت تأوي إليها جنود الظالمين، ويتركون رهائن أهل البلاد بها، وهي قصبة عجيب، ودرب بقرية ظلمان[1]، وتقدموا إلى بيت خولان، ونهض شهاب الدين الجزري، وسيف الدين جكو بن محمد من صنعاء، ثاني[2] نهوضهم في عسكر عظيم وخيل كثير، فحط على بركة متنة[3].

وقيل: وصل إليهم جماعة من أهل بيت خولان فخلع عليهم وأعطاهم عطايا جزيلة وعاملهم في عسكر الإمام، وظهر الخبر فيهم، ووقع الخوف عندهم، ونهض بعد أن أحكم أمره، ووقع الخلل في عسكر الإمام عليه السلام، فلما رآهم أهل المغرب مقبلين حقت فيهم الهزيمة، وانهزم العسكر لانهزامهم فقتل في ذلك اليوم الشريف محمد بن علي بن المسلم الحسني، ومضى شهيدًا إلى رحمة الله، وقتل رجل من جشم أيضاً، وتفرق الناس في كل جهة، ووقف الأمير محمد

---

[1] ظُلَمان - بضم الظاء وفتح اللام-: من قرى حضور بناحية البستان، في منطقة بني الراعي بني مطر.

[2] يعني في اليوم الثاني من نهوضهم.

[3] متنة: قرية في حقل سهمان الواقع بين جبلي حضور وعيبان غربي صنعاء، ناحية البستان، وهي تقع على خط صنعاء الحديدة.

بن فليتة في أعقاب الناس وصبر وترجّل من ركوبه ليتأسى به الناس، حتى لم يبق أحد معه، ومر به السلطان بشر بن حاتم فأقسم عليه أن لا وقفتَ، فانصرف، وعاد الغز لقرية بيت خولان، فانتهبوها وقتلوا منهم رجلين، وقيل: إنهما اللذان عاملا في العسكر، والتأم العسكر بعد ذلك وراحوا إلى شبام.

[انضمام الأمير جكو بن محمد إلى عسكر الإمام عليه السلام]

وكان في عسكر الغز الأمير جكو بن محمد وهو الذي تولى هزيمة العسكر، فوقع في يده عيبة فيها مكاتبات وأسرار السلطان بشر بن حاتم في أمور الغز فردها، وكان شديد الخوف على نفسه من السلطان إسماعيل، ولم يجد سبيلاً إلى التوصل إلى الإمام، فجعل ذلك سبباً، ولم ير أنه يكاتب الإمام حتى يحدث في بلاد السلطان إسماعيل حدثاً ظاهراً ويتبين خلافه عليه، وكان قد انضم إليه جماعة من الغز لتقدمه فيهم، وعظم حاله عندهم، فأخذ بلاد الحدا[1]، وبلاد بني فجاة، وبني نهار ونواحيها، وتوجه إلى مغارب ذمار، والبلاد التي فيها أوامر الإمام عليه السلام وكاتبه، وأمر إليه الأمير علي بن موسى العباسي إلى موضع قريب من سِمح[2]، **في اليوم الثالث من شهر رمضان من سنة أربع وتسعين وخمسمائة**، فلما وصل إليه أعطاه سره، وأنه لم يبق له رجوع إلى إسماعيل، وأمره بالتوسط بينه وبين الأمير نظام الدين أبي الفتح بن محمد؛ لأنه الداعي في تلك البلاد للإمام عليه السلام وصاحب الأمر فيها، فما زال حتى جمع بينهما **في اليوم السادس من شهر رمضان**، وأتى الأمير

---

[1] الحدا: قبيلة من مذحج، تقع منازلها شمال شرق مدينة ذمار، فيما بين سهل جهران غرباً، وخولان العالية شمالاً، وعنس جنوباً، وبني ظبيان شرقاً، وهي ناحية واسعة تحتوي على عدة مناطق وبلدان.

[2] سِمح -بكسر السين وسكون الميم-: قرية في جبل ضوران آنس بجوار هجرة الصيح.

المذكور في جماعة من الشرفاء والمسلمين فأخذوا عليه الأيمان المؤكدة، وبايع على طاعة الإمام، وجعل ذلك سرّاً فيما بينهم، وأظهر أنه في خدمة إسماعيل، وأنه يريد تقريب الناس إليه ليعطيه البلاد وأهلها، والخوف عليهم من السلطان إسماعيل، ثم راح من عند الأمير علي بن موسى وقد صار من جملة الإمام، فأظهر المحبة والطاعة ما لم يكن يرجى من مثله، وكان منه في ذلك ما يأتي ذكره في موضعه إن شاء الله سبحانه.

ولما وقع الأمان بمدينة شبام واستقرت الأمور فيها طلع عليه السلام إلى كوكبان **في شهر شعبان من سنة أربع وتسعين،** بعد أن أمر كلّاً ممن وصل إليه من الأمراء والأشراف إلى جهته ليصلح أحوالها، ويقبض خراجها، وبقي معه جماعة قليلة ممن يخصه من أصحابه.

[وصول القاضي محمد بن نشوان إلى الإمام وقصيدته في مدح الإمام]

ووصل إليه القاضي محمد بن نشوان، ولم يكن شافههُ قبل ذلك، فأقام عنده مدة يسأله، ويباحثه عن مسائل في فنون مختلفة ويمتحنه، فوجد المخبَر فوق الخبر، وعرف فضله وسبقه عن اختبار ومشاهدة، ولما أراد المراح فودعه بهذه الأبيات في شهر رمضان من التاريخ المذكور:

يا سيدًا سبق السادات كلَّهم	**إلى مدىً بالغ في المجدِ والجودِ**
وعالماً بَذَّ أهلَ العلم أن له	**من ربه لطف توفيق وتسديدِ**
وقائما مكَّن الرحمنُ وطأته	**من البرية من بيض ومن سودِ**
اللهُ أتاك ما لم يؤته أحداً	**من الأئمة من نَصرٍ وتأييدِ**
أجابك الناس من شام ومن يمن	**مُلقينَ في كل أمر بالمقاليدِ**
جرت على حكمك الأملاكُ مهطعَةً	**إليك وانقادت الحرَّاتُ في البِيدِ**
ما رمت مدخل ثغر للعدى ظفرت	**منه يداك بباب غيرِ مسدُودِ**

حمـدًا لمـن طهـر الـدنيا ونَوَّرَهَـا ... بنـور وجـه جميـل منـك مسـعودِ
بـدا فأبـدى ريـاض الحـق مونقـةً ... بالعـدل مُفْتَـرَّةً مخضـرةَ العُـودِ
أنـت الإمـام الـذي أحيـا الهـدى ورعـى ... سـرح المعـالي برفـد منـه مرفـودِ
أنـت الـذي لـم يكـدر صـفوَ نعمتِـه ... مَـنٌّ ولا شـابها خلـفُ المواعِيـدِ
يـا أيهـا النـاس قـد نـادى إمـامُكم ... فاسـعوا إليـه بتشـمير وتجريـدِ
عبـدُ الإلـه الـذي جـاد الإلـهُ بـه ... فشـد مـا كـان منـا غيـر مشـدودِ
إن ابـن حمـزة مـذ نيطـت تمائِمُـه ... أحيـا الـذي مـات مـن أبائـه الصِّيدِ
آل النبـي وأبنـاء الوصـي ومَـن ... لهـم علـى النـاس فضلٌ غيرُ مجحُودِ
لهـم مناقـب مـن عـين ومـن أثـر ... تَجِلُّ في الوصـف أن تحصى بتعدِيدِ
هـذا الإمـام الـذي كنـا نؤملـه ... وكـان يـروى بتصـحيح الأسـانيدِ
فالحمـد لله إذ أعطـى إرادتنـا ... فيـه وقربهـا مـن بعـد تبعيـدِ
قـد اختبرنـاه خُبـرَ العـارفين لـه ... حـق اليقـين ولـم نقنـع بتقليـدِ
فكـان فـي الخُبـر أوفى منه في خَبَـر ... مستحسـن كنسـيم المسـك محمـودِ
جئنـا إليـه فأولانـا الجميـل ولـم ... يـرض القليـل ولـم يبخـل بموجـودِ
يـا مـن يعـز علـي البعـدُ منـه ومـن ... أَعُـدُّ طاعتَـهُ نُسـكاً لمعبـودي
نفسـي فـداؤك والأقـوام كلهـم ... مـن المكـاره لـو أن امـرءاً فُودِي
ولـو تخلـدَ فـي الـدنيا أخـو كـرم ... لكنـت أجـدر مـن يحظـى بتخليـدِ
آن الرحيـل وصـبري اليـوم عيـل فجُـدْ ... بحسـنِ فَسـحٍ وجـود منـك معهـودِ
لـولا الشـواغل لـم أسمح ببعـدك فـي ... قيـد مـن الفترِ بـل بعـض مـن القيـدِ
مـا هـاج قلبـي أولاد ولا وطـن ... ولا اشـتياق إلـى البـيض الأماليـدِ
لكـن شـواغل دهـر مـا علقـت بـه ... مـن غيرهـا عـادني مـن همهـا عيـدِي

الخروج إلى درب ظالم
(الزاهر)
ووصول الأمير جكو بن محمد
ومقدمات فتح صنعاء

قصة الخروج إلى درب ظالم[1] بالجوف الأعلى والاستظهار عليه

نكث أهله بيعة الإمام عليه السلام، ونقضوا العهود، ووثبوا على بني عمهم بسوق دعام فأخذوهم وأخربوا شيئاً من دورهم، وبغوا عليهم، وهم في ذمة الإمام وأمانه، وأظهروا الخلاف، وبلغ الخبر إلى صعدة، وذلك **في آخر شعبان من سنة أربع وتسعين**، ووصل على عَقِبِهِ الأمير صارم الدين إبراهيم بن حمزة وهو المتولي أمر الجوف، ووافق ذلك اجتماع الأمراء شمس الدين وبدره يحيى ومحمد ابني أحمد، وعماد الدين يحيى بن حمزة، وحسام الدين علي بن المحسن، فاجتمع رأيهم على العود إلى الجوف، وعلى تقدم الأمير يحيى بن حمزة وعلي بن المحسن إلى بلاد خولان بالقد اليماني.

وكان الأمير محمد بن أحمد يريد التوجه إلى راحة لإصلاح أمور حدثت فيها، وفساد وقع من قوم من يام في الطريق، فنهض وأصلح أحوالها وشد على المفسدين فيها، واستقرت الأوامر بها.

وتقدم الأميران المذكوران إلى بلاد خولان وكان عندهم جدب عظيم من قلة المطر، فكان من ألطاف الله إنزال المطر موافقاً لوصولهما، ووصل إليهما قوم من مرّان إذ لم يكن وقع عندهم من ذلك المطر شيء، فقالوا: لا نعقد لكما بالمخرج حتى تطيا بلادنا فإنا نرجو أن تلحظنا بركة قدومكما كما لحظت غيرنا، فتقدما معهم فسقاهم الله مطراً هنيئاً سالت منه أوديتهم، فكان لطفًا من الله في تقريبهم إلى النهوض للمخرج رغبة في الجهاد وتحصيل الثواب.

---

[1] درب ظالم: يسمى درب الزاهر، والزاهر: بلد بناحية الجوف، يضم عدداً من المناطق.

وكان وصولهم إلى صعدة **لعشر ليال بقين من شهر رمضان زاده الله شرفاً**، وكانت تراسهم أربعمائة، وفياسهم مائتين وخمسين، يزيد ذلك قليلًا أو ينقص، وسائر العسكر كثير من أهل السلاح.

[تفاصيل وقعة درب ظالم]

وكان وصولهم إلى الجوف **لخمس بقين من شهر رمضان** فحطوا بهجرة السوق[1]، ووقع الخطاب والذراعة من أهل الدرب وسلطانهم يومئذ جلاح وحصن ابني أبي حماد، وكان غرضهم تفتير الأمر، وفَلّ حد العسكر، وعندهم أنهم يمتنعون لحصانة دربهم وجندهم، **{وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ}**[الحشر/٢]، ومن أهل الجوف من يشددهم ويقوي عزائمهم لنفاذ أمر الله فيهم.

فلما علم الأميران قصدهم واستهوائهم بالأمر أمرا في العسكر بالنهوض، وذلك وقت صلاة العصر، فلما دنوا إلى الدرب خرجت خيلهم ورجالهم مجمعة ليكفوا حد العسكر، فلم يَرْتَبْ منهم أحد، وحققوا الحملة في إثرهم إلى وسط الدرب، ووقع الحرب الشديد، وترجل الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة عن فرسه، ووقع أمر ليس بالهزل، وتقنعت خولان بأتراس ورموا بأنفسهم في الخندق، ودخلوا عليهم قهراً بالسيف، وقتل منهم رجل من خيارهم يقال له: جسار بن زيد، وانحازوا إلى مقلة الدرب، وصاحوا بالأمان، ودنا الليل، وعاد العسكر إلى المحطة، وأيقن أهل الدرب بالهلاك، فاحتالوا في وصول رجلين من كبار خولان، وسألهما

---

[1] هجرة السوق: المراد به سوق آل دعام، في ناحية الزاهر من الجوف.

الخطاب والتودية على ما يرضي الإمام والأميرين والطاعة، فجرى الخطاب في ليلتهم تلك، وانصرم على خراب سوقهم والعمارة التي حول الدرب، وكبس الخندق، ورد ما أخذوه لأهل سوق دعام، وجبر ما أتلفوه، وتسليم السلاح والخيل، فلما أصبح تأهب العسكر للقتال رغبة في قتلهم، وتغنم أموالهم، فأعلمهم الأميران بما قد انصرم عليه الخطاب، فتعيوا من ذلك، ولم يروا بُدّاً من امتثال الأمر، وأقام العسكر ثلاثة أيام، ووقع الخراب، وسلم أهل الدرب ما وقع عليه الشرط إلا الخيل فتشفع فيها قوم من مشايخ خولان فسومحوا بها.

ونهض الأمير علي بن المحسن متوجهاً بالعسكر إلى صعدة، وتأخر الأمير يحيى بن حمزة لمرض أصابه، وكان الخراب وكبس الخندق لم يستحكم بعد، فأمر لأهل الجوف وكانوا يريدون هلاك أهل الدرب لما قدموا إليهم من الإساءة فأخذ من كل قبيلة منهم رجلاً رهينة خوفاً منهم على أهل الدرب، وأمرهم بالخراب وكبس الخندق ففعلوا ذلك، وترك لهم المقلة يتحصنون فيه من أهل البلاد، وصلحت أحوال الجوف، وسكنت عفاريته، واستمرت طاعة أهله.

[وصول الأمير جكو إلى الإمام وما تقدم من الأحداث]

رجع الحديث إلى تمام قصة الأمير جكو بن محمد، وهو متصل بأخبار صنعاء وفتحها وما يليه

وكان أخذ درب ظالم في مدة إقامة الإمام في كوكبان فذكر في موضعه.

أقام جكو بعد مراح الأمير علي بن موسى منه في بلاد بكيل ثمانية أيام، ثم تقدم إلى ذمار، وقد كان العلم وصل إلى السلطان إسماعيل بمكاتبته للإمام عليه السلام، فجرد خيلاً كثيرة لقبضه، فوافقوه هنالك، وأظهر أنه يريد إلى السلطان وآنسهم، وتقدم بمن معه إلى الحقل، ثم سرى ليلته راجعاً يريد جبل كنن بعد أن كان الإمام أمر إليه بمواطأة سنحان بالخيل وتقرير الأمر عندهم، وأن يكون وصوله إليهم، فكاتبهم فساعدوه إلى ذلك واستروا به، فوصل إليهم في جماعة من العسكر الذين كانوا معه، وأتاه الباقون أولاً فأولاً.

وكان وصولهم إلى كنن لتسع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان، وكان عند وصوله وافق قوماً من سنحان مادة لأهل لاحج[1]، عليهم مقدم يقال له: مهدي بن علي بن المجمع فارساً لابساً، فقتلوه ورجلاً من أصحابه فارساً، وأسروا منهم جماعة، وكان لإسماعيل رتبة في حصن لاحج قصدهم بمن معه وبقوم من سنحان فأخذهم وقتل

[1] لاحج: قرية من قرى بني أسعد في جبل الشرق بآنس، يقال لها اليوم قرية (أثبة).

منهم جماعة، وتغنموا ما كان في الحصن وأخربوه، وغزا إلى موضع يقال له ثربان[١] من بلاد نَهد[٢] في بلاد إسماعيل فأخذ أموالهم ومواشيهم.

ووصلت خزانة فيها مال عظيم تريد صنعاء وصحبها سفر كثير من أهل البلاد معهم بضائع جزيلة من البز وغيره، وكان معهم خيل كثيرة من خيار الجند والمماليك لحفظ الخزانة، وأمروا إلى شهاب إلى صنعاء يأمر إليهم بخيل فأمر إليهم بمائة فارس، وتلقاهم الأمير جكو إلى موضع يقال له: الماورة في أسفل وادي خدار[٣] بأصحابه وقوم من سنحان، فلما رأوه ومن معه انهزموا عن الخزانة وولوا متوجهين إلى المدينة، وتبعهم بمن معه فقتل فيهم وأسر من المماليك، وأخذ خيلهم، وعاد فأخذ الخزانة وما كان قد انضم إليها فحصل لهم فيها غنائم جزيلة.

وأمر الإمام عليه السلام إلى الأمير أبي الفتح بن محمد بجمع شيء من المال من بلاده وإيصاله إلى جكو، فقبضه وشكر عليه وازداد رغبة ومحبة للإمام.

ثم أمر إليه الإمام بالنهوض إليه إلى شبام فأجاب إلى ذلك، وجعل طريقه على صنعاء متوجهاً إلى ذمرمر وفيها الجند السلطاني، فما همَّ أحد منهم بالخروج إليه بعد أن تحداهم، ووصل إلى ذمرمر وأقام عند السلطان علي بن حاتم أياماً يُغِير في بلاد إسماعيل، ولما عزم على التقدم إلى شبام ترك مظنون ماله بذمرمر وديعة.

وكان وصوله في ذي القعدة من سنة أربع وتسعين فأنزله الإمام بدار الإمارة، وتلقاه بالبر والإنصاف، ولما كان يوم الجمعة حضر الكل منهم للصلاة، فلما

---

[١] ثربان: واد زراعي خصيب في منطقة مسور خولان العالية بمشارق صنعاء.

[٢] نهد: في شرقي صنعاء بخولان العالية.

[٣] خِدَار: قرية جنوب صنعاء بمسافة (٣٠)كم تقريباً، من بلاد الروس، تقع على الطريق إلى ذمار.

قضيت دعاهم الإمام إلى البيعة والأيمان المؤكدة فحلفوا عشرة عشرة، وقد كان الأمير طلب من الإمام التقدم على الأجناد وأن يجعله سلطاناً، ويكتب له بذلك منشوراً، فساعده الإمام إلى ذلك، وقرئ المنشور، وأمر الجند وجميع الحاضرين بالركوب معه، وحمل الغاشية[١] بين يديه، وأظهر حالته، ورفع منزلته.

---

[١] الغاشية: سرج من أدم مخرز بالذهب يخالها الإنسان مصنوعة من الذهب، تحمل بين يدي الملك في المواكب الحافلة كالمراسيم والأعياد.

فتح الجنات

ومقدمات فتح صنعاء

[فتح الجنات]

وكانت الجنات[١] يومئذٍ مستقراً للغز وفيها رتبة لهم قوية، فأمر الإمام عليه السلام الأمير ذا الكفايتين صفي الدين محمد بن إبراهيم بجمع العساكر من المشرق - من مرهبة وعذر وبكيل وحاشد وغيرهم-، ووعده اللقاء إلى الجنات ليوم معلوم، وتقدم الأمير الفاضل العفيف، والسلطان عمرو بن علي بن حاتم، والسلطان جكو بن محمد بالأجناد الذين معهم، والعساكر من جهة بلاد حمير وكوكبان وأعماله بلقائه إلى الجنات، فلما علمت الرتبة من الغز انهزمت إلى صنعاء، فأخذت الزرائع، وأخربت الدور التي على الآبار، وتودوا بعد ذلك بشيء من المال، وسلموا الرهائن على الطاعة، ونهض السلطان جكو بن محمد يريد التوجه إلى مخاليف صنعاء، فأتى ريعان[٢] فأخذ منها غنائم كثيرة، وقُتل رجل من أصحابه، وراح إلى شبام.

ووصل الأمير عماد الدين من الجوف بقدر ثلاثين فارساً إلى شبام **في أول شهر ذي الحجة من سنة أربع وتسعين.**

ووصل أغنام كثيرة من برط[٣] وأملح وبلاد وايلة وبلاد سفيان، وخيل من جهة صعدة مشتراة، وأحمال تمر من نجران، وأحمال زبيب من المشرق، ففرقها الإمام على الأجناد وغيرهم، وعجب الكل من ذلك، ولم يكن أحد يظن أن أمره قد نفذ في هذه البلاد النازحة.

---

[١] الجنات: مدينة أثرية في قاع البون، تقع بالجهة الشمالية الشرقية من عمران.

[٢] ريعان-بفتح الراء: قرية لها سور تطل على وادي لؤلؤة الشهير من مخلاف مأذون ووادي ضهر، وإليها ينسب سد ريعان الأثري القديم، يقع غربي صنعاء، بعد منطقة الصباحة.

[٣] برط: ناحية واسعة يسكنها قبائل ذو غيلان.

[وصول هاشم الكردي إلى الإمام مخالفاً على إسماعيل]

وخرج الإمام عليه السلام في العسكر ليسير الخيل إلى جهة الظفر، وانقلبوا إلى المدينة فرأوا البيارق والأعلام ولمع البيض في جهة السواد، فأيقنوا أنه جند إسماعيل، وكان في صنعاء قدر ألف وأربعمائة فارس، ورجل لا يحصي عددهم إلا الله، فاضطرب العسكر ووقع الخوف، فراحت خيل الجند إلى المدينة، ومال السلطان عمرو بن علي إلى شق جبل كوكبان، وأغار السلطان جكو بن محمد متوجهاً إلى القوم، وأغار الإمام عليه السلام بعد أن أراد أصحابه منعه خوفاً عليه أن تكون مكيدة ممن معه فلم يساعدهم إلى ذلك، فلما قربوا من القوم تراطنوا بالعجمية وتعارفوا، فبشروا الإمام بأن هاشم الكردي وهو من كبار الجند أتى إلى ذمرمر، وأنهم تقدموا وهو واصل في إثرهم فيمن بقي من الخيل مخالفاً على إسماعيل وأنهم ثلاثون فارساً، وأقبل الجميع إلى المدينة في موكب حسن، وازداد السلطان جكو ثقة بالإمام عليه السلام، وطابت نفسه ونفوس أصحابه، حيث قد صار مستأنساً بهم، وعجبوا من شدة بأسه، وقوة عزيمته، وإقدامه على انفراده بينهم.

ووصل هشام ثالث ذلك اليوم ومعه سالم ومسعود ابنا السلطان علي بن حاتم وجماعة من همدان، لما علموا أن إسماعيل يريد الخروج إلى شبام، وأنه برز إلى خارج المدينة، وأمر بضرب الخيام في الجهة الغربية، وأقبلت العساكر من جهة المغرب وثلا وبلاد حمير للمركز بشبام، فاجتمع خلق كثير، وطاف الإمام عليه السلام المدينة، ورتب المقاتلات، وأمر بعمارة مواضع في المدينة وسداد أزقة فيها، وتعرف مداخلها ومخارجها والمواضع التي يخشى منها، وأمر بإصلاح ذلك وتحصين سور المدينة، والأهبة للحرب والجهاد لأعداء الله.

[خلاف شمس الخواص على إسماعيل من مقدمات فتح صنعاء]

وأتى البشير بأن شمس الخواص خالف على إسماعيل في ستمائة فارس، وأنه انحاز بهم إلى جبل عَصِر[1] يريد إلى الإمام، وتواترت الأخبار بذلك وصحت، وذلك يوم الاثنين الذي يستقبل ليلة العيد، وشاعت أخبار في المدينة عند صلاة المغرب بأن شمس الخواص قد حط قريباً من شبام فوقع خوف عظيم، واضطراب شديد، وقالوا: هذا أمر قد أحكمت المكيدة فيه بين الغز، وخشي الناس على الإمام عليه السلام، وعلى السلطان عمرو بن حاتم، وانهزم بعض الناس إلى الجبل بحريمهم ودوابهم، فرأى عليه السلام الانحياز من القرية إلى الأصفية التي هي أعلى من المسجد الجامع حتى يستبين الأمر، فركب وركب السلطان عمرو بن علي إلى ذلك الموضع.

ولما علم السلطان جكو بن محمد ركب في جماعة قليلة ووصل إلى الإمام فوقفوا إلى بعد صلاة العشاء الآخرة، ولم يصح ذلك الخبر فعاد كل إلى مكانه ومنزله.

وكان الإمام بدار أسعد بن سبأ الحوالي قريباً من الجامع فأمسى ليلته تلك، ووصل محمد بن كُرّ الكردي ومعه رجلان من الكرد مزعجين للإمام والجند بالنهوض وصححوا خلاف شمس الخواص، فلما أصبح خرج الإمام إلى المسجد الجامع، ووصل أرسلُ التعزي مملوك سيف الإسلام الخاص برسالة شمس الخواص تحقق الأخبار وأنه قد صار في عصر في ستمائة فارس، وأنه ينتظر وصول الإمام والسلطان، واجتهد في النهوض على الفور وألح إلحاحاً شديداً.

---

[1] عصر –بفتح العين وكسر الصاد المهملتين–: قرية وجبل غربي صنعاء، وهو مشهور.

[توجه الإمام إلى صنعاء في قلة من الجند بعد صلاة العيد]

وحضر وقت صلاة العيد فنهض عليه السلام ولم يكترث لشدة الأمر، وعظم الخطر، وارتكاب الهول، متوكلاً على الله، باذلاً نفسه في سبيل الله، في عسكر لم يعرفهم حق المعرفة، ولا أنس بهم كل الأنس، فخرج إلى ظاهر البلد قدام باب الأهجر، فصلى صلاة العيد في خلق كثير من الأشراف والشيعة، وضحى بكبشين أملحين، وأمر بقسمتهما على المساكين.

وركب في الحال متوجهاً إلى صنعاء، والغز الذين معه يزعجونه ويحثونه، وأشار عليه أصحابه ومن حضره بالتوقف، وكسروا عليه وخوفوه، لما رأوه من اجتهاد القوم في إزعاجه وحرصهم على ذلك، فلم يعبء بكلامهم ولا ساعدهم، وركب ومضى على شأنه مستعيناً بالله وحده، وكفى به معيناً، واستمر على نيته الصادقة، وتأخر الناس عنه قليلاً قليلاً، وتفرقوا يميناً وشمالاً.

وكان معه من الشيعة المطرفية قدر أربعين رجلاً بالسلاح والآلة فما صحبه منهم رجل واحد، ولم يبق معه من خيل العرب ما يبلغ العشرة، ولا من الرجالة الذين يختصون به من الأشراف والشيعة إلا مقدار العشرة أو يزيد قليلاً، تأخر بعضهم عن الدخول معه إلى المدينة للعجز عن المشي مع الخيل لشدة السَّوق وسرعة العَدْو، وكانت خيل الغز التي معه قدر مائة وعشرين فارساً، فكان بينهم كما قال عليه السلام في شعره بعد فتح صنعاء:

أقلب طرفي هل أرى العرب جهرة ... فلم أر إلا أعجمياً مهمهما

سوى نفر شم الأنوف غطارف ... رأوا خلطهم للنفس بالنفس أكرما

فوصل إلى عصر وقد نهض شمس الخواص إلى المدينة، وقد انهزم إسماعيل منها في قدر أربعمائة فارس متوجهاً إلى اليمن، واستمر الإمام حتى حط على الغيل شامي مسجد الحرة.

فتح صنعاء
وبيعة الغزله
وشعره في ذلك

والأحداث التي حدثت
بعده

قصة دخوله صنعاء عليه السلام

تقدم في جماعة من أصحابه -ومحطته مستقرة مكانها- يريد دخول المدينة من الباب الأدنى من المحطة وهو باب الخندق الأعلى، فلما دنا منه لم يعرفه أكثر الناس ولا صدق بوصوله، والذين عرفوه كان الغالب على بعضهم الفساد ومحبة الغز، ومنهم الغالب عليه الخوف وقلة التمكن، فأرسل كل منهم ما في يده من النبل والحجارة ومنعوه وأصحابه من الوصول إلى الباب، فعاد عليه السلام إلى المحطة، وأمر المؤذن بالأذان بحيَّ على خير العمل -مع كراهة الفريقين لذلك من الغز الذين معه والذين عليه- في ذلك الوقت الذي ترتعد فيه الأقدام، وصلى بأصحابه الظهر والعصر، وأتاه جماعة من أهل صنعاء لَمَّا صح لهم وصوله يستدعونه إلى الدخول، فركب في أصحابه، وكان عند إقباله قد وقع اختلاف بين أهل صنعاء، فأحب قوم دخوله وكره ذلك آخرون، فبينا هم يتجادلون إذ دخل شمس الخواص من باب الخندق الأعلى فتفرقوا في الحال خوفاً منه، وأخذوا مفتاح الباب، وبقي صخرب بن مسعود الضراب وبحذائه صبي في يده عود من نشابة، فأخذه وشقه نصفين وفتح الباب به، وكان لا ينفتح بمفتاحه إلا على مشقة وعلاج، ووافق ذلك وصول الإمام عليه السلام فدخل من غير توقف، وكان منعهم له من الدخول من باب الخندق ودخوله من باب غمدان تصديقاً لرؤياه التي تقدمت حكايتها في المنامات الصادقة التي كانت أخذاً باليد.

ولما صار عليه السلام بالمسجد الجامع أقبل الناس من أرجاء المدينة أفواجاًحتى غصّ المسجد بهم، فسلموا عليه، واستسعدوا بالنظر إليه، وحمدوا الله تعالى على

وصوله إليهم، واستبشروا بظهور كلمة الحق والعدل، وأمر في الحال بفتح السجن وإخراج من فيه وهدمه، وكان فيه قريباً من خمسمائة، فكُسر بابُه، وخرجوا منه يدفع بعضهم بعضاً، حتى ذكر أن واحداً منهم مات تحت أرجلهم من الضعف، وما يعانوه من الجوع وأصناف العذاب، فصدر كل منهم يجري على وجهه لم يصدقوا بالخلاص مما كانوا فيه، وأُخرب بعد ذلك وكُبِس؛ لأنه كان في بطن الأرض وسقفه على وجهها، وأراح الله المسلمين منه بفضله وبركات الإمام عليه السلام.

ولما رأى شمس الخواص وأصحابه ما أفزعهم من إقبال الناس عامة إلى الإمام وإقدامه على إخراج أهل السجن، أيقنوا أنه لا بقاء لهم معه أجمع رأيهم على قصده إلى المسجد الجامع، وهموا بما لم ينالوا، وصاحوا لأهل صنعاء بالأمان وأمروهم بالخروج، فأحاطوا بالمسجد إحاطة البرجال، بالخيل والرجال، والعدة التي لا يرى منها إلا حدق العيون، فتفرق ذلك الجمع الكثير، ولم يبق مع الإمام إلا قدر خمسة عشر رجلاً، فطلعوا معه إلى سطح المسجد، وذلك وقت صلاة المغرب، فأمر المؤذن بالأذان، وصلى المغرب ببعض أصحابه على خوف معهم شديد، والبعض لم يصلِّ في الحال من شدة الأمر، وعظم الخطب، ولما فرغ من الصلاة ودعا إلى الله بتعجيل الفرج وتفريق شمل العدو، فما كان إلا يسيراً وتفرقوا بأسرهم في جهات مختلفة، وما بقي منهم أحد، وبقي الخوف في حال الخروج وفي الطريق إلى المدينة، فتنكر الإمام ولبس ثياباً سوداً من ثياب الصنعانيين الذين معه، وخرجوا متوجهين إلى الأوساط، وأمر أصحابه بالتفرق في الدور، فلما وصل إلى الشارع الذي فيه دار صخرب بن مسعود وافقوا هنالك من يخشون مضرته، فأومأ صخرب بن مسعود إلى الإمام بدخول ريشة في الشارع لا منفذ لها فوصل منتهاها، ووقف متحيراً ساعة حتى أتاه

فأدخله داراً له فيها، وأتي بطعام فأصاب منه شيئاً، وصلى العتمة وشاور من حضره في الأمر، وقال: كيف (السبيل إلى دخول جندنا إلينا)، وقد وجد عندهم خوفاً عليه واضطراباً شديداً، وأتى رجل منهم، فأُخبر بفرسين وَصَلَا يجرَّان أرسانهما، فقال عليه السلام: هما لنا، فخرج فجاء بصفتهما والدرع على أحدهما، وهي بغلة له، فحمد الله على ذلك واستبشر بالسلامة.

وأمر جماعة إلى السلطان سيف الدين جكو بن محمد يخبره بما منَّ الله به من السلامة، وقد شاعت الشائعة في المحطة بنفاذ الأمر في الإمام وأصحابه، وأمره بالدخول، فَسُرَّ بسلامة الإمام عليه السلام سروراً عظيماً وحمد الله على ذلك، واعتذر من دخول المدينة في الليل خوفاً على نفسه وأصحابه، وقد كان الإمام أمر بفتح باب غمدان سرّاً ليدخل منه جنده، وبذل الشيخ سعيد بن قنبر لمن فتحه خمسين ديناراً، وكان عليه ديوان كثير يحفظونه، وعدلان[1] في خيل يطوف على الأبواب فأنبه الديوان وشد عليهم، وأمرهم بإغلاق الباب، وأوعدهم على التسهيل في حفظه.

ولما أتى العلم إلى الإمام بتأخر الجند عنه لم ير للوقوف في المدينة وجهاً، وأمر بجمع أصحابه إليه ليكون خروجهم معاً إلى المحطة، فلبس درعه وركب حصانه، وتقدم أصحابه بين يديه إلى الباب، فأحسوا عليه بأصوات وحركاتٍ فقال عليه السلام: (إن كان الباب مفتوحاً فنحن نفرق القوم عنه ونخرج إن شاء الله)، فوجدوه موصداً مردوماً عليه الصخر، وثار القوم من فوق الدرب ورضخوهم

---

[1] هو عدلان بن خضر الكردي من أعوان الغز وولاتهم.

بالحجارة، وأعلنوا بالصوت، وكان عدلان بالقرب منهم في قدر سبعين فارساً، فلما سمعوا الصوت جاءت الخيل مغيرة فخشي الإمام وصول الخيل إلى الباب فأمر أصحابه بالرجوع على إثرهم إلى المدينة وهو على أعقابهم، وارتجت المدينة بأقطارها، فلما وصلوا إلى الموضع الذي كانوا فيه أمر لجماعة من مشايخ أهل البلد وكبارهم وشاورهم في الأمر، فأجابوه بأجوبة مضطربة لعظم الأمر، وقالوا: لم تكن العجلة من مولانا بالصواب في غير عسكر، ومن الرأي أن لا يقف في دار مشهورة، واختلف القول وأجمع رأيهم على أن يقف في مسجد المدينة، فكره ذلك، فقال عليه السلام: (فرّقونا في المنازل حتي يقضي الله من أمره ما شاء، ولعل في المكروه خيرة)، ثم دعا بماء وتوضأ وتقدم معه رجل منهم يسمى منصور بن حمير إلى داره، وأراد خادمه دحروج بن مقبل التقدم معه فمنعه عن ذلك ورده، وقال: (إن جرى عليّ حال فلعل أصحابي يسلمون)، وتقدم مع صاحبه وحده وقال له: نكّر اسمي وادعني بمنصور بن محمد –وأردت بجدي محمد صلى الله عليه وآله–، فلما وصلا الدار أدخله وأسر إلى والده – وهو شيخ أعمى له في النحو يد طائلة والفرائض والحفظ في فنون كثيرة–، فسلم على الإمام وقال: دخولك هذه الدار يشبه دخول مسلم بن عقيل دار عروة بن هانئ، ثم استفتح ينشد من مراثي الحسين بن علي، [ومراثي أهل البيت عليهم السلام، فقال الإمام نسأل الله الخيرة، وأقبل يسأله عن غوامض في الفرائض، فاشتغل الإمام عن النظر في الأمر الأهم إلى طلوع الفجر، ثم قال الإمام عليه السلام: أخرج إلى المسجد، فقال: افعل، وأحب ذلك لينظر في أمره، وندم على خروجه مخافة أن ينتشر الخبر، وصلى الفجر، فأتاه صاحبه فسأله عن أخبار الناس، فلم يرفع

خبراً، فسأله كتاباً يقرأ فيه، فلم يجد إلا المصحف، ففتحه ووقع على سورة يوسف، فتفآءل بها، وعلم أن الشدة قد تزول إن شاء الله تعالى.

فكان أول الفرج أن أتاه صبي من أهل صنعاء، فقال: يا مولانا إنا تحالفنا في المساجد على أنه لا يصلك شر ومنا عين تطرف، فجزاهم خيراً، وقال له: اخرج وأتني بأخبار الناس.

فأتاه وقال: أبشر يا مولانا فإن أهل البلد قد خالفوا من ديوان إسماعيل، فحمد الله تعالى.

فأتى الشيخ سعيد بن قنبر إلى الإمام فسلم عليه، وقال: أتيت منكتماً، وأُظهر أني أريد تعبير منام عند هذا الشيخ، وقد خالفت الناس، وجمعت كلمتهم وبذلت للديوان المال، وما يصلك شر إن شاء الله تعالى، ونحن أحياء.

ثم خرج الإمام عليه السلام إلى دار أخرى، وأتي بثياب بيض فلبسها.

وتفرق أصحابه خيفة أن يطلع الصباح وهم كذلك، وبات عيون أهل المدينة من الزيدية يجتهدون في فساد عسكر العجم، حتى أفسدوا من الرجل إلى ثلاثة آلاف راجل، وكان لهم في ذلك عناية أكيدة تليق بصحة عقيدتهم، وأكيد محبتهم لأهل البيت عليهم السلام، حتى أصبح الصباح وقد انتظم لهم ما أرادوه.

فلما رأى شمس الخواص إجماع أهل البلد على كلمة واحدة أشفق على نفسه، وقد كان السلطان جكو أمر إليه يقول: إن الإمام قد صار في المدينة في قوم يمنعونه، ونحن من ورائهم، فوقع ذلك عنده.

فلما تم لأصحاب الإمام ما يريدون وثبوا هم ومن قد أجابهم ففتحوا أبواب المدينة، فدخل الأمير جكو بمن معه من الجند، واجتمع خلق كثير وهنأه

السلطان جكو بالسلامة، وأقسم (لو جرى عليك حال لأضربن بسيفي هذا بجهدي ثم أحتني عليه فأقتل نفسي مخافة أن يقال: إني غدرت فيك)، فحمده الإمام وأثنى عليه، وساروا حتى أتوا عدني المسجد الجامع.

فلما اجتمع للإمام جنده خضعت العجم واستسلمت.

[بيعة شمس الخواص ومن معه من الغز وبعض فضائله (ع)]

وحضر شمس الخواص بجميع الجند الذين معه شاكين في السلاح، وقد تفرق أصحاب الإمام عنه، فكان ذلك أعظم خطراً، فنزل الإمام عليه السلام عن فرسه ودعاهم إلى البيعة، فألقى الله في قلوبهم الرعب، فنزلوا عن خيلهم وبايعوا وأيديهم ترتعد.

ثم أقبل جند العجم الذين كانوا فيها إلى بين يديه، حتى بايعوه عليه السلام، وإن من كبارهم لمن ترعد يده عند البيعة رعباً وخوفاً، قذفه الله في قلوبهم حتى شملتهم البيعة.

ومن فضائله عليه السلام في تلك الليلة: مجيء فرسيه وعليهما العدة والسلاح من قدام المسجد الجامع يتلو أحدهما الآخر من غير قائد ولا سائق، في أزقة مختلفة إلى جهات مختلفة، حتى أتيا الشارع الذي فيه الدار التي كان فيها عليه السلام، ولم يدخلا صنعاء قبلها، إذ هما من خيل نجد، وهما معه منذ قيامه.

ثم إن شمس الخواص بعد ذلك طلب الفسح، وسأل الإمام منشوراً ظاهراً يكون معه حيث يتوجه، فساعده إلى ذلك، وتوجه إلى تهامة بالجند الذين معه.

وقيل: نزلوا نحو اليمن.

واستمر الأمر الإمامي في صنعاء، ونفذت الأحكام، وأقيمت الحدود، وأمر عليه السلام بإهراق الخمر في المدينة، وتفقد الدور المشهورة بذلك، فأهريق في

درب الفاربي شيء يتجاوز الوصف، حتى جرى مثل السيل، بلغ مجراه قدر مائة وأربعين ذراعاً.

ولما استقر الإمام عليه السلام بصنعاء جعل ولاية المدينة إلى **الأمير علي بن موسى العلوي**.

وجعل القضاء ونفاذ الأحكام إلى **القاضي سري بن إبراهيم** – وكان صاحب القضاء في دولة الغز –، وكان أشعري المذهب، شافعي الفقه، وله معرفة طائلة.

فلما حضر مجلس الإمام وسمع الأسئلة الواردة عليه والإجابة عن كل مسألة، وتبين له الحق، أظهر الرجوع عن مذهبه إلى مذهب أهل العدل والتوحيد، وأشهد على نفسه بذلك، وكتب له منشور بالقضاء، وفيه ذكر رجوعه.

[ومما قاله الحسن بن عزوي العصيفري من شعره يوم فتح الإمام لصنعاء:

ظهرت حجة العلي الكبير	**بالإمام المؤيد المنصورِ**
بسليل النبي من طاهر العتـ	**ـرة من فرع شبر وشبيرِ**
ألبس الناس من محياه نوراً	**قد بدا والأنام في ديجورِ**
وعليه من الجلالة بردٌ	**ليس من سندس ولا من حريرِ**
ومحيط به مهابة عزم	**فهي سور عليه من غير سورِ**
ذا ابن من سبح الحصى في يديه	**واستقى للحجيج وجه الهجيرِ**
ذا ابن خير الأنام عن وحي جبريـ	**ـل وقول النبي يوم الغديرِ**] [1]

---

[1] ما بين القوسين من مطلع البدور من ترجمة الحسن بن عزوي، ولعله من النقص الموجود في السيرة.

[ملحق القصائد[1]]

[شعر الإمام عليه السلام عقيب فتح صنعاء]

وقال عليه السلام هذا الشعر عقيب دخوله صنعاء، وأثنى على أهلها بما كان لهم من العناية:

[دَعَا ذِكْرَ نَجدٍ والحمَائِمِ بِالحِمَى ... وبَرقَاً وَرَعدَاً لاَحَ وَهَنَاً فَأرزَمَا[2]

وَدَاراً لَهُم بَينَ العُذَيبِ وَبَارِقٍ ... وبَينَ هِضَابِ الأَبرَقَينِ وأَصرَمَا[3]

وَمَحطُوطَةَ المَتنَينِ مَهضُومَةَ الحَشَى ... خَدَلّجَةَ السَّاقَينَ مَعسُولَةَ اللَّمَا[4]

وَلَا تَذكُرا إلَا حُسَاماً وذَابِلاً ... ودِرعاً سَلوقِيَّاً وطِرفَاً مُسَوَّمَا[5]

---

[1] هذه القصائد ألحقتها كغيرها من الملحقات من مجموع الرسائل والأشعار، مع مقابلتها على ما في الديوان.

[2] الحمى: من مناطق زبيد، في المخلاف السليماني. وأرزم الرعد: اشتد صوته، أو صوت غير شديد.

[3] العذيب: مكان شمال المدينة، ويطلق على واد في الحجاز، وعلى قرية لعنزة في وادي القرى. وبارق: ماء بالعراق هو الحد بين القادسية والبصرة، وقيل: ماء بالسراة، وقيل: موضع بتهامة من اليمن.
الأبرقين: تثنية الأبرق، قال ياقوت الحموي في معجم البلدان: وإذا جاؤا بالأبرقين هكذا مثنى في شعرهم، فأكثر ما يريدون به أبرقي حُجر اليمامة، وهو منزل على طِريق مكة من البصرة، بعد رميلة اللوى للقاصد مكة، ومنها إلى فلجة، وقال الزمخشري: هو ماء لبني جعفر.

[4] محطوطة المتنين: ممدودة مستوية، مهضومة الحشى: أي خميصة البطن مضمومته، خَدلَّجة الساقين: أي لها ساقان ضخمتان عظيمتان ممتلئتان، واللَّمَى، مثلثَةَ اللامِ: سُمْرَةٌ في الشَّفةِ، أو شَرْبَةُ سوادٍ فيها.

[5] الحسام: السيف القاطع أو طرفه الذي يُضْربُ به. الدروع السيلقية: نسبة إلى سلوق قرية باليمن، والطرف – بالكسر – الكريم من الخيل، والمسومة الرعية والمعلمة، والسمة العلامة.

وَزَوْرَاءَ يُصْـــمِي نَبلُهَـــا مَاشِـــجِيَّةً تَمُـجُّ إِلَـى الأعـدَاءِ حَتفَـاً مُقَسَّـمَا[١]

وَمَجْـراً يَــرُدُّ اليــومَ لَـيلاً بِلأمَـــةٍ إِذَا أَشْــرَفَتهُ المَشْــرَفِيَّةُ أظلَمَــا[٢]

كـــأنَّ ثَبِيــراً مُسْـــنِفَاتُ جِيَـــادِهُ وَرَضَــوى أَخَــالُ مَتنَــهُ ويَلَمْلَمَــا[٣]

تُقَــادُ إِلَــى قــومٍ طُغَــاةٍ جبــابِرٍ لِتُــــدرِكَ ثَــأراً لِلعُلَـــى وَلِتَنقِمَـــا

وَلَا تُعرِضَـــا أَمــراً مَضَــى لِسَــبِيلِهِ وَلَا تَنسَــيَا هَــذَا المَقَــامَ وَسَــلِّمَا

وَقُـــولَا بِـــلَا فَخـــرٍ وَلَا جَبَرِيَّـــةٍ لِيَشْـفِي أَخَـا تَقْـوى وَيَكبُـتَ مُجرِمَـا

أَمثِلِــي يَلِــدْنَ المُحصَــنَاتُ مُقَــدَّمَاً إِذَا هَـــمَّ يَومَــاً بِالعَظِيمَــةِ صَــمَّمَا

قَـذفتُ بِنفسِـي فِـي خَمِيْسٍ عِرَمـرَمٍ فَكُنـتُ بِنَفسِـي فيْـهِ جَيشَـاً عِرَمْرَمَـا

لُيُـوثُ شَـرى لَـولَا بَيَـاضُ وُجُـوهِهِم ولـولا العَفَـافُ كلمَـا رُمـتُ مَغنَمَـا

يَقُـــودُهُمُ حَـــامِي الحَقِيقَـــةِ مَاجِـــدٌ مَلِيكٌ يُضَفِّي سَاحَةَ المُلكِ بالدِّمَا][٤]

إِذَا قَـالَ قُلـتُ الليـثُ يـزأرُ غَاضِـبَاً وإن كَفَّ خِلتَ فِي المفَاضَة أَرقَمَا[٥]

غَـــدَا طَائِعَـــاً لله غَيـــرَ مُنَـــازَعٍ وَلَا فَـــاتِحٍ بِـــالمُعوِرَاتِ لَـــهُ فَمَـــا

أُقَلِّـبُ طَرفِـي هـل أرى العُربَ جَهـرَةً فلَـــم أَرَ إلا أعجَمِيَّـــا مُهَمْهِمَـــا

---

[١] الزوراء: القوس. يصمي: يصيب ويقتل. النَّبْل: السهام العربية. والمشيج: المختلط.

[٢] المجر: الجيش العظيم.

[٣] مسنفات كمحسنات: أي متقدمة للخيل، وثبير: جبال بظاهر مكة أي خارج عنها وهي على يمين الذاهب إلى عرفة، ورضوى: جبل بالمدينة. ويلملم: ميقات اليمن جبل على مرحلتين من مكة. والمعنى كأن ثبيراً مقدمة ذلك الجيش، وأخال جبال رضوى ويلملم متن أي ظهر ذلك الجيش.

[٤] الضفو: السبوغ والكثرة، وفيضان الحوض، والمعنى: يملأ ساحة الملك بالدماء.

ما بين القوسين من الأبيات، من أول القصيدة إلى هذا البيت سقط من السيرة، وأثبته من الديوان.

[٥] أي ثعباناً.

سِوَى نَفَرٍ شُمِّ الأنُوفِ غَطَارِفٍ رَأوا خَلطَهُم للنَّفسِ بالنَّفسِ أَكرَمَا[١]

مَسَاعيْرَ مِن أبنا لُؤَيِّ بن غَالِبٍ يَجُرُّونَ للرَّوعِ الوَشيجَ المُقَوَّمَا[٢]

فَلَمَّا قَرُبنَا الدَّربَ جَادَت سَمَاؤُهُ بغَيثٍ رَأينَا مِنهُ فَذًّا وتَوأَمَا[٣]

كَرِجلِ جَرَادٍ أَمَّ سَلْمَى غُمُورُهَا إلَى أن زَهَتْهُ رِيحُ نَجدٍ فَأتهَمَا[٤]

فَعُدْنا فَأدّيْنَا فَرَائِضَ رَبِّنَا وَسِرتُ إلَيهِم حَاسِراً لَا مُلائمَا[٥]

وَتَاللهِ مَا وَطَّنتُ نفسِي على الرَّدَى لِأذخُرَ مَالاً بَل لِأرحَضَ مَأثَمَا

وكنتُ أمرءاً أهوَى الحُسَامَ مُثَلَّماً وأهوَى الرُّدَينِيَّ الأصَمَّ مُحَطَّمَا[٦]

وَأكرَهُ كونَ الحُرِّ خَلفَ جُنُودِهِ وأرضَاهُ عِرنِينَاً لَهُم مُتَقَدِّمَا[٧]

رَجَعنَا إلَى ذِكرِ الدُّخُولِ وَرُبَّمَا أتَى عَارِضٌ يَحكِي اللآلِي مُنظَمَّا

فَجَاءَت أَزَالُ جَمَّعَ اللهُ شَملَهَا وأسدَى إلَيهَا الصَّالِحَاتِ وأنعَمَا[٨]

فَجَادُوا بِفَتحِ البَابِ وابتَهَجُوا بِنَا وَقَالُوا لَنَا أَهلاً وَسهَلاً وَمَغنَمَا

وَقَالُوا جِهَادُ الظَّالِمِينَ فَرِيضَةٌ فَقَد طَالَ مَا كُنَّا نِهَاباً مُقَسَّمَا

---

[١] غطارف، جمع غطريف: السيد الشريف السخي الكثير الخير، وقيل الفتى الجميل.

[٢] البيت هكذا في الديوان، وأما في المجموع فهو: مساعير من همدان في ساعة الوغى.

المسعر: الطويل العنق. والوشيج: الرماح.

[٣] الفذَّ: الفرد. والتوأم: الإثنين فصاعداً.

[٤] والرِّجْل: الطائفة من الشيء، أُنثى، وخِص بعضهم به القطعة العظيمة من الجراد، وأَمَّ: قصد، وسلمى: نبات، وغمورها: أي أكثرها ومعظمها، وزهته: أي حركته الريح.

[٥] الحاسر: الذي ليس عليه درع، والملائم لابس الدرع.

[٦] الرمح الرديني: منسوب إلى امرأة يقال لها ردينة.

[٧] العرنين: السيد الشريف.

[٨] آزال: اسم كان يطلق على مدينة صنعاء قديماً، والمراد أهل صنعاء.

سَــتَفدِيكَ أَمــوَالٌ عِظَــامٌ وأنفُــسٌ كِـرَامٌ وإن أضـحى ذَوُو الفِسـقِ لُوَّمَـا
فَقُلنـا لَهُــم خَيــراً ثَنَــاءً عَلَــيهِمُ لِكَــونِهِمُ فيمَــا رَجَونَــاهُ سُــلَّمَا
وَخُضـنَا إِلَـى أُسْـدِ العَـرينِ عَرِينَهَـا بِصَـبْرٍ حَسَـوْنَا منـه صَـاباً وعَلقَمَـا
ومَا هِي بِكرٌ خَوضُ مُهرِي إلَى العِدَى إذَا كَاعَ يومَاً عَنهُ جُندِي وأحْجمَا[1]
سَـلِ الخَيـلَ عَنِّـي فِـي عَجِيـبِ وقَد صَارِ وِرْدُ الخَيلِ بِالرَّكضِ أَدْهَمَا
أَلَـم أَلقَهَـا مِـلءَ الفِجَـاجِ مُجَـرَّدَاً عَـنِ الجيشِ طَلْقَـاً ضَاحِكَاً مُتبَسِّـمَا
وَفِـي بَطـنِ مِلحَـانٍ أَلـم أَحْـمِ حَاسِـرَاً ذَوي الزّرَدِ المَوصُوفِ يَومَاً مُيَمِّمَا[2]
وَكَم مَوقِـفٍ يُلقَى بِهِ النَّـدبُ سَاهِبَاً لَقِيـتُ بِـه الفِتيَـانَ لَيثَـاً غِشَمشَـمَا[3]
فَقُـلْ لِمُلُـوكِ الأرضِ لَا تَطمَعُـوا بِهَـا مُراغَمَــةً مَــا لاَحَ بَــرقٌ وَأَنْجَمَــا[4]
فَقَـد طَـالَ مَـا نِلـتُم حَرَامَـاً حُطَامَهَـا فَــأحرَزْتُمْ ذَنبَــاً بِــذَاكَ وَمَأثَمَــا
فَمَـن كَـانَ يَبغِـي الفَـوزَ فَلْيَلتَـزِمِ بِنَـا فَعِصـيَانُنَا قَـد صَـارَ حِجـرَاً مُحَرَّمَـا

---

[1] يعني عليه السلام: أنه يعتاد خوض المعارك بفرسه إذا أحجم القوم وكاعوا، وليس ذلك ببكر: أي بأول خوض فِي المعارك يقوم به.

[2] ملحان: ناحية من نواحي المحويت، وهو جبل عظيم مطل على المهجم من ناحية تهامة، وفي كتاب الدر المنثور في فضائل الإمام المنصور بدل ملحان (هران)، وكلاهما وقعتان.

[3] الندب: الخفيف في الحاجة، الظريف النجيب، وساهباً: أي متغير اللون من الفزع والخوف. والفتيان جمع الفتى: وهو الشاب، والغشمشم: الذي يركب رأسه ولا يثنيه عن مراده شيء.

[4] أَنجَمَ: ظهر وطلع.

[قصيدة الإمام عليه السلام إلى جكو بن محمد في وقعة بني الفتوح]

ومما قاله عليه السلام بصنعاء، [إلى جكو بن محمد وقد خرج إلى مشرق بني أبي الفتوح، فكره قوم منهم الإنقياد للأمر، فأوقع بهم جكو وقعة عظيمة، فكتب إليه عليه السلام هذا الشعر][(١)]:

يَا لائِمِي فِي مَقَالِ الحَقِّ لَا تَلُمِ ... الحُكمُ للسَّيفِ لَيسَ الحُكمُ لِلقَلَمِ

إِنِّي أَبِيتُ قَلِيلَ النَّومِ أَرَّقَنِي ... قَلبٌ تَقَلَّبَ من هَمٍّ إلى هِمَمِ

لَيسَ الفَتَى مَن يَنَامُ اللَّيلَ مُنهَمِكاً ... يُفَرِّحُ النَّفسَ بِالطَّارِي مِن الحُلُمِ

لكِن فَتَى النَّاسِ مَن أَمسَى وَهِمَّتُهُ ... فِي مِنبَرِ المُلكِ لَا فِي الشَّاءَ وَالنَّعَمِ

إِنِّي هَزَزتُ حُسَاماً صَارِماً ذَكَراً ... يَفُلُّ فِي الرَّوعِ حَدَّ الصَّارِمِ الخَذِمِ[(٢)]

صَمْصَامَةً ذَكَراً تمضِي مَضَارِبُهُ ... لَا يَسأمُ الحربَ إنَّ العَجزَ فِي السَّأَمِ

بَحرٌ مَتَى يَرضَ يَملَا الأرضَ نَافِلَةً ... وإن تَغَطمَطَ غَطَّى وَجهَهَا بِدَمِ[(٣)]

فِي عُصبَةٍ وَهَبُوا للهِ أنفُسَهُم ... غَطَارِفٍ من حُمَاةِ العُربِ والعَجَمِ

مَا أنسَ لَا أنسَ فِي صنعَا مَوَاقِفَهُم ... والجَيشُ كالبَحرِ حَامِي الظَّهرِ مُلتَطِمِ

يَقُودُهُم مَاجِدٌ حُلُوٌ شَمَائِلُهُ ... عَلْيَاهُ أشهرُ من نَارٍ علَى عَلَمِ

أَبُو المُظَفَّرِ أَعلَى النَّاسِ مَرتَبَةً ... وأضرَبُ النَّاسِ يَومَ الرَّوعِ لِلْبُهَمِ[(٤)]

---

(١) ما بين القوسين من مجموع الرسائل والأشعار.

(٢) الصارم: السيف القاطع. والذكر: السيف الحديد من الحِدَّة. والخذم: السيف القاطع.

(٣) المراد بالبحر في البيت: الرجل الكريم، والنافلة: العطية والهبة، الغطمطة: اضطراب موج البحر، وهو كناية عن الغضب.

(٤) يعني أخاه عماد الدين أبا المظفر، يحيى بن حمزة بن سليمان، تقدمت ترجمته.

يـنحطُّ مـن عَلَـمٍ مـاضٍ ومـن طَبَـقٍ ... باقٍ ومن ظهرِ صِنديدٍ إلى رَحِمِ[1]

سِـــرٌ لآلِ رَسُـــولِ اللهِ مُنكَـــتِمٌ ... فِي سَالِفِ الدَّهرِ والمَاضِي من الأُمَمِ

حَتَّـى بَـدَى غُـرَّةً لِلـدَّهر شَـادِخَةً ... بَيضَـاءَ خَالِصَـةً مـن شَائِبِ القَـتَمِ[2]

سَـائِل بِيـومِ زَبَـارٍ والفَتـى قُصُـدٌ ... والحربُ أقوَمُ من سَاقٍ على قَدَمِ[3]

إذْ خَانَ يَحيَى الفُتُوحِيُّ العُقُودَ وَلَم ... يَخشَ العِقَابَ من الجَبَّارِ ذِي النِّقَمِ

فَكَـفَّ مِـنهُم عَفَافَـاً كَـفَّ مُقتَـدِرٍ ... وصَـالَ فِـيهِم عِقَابَـاً صَـوْلَ مُـنتَقِمِ

قُل لِي لِسَيفِ الهُدَى إن كُنتَ لاَقِيَهُ ... يَـا هَـازِمَ الجَحفَـلِ الجَرَّارِ ذِي العَلَـمِ

إنِّـي أَقُـولُ وَخيـرُ القَـوَلِ أصـدَقُهُ ... والقَـولُ يَبقَـى وإن أَفنَى البِلَـى رِمَمِي

إنِّـــي أُحِـــبُّكُمُ للهِ فَاعتَقِـــدُوا ... حُبِّـي وحَـقِّ إلَـهِ الحِـلِّ والحَـرَمِ

مَـن مَـتَّ منَّـا بِحَبـلٍ نَـالَ بُغيَتَـهُ ... ومَن تَعَدَّى انثَنَى بِالخِزيِ والنَّدَمِ[4]

إذَا المُصَـلِّي تَـوَلَّى غَيـرَ ذَاكِرِنَـا ... كَانَ الوُجُودُ لَهَا فِي الصُّحْفِ كالعَدَمِ

[قصيدة الإمام عليه السلام إلى أبي القاسم بن شبيب]

[وكان الفقيه الأجل شهاب الدين، أبو القاسم بن الحسين بن شبيب التهامي، وصل إلى الإمام عليه السلام إلى صنعاء بعد فتحها، فكتب إلى الإمام عليه السلام بعد إقامته بصنعاء أياماً رسالة نثراً ونظماً يسأله فيها النهوض إلى تهامة

والبهم: جمع بهمة بالضم، وهو الشجاع، وقيل: الفارس الذي لا يدرى من أين يؤتى له من شدة بأسه، قال في التهذيب: لا يدري مقاتله من أين يدخل عليه، وقيل هم جماعة الفرسان، أو المراد به الجيش.

(١) هذا البيت زيادة من الحدائق الوردية، والعَلَم في البيت هو سيد القوم، والطبق المراد به المرأة العاقلة.

(٢) القتمة: سواد ليس بالشديد.

(٣) زبار: قرية من خولان الطيال (العالية) بجوار مدينة جحانة.

(٤) مَتَّ: وصل، أي من وصل حبله بحبلنا بالإتباع والموالاة نال بغيته وطلبته في الدنيا والآخرة.

لإزالة المنكرات التي فيها، ويذكر فيها مقاماته في نصرة مذهب العترة عليهم السلام، ومقاماته على المخالفين لهم وقال فيها أبياتاً هي هذه:

وأنا الشهاب لدين آل محمدٍ ... وأنا الذي في حبهم أتقلبُ

وأنا العدو لكل من عاداهم ... وأنا الولي لمن بهم يتقربُ

إن كان من حام نجاري إنني ... شرفاً إلى آل الفواطم أنسبُ

والدر من صدف مذال مجتنى ... والمسك من فاريَّةٍ يتطيبُ

والفخر بالهمم العوالي لا بما ... تحويه من نسب نزارُ ويعربُ] [(١)]

وقال عليه السلام وقد أمر إليه الفقيه أبو القاسم بن الحسين برسالة نظماً ونثراً يستنهضه إلى تهامة ويسأله مركوباً، ويعرفه مقاماته بين يديه:

أَأَمرُكَ مَجهُولٌ لَدَينَا فَتَبَرِي ... لِتَبيِينِهِ بِالنَّظمِ دَأباً وبِالنَّثرِ

أَلَستَ الَّذِي نَابذتَ عن دِينِ أحمدٍ ... طَوَائِفَ مِن نَصْبٍ طُغَاةٍ ومن جَبْرِ

وأوضَحتَ بِالبُرهَانِ مَاكَانَ مُشكِلاً ... وهَل أَحدٌ يَفرِي الأمورَ كَمَا تَفْرِي [(٢)]

وظَنُّكَ فِينَا صَادِقاً فَاستَقِم لَهُ ... فَكُلٌّ إِلَى غَايَاتِ آمَالِهِ يَجْرِي

وَثِق بِامرِءٍ مِن هَاشِمٍ فِي أُرُومَةٍ ... مُكَرَّمَةِ الآبَاءِ طَيِّبَةِ النَّجْرِ

يَنُصُّ لِبِيضِ المُرهَفَاتِ جَبِينَهُ ... ويَقضِبُ بِالهِندِي هَامَ ذَوِي الكُفرِ

سَتُرضِيكَ مِنه عَزمَةٌ عَلَوِيَّةٌ ... إذا قَدَّ رُكنُ الجَيشِ حَاشِيَةَ البَحْرِ

وَطَهَّرَ بِالصَّمصَامِ شَامَ تَهَامَةٍ ... وَجُرْدٍ تَبَارَى كَالقَطَا القَارِبِ الكُدْرِي

هُنَالِكَ يَبدُو من أَبِي القَاسِمِ الرِّضَى ... بِإظهَارِ آيَاتِ البَشَاشَةِ والبِشْرِ

فَإن لَمْ أَقُدْهَا كَالجِبَالِ مُشِيحَةً ... تُرَدَّى بِأَبرَادٍ مِن القُمُصِ الخُضْرِ

---

(١) ما بين القوسين من مجموع الرسائل والأشعار.

(٢) يفري الفري: أي يأتي بالعجب في عمله. وأفراه: أصلحه أو أمر بإصلاحه.

خِمَاصَ البُطُونِ مِن مُتَابَعَةِ السُّرَى غِلاَظَ الجُنُوبِ مِن مُدَاوَمَةِ البُرِّ

عَلَيهَا مِنَ الفِتيَانِ كُلُّ مُسَوَّدٍ طَوِيلِ نَجَادِ السَّيفِ كَاللَّيثِ ذِي الأَجْرِ

إذَا غَضِبُوا ذَاقَ الوَشِيجُ حِمَامَهُ وكُسِّرَت الأسيَافُ فِي مَعرَكِ الكَرِّ

فَلاَ تَيأَسَنْ مِمَّا تَرَى مِن أَنَاتِنَا فَكَم حَرَكَاتٍ فِي سُكُونٍ وما تَدْرِي

وَلَا والذِي طَافَت قُرَيشٌ بِبَيتِهِ وَنَزَّلَ آيَ الذِّكرِ فِي لَيلَةِ القَدْرِ

لإن لَمْ تَقُمْ سوقُ الهُدَى لا تَرَكتُهَا تَنَامُ إذَا نَامَ الخَلِيُّ عَلَى وَتْرِ

فَلاَكَانَ نَومِي مِثلَ نَومِ مُهَبَّلٍ كَثِيرِ شعَابِ البطنِ مُشتَرَكِ الفِكْرِ

ولكن سَأدعُوا دَعوَةً عَلَوِيَّةً بِكُلِّ كَرِيمِ الجَدِّ يَزْهُرُ كالبَدْرِ

وأتباعِهِم مِن كُلِّ حَيٍّ ومَعشَرٍ مِنَ العَجَمِ الأنْجَادِ والعَرَبِ الغُرِّ

وأرسِلُهَا زَهْوَاً رِعَالاً مُغِيرَةً وأَسْرِي كمَا تَسرِي النُّجُومُ التي تَسْرِي

وَأُلزِمُ نَفسِي الصَّبرَ فَهو ذَخِيرَةٌ كَمَا قِيلَ فِيمَا يُستَجَادُ من الشِّعْرِ

ويَومٌ كَأنَّ المُصطَلِينَ بِحَرِّهِ وإن لَمْ يَكُنْ جَمْرٌ وُقُوفٌ على جَمْرِ

صَبرنَا لَهُ حَتَّى يَبُوحَ وإنَّمَا تُفَتَّحُ أبوَابُ الكَرِيهَةِ بِالصَّبْرِ [1]

---

[1] هذان البيتان من قصيدة الشاعر نهشل بن حري بن ضمرة الدارمي، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية وعاش فِي الإسلام، أسلم وَلَمْ يرَ النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وصحب أمير المؤمنين علياً عليه السلام فِي حروبه.

الحوادث التي حدثت والإمام (ع) بصنعاء

ذكر الحوادث التي جرت في البلاد والإمام عليه السلام بصنعاء في صفر من سنة خمس وتسعين وخمسمائة.

[استشهاد الأمير علي بن المحسن بنجران]

منها: استشهاد الأمير الفاضل المجاهد حسام الدين علي بن المحسن - رضي الله عنه- بنجران وكان سبب ذلك:

حوادث وقعت من بني الحارث ويام وشاكر من فساد في البلاد، وأغار الصعيب اليامي في أسفل الوادي غارة بعد غارة، وقُتل فيهما رجلان صالحان من آل عبادل، ووقع اضطراب في البلاد، وبلغ الخبر إلى صعدة إلى الأمير المذكور، فنهض مشمراً واستنفر أهل الحقل طوعاً وكرهاً، وما وقف بعد وصول الخبر إلا يوماً واحداً، ولم يقدر أحد منهم أن يتأخر خشية منه وخوفاً، وكانت خيلهم الصادرة معه ثمانين فارساً، والرجل سبعمائة، غير من التأم إليهم من سائر القبائل، ووصلوا كوكبان، فلما أصبح نهضوا في طلب العدو -وكانوا قد انهزموا- فتبعوهم إلى البئر في أسفل الوادي على غير تعبية، ورغب الناس في أخذ الغنائم، وقد مال عنها العدو، وتفرقت الخيل يميناً وشمالاً، فرغب فيهم العدو، وحقت الهزيمة في العسكر، ولزم الأمير في أعقاب الخيل والرجل، وولت خيله منهزمة جميعها حتى لم يبق معه فارس ولا راجل.

وحكى الشيخ يحيى بن أحمد بن حجلان قال: مررت به وهو يقيم فرسه وحده فقلت له: يا مولاي، لم يبق أحد فولِّ بفرسك لتحل لنا الهزيمة، فحرك فرسه موليّاً في أثر الناس، فانهزمت، وذلك آخر عهدي به.

وقيل: إنه حمل في القوم فضرب رجلاً منهم يقال له عدنان ضربة في رأسه، وضربه عدنان فصرعه عن فرسه ووقع فيه القوم وقتلوه، فمضى شهيدًا-رضي الله عنه-.

وقتل في ذلك اليوم قدر سبعين رجلاً إلى رحمة الله، وأسر قوم كثير، وراحت خيل الحقل لا يلوي منهم أحد على أحد، فاتهم حظهم من الذكر الجميل، والثواب الجزيل، بل خسروا الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين.

ولما بلغ هذا الخبر اغتم الإمام عليه السلام والمسلمون غمّاً شديداً، وعزم على تجريد ثلاثمائة فارس، وإعداد الإبل لحمل المزاد التي كانت لإسماعيل في صنعاء، وهي أربعمائة مزادة، ولحاق العدو أينما توجهوا من الغائط[1]، فعاقت العوائق بما نجم من حوادث اليمن التي يأتي ذكرها في موضعها إن شاء الله.

[تجهيز الجيش للأخذ بالثأر]

ووصلت مكاتبة الأميرين الكبيرين شمس الدين وبدره يحيى ومحمد ابني أحمد إلى صنعاء بعد مدة يستطلعان رأي الإمام عليه السلام، ويستأمرانه في القود إلى نجران، وكان في نفسه القود من صنعاء فاتسعت عليه الأشغال فأذن لهم بذلك.

---

[1] الغائط: القاع الذي تنتهي إليه سيول نجران.

فكتبا إلى الأمير صارم الدين إبراهيم بن حمزة بن سليمان يستنهضانه بخيل الجوف، فأتى في مائة فارس، وتقدم الأمير الكبير، شيخ آل الرسول، يحيى بن أحمد إلى بلاد خولان بالقد اليماني، وتقدم الأمير بدر الدين إلى بلاد جماعة والأبقور وسائر قبائل خولان، فأجابوهما، واجتمع عسكر كثير إلى سبعة آلاف قوس، والخيل مائتان، **وكان نهوضهم من صعدة مستهل ربيع الآخر من سنة خمس وتسعين.**

ولما علمت قبائل نجران من همدان وبني الحارث وغيرهم أتوا برهائنهم داخلين في الطاعة، فأمر بها إلى صعدة.

وكان المتقدم في العسكر الأمير بدر الدين محمد بن أحمد فرَتَّبهم، وجعل للأمير صارم الدين إبراهيم بن حمزة التقدم في الخيل في أول العسكر، والأمير أحمد بن يحيى بن أحمد في وسطه، وكان بنفسه في الأبقور وبني جماعة خاصة لثقته بهم وعلمه بنصيحتهم في أعقاب العسكر، فكانوا كذلك في صدورهم وورودهم، وأظهر أن المخرج إلى نجران، فلما صاروا في بعض الطريق قصد بلاد يام وأوديتهم ودورهم فانهزموا رؤوس الجبال، وانهزم الصعيب ومن كان معه إلى الغائط، فتغنم العسكر أموالاً جليلة، وأخربوا قريباً من سبعين درباً، وحرقوا مائة بيت من الشعر، وما لم يمكن حمله من الآلات والبسط، وأقام العسكر أياماً يخربون الدروب، ويستأصلون شأفة أعداء الله الفرقة الغوية، المائلة عن منهاج الشريعة النبوية.

ونهضوا بعد ذلك مستقبلين جهة المشرق في طلبهم، وليكون وصولهم إلى نجران من أسفل الوادي، فانقطعوا من الماء وأشرف الناس على التلف من شدة الظمأ، فأنزل الله سبحانه مطراً أقام به رمقهم حتى بلغوا الماء ببئر حميد، وكان ذلك من ألطاف الله لهم، وحطوا عند بني قدامة - في أسفل وادي نجران-،

فأقبل أهله بالطاعة والامتثال، فقبل الأمير، والتزموا بثلاثة آلاف دينار معونة على الجهاد في سبيل الله، فسلموا البعض ورهنوا في الباقي، واستمرت الأحكام بنجران واستقامت الأمور.

[خلاف الأمير يحيى بن أحمد على الإمام عليه السلام]

ومن جملة الحوادث:

خلاف الأمير يحيى بن أحمد بن سليمان ومعارضته بحجة: وذلك: أن أبا الفضل بن إبراهيم وبني عمه بني الأزرق كانوا قد اضطهدوا بني بطين(١) بيد السلطان سيف الإسلام، وبذلوا له عشرة آلاف دينار على إخراجهم من مبين(٢)، وخراب دورهم في درب لهم تسمى فليعا، ففعل لهم ذلك، وأخرج بني بطين من حصنهم ودورهم غصباً، واستولى عليه بنو الأزرق كرهاً.

فلما قام الإمام وظهرت دعوته، وصار بحصن كوكبان، اضطربت أمورهم.

فأتى أبو الفضل بن إبراهيم إلى الشريف علي بن الحسين بن جعفر وهو ابن عم الأمير يحيى بن أحمد فاستشاره في أمره، وسأله أن ينفعه عند الإمام على أن يقرهم في المكان بما أحب من المال، فقال له الشريف: لا سبيل لك إلى ذلك لو أعطيته وزن جبل مبين ذهباً ما قبل إلا ما يوجبه الحق، ولا ينفعك لهذا إلا الأمير يحيى بن أحمد وأنا أكفيك أمره.

---

(١) البطين: واد من أعمال بني مديخة في مديرية الشاهل، بالغرب الشمالي من حجة.

(٢) مبين: بلدة مشهورة، شمال غرب مدينة حجة.

فتقدم إليه إلى بلاد بني شاور وكان والياً بها عن أمر الإمام عليه السلام فأعلمه الخبر، وحسَّنه له وأشار به عليه، وكان متهيباً لذلك فساعده وتقدم الشريف علي بن الحسين إلى جهة الظاهر ليفسد أهله، فمرض أياماً ومات.

ولما فتح الإمام عليه السلام صنعاء اشتد خوف ابن الأزرق وأصحابه فأمروا أسعد بن حجاج إليه إلى صنعاء، فسألوه أن يقرهم في مبين على تسليم أموال جليلة فلم يجد عنده إلا التشديد في إبلاغ الحق، فتقدم إلى الأمير يحيى بن أحمد وبذل له المال، فنهض معه مخالفاً لأمر الله وأمر الإمام، وتقدم إلى العطيف بن موفق فحالفه على المعاضدة والمناصرة، وطلعوا إلى مبين وأجمعوا أمرهم ومكرهم على الخلاف والحرب.

[قصيدة الحسن بن عزوي ينصح الأمير يحيى في ترك الخلاف]

وكتب حسن بن عزوي إلى الأمير يحيى بن أحمد هذا الشعر:

قل للأمير أميرِ العصرِ والزمنِ ... يحيى سلالةِ مولانا أبي الحسنِ

مقدمِ الجيش والعالي بهمته ... وفارسِ الطعنِ والأرماحِ في عَلَنِ

عهدتُكَ الفَطِنَ المحمودَ شيمتُه ... وليس هذا فعالُ الماجدِ الفَطِنِ

أما الإمام فلم تَسعدْ بطاعته ... وأنت أفضلُ مأمول ومؤتمَنِ

وجئتَ حجةَ في أمر العنادِ له ... وما بها لك من سكنى ولا سَكَنِ

فكنت في كل ما ترجو وتأمله ... كحالب التيس مشتاقاً إلى اللبَنِ

منحتَ وُدَّكَ قوماً لا خلاق لهم ... وما رعيت وداداً من بني الحَسَنِ

كفارق البحر لم يُمنع موارِدُه ... عذباً ويسعى لورد الآجنِ الأَسِنِ

ويهجر الروض مُفْتَرّاً مباسمه ... غَضّاً ويصبو لخضراء من الدِّمَنِ

كمثل مرتاد أرض لم تزل جُرُزاً ... وخلفه دقعات الوابلِ الهَتِنِ

لـو أن يـوم ذمـار كنـت حاضـرَه لفـزت فـوزاً عظيمـاً آخـر الـزَّمَنِ
قادوا الغنائم من خيل ومن نَعَمٍ وملك مصر وما حازوه من عَدَنِ
سـارت بطاعته قـوم فقد سعدوا وأنت في حجةٍ كالسهمِ في قَرَنِ
كفى الإمام ولـم تحضـر وقائعه ولو حضرت نصبت الفخر في اليمنِ
ضيعت حظك من دنياك معتمداً وبعـت دينـك مغـروراً بـلا ثَمَـنِ
أطع إمامك واذكر بيعةً سلفت وتب لعلك تمحو السوءَ بالحَسَنِ

[إرسال الإمام صنوه يحيى إلى حجة في عسكر]

وبلغ علمه إلى الإمام عليه السلام إلى صنعاء وإظهاره للخلاف فأمر أخاه عماد الدين يحيى بن حمزة للخروج إلى حجة، فجمع عسكراً كثيراً يزيد على أربعة آلاف.

وكان خروجه إلى حجة **في آخر شهر ربيع الأول من سنة خمس وتسعين،** ووقع الحرب الشديد، وكاد العسكر يستظهر على الأكمة التي هي دون مبين المعروفة بقلعة العذري، وأيقن أهلها بالأخذ، فبذلوا لواحد من بني صاع يقال: منصور بن جحاف شيئاً من المال وصرف عنهم العسكر، ولما كان من الغد وقع القتال فرمي بسهم فمات منه، وعجلت نقمته، وأقامت الحرب عليهم مدة، وتمنع أهل البلاد، وقل صبر العسكر، وكثر الفساد، وراح الأكثر منهم وتفرقوا في الجهات، وأجمع رأي الأمير يحيى بن أحمد وحلفائه على تقدمه إلى الغز وقودهم إلى البلاد، وافترقوا فرقة لم يجتمعوا بعدها.

وأخذ الإمام حجة بعد ذلك واستقر أمره فيها، وردَّ مبين إلى أهلها، وسيأتي ذكر ذلك في موضعه إن شاء الله.

[قصيدتان ملحقتان من مجموع الرسائل والأشعار]

[وعمل عليه السلام وهو في ثلا بعد خروجه من صنعاء من بعد طلوع الفجر إلى ارتفاع الشمس الشيء اليسير، قدر ما عمت البلاد قبل ضحوة النهار شعرين، هذا أحدهما، روى لي ذلك الشيخ الأجل أبو فراس بن دعثم أيده الله، والثاني الذي يتلوه:

لا تَـــذْكُرَنَّ منـــازِلَ الأحبَـــابِ	بِلِـوَى قُضَـيبَ فَـأجرُعَي سِـرحَابِ[١]
دَارَات آرَامِ الصّـــريَمِ وإنَّمَـــا	لـيسَ الزّمَـانُ زمَـانَ ذِكـرِ تصَـابِي[٢]
واذكــر بنــاتَ الأعـوَجِيّ ولاحِــق	شُــمَّ المُتُــونِ لَوَاحِــقَ الأقــرابِ[٣]
والزُّغْــفَ كالغُــدْرَانِ أُحكِــمَ نســجُها	سَــرْداً كجلــدِ الأرقــمِ المنسَــابِ[٤]

---

[١] اللوى كإلى الملتوي من الرمال أو الدقيق منها، والقُضَيب بالتصغير: قرية في وادي زبيد من تهامة. والجَرْعَةُ، ويحركُ: الرَّملةُ الطَّيِّبَةُ المِنْبِتِ لا وُعُوثَةَ فيها، أو الأرضُ ذاتُ الحُزونةِ تُشَاكِلُ الرَّمْلَ، أو الدِّعْصُ لا يُنْبِتُ، أو الكَثِيبُ جانِبٌ منه رَمْلٌ وجانِبٌ حجارةٌ.

[٢] الآرام: الأعلام، والصريم: القطعة من الرمل الكثير.

[٣] الأعوج: فرس لبني هلال تنسب إليه الأعوجيات كان لكندة فأخذته سليم ثم صار إلى بني هلال أو صار إليهم من بني آكل المرار. وفي مختار الصحاح: أعوج اسم فرس تنسب اليه الأعوجيات وبنات أعوج وليس في العرب فحل أشهر ولا أكثر منه نسلاً. انتهى. ولاحق: اسم فرس كان لمعاوية بن أبي سفيان. شم البطون: أي مرتفعة أو بعيدة. والأقراب: الخواصر، وفرس لاحق: أي ضامر.

[٤] الزُّغْف: جمع زَغْفَة وقد يحرك الدرع اللينة الواسعة المحكمة أو الرقيقة الحسنة السلاسل، ودورع زَغْفٌ أيضاً وأزغاف وزُغُوف وزَغفٌ محركة. والغدران: الذوائب، والسرد: نسج الدروع، وهو اسم جامع يطلق على الدروع وسائر الحلق. والأرقم: أخبث الحيات، أو ما فيه سواد وبياض، أو ذكر الحيات. والمنساب: الذي يمشي ويجري مسرعاً.

ومنـــــازلاً زُرْقَ المُتُـــــونِ كأنَّهَـــــا ... بــرقٌ تَعَــرَّضَ فِــي مُتُــونِ سَــحَابِ[(١)]

والمَاشِــــحِيَّةُ كُــلِّ صَـــفرَاءَ القِــرَى ... وهــواكِ مــن عُتُــلٍّ ومِــن نَشَّــابِ[(٢)]

وَمَقَامَـــةٌ تَـــدَعُ النُّفُـــوسَ رَخِيصَـــةً ... فُرسَــانُهَا والسُّــوقُ سُــوقُ ضِــرَابِ[(٣)]

لَــيسَ المُحَــارِبُ كُــلَّ يَــومٍ غَالِبَــاً ... كَــم قــد طَــرَا غَلَــبٌ علــى غَــلاّبِ

لَا تعجبَــنْ مِــن جَوْلــةٍ فِــي صَــوْلَةٍ ... فَحَــــوَادِثُ الأيَّــــامِ غَيــــرُ عُجَــــابِ

إِنِّــي أَرِقــتُ ومَــا أرِقــتُ لِحَــادِثٍ ... مِــن فَــلِّ جــيشٍ أو خُمُــودِ شِــهَابِ

لكِــنْ لِضِــلّةِ أُمّــةٍ عــن رُشْــدِهَا ... وَنُكُوصِــهَا عَمــدَاً علــى الأعقَــابِ

عَنِّي وقَـد عَلِمَـتْ دِفَـاعِي فِـي الـوَغَى ... عنهَـــا وتَعظِيمِـــي لَهَـــا وَنصَـــابِ

وَنَضَــوْتُ عَزمَــاً مــن عَــزَائِمِ حَيــدَرٍ ... تُــزرِي بِحَــدِّ الصَّــارِمِ القَرضَــابِ[(٤)]

هَــل تَعلمَــانِي قَــد وَقَفــتُ بِمَوقِــفٍ ... إلا ويشــــهَدُ لِــــيْ ذَوو الأحْسَــــابِ

فَعَــلامَ يَنسَــى الأكرَمُــونَ مَــوَدَّتِي ... لِجِهَــامِ سَــيْفَان ولَمــعِ سَــرَابِ[(٥)]

إنِّــي ومــن عَمَــرت قــريشٌ بَيْتَــهُ ... لا حلْفَــــــةَ الأزلامِ والأنصَــــــابِ

لا يَــثلِمُ الخطــبُ الملــمُّ عزائمِــيْ ... أبــــدَاً ولا يُرْخِــــي فضُــــولَ ثِيَــــابِي

أَوَ يَحسِــبُ الأقــوامُ أنِّــي نَــائِمٌ ... أو سَــاهِرٌ للهــولِ أقــرَعُ نَــابِي

الهَــولُ عنــدِي حِــينَ يَمنَــعُ ظَهــرَهُ ... أدنَــى وأهــونُ مــن طَنِــينِ ذُبَــابِ

إن كُنْــتِ يَــا صــنعاءُ أكبــرَ هِمَّتِــي ... وَذَمَــارُ إن ذُكِــرَت أجــلُّ طِلاَبِــي

فَليَزهَــدِ الأعــدَاءُ فِــيَّ فَــإنَّني ... وَاهِــي العَزِيمَــةِ ضَــائِعُ الأســلاَبِ

---

(١) المتون: المراد بها هنا خيوط تشد بها أوصال الخيام، ومتون السحاب: المراد جوانبه.

(٢) العتل - بضمتين ولام مشددة-: الرمح الغليظة.

(٣) المقامة بالفتح: المجلس، والقوم، وبالضم، الإقامة. والمراد هنا موضع الثبات في المعركة.

(٤) سيف قرضوب وقرضاب ومقرضب: قطاع.

(٥) رجل سيفان: طويل ممشوق ضامر. والجهم: العاجز الضعيف.

إنِّـــي إذَا حُمِـــدَ اللئَـــامُ رَأيتَنِـــي كالشـــمسِ بَـــارِزَةً بغيـــرِ حِجَـــابِ

سَـــأقُودُهَا شُـــعثَ النَّوَاصِـــي شُـــزَّبَاً كـــالبحرِ ذَاتَ تَغطُمـــطٍ وعُبَـــابِ

حتّـــى تَصَـــعَّدَ بالصَّـــعِيْدِ جِيَادُنَـــا وتَضُـــمَّ غَزْنَـــةَ مِـــن وَرَاءِ البَـــابِ[1]

وتَمُـــرَّ فِـــي شَـــطِّ الفـــرَاتِ عَوَابِسَـــاً كـــالطّيرِ تَكسِـــرُ جُنحَهَـــا لإيَـــابِ

وَنُقِـــيمُ فِـــي بَغـــدَادَ يَـــومَ قِيَامَـــةٍ يَنفِـــي شُـــكُوكَ الوَاقِـــفِ المُرتَـــابِ

حَتَّـــى يَـــرَى أبنَـــا أبِينَـــا أنَّنَـــا شُـــمُّ الأنُـــوفِ حُمـــاةُ كُـــلِّ عِقَـــابِ[2]

أَبلِـــغ بَنِـــي العبَّـــاسِ صَـــفوةَ هَاشِـــمٍ وسُـــلالَةَ العَلاَمَـــةِ الوَهَّـــابِ[3]

مِـــن وَاصِـــلِ الأرحَـــامِ غَيـــرِ مُقَـــاطِعٍ وَمُشَـــيَّعٍ فِـــي العَـــالَمِينَ مُجَـــابِ

إنَّـــا أخَـــذنَا أمرَنَـــا فتصَـــبَّرُوا ودَعُـــوا النِّهَـــابَ فَـــلاَتَ حِـــينَ نِهَـــابِ[4]

قَـــد حُزتُمُوهَـــا بِالصَّـــوَارِمِ بَرهَـــةً غَصْـــباً ولـــيسَ الحَـــقُّ للغُصَّـــابِ[5]

فَـــالآن قَـــرَّت فِـــي مَحَـــلِّ قَرَارِهَـــا أبنَـــاءِ حَيـــدَرَةَ الفَتَـــى الضَّـــرَّابِ

صِـــنوِ النَّبِـــي وخَيـــرِ مَـــن وَطِـــئَ الحَصَـــى بعـــدَ النّبِـــي لُبَـــابِ كُـــلِّ لُبَـــابِ

---

[1] الصعيد: بمصر بلاد واسعة كبيرة، فيها عدة مدن عظام، قيل: بأن في الصعيد تسعمائة وسبع وخمسون قرية، والصعيد في جنوبي الفسطاط ولاية يكتنفها جبلان والنيل يجري بينهما، والقرى والمدن شارعة على النيل من جانبيه، وبالصعيد عجائب عظيمة وآثار قديمة في جبالها. وغزنة بفتح الغين وسكون الزاي وفتح النون: مدينة عظيمة وولاية واسعة في طرف خراسان، وهي الحد ما بين الهند وخراسان، وهي من أنزه البلاد وأفسحها رقعة.

[2] العقاب بالكسر: جمع العقب ككتف: وهو الولد وولد الولد، أو جمع العقبة بالتحريك: وهي المرقى الصعب في الجبال.

[3] يعني به الإمام عليه السلام: حبر الأمة عبد الله بن العباس رضي الله عنه.

[4] النهاب بالكسر: جمع النهب: وهو الغنيمة والأخذ.

(٥) بُرهة من الدهر - بضم الباء وفتحها -: أي مدة طويلة من الزمان.

نُورٌ تَنَقّلَ حَالَةً مِن حَالَةٍ ... مَا بَينَ أَرحَامٍ إِلَى أَصْلابِ
وَأَبُوكُمُ المِفضَالُ سَلَّمَهَا لَهُ ... مِن غَيرِ إسهَابٍ وغيرِ خِطَابِ[١]

[قصيدته شاكراً لأهل الجوف في القود بثأر علي بن المحسن]

وهذا هو الشعر الثاني الذي قاله عليه السلام بثلا وأمر به إلى الجوف، قاله متشوقاً إلى الجوف، وشاكراً لأهله في قودهم مع الأمير صارم الدين إبراهيم بن حمزة إلى نجران في ثأر قتل الأمير الأجل علي بن محسن رحمه الله رحمة واسعة، وغفر له مغفرة جامعة:

رُوَيدَكُمَا لا تعجلا بملاَمِي ... فليس مقامُ الليثِ مثلَ مقامِي
سَلِ الخيلَ فِي صنعاء يوم قَصَدْتُها ... بأَرْعَنَ جرّارٍ أجَشّ لُهَامِ[٢]
ألم أَكُ رُمحَ الجيشِ عند قدومِهِ ... وصمْصَامَهُ لَو حُلَّ عَقدُ ذِمَامِ
وَيوم ذمَارٍ عند مُشتَجَرِ القَنَا ... أَلَم يَكُ فِعْلِي قائداً لِكَلامِي[٣]
وَكَم مَوقِفٍ يَنسى بِهِ المرءُ نَفسَهُ ... عُرِفتُ بِهِ مَاضِي العزِيمَةِ سَامِ
وَلِي كُلَّ يومٍ هِمَّةٌ عَلَوِيَّةٌ ... تُزِيلُ بإذنِ الله رُكنَ شِمَامِ

---

[١] يعني أن العباس بن عبد المطلب وأبناءه سلموا الأمامة والأمر لعلي عليه السلام دون منازعة.

[٢] جيش أرعن له فضول. وكتيبة جرارة ثقيلة السير لكثرتها. والأجش: الغليظ الصوت من الانسان ومن الخيل ومن الرعد وغيره. ورجل لَهِم: ككتِف وصُرَد وصبور ومنبر: أكول وكخِدَّب: رغيب الرأي جواد عظيم الكفاية الجمع: لِهَمُّوْن والبحر العظيم السابق الجواد من الخيل والناس كاللِّهُمِم بكسرهما ويضم.

[٣] في نسخة الديوان: لذمامي.

يَهَالُ لَهَا عربٌ وعُجمٌ وإنَّهَا … تُشيِّبُ رأسَ الطِّفلِ قَبلَ فِطَامِ[1]

أنَا القائم المنصُورُ مَنصُورُ هَاشِمٍ … حُسَامٌ رَقِيقُ الحَدّ غيرُ كُهَامِ[2]

وَلِي نَفسُ حُرِّ الوَالِدَينِ مُهذَّبٍ … ونَفسُ عِصَامٍ قد سَمَت بِعِصَامِ[3]

إِذَا رُمتُ أمراً لَمْ تُمَنَّعْ صِعَابُهُ … وأدنَت رُؤوسَاً جُنَّحاً لِحُطَامِ

فَلَا تَجزَعَا إن كَانَ للحربِ جَوْلَةٌ … فليس بأيدِي الحَادِثَاتِ زِمَامِي

تَحَمَّلتُ أعباءَ الحَوادثِ يَافِعاً … فَأكرِم بِحَمَّالِ الخطُوبِ غُلَامِ

أَبِي فَارِسُ الإسلامِ غَيرُ مُدَافَعٍ … عَليٌّ إمَامُ الحَقِّ خيرُ إمَامِ

أشدُّ قُريشٍ فِي الهِيَاجِ شَكِيمَةً … وأقدمُهُم فِي يوم كُلِّ صِدَامِ

فَمِن أينَ يَعرُونِي اضطِرابٌ إذا القَنَا … سَمَت بِنُجُومٍ فِي سَمَاءِ قُتَامِ

فَيَا رَاكِباً إمَّا عَرضْتَ فَبَلِّغَنْ … بَنِي هَاشِمٍ قَومِي الغَدَاةَ نِظَامِي

وأبناءَ قحطانٍ وعدنانَ عن يَدٍ … وكلَّ كريم الوَالِدَينِ مُحَامِي

وقُل لَهُمُ مَا عُذْرُكم عند رَبِّكم … إذا قادَكُم بَارِيكُمُ بِخُطَامِ

وقلتُ له يَا ربِّ لَمْ ينصروا الهُدى … وقد ذُدتُ عن أديانِهِم بِحُسَامِي

ألَا رُبَّ مفتونٍ بعَاجِلِ نِقمَةٍ … عَمٍ عن طريقِ الحَقِّ أو مُتَعَامِي

وكم بَاسِطٍ للعهدِ كَفَّاً كَأنَّهُ … لِغفلَتِهِ قد مَدَّهَا لِسَلَامِ

هو العهدُ والميثاقُ فَالتَزِمُوا بِهِ … أأنتم نِيَامٌ أَمْ شَبِيهُ نِيَامِ

تُهَنُّونَنِي بالفَتْح عند قُدُمِهِ … وتَنأَونَ عَنِّي والنُّحُورُ دَوَامِي

أَهَذَا مِن الإنصَافِ مَا نفعُ حَامِلٍ … إذَا وضَعَتْ حَملاً لِغيرِ تَمَامِ

---

[1] هاله الشيء: أفزعه.

[2] سيف كَهَام كسَحاب كليل الحد.

[3] يعني أنه اكتسب شمائل الصفات، وكرائم الخلال بنفسه، وبمكانة آبائه وأجداده، فجمع الأمرين معاً.

فَقُـل لِـي لِـنِهْمٍ حَيـثُ قَـرَّ قَرَارُهَـا ... وفُرسَـانِ هَـذَا الحَـيِّ حَـيِّ دَعَـامِ
أَتَـانِي والأنبَـاءُ تُنمِـي علـى النَّـوَى ... فِعَـالٌ لَكُـم مِسْـكٌ بِغَيـرِ خِتَـامِ
سَـمَوتُم لِنَجْـرانٍ وَكُنـتُم سَـمَادِعَاً ... كِرَامَـاً وأهـلُ الغـدر غَيـرُ كِـرَامِ[1]
فَـأدركتُمُ ثَـأراً لِآلِ مُحَمَّـدٍ ... وأُبْـتُم عَلَـى رغـمِ العِـدَى بِسَـلاَمِ
سَقَاكُم مُلِيثُ القَطَـر مـن كُـلِّ حَالِـكٍ ... حَيِـيٍّ بَطِـيءِ السِّـيرِ غَيـر جُهَـامِ[2]
وَرُعيَـاً لِأَيَّـامٍ لَنَـا بِبَـرَاقِشٍ ... لَـدَى قَومِنَـا السَّـادَاتِ صَـفوةِ سَـامِ
غَـدَاةَ نَجُـرُّ السُّـمرَ لَا اللهـوُ شَـأنَنَا ... ومَـا اللّهـو فِـي جَـرِّ القَنَـا بِحَـرَامِ
فَهَـل أَثَـلاَتُ الـوَادِ شَـرقِيَّ مَجـزِرٍ ... كَعهـدِي نَضيرَاتُ الغُصُـونِ سَـوامِي[3]
وَيَـا لَيـتَ شِـعري هـل أبِيْـتَنَّ لَيلَـةً ... بِشَـطِّ مَعِـينٍ حَاسِـراً للثَـامِي[4]

---

[1] السَّمَيْذَع: بفتح السين والميم بعدها مثناة تحتية ومعجمة مفتوحة ولا تضم السين فإنه خطأ: السيد الكريم الشريف السخي الموطأ الأكناف. في حاشية القاموس: ظاهر كلام الجوهري وابن سيدة والصاغاني إهمال الدال بل صرح بعضهم بأن إعجام ذاله خطأ.

[2] اللث والالثاث واللثلثة: الالحاح والإقامة ودوام المطر، واللث: الندى. والحلك بالتحريك: شدة السواد. والجهام السحاب لا ماء فيها، أو قد هراق ماءه، وقد أجهمت السماء. والحياء: الخصب والمطر ويمد.

[3] أثلات: جمع أثلة وتجمع على أثوآل أيضاً شجرة معروفة. ومجزر بفتح الميم وسكون الجيم وكسر الزاي: مديرية واسعة من أعمال مأرب، تقع فيما بين بلاد نهم والجوف.

[4] معين: مدينة أثرية مشهورة في أعلا وادي الجوف من الجهة الشمالية الغربية تبعد عن مدينة الحزم بسافة ١٨ كم، وكانت عاصمة الدولة المعينية في القرن الثالث قبل الميلاد، وهي أغنى بقعة في الجزيرة العربية بالآثار.

وَمَا حَالُ دَارَاتٍ لَهُم قَد عَهِدتُهَا بِأَيمَنَ سِليَامٍ وَأَيسَرَ حَامِ[1]

بِهَا كُلُّ مِكْسَالٍ كَأنَّ جَبِينَهَا سَمَاوَةُ بدرٍ لاَحَ تَحتَ غَمَامِ[2]

حَمتهَا رِمَاحُ الخَطِّ من كُلِّ غَارَةٍ بِأَيدِي كِرَامِ الجَدِّ غيرِ لِئَامِ

فَإن تَطهُرِ الآفَاقُ من دنَسَاتِهَا أتاكُم سَوادِي عَاجِلاً وَخيَامِي

أَمثِلِي يَنَامُ اللّيلَ مِلءَ جُفُونِهِ ودِينِي مُضِيمٌ والعِدَاةُ أَمَامِي

وَكَم سَائِلٍ عن بُغيَتِي ثُمَّ قَالَ لِي مُرَادُكَ نَجدِيٌّ وأنتَ تَهَامِي

فَكِلتُ لَه بِالصَّاعِ ثُمَّ أجبتُهُ هَوَاكَ يَمَانِيٌّ وأنتَ شَآمِي

أَيعظُمُ من مِثلِي مَرَامٌ مُعَظَّمٌ وسَمكُ مَحلِ النّجْم دُون مَرامِيْ[3]

وَلَا بُدَّ مِن يومٍ تَظَلُّ بِهِ الظُّبَى تَمُجُّ نَجِيْعَاً من رُؤوسِ طَغَامِ[4]

---

[1] سليام: جبل عال في الجهة الغربية من الجوف. وحام: سلسلة جبال ممتدة من الجنوب إلى الشمال في الجهة الشرقية من الجوف، ويكثر ذكر الإمام لهما فيما يأتي.

[2] مِكْسَال: نعت للجارية المنَعَّمة التي لا تكاد تبرح من مجلسها.

[3] السَّمْك: القامة والإرتفاع.

[4] الظُّبى بالضم كهُدى: جمع ظُبّة، كثُبة: حد السيف أو سنان ونحوه، والنجيع من الدم: ما كان مائلاً إلى السواد أو دم الجوف، وتمجه: أي ترمي به فيسيل، والطَّغام كسحاب: أوغاد الناس.

فتح ذمار

قصة ذمار وفتحها

لما استقر الأمر واستولى الإمام عليه السلام على حصن فِدَة[١] بعد عناية شديدة، وتسليم مال جليل لمن كان فيها، وازداد الأمر قوة، وبلغ العلم إلى السلطان إسماعيل فجهز عسكراً كثيراً من خيار الجند، وجعل فيه مقدمات دولته وكبار جنده، منهم: شهاب الجزري، وعلي بن محمد المعلم، وجمال الدين النغش، وياقوت القحمي في ستمائة فارس، وأمرهم إلى ذمار فوصلوا.

وقد كان السلطان جكو بن محمد تجهز للنهوض إلى اليمن، وخرج من صنعاء **يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول، من سنة خمس وتسعين**، في قدر مائة وعشرين فارساً، فوافق ذلك وصولهم إلى ذمار، وتأخر الإمام بعده يومين لقضاء أشغال بقيت، وأمره بالتوقف حتى يصل إليه.

ونهض عليه السلام في عشرين فارساً وثمانمائة راجل، فأمسى في حِبَرَة[٢]، ووصلت أخبار متواترة بوصول ستمائة فارس ورجل كثير إلى ذمار، فاضطربت المحطة بمن فيها، وتفرق العسكر وما بقي منهم سوى ستين رجلاً، وأحضر الإمام كبار أصحابه فشاورهم في الأمر، فأجمع رأيهم على الميل عن طريق

---

[١] فدة-بكسر الفاء وفتح الدال المهملة بعدها هاء-: حصن في وادي ضهر مشهور، وهو قلة جبل صلد معلقة لا ترتقى، وتطل على وادي ضهر من الجهة الجنوبية.

[٢] حِبَرَة: بلدة قديمة حميرية خاربة، بالقرب من أضرعة في بلاد عنس من أعمال ذمار، وإليها ينسب سدا حبرة.

جهران[1]، وتكون الطريق جوار الجبال مما يلي المغرب، فلم يرَ ذلك وقال: (لا بد من لحاق أصحابنا والله معنا، ولسنا نلقى العدو بالقلة ولا بالكثرة، إنما نلقاهم بالله وحده)، وازداد مع شدة الأمر وعظم الخطب جرأة وإقداماً، ونهض بمن بقي معه، فأمسى بالمحطة، وقد اشتد الأمر على السلطان جكو، ووقع الخوف العظيم والقلق في العسكر، فلما وصل إليهم الإمام عليه السلام طابت نفوسهم وتقوت عزائمهم، ولما أصبح أمرهم بالتأهب، ولباس السلاح، والتعبئة للحرب، ونهض متوجهاً إلى جهة العدو، وصفت الخيل صفّاً واحداً، والرجل قدامها، وتقدمت طلائع بأخذ الأخبار، فعادت مخبرة بإقبال القوم، فانتقضت التعبئة وانهزمت الرجالة، ولم يبق منهم سوى أربعة عشر رجلاً، وثبت الإمام عليه السلام في ذلك الموقف ثباتاً عظيماً عند ارتياع العسكر، عرفه من حضر من العرب والعجم، واشتدوا بما عاينوه من شدة بأسه وقوة عزمه، وكيف لا يكون ذلك وهو على بصيرة من أمره سلام الله عليه.

وأتت طلائع بعد ذلك بأنه لا أصل للخبر الأول فتراجع الناس، وعتب عليهم الإمام وقال: (لو رددتم الأمر إلينا لكنا نميل بكم إلى جوار الجبل ونقاتل دونكم)، فاعتذروا واعترفوا بخطيئتهم، وندموا وتابوا، وجددوا البيعة.

---

[1] جهران: حقل واسع، وهو أحد حقول اليمن الثمانية المشهورة، يقع شمال مدينة ذمار، ومركزه معبر.

وتقدم العسكر إلى خَشران[1]، وأقبلت العساكر من جنب ومن جهات المغرب باقي ذلك اليوم واليوم الثاني، فاجتمع خلق كثير من بلاد مذحج وعنس وزبيد وغيرهم، حتى غصت المحطة من كثرة الناس.

[قصة في عفو الإمام وسماحته]

وأتى الإمام عليه السلام غلام كان يتولى خدمته في طهوره وشربه وحفظ ما يحصل من المال، وكان معه ألف دينار فأخبره بأنها ضاعت، وكان عليه السلام يحدث أصحابه فاستمر في حديثه، ولم يقطع خاطره، ولا اهتم به كل الاهتمام، هذا مع شدة الحاجة إلى الدرهم الفرد وسعة المطالب، وما كان معه شيء سوى تلك الدنانير، واشتد تعب الغلام فأمر إليه بأن يهون على نفسه ففي الله الخلف عن كل فائت، فعجب الحاضرون لصبره وعفوه واتساعه في تلك الحال.

وبلغ الخبر إلى شهاب بقرب الإمام وعسكره فأراد نقض أمر أبرمه الله، وكان تدميره في تدبيره، فخرج في مائتي فارس تنقص قليلاً يريد صنعاء وتفريق جمع المحطة، فلحقه السلطان جكو بن محمد بمن معه بغير رأي الإمام ولا مشورته، واضطربت المحطة بأهلها، وكاد الناس يقع بعضهم في بعض حتى علموا باستقرار الإمام عليه السلام، ثم ركب بعد ذلك في أثر السلطان، وأمر الناس بالوقوف فقال له: (إن القوم قد أعملوا المكيدة في تفريق العسكر، والصواب الرجوع، وقصد القوم الباقين في ذمار)، فقال: إني أخاف على صنعاء، فقال له الإمام

---

[1] خشران: قرية من قرى جهران.

عليه السلام: (إذا استظهرنا على ذمار فليس لهم استقرار بصنعاء إن شاء الله ولا غيرها)، فساعد، وعاد العسكر إلى المحطة، وسكن اضطراب الناس في المحطة.

ونهض عليه السلام بالعساكر التي ملأت السهول والحزن مع اتصال المواد من كل جهة، فلما [قرب العسكر] من حصن هران[1] نزل الديوان الذي به فسلموا ودخلوا في الطاعة، ودنا [العسكر من المدينة] وقد وقعت التعبئة ميمنة وميسرة وقلباً، والرجل قدامها، فخرجت خيل [كثيرة] من المدينة، فحملت الخيل عليها، فقتل منهم فارس، وردوها على إثرها، [فردت] عليهم ثانية، وحمل الإمام فيهم بمن معه فانهزموا إلى المدينة، ووقع [الزحام على] بابها، فالفائز من دخل، وسالت الجنود المنصورة عليهم ووقع الحرب [الشديد]، والقتال العظيم على سور المدينة، وصارت الرجالة يحمل بعضهم بعضاً على الأكتاف، وقذف الله الرعب في قلوب أعدائه، وفرض في السور فرضة، وأوثب الإمام عليه السلام حصانه بستان ابن دحية واللواء بيده، وصار من داخل البستان [قريباً] من السور، وقصده القوم بالرمي بالنشاب، وتبعه الأمير سليمان بن موسى - وهو يومئذٍ غلام حدث السن - فأصيبت فرسه في ذلك الموضع بنشابة وماتت بعد ذلك، واشتد القتال، أينما مال الإمام مال الناس معه، وأعطى الله النصر فانهزمت خيل من العدو تريد جهة اليمن فردتها الخيل راجعة، وقتل منهم في ذلك اليوم ثلاثون من الغز، فيهم ثلاثة من العرب، وأيقنوا بالهلاك فصاحوا بالأمان، وسألوا الذمة، فأمَّنهم الإمام على تسليم الأموال والكراع

---

[1] هِرَّان- بكسر الهاء وتشديد الراء المهملة-: قلعة في ضواحي شمال مدينة ذمار، يبعد عنها ميلين، به آثار حميرية ومدافن عادية.

والسلاح، وأمَّن أهل ذمار على نفوسهم وأموالهم ودورهم، وفتحت أبواب المدينة، وافترق الناس عن الإمام لأخذ الغنائم، ولم يبق معه ملازماً سوى ثلاثة من أصحابه، وهم: مرحب وعلي ابنا سليمان السهلي الحرازي، والفقيه الفاضل علي بن أحمد الأكوع، وأقبلت العساكر بالغنائم الجليلة الأخطار من الأموال، والخيل والبغال والجمال، والدواب والعدة والسلاح، والخيام والأثاث والآلات، وخرج باقي الجند الذين بذمار شاكين في سلاحهم لا يرى إلا حدق عيونهم، حتى أتوا إلى الإمام والسلطان، والعسكر عنهما مفترق وليس معهما إلا جماعة قليلة فخشي الإمام عليه السلام ولم يأمن شرهم، فأمرهم بالنزول عن ظهور الخيل فلم يفعلوا، فنزل عن ظهر فرسه وأمر السلطان بالنزول، فلما رأوهما نزلا تنادروا من خيلهم جميعاً وذلك عادتهم إذا نزل سلطانهم، فلما نزلوا ركب وأمر بقبض خيلهم وسلاحهم واستحلفهم على الطاعة، وأمر عمران بن زيد بتزليجهم آمنين إلى جهة اليمن، وعجب السلطان من حسن نظره وحضور [فكره وجودة] تدبيره في ذلك الوقت، وأتي بابن المعلم بعد أن اختفى في بيت وتشفع فيه السلطان [عمرو بن بشر] بن حاتم على سلامته من القتل، فكره الإمام ذلك فألح في السؤال والتضرع، [فقبل سؤاله] وأمنه على روحه، وأظهر التوبة، ووعد من نفسه بالخدمة والنصيحة، [فحفظ] في جملة المأسورين، وأيد الله الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين، وكتب [إلى أهل] صنعاء بما فتح الله من النصر والاستظهار على أعداء الله، وقد كان الخبر [اشتهر] في المدينة قبل وصول الكتاب يوم فتح ذمار.

ومثل ذلك رواه جماعة [من أهل] صنعاء ثقات أن فتح صنعاء اشتهر وظهر بمنى يوم العيد وتحدث الناس.

وحضرت صلاة المغرب فأذن المؤذن بحي على خير العمل فأعلن الناس التهليل من أقطار المحطة؛ لأنهم لم يسمعوا ذلك منذ ملك سيف الإسلام البلاد.

قال مرحب بن سلمان: ولما دنى الليل سألنا الإمام عليه السلام أن ينزع الدرع من ظهره، لأنه ما فارقها من محطة خيرة ليلاً ولا نهاراً، وهي درع ثقيلة جدّاً، مع إدمان الصوم ومرض أصابه واشتد عليه في تلك الأيام وازداد.

وأتاه مشايخ أهل ذمار فسألوه الوقوف ذلك اليوم ليخلصوا ما بقي عندهم من ودائع الغز وآلاتهم، فساعدهم إلى ذلك، وأقبل الناس من كل جهة للسلام عليه والنظر إليه والتبرك به.

[قصيدة للقاضي الحيدرة في تهنئة الإمام بفتح ذمار]

وقال القاضي علي بن سليمان الحيدرة هذا الأبيات مهنيًا بفتح ذمار:

هنيت فتح ذمار إذ أحاط بها ... جيش له صخب في الجو صهصلقُ[1]

كما أحاط بياض العين مشتملاً ... على السواد وقد كض العدا الفَرقُ

والخيل مثل السعالي فوق أظهرها ... أسود معركة قمصانها الحَلَقُ

مستلئمين فلا يبدو لناظرهم ... إلا أكف بنان القوم والحدَقُ

والرجل تنثال من كل الجهات كأر ... داف السحائب حتى أظلم الأفُقُ

والنقع يسطع والكوسات تقرع والـ ... أسياف تلمع والرايات تختفِقُ

واليومُ أشنعُ والهاماتُ تُصدَعُ والـ ... أعناقُ تُقطعُ والفرسانُ تَعْتَنِقُ

---

[1] الصوت الصهصلق: الشديد.

والبيضُ والسمر هذا حَدُّهُ عَفِصٌ لحماً ولَهْذَمُ هذا من دم شَرِقُ[١]

والضدُّ مستأسر ضاقت بحيلته جوانح ملبسات ملؤها حَرَقُ

يرجون صفحاً ويخشون الصفاح فما يجدي عليهم رجاء دونه شفَقُ

ورائد العفو والقتل المبيح وسو ء الأسر في السعي نحو القوم تَستبِقُ

فأدركتهم من السلطان رحمته ومن إمام له حسن اللقا خُلُقُ

فسلماهم ولولا الله ما سلموا وأعتقاهم ولولا العفو ما عَتَقُوا

فليحذرن شهاب مثل يومهم ولا أراه بناجٍ بعدما غَرِقُوا

... رايته في الأصحاب سوقهم إلى المنايا وركض عنهم عنق

لو كان آساهم في الموت أنصفهم لكن سرى فكساه سيرَه الغَسَقُ

سرى بِبُلَّهِ خيل يرهبون بها خرس النسيم ولو يلحون ما نطقُوا

يبغون أن يسبقوا بأس الإمام وبأ س الملك جكو فما فازوا ولا سبقُوا

إن ابن حمزة سيفُ الله أنزله للظالمين عذاباً حيثما انطلَقُوا

من زاره زار ليثاً لا زئير له إلا صليل المواضي حين تصطفِقُ

ومن نأى عنه لم يحرزه مذهبُه ولو غدا وهو بالجوزاء يعتَلِقُ

فلتبشرن زبيد والذين بها بيوم بأس يُرَوِّي تُربَهَا العَلَقُ

نُبيدهم بالظبا حتى كأنهم على البسيطة ما كانوا ولا خُلِقُوا

---

[١] اللهذم كجعفر: القاطع من الأسنة.

[قصيدة ترافد فيها الإمام والفقيه علي البحيري وأتمها ابن شبيب]

وهذه الأبيات ترافد فيها الإمام عليه السلام والفقيه علي بن يحيى بن الحسين البحيري إلى ذكر الفقيه أبي القاسم بن حسين لما بلغ إقبال عسكر ذمار إليهم وانهزم جُلُّ الرجالة وبعض الفرسان:

ألا لله عينَا من رآنا	ومخرجَنا نؤمُّ الظَّالمينَا
قصدناهم بأرعن ذي حواش	يُرى في قاع جهران ثبينا
رواعده صهيل الخيل فيه	بوارقه سيوف الضاربينا
فَقُدنَاهَا مُعقَّدَةَ النواصي	تخال سواد عارضها عرينا
قَسمنا جندهم بعضاً قتيلاً	وبعضاً في القيود مصفدينا
ونحن عصابة وهم ألوف	نقدرها بأعيننا مئينا
فلم نثني رؤوس الخيل حتى	تركناهم بكلكلها طحينا
ستعلم يعرب أنا قهرنا	أعادينا وكنا الظافرينا

وتمم الفقيه أبو القاسم بن حسين بن شبيب القصيدة فقال:

وسيف الدين قطب رحى وغانا	وهادينا أمير المؤمنينا
يؤمان الجياد إذا وردنا	وليسا في الأمام إذا بُلينا
فكانا صدرها ركناً منيعاً	وكانا خلفها حصناً حصينا
وولى عن عجاجتها شهابٌ	يؤم آزال في الظلما لعينا
فألفى في حواشيها كراماً	كأسد الغاب يحمين العرينا
وظن بأن سيدخلها خداعاً	وأن صخور تلك خوين لينا

وإسـماعيل فيـه ظـل رشـدًا ... غـداة علـى لـواه غـدا أمينـا

فمهـلاً يـا بنـي أيـوب مهـلاً ... فسـوف نثيرهـا حربـاً زبونـا

ونجلبهـا شـوازب سـاهمات ... إلـى أرض الشـآم مقنعينـا

وبغـداداً ومصـراً سـوف نغشـى ... ونوطيهـا الجحافـل معلنينـا

ونطهرهـا مـن الأوغـاد قسـراً ... بأسـياف تَعـل إذا روينـا

بنـي العبـاس إن بنـي علـي ... أخـذتم حقهـم ظلمـا مبينـا

تـوارثتم خلافـتهم سـفاهاً ... وعنهـا عـن قريـب تُعزلونـا

وتقضـون الـديون كما استلفتم ... ولا عجـب بـأن تقضـوا الـديونا

فهـذي الأعوجيـةُ مضـمَراتٌ ... وبـيض الهنـد للهيجـا حُلِينـا

لأروعِ مـن بنـي الزهـرا نمتـه ... ضـراغم بـالفوارس قـد ضـرينا

نقـي الجيـب مـن دنـس وذام ... بتـاج الملـك قـد أضحى قمينـا

خليـق بالخلافـة لا طـروب ... إلـى لهـو ولا يمسـي بطينـا

يفـيض خضـمُّهُ حكمـاً وعلمـاً ... ويقـذف بحـرُه دراً ثمينـا

سـبوق فـي ذرى العليـا مُجَـلٍّ ... ونيـل مـداه بـذّ السـابقينا

تـؤم جيوشَـه أُسـدٌ فُـروسٌ ... إذا جاشـت جيـوش الفاسـقينا

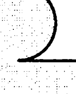
فمـا تنفـك أو ترمـي ربـاهم ... بآسـاد الكريهـة معلمينـا

مـن الأكـراد لا ثلـت عـروش ... مـن العليـا لهـا متسـنمينا

إذا السلطان جكو رام حرباً ... غدوا للظى الكريهة مضرمينا

أسر شهاب الجزري

وحصار براش وحربه



قصة شهاب وأسره وحرب براش والمحطة عليه

بلغت إلى الإمام عليه السلام شوايع بأن شهاباً قد حط على المدينة وضيق على أهلها، فنهض من ذمار **يوم الثلاثاء لعشرين ليلة خلت من ربيع الأول من سنة أربع وتسعين**، بالغنائم العظيمة، وسار العسكر نهارهم وليلتهم، وحط بهم تحت جبل كنن في آخر الليل، فلما أصبح نهض مبادراً إلى صنعاء فحط السلطان قريباً من علب[1]، وقد أصاب العسكر كلال من التعب والسهر، وتقدم الإمام عليه السلام - بعد أن طلب استنهاض بعض العسكر فتثاقلوا لما قد لحقهم من النصب-، فسار في أنفار قليل من أصحابه، فلما دنى من الباب وعليه العدة والسلاح لم يعرفه أهل المدينة ولم يفتحوا له، حتى عرَّفهم بنفسه وحسر البيضة عن رأسه، فتبادروا لفتح الباب، وأقبلوا إليه من كل جهة مسلمين عليه، ومستبشرين بما فتح الله على يديه.

[موقف الفقيه ابن شبيب في منع شهاب من دخول صنعاء]

وقد كان جماعة - ممن يحب الفساد منهم - لما وصل شهاب في الخيل التي صدر بها من ذمار أشاروا بفتح الباب له وفرحوا بوصوله، فغلب على الرأي مشايخهم وأهل الدين منهم، وكان الفقيه الفاضل أبو القاسم بن شبيب الخشني قد جعله الإمام عليه السلام القائم بالخطبة وصلاة الجمعة بالمدينة، فلما رأى

---

[1] علب: هو حمراء علب: وهو جبل في السفح الجنوبي لجبل نقم.

اضطراب الناس وما داخلهم من الرعب، ورغبة المفسدين في شهاب دنا من الباب، وانتضى سيفه وأنب الناس على القتال وشددهم وقال:

يا أهل البيعة، يا أهل البيعة، أنا عبد بني حسن، أنا عبد الإمام، يا معشر الزيدية دون صنعاء هذه السيوف.

وجال في الناس طولاً وعرضاً في جماعة من أصحابه وأهل البلد، حتى تراجع الناس وقرت قلوبهم، ثم ارتجز بديهة وقال:

أنا الهزبر لا براح حتى نشل بالرماح
ونخضب البيض الصفاح ونشرب الموت الذباح

فلما رأى شهاب شدة أهل صنعاء وامتناعهم عليه تقدم بمن معه إلى براش.

[*حصار الإمام لشهاب وجنده في جبل براش*]

ونهضت المحطة من علب يوم الخميس إلى قرب المدينة، ودخل السلطان جكو إلى الإمام عليه السلام إلى دار البستان، وجرت المشورة في أمر المحطة على براش، وصلى الإمام عليه السلام الجمعة بالمدينة، وركب ونهضت الجنود إلى موضع قدام غولة براش، وأقبلت القبائل من كل جهة وقامت الحرب.

فوصل الشيخ عز الدين عزان بن سعد، والشيخ ظهير الدين مفضل بن منصور بن أبي رزاح وأولادهما وطائفة من قرابتهما بالخيل الجياد، وآلة الحرب للجهاد، ومال وافر.

ووصل الأمير محمد بن فليتة القاسمي من نهج حضور في عسكر كثير.

ووصل المشايخ بنو الضريوه من حصن ثلا في عسكر، ومادة بعسكر من كوكبان من جهة السلطان عمرو بن علي بن حاتم، ومن سائر القبائل خلق كثير، وقامت الحرب على ساق.

واشتد الأمر على شهاب، ووقع الحصار العظيم من كل جهة، فأمر إليه السلطان بشر بن حاتم بمال ورجال، ووصل إليه أيضاً بنفسه في جماعة من خيار ديوانه، مقدمهم ابن أخيه عمران بن مدرك إلى براش يريد تقديم الصنيع عنده، فكافأه بالحبس والقيد لما انفك خناقه، وسيأتي ذكر ذلك في موضعه إن شاء الله، فقاتلوا مع شهاب قتالاً شديداً، ولم يغنوا عنه بعد ذلك شيئاً، وكثرت العساكر، ووقع البلاء لشهاب وأصحابه، وكادت خيلهم تتلف من عدم العلف، فنزل منهم خيل إلى شق جبل نقم[1]، ورجل كثير، وأوطت منهم خيل إلى الحبائب، فركب السلطان جكو ولم يتمالك بعد أن كفه الإمام عليه السلام وقال له: هذا ضيق من القوم، فلم يساعد إلى الوقوف، وحمل في الخيل التي معه وطلعوا الجبل إلى موضع صعب وعر، وركب الإمام في إثره حتى دنا من الغولة، وصار متوسطاً بين العسكر والمحطة، وخشي أن يكون شهاب قد عمل مكيدة بينه وبين السلطان بشر بن حاتم في المحطة، فوقف وهو يأمر الناس سرية بعد سرية إلى موضع القتال خوفاً على العسكر من صعوبة الجبل، فما كان إلا ساعة وانهزمت خيل شهاب وعسكره، وحملت الخيل والرجل على إثرها، ولم يكن للخيل مجال من شدة الوعر فلم يتمكنوا من قتلهم

[1] نقم: جبل مشهور مطل على صنعاء من الشرق.

وسلبهم سوى فرس أخذ من خيلهم، وجراحات كثيرة وقعت فيهم، وقتل في ذلك اليوم من عسكر الإمام رجل من بني صاع، ورجل من الأبناء.

[شروط الإمام في إطلاق شهاب وجنده]

ولما انكسر شهاب وأصحابه أمر الإمام عليه السلام سنحان فلزموا رأس جبل نقم، وجعلوا فيه محطة من محطتهم، وعظم الأمر على شهاب وأصحابه فطلبوا الخلاص، ووصل منهم جَماعة من لغز إلى المحطة وسألوا إطلاقهم إلى اليمن، فكره الإمام ذلك، فجعلوا خطابهم إلى السلطان جكو وتلطفوا به، وقد كان أدنى علي بن محمد المعلم من مجلسه، واستخلصه لنفسه وجعله صاحب سره، فمنَّاه بأخذ حصون اليمن وملك البلاد، وهو في غرض ذلك في فساد الأجناد، وتمهيد الأمر لسلطانه إسماعيل، فأشار عليه بإطلاق شهاب وأصحابه، فساعده ودخل في محبوبه، ووقع الإلحاح على الإمام في ذلك فلم ير بدّاً من المساعدة على شروط:

منها: وصولهم إليه وصدورهم من بين يديه.

ومنها: أنهم لا يفسدون في العسكر.

فصدروا بغير وصول إليه، وأفسدوا جماعة من الجند، وحالفوا سنحان لرجوعهم بالمال والرجال من سلطانهم، وراحوا غير مهتمين بأحد.

[أسر شهاب وبعض جنده]

فلما علم السلطان جكو بتقدمهم ونقضهم للشروط أمر الأمير علي بن فيرك في إثرهم في ثلاثين فارساً، فوافوهم حطوطاً في حِبَرة، وهم مائة ونيف وثمانون

فارساً فقبضوا شهاباً وعدلان من بينهم، وألقى الله عليهم الذلة والخذلان، فأخذوا خيلهم وسلاحهم وأتوا بهم في الأسر، وقد ربط عليُّ بنُ فيرك شهاباً إلى رسن الفرس، وأتى به يجره أسيراً حقيراً، **ليومين مضيا من شهر ربيع الآخر**، وصحت الملحمة التي قيل فيها:

وفي ذي الحجة الفتح ... وفي الشهر الذي بعده

وفي يومين من شهري ... ربيع تظهر الزبده

بتشتيت لأقوام ... عن الإسلام مرتده

فشتت الله أمرهم، وفرق جمعهم بصنعاء وذمار، وأقام شهاب وأصحابه بصنعاء مدة، وضربت في أرجلهم القيود الثقال، ثم أمر بهم بعد ذلك إلى حصن فدة على أشر الأحوال.

[قصيدة ابن عزوي في أسر شهاب]

وقال الحسن بن عزوي العصيفري:

أقمت من دين أحمد أوده ... وأنجز الله فيك ما وعده

يا رافع الظلم عند شدته ... وماهد العدل خير من مهده

أنت لإمام الذي لهيبته ... فرائصُ الظالمين مرتعده

ويل لمن خانه وعانده ... ويل لأعداء دينه المرده

ويل لمن لم يدن بطاعته ... وأنكر الفضل فيه أو جحده

كيف يحب النبي ويبغضه ... وقد رأى حب والد ولده

طوبى لمن سار تحت رايته ... ومن حذا حذوه ومعتقده

طوبى لأرض مشت بها قدم ... له وطوبى لمنبر صعده

لا يعقد الدهر ما يحل ولا ... يحل ريب الزمان ما عقده

يبني علا الدين أينما هدمت ... ويهدم الكفر أينما وجده

لله آل الحميد أول من ... أوى إمام الهدى ومن عضده

ولابن زيد زيادة ويد ... إذ مَدَّ في الله سيفه ويده

ومن كجكو شجاع معركة ... شد به الله ناصراً عضده

وخير أسمائه كفى شرفاً ... يا سيف دين النبي يا سنده

وهل كنصر الإمام يوم غزا ... ذمار يرجو ثواب ما قصده

لما رأى الناكثون طلعته ... وسيفه في اليمين ما غمده

ترجلوا عن خيولهم رهباً ... وطرحوا بالسيوف مجترده

وفي شهاب وقَرِنهِ عجبٌ ... كيف دنا والديار مبتعده

طريدة قاده مطامعه ... وحينه من ورائه طرده

نصر من الله للإمام به ... أزال من كل موجع كمده

ما كان إلا بأمر خالقه ... ونصره المورد الذي ورده

إذا قضى الله بالسعود له ... فما عسى حاسد إذا حسده

أحياكم الله يا آزالُ به ... إذ صار روحاً وصرتم جسده

لا زال سعد الإمام متصلاً ... بيمنه والفتوح منسرده

[ملحق القصائد التي قالها عليه السلام في حرب براش]

[قصيدة في السلطان علي بن حاتم]

وقال عليه السلام في السلطان علي بن حاتم بن أحمد أيام حرب براش قصيدة وجد منها هذا:

رويــدك مَــا كُــلُّ المَقَــالِ يُقَــالُ ... ولِلْمُعْضِــلاَتِ النَّاجِمَــاتِ رِجَــالُ

ومَــا كُــلُّ مَطْــرُورِ الأَغِــرَّةِ صَــارِمَاً ... وكَــم صُــورَةٍ تُشْــجِيكَ وهــي خَيَــالُ(١)

أبَــا حَسَــنٍ مَــا أحسنَ القَــولَ فِــيكُمُ ... فَخُــذْهُ فَسِــحْرٌ مَــا نَطَقــتُ حَــلاَلُ

أبَــا حَسَــنٍ أنــتُم بُحُــورٌ خِضَــارِمٌ ... وأنــتُمْ لُيُــوثٌ فِــي الــوَغَى وجِبَــالُ

أبَــا حَسَــنٍ إنَّ الأنَــامَ عَلَــيكُمُ ... إذَا اشــتَدَّ مَكــرُوهُ الزَّمَــانِ عِيَــالُ(٢)

عَجِبــتُ لِصِــيدٍ مِــن نِــزار ويَعــرُبٍ ... تُــدِينُ لِعَبــدٍ إنَّ ذَا لَضَــلاَلُ

ولَــو سَــاعَدَتْ أبنــا أبِيــكَ رَئِيسَــهَا ... لَمَــا نِيــلَ مِمَّــا فِــي يَــدَيكَ عِقَــالُ

كَــذَاكَ لَــوَ انَّ الطَّــالِبِيينَ شَــايَعُوا ... لَنِلْنَــا بِهِــم مَــا نَبتَغِيــهِ ونَــالُوا

وَلَكِــن تَخَطَّــوا رُشْــدَهُمْ وَتَنَكَّبُــوا ... فَــذَلُّوا بِــأطرَافِ الــبِلاَدِ وعَــالُوا(٣)

---

(١) الطرّ: تحديد السكين وغيره. والأغرة: طرف السكين أو الرمح أو السيف.

(٢) عيال الرجل: الذين يتكفل بهم ويتحمل مؤنهم.

(٣) عالوا: أي افتقروا.

[من قصيدة إلى السلطان الفضل بن علي]

كتب عليه السلام إلى السلطان الأجل الفضل بن علي بن حاتم أيام حرب براش شعراً، وجد منه هذه الأبيات على غير نسق:

يَـــا رَاكِبَـــاً وَجنَـــاءَ مَـــوَّارَةً	بَلِّـــغْ إلـــى مُرْتَبِـــعِ الفَضْـــلِ[١]
الوَاهِـــبِ الطَّـــرفَ بِتَجفَافِـــهِ	والْحُـــرَّةَ الوجنـــاءَ بالرَّحْـــلِ[٢]
وَشَّـــحَهُ لِلمُلْـــكِ مَلِـــكُ الـــدُّنَا	ذُو الجُـــودِ والمَجـــدِ أبُـــو الفَضْـــلِ
مَلِـــكٌ رَأى تَـــوارَنَ فِـــي عَينِـــهِ	أصـــغرَ مـــن ذَرَّاجَـــةِ النَّمْـــلِ
وهـــو بِـــأبرَاجِ دُويـــنَ السَّـــمَا	مَشـــحونَةٍ بالخَيـــلِ والرَّجْـــلِ
يُشَـــابِهُ أيـــنَ المـــآءِ فـــي غَولِـــهِ النَّضْـــ	ـــر ولَيـــثَ الغَـــابِ فـــي الحقـــلِ[٣]

---

[١] والوجناء: الناقة الشديدة، وناقة موارة: أي سهلة السير سريعة.

[٢] الطَّرف: الكريم من الخيل، والتجفاف بالكسر: آلة للحرب يُلبَسُه الفرس والإنسان ليقيه في الحرب. والحرة: المراد هنا الخيار من النوق، والرحل: مركب للبعير.

[٣] أينُ الماء: أي حية الماء، والأينُ: ذكر الحيات التي لا تضر أحداً. والغول: التلون، والنضر: الحسن، أي يشبه حية الماء في تلونها الحسن المنظر.

الخروج الثاني إلى ذمار

ومقتل الأمير جكو

وجمع القبائل في مقرى

والرجوع إلى شبام

قصة المخرج الآخر إلى ذمار وحادثة السلطان سيف الدين جكو بن محمد وما يتصل بذلك

ولما استقام أمر الإمام عليه السلام بصنعاء وتوالت الفتوح، - من أخذ ذمار، والاستيلاء على حصن فدة، ولزم شهاب وأصحابه، وتقوى الجند، وكثرت الخيل، واتسعت المطالب عليه-، استدان له جماعة من أهل صنعاء قدر عشرة آلاف دينار، مع ما حصل له من البر والنذور وهو ثمانية آلاف دينار على ما حسبه أهل الديوان المنصوري، ورأى عليه السلام التوجه بهم إلى الجهة الغربية من حجة وقلحاح[1] وأعمالها، لقبض الأموال والخراج منها، والاستعانة بذلك فيما يخص الجند، فلم تقع مساعدة من سيف الدين جكو، لما كان قد منَّاه به علي بن محمد المعلم من ملك اليمن بأسره، مدنه وحصونه، وسوَّل له ذلك ورغَّبه فيه، وهو في خلال ذلك مجتهد في إفساد الأجناد عليه، ومكاتبة إسماعيل، فحمله على المخرج إلى اليمن حملاً، وقبل رأيه، وكان كمن استنصح غاشه، واستغش ناصحه، فورد مورد الهلاك بسوء نظره، ولم ير الإمام عليه السلام بعد ذلك إلا مساعدته.

[مقتل سيف الدين جكو وخديعة ابن المعلم]

فخرج متوجهاً إلى اليمن - وقد صار ابن المعلم من أخصِّ خواصه، وأهل سرِّه، وصاحب أمره-، فشيعه الإمام عليه السلام إلى خارج المدينة، وأمره

---

[1] قلحاح: جبل وحصن منيع في بلاد الشرفين من أعمال حجة، يطل على تهامة عبس وميدي.

بتقوى الله تعالى، والتثبت في أمره، وتجديد النية الصادقة في جهاد أعداء الله، والوقوف عند ملاقاة العدو إلى وصوله، والتئام العسكر من كل جهة.

فلما وصل إلى مصنعة الحقل حط بها ثقله، وقد صار إسماعيل بجنوده تحت نقيل صيد[١]، وتقدم في جريدة من الخيل لحفظ رأس النقيل.

فقيل: أشار عليه ابن المعلم بالرجوع إلى المحطة خديعة منه، وقال له: إن العرب لا تؤمن على المحطة، فساعده.

وكتب إلى إسماعيل أن أدرك الأمر إن أردت الظفر واسترجاع البلاد، وانهض على الفور، فنهض مع خوف وطلع النقيل على ريبة، وندب أوائل خيله بعد طلوع الفجر، **وهو يوم الاثنين السادس عشر من ربيع الآخر**، وهو يوم خروج الإمام عليه السلام من صنعاء، وتأهب السلطان سيف الدين للقتال والجند الذين معه، وعبأهم ميمنة وميسرة وقلباً، وجعل في الميمنة ابن سوار في طائفة من العسكر، فلما تراءت الفئتان حمل فيهم حملةً رد أولهم على آخرهم، ثم حمل ثانية ففعل كذلك، فلما شاهد ابن سوار ومن معه إسماعيل نكسوا رماحهم واستسلموا، وتبعهم أكثر الجند، وحقت الهزيمة فيمن بقي من عسكر سيف الدين، فقاتل فعثر به فرسه في ساقية خيل هنالك فعرفوه، فقصدوه بالدبابيس والسيوف وهو يقاتل حتى قتل.

---

[١] صيد -بكسر الصاد وسكون الياء-: جبل في بني سرحة، في رأسه النقيل، وهو المعروف بنقيل سمارة.

ووصل أوائل الخبر إلى الإمام عليه السلام ليلة أمسى في خيرة فنهض والأخبار تتجدد، حتى حط بقاع جهران وتقوّى الخبر، فاضطرب الناس اضطراباً شديداً، وأمسوا على الخوف من البيات في المحطة.

ونهض في آخر الليل متوجهاً إلى حشران ليتصحح الخبر، فحط هنالك إلى ضحوة النهار، وأقبل أهل البلاد من جهة ذمار منهزمين، فلما رآهم العسكر انكشفوا عن المحطة منهزمين، ولم يبق إلا الإمام عليه السلام في نفر قليل من أصحابه، ووصل رجلان من جنب فأخبرا بأن إسماعيل دخل ذمار بعد قتل سيف الدين وأبي الهيجاء - وكان من أشجع أصحابه - فلم يرَ للوقوف في تلك المحطة وجهاً، وتقدم إلى مغربة حشران فحط بها بقية يومه، وجاء جماعة ممن حضر المعركة، منهم: يحيى بن الأسود بن مالك الألغزي، وغراب بن عمرو السنحاني، ورجل من الكرد فصححوا الخبر، فأمر الناس بالنهوض قبل غروب الشمس، وكتب إلى الأمير صفي الدين محمد بن إبراهيم إلى صنعاء - وهو الوالي يومئذٍ بها- بتحقيق الأخبار، وبأن يسلم حصن فدة إلى السلاطين آل حاتم، وبالحزم في أموره والتشمير.

وانحدر العسكر النقيل لا يلوي أحد منهم على أحد، وما بقي مع الإمام إلا جماعة قليلة من أهل البصيرة، فأمر الفقيه الفاضل علي بن أحمد الأكوع في عشرة من أصحابه فوقفوا في رأس المغربة حتى أوطأ الناس إلى أسفل النقيل، فأمسى عليه السلام في ذلك الوادي وصلى الفجر، ونهض إلى قرية عتم، فتلقاه أهل البلاد بالبشاشة والبشر والإنصاف والإيناس واستروا بوصوله عليه السلام، هذا مع الانقياد لأمره من قبل ذلك، وتسليم الحقوق موفاة إلى ولاته، وأمسى بقرية عتم، وطلع يوم الثاني إلى هجرة الجبجب فأقام فيها ثلاثة أيام.

[اجتماع القبائل في مقرى وموقف المطرفية في التخذيل عن الإمام]

ثم ضرب ملقى لكافة العشائر من مخاليف بكيل ومُقرى إلى موضع يقال له: جرن الفيل، فاجتمع خلق كثير لا يعلم عددهم إلا الله، فتقدم إلى أوساط الناس، وتكلم في ذلك المجمع بكلام عجيب، موشح بالوعظ والتذكير، والأخبار الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله، فلانت قلوبهم من وعظه وتذكيره، وهموا بالبر فوقع تعويق من الشيعة المطرفية، وجعلوا الرأي شورى على فرقة في البلاد، ويتقلد كل مقدم في بلده ما عنده، ففرقت في الحال فرقة كبيرة لم يصل إلى الإمام منها درهم فرد، وتقدم الإمام فأمسى بقرية الخرف من مخلاف مقرى، فحكوا له امتثالهم لأمره، وتسليمهم للحقوق الواجبة إلى ولاته، حتى أن رجلاً من الشيعة حكم عليهم بأن يأتوا له بأحمال لا تعق - يريد كتمان ما يأخذه -، وأتت بعد ذلك من طائفة منهم في جهة أخرى مطاعن في أخذ الأموال وتسليمها إلى الجند، فأجابهم بكلام ذكر فيه قصة صاحب الجمال فقال:

[جواب الإمام على بعض المطاعن]

وقد علمت أن البيضة لم تحفظ، وظاهر الفسق لم يرفض إلا بالجند، والجند لا يستقيم إلا بالمال، والمال لا يؤخذ إلا من الرعية، والرعية لا تجمع على الانقياد للحق إلا بطرف من الشدة.

نعم - أنعم الله عليك - ومع ذلك، فإنهم لما أهملوا لذهب الدين والمال، وانكشف الغطاء وساءت الحال، وشغلوا عن القيل والقال، ولكنهم تفيئوا في

ظل الحق فبغوا للحق الغوائل، وجادلوا بالباطل وهو كاسمه باطل، فلو ضغمتهم نيوب[١] الباطل، وحاقتهم المخالب[٢]، لضبحوا ضِباح الثعالب[٣]، وقالوا ليس لها إلا ابن أبي طالب، أين عمارة الوهاب من علس، وأين زرعة من أنس، شتان ما بين الحمار والفرس، وتقلبوا في ذكر المناقب، وشهدوا بها من كل جانب، فأنا صاحبهم بالأمس وغداً، أوطأتهم واضح منهاج الهدى، لم أتدنس باحتكار المال، ولا حالت بي عن سنن الاستقامة الحال، وهم يذكرون إتيان الملأ منهم، -ولو خشية التطويل لذكرناهم - يعرضون علينا نصف المال، ويلزموننا القيام على تلك الشدائد والأهوال، حتى إذا فقأنا عين الفتنة بعد حدورها[٤]، وأخمدنا نار الضلالة بعد ظهورها، وتركنا روض الصريمة ليعفورها[٥]، ونصبنا منار الحق على أعلامها وقورها[٦]:

فمن لاقف للمال كالهر اللبق[٧]	**وطالــب أحمــال رحــل لا يعــق[٨]**
وقائــل إن الشِّــهادَ قــد لُعــق[٩]	**فقلـت أبشـر فالسـكيت قـد لحـق[١]**

---

[١] الضغم: العضّ. والنيوب: جمع ناب: وهي السن خلف الرباعية.

[٢] وحاقتهم: أي أحاطت بهم.

[٣] الضِّبح -بالكسر-: صوت الثعلب.

[٤] بعد حدورها: أي بعد عظمها وغلظها وإحاطتها بهم.

[٥] الروض: العشب. والصريمة: الأرض المحصود زرعها. واليعفور: ظبي بلون التراب.

[٦] الأعلام: جمع علم: وهو الجبل الطويل. والقور جمع القارة: وهو الجبل الصغير.

[٧] اللاقف: الآخذ بسرعةز واللبق: الحاذق.

[٨] لا يعق: أي لا يصرفها في مصارفها.

[٩] الشِّهاد -بكسر الشين-: جمع الشُّهد: وهو العسل.

واحفظ عرى الدين لئلا يمتحق

فلما فآءت فئة الباطل وأحلبت[٢]، وأصدقت وأجلبت، زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر، وظن كثير من الناس بالله الظنونا، هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً، فمن ثابت نابت، ومن هافت خافت، والله أغير على دينه، وأحمى على شرعه، ونحن على موعود ولن يخلف الله وعدَه، وكيف يخذل بعد العدة بالنصر جندَه، وقد هزم الأحزاب وحده، يوم صنعاء وبعده، فكأنك بألوية النصر قد خفقت بالظفر أطرافُها، وببحار التوفيق قد طمت بالظالمين نِطافُها[٣]، فكم هنالك من حائز ملكاً جسيماً، وقائل يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً:

إذا غضب الفحل يوم الهياج فلا تعذلوه إذا ما هدر
أنا ابن معيد صدور الجياد والدم فيها يحاكي المطر
أينكر حقي برجم الظنون وهل يكتم الناس ضوء القمر
فإن سيرت سيرتي باليقين كانت لعمرك خير السير
ألستُ الذي شق برد الضلال بعزم يشق الحصى والشعر
وبأس توارثته من علي وحزم تعلمته من عمر
لساني كشقشقة الأرحبي أو كالحسام اليماني الذكر

---

[١] السكيت: الخيل المتأخر في حلبة السباق.

[٢] أحلبت: اجتمعت من كل جهة.

[٣] النطاف: جمع نطفة: وهو هنا الماء الصافي.

[رجوع الإمام إلى شبام]

ولما نهض السلطان إسماعيل من ذمار إلى صنعاء لم يرَ الإمام عليه السلام للوقوف وجهاً في هجرة الجبجب لما خشي من اختلال البلاد عند وصول إسماعيل، ولكراهة ظهرت من الشيعة المطرفية شديدة، حتى إن رجلاً من كبارهم قال لجماعة: أتيتم تجاهدوننا أو تجاهدون الغز.

فنهض يريد شبام من جهة المغرب على الحقلين[١] وبلاد الجحادب[٢] والأعمور[٣] وحضور الأحبوب[٤]، فما هبطنا وادياً ولا طلعنا نجداً من هذه البلاد إلا ونحن نخشى من أهله، فيأتون مجتمعين ومتفرقين يطلبون البركة ويأتون بالبر، ومنهم من يسأل المسامحة مما يطالبونهم به الولاة في البلاد عن أمر الإمام عليه السلام، ويمسي العسكر ويصبح عندهم على القِرى الجزل والمعروف والإنصاف.

ولما وصلنا سوق ابن نعيل استأذن أكثر العسكر بالمراح وتفرقوا في كل جهة، فراح السلاطين آل حاتم مسعود بن على بن حاتم، وعمران بن مدرك، وعلوان بن بشر، ومن كان معهم من همدان، واستأذن ناصر بن علي العرشي وكان قد وصل إلى الجبجب في مائتي قوس، وبقي جماعة من خواص الإمام وأهل بلاد حمير وديوان كوكبان، وكان الوصول إلى حضور **لليلتين خلتا من جمادى**

---

[١] الحقلين: بلدة في جبل عصام من مديرية السدة وأعمال إب، تقع على مقربة من خدار.

[٢] الجحادب: عزلة من ناحية الحيمة الخارجية وأعمال حراز.

[٣] الأعمور: عزلة في بلاد الحجرية.

[٤] الأحبوب: عزلة من ناحية الحيمة الخارجية وأعمال حراز، في الجنوب الغربي من صنعاء.

الأولى من سنة خمس وتسعين، فقابل الأمير محمد بن فليتة بما هو أهله من الإكرام والإحسان، وأقام الإمام عليه السلام ومن معه عنده ثلاثة أيام، وسأله الإقامة ليفرق في البلاد شيئاً من المال ليستعين به على الأمر فلم يساعده، لما خشي من اختلال البلاد، وما يعلمه من فساد أهلها، فنهض مبادراً وقد أتت إليه كتب من السلطان عمرو بن حاتم يستحثه.

فلما وصل إلى الحز أتاه جماعة من جهة اليمن من عند الفقيه الفاضل سليمان بن ناصر السحامي بشيء من المال، جمعه وبادر به لما علم من ضيق الحال في ذلك الوقت، إذ هو من أشد الناس رغبة في إقامة الدين، وتقوية أمر الإمام عليه السلام، مع سعة في العلم، واجتهاد في عمارة الهجر في جهة اليمن وغيره، حتى إنه رد أهل مخاليف كثيرة من مذهب الجبر والتشبيه إلى مذهب العدل والتوحيد، وأحيا بلاداً واسعة، فجزاه الله خيراً.

ولما وصل الإمام إلى شبام تلقاه أهلها مسرورين بوصوله، مستبشرين بالأمان، وكان عندهم خوف شديد من الغز، فوقف بها يومين، ورأى عند السلطان عمرو بن علي بن حاتم خوفاً من الغز لوصوله إليه، وقد كان بين آل حاتم وبين إسماعيل خطاب وذراعة على صلح، وقد يئسوا من الإمام عليه السلام لما وقع من تفرق عسكره وقتل السلطان جكو، فتقدم إلى ثلا بمن بقي من خواصه وأصحابه، وقد كان شجاع ابن خالة سيف الدين وصل في الخيل التي مر بها على فدة، وهي سبعة عشر فارساً من الغز إلى شبام فركبوا مع الإمام إلى ثلا بعد ضرة لحقتهم وما أيقنوا السلامة إلى وصوله واتفاقهم به.

فتح حصن فِدَة

وخروج شهاب من الأسر

ووصول الأمير هلدري

قصة فِدَة وحربها وخروج شهاب منها

كان المتولي بها من جهة الإمام عليه السلام: الشريف الحسين بن الحسن بن إبراهيم بن حمزة بن يحيى الحمزي وهو يومئذ حدث السن في جماعة من الشرفاء وغيرهم قدر أربعة وعشرين رجلاً في الدار المسعودة.

والمتولي من قبل سيف الدين: يوسف بن حبيب في نيف وثلاثين رجلاً مختارين من الغز في العنقاء، وكل واحد من هذين الموضعين يمنع من فيها.

قال الشريف الحسين بن الحسن: كنت قد تقدمت إلى صنعاء في جماعة من أصحابي لوداع الإمام عليه السلام وطلب شيء لمن معي، فاستودعت الإمام ورحت إلى المدينة وإذا بخيل جائزة تريد نهج فدة فخرجت في إثرها، فعرفت شجاع ابن أخت سيف الدين وأخبر بقتل سيف الدين، فكتبت إلى الأمير صفي الدين محمد بن إبراهيم أعلمه بالخبر، وطلع شجاع إلى الحصن يريد أخذ المال، ولم يملك نفسه من البكاء فأحس شهاب ومن معه بذلك، وتقدمت إلى أصحابي إلى المسعودة وما بقينا سوى سبعة رجال، فما كان إلا قليلاً وقد أخرجوا شجاعاً والوالي من العنقاء وراح إلى شبام بالخيل التي معه، وفكوا القيود من شهاب وأصحابه، وحلفوا له وأظهروا الخلاف، ونجم نفاقهم وعزموا على أخذنا في المسعودة، فانقبضنا منهم وحاربناهم، فأمر إلينا رجل من الغز يريد الخديعة والمكر حتى يتمكن منا، وقال: نوديكم وتسلم أرواحكم وسلاحكم، فلم نصغ إليه سمعاً، بعد أن أعلمنا بما جرى على سيف الدين.

[النقل من الآلئ المضيئة للشرفي لإكمال النقص الموجود في الأصل]

[وثبت الشريف وأصحابه ثباتاً حسناً ثلاثة أيام، حتى وصل الأمير صفي الدين محمد بن إبراهيم من صنعاء في عسكر كثير، ووصل معه السلطان عمرو بن علي بن حاتم، والشيخ علي بن منصور الضريوه، بعد جهد شديد من العطش، وتعب من القتال.

قال الشريف الحسين بن الحسن: فطلعنا عليهم بعد ذلك رأس الحصن وضايقناهم أشد المضايقة حتى دخل العسكر الباب قهراً، فأخذوا اثني عشر فرساً كانت للغز وما وجدوا في ذلك المكان، ومنعناهم من الماء، واشتد الأمر عليهم، حتى بلغت قلة الماء عشرة دنانير لو يوجد، وشدد الأمير في حفظ الحصن من خارجه، وفي عرض ذلك الكتب متواترة إليه من الإمام عليه السلام يأمره بالحزم والتشمير، قبل وصول عسكر إسماعيل، وكلما وصل إليه كتاب أمر بضرب الأرياح والبشارات رغبة في أخذ شهاب ومن معه، حتى وقع الخلل في المحطة وفساد من السلطان بشر بن حاتم، ومن كان معه من همدان وبني الحرب، حتى هموا بالأمير وأصحابه، فمنعهم من ذلك السلطان عمرو بن علي بن حاتم وكفى الله شرهم.

فلما قرب إسماعيل ووقع الفساد والخلل في المحطة أمر الجماعة الذين في الحصن بالنزول، وهو يشاغل الغز بالقتال حتى لم يبق منهم أحد، وانصرف بمن معه، وتفرقت المحطة، ووقع النهب في آخرها.

هذا، وقد صار وردسار في أول الخيل حوالي صنعاء، فأقام الإمام –عليه السلام– في حصن ثلا خمسة وعشرين يوماً وأكرمه بنو الضريوه، وقالوا: نحن

لك والحصن حصنك، وسلّموه إليه، وأتاه الناس من الجهات يهنئونه ويبرونه، واشتدت البلاد باستقراره في الحصن.

ووصل إسماعيل إلى صنعاء فأقام بها مدة، ولم يهم بمخرج إلى جهة في تلك الأيام.

ثم خرج إسماعيل من صنعاء في خيل كثيرة يريد شوابة والجوف، فنهض الإمام عليه السلام من ثلا متوجهاً إلى بلاد حمير، فضرب لهم ملقى جامعاً إلى مدع، فاجتمع أهل البلاد إليه، فوعظهم وذكرهم وأمرهم بحفظ بلادهم، والإجابة عند الدعوة لهم إلى جهاد العدو.

وجاءت الأخبار من إسماعيل بأنه تقدم إلى شوابة، وأتاه علي بن ذعفان فصالحه فقبل منه، وعاد إلى ريدة، ولم ينل طائلاً من البلاد مع قوة الأمر وكثرة الجنود والعساكر، ثم نهض من ريدة إلى صنعاء فأقام بها.

وتقدم الإمام متوجهاً إلى حلملم، وجاءه بريد من تهامة من عند الأمير نظام الدين يحيى بن علي بن فليتة السليماني يذكر إجابته لدعوة الإمام وقيامه بأمره في تلك الجهات من شام تهامة، وهجرته فيمن أطاعه من الشرفاء وغيرهم إلى بيض[1] وانتظام الأمور في جهته.

---

[1] بيض: واد معروف في نواحي صبيا شرقها، وأهله ينسبون إليه بَيضي.

[ملحق من مجموع الرسائل]

[قصيدة الإمام عليه السلام إلى الأمير يحيى السليماني]

[وبلغ إليه عليه السلام بعد خروجه من صنعاء كتاب من الأمير السيد نظام الدين يحيى بن علي السليماني يعلمه بإجابة أهل الناحية لدعوته، وحبتهم للكون من جملته، وأنه هاجر إلى بيض في عدة من الشرفاء والمسلمين، فأمر الشيخ الأجل أبا فراس أن يكتب إليهم كتاباً، واعتزل من الناس جانباً، وأنشأ هذا الشعر في الحال، قبل إتمام الشيخ أبي فراس الجواب، ذكر ذلك لي الشيخ أبو فراس، وكذلك ذكره الإمام عليه السلام، وكان إنشاؤه لهذا الشعر وهو في الراسي من الطرف، وهو هذا الشعر [١]:

أَلَا لَا أَرَى هُجرَانَهَا بِصَوَابِ ... فَعُوجَا بِهَا أو فَأْذَنَا بِذَهَابِ
خَلِيلَيَّ إِنِّي عَارِفٌ بِرُسُومِهَا ... سِوى أنَّ ذِي الأوهَادِ كُنَّ رَوَابِي
أنِيخَا بِهَا نِضْويكمَا فلَطَالَ مَا ... أَنَاخَ بِهَا رَكْبٌ كَلِيلُ رِكَابِ [٢]
سَرَوا لَيلَهُمْ والنَّارُ غَيرُ خَفِيَّةٍ ... تَنُوبُ عن استنبَاحِهِم لِكِلَابِ
فَلَمَّا أضافُوهَا وَقد ذَهَبَ الطَّوَى ... بألبَابِهِم والنَّومُ كُلَّ ذَهَابِ [٣]
أَنَاخُوا بِدَارٍ لَا يَرَى البُؤسَ ضَيفُهَا ... فَبَاتُوا عَلَى أَسنَى قِرَىً ووَثَابِ [٤]
فَلَا تَصدِفَا عَنهَا وَطُوفَا رُسُومَهَا ... وَإن آذنَت أَطلالُهَا بَخَرابِ

---

[١] وهذه القصيدة مذكورة في الديوان، وقد أثبتها هنا لتكميل النقص الساقط في السيرة.

[٢] النضو بالكسر: البعير المهزول، وقيل: كل مهزول من الدواب.

[٣] الطوى: الجوع.

[٤] الوثاب: المقاعد.

أَحِـنُّ إِلَـى بَـيْضٍ وأَجْرَاعِـهِ العُلَـى ... حَنِينَ عُجُـولِ الشُّـولِ نَحـوَ إِهَـابِ[1]

دِيَـارٌ بِهَـا أضـحى مُخَـيَّمُ مَعشَـرِي ... وظُفْـري علـى أهـلِ الضَّـلاَلِ ونَـابِي

بَنِـي حَسَـنٍ قَـومِي الكُمَـاةِ ألا اضـرِبُوا ... قِبَابَـاً بِهَـا للعِـزِّ أيَّ قِبَـابِ

وَلَا ترْأمُـوا حِلْـفَ الـدَّنَاءَةِ إنَّهَـا ... مَشَـارِبُ لُـؤمٍ كُـنَّ غَيـرَ عِـذَابِ[2]

وهُـزُّوا صُـدُورَ السَّـمهَرِيَّةِ وامنعُـوا ... حِمَـاكُم بِطَعـنٍ صَـادِقٍ وضِـرَابِ

فَقِـدْمَاً عَلِمـتُمْ فِعـلَ زُهـرَةَ ضِـلَّةً ... وَمَـا كَـانَ مـن أخبـارِ فِعلِ صَـوَابِ[3]

فَكَيـفَ وَهَـذِي رَايَـةُ الحَـقِّ قَـد بَـدَتْ ... ومَـوْقِفُكم فِـي الـرَّوعِ لَـيس بِغَـابِي

دَعُـوا ذِكـرَ فَيـفِ الـرِّيحِ فَهـو لِغَيـرِكُمْ ... وهُـم دُونَكُـمْ مـن جَعفَـرِ بـنِ كِـلاَبِ[4]

---

[1] الجرعة بالفتح ويحرك: الرملة العذاة الطيبة المنبت التي لا وعوثة فيها، وقيل: هي الأرض ذات الحزونة تشاكل الرمل، وقيل: هي الرملة السهلة المستوية، أو الدعص لا ينبت شيئاً. والشول جمع شائلة: وهي من الإبل التي أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فخف لبنها. والعجولة من الإبل: الواهة التي فقدت ولدها.

[2] رأم الشيء: أحبه وألفه.

[3] صواب الحبشي مولى آل أبي طلحة، هو آخر من حمل لواء المشركين يوم أحد بعد بني طلحة، فقطع علي عليه السلام يده اليمنى، فأخذه باليسار فقطعها، ثم برك على اللواء وأخذه بصدره وعنقه حتى قتل، وهو آخر من قتل من أهل اللواء.

[4] الفيف: المكان المستوي من الأرض، أو المفازة لاماء فيها، وفيف الريح عين بالدهناء: وله يوم فقئت فيه عين عامر بن الطفيل. وجعفر بن كلاب: أي القبيلة المنسوبة إليه.

ويوم فيف الريح: وقعة كانت بين بني عامر بن صعصعة وبني الحارث بن كلاب، وسببه: أن بني عامر كانت تطلب بني الحارث بأوتار كثيرة، فجمع لهم الحصين بن يزيد الحارثي الملقب ذو الغصة، واستعان بجعف وزُبيد وقبائل سعد العشيرة ومراد وصداء ونهد وخشعم وشهران وناهس، فأقبلوا على بني عامر وهم منتجعون بمكان يقال له فيف الريح، وكان مع بني الحارث وأحلافهم النساء والذراري كي لا يفروا، فاجتمع بنو عامر فقال لهم عامر بن الطفيل: أغيروا بنا على القوم فإني أرجو أن نأخذ غنائمهم ونسبي نسائهم، فأجابوه إلى ذلك، وساروا إليهم، فأخبرت عيون بني الحارث بالخبر فاستعدوا للقاء بني عامر فاقتتلوا ثلاثة أيام بفيف الريح، فأسرع القتل في الفريقين، ثم افترقوا ولم يشتغل بعضهم عن بعض بغنيمة، وكان الصبر فيها والشرف لبني عامر.

وهَـــذَا عَلِـــيٌّ جَـــدُّكُم ومُحَمَّـــدٌ أبـــوكُم وَلَـــمْ أنطِـــقْ بِغَيـــرِ صَـــوَابِ
فَصَـــبرَاً عَلَـــى رَيْـــبِ الزَّمَـــانِ وَعَضِّـــهِ فَمَـــا الصَّـــبرُ عـــن أَمثَـــالِكُمْ بِعُجَـــابِ[1]
وَخُوضُوا غِمَـارَ المَـوتِ فِـي حَومَـةِ الـوَغَى لِـــذكرٍ بَعِيـــدٍ صِـــيتُهُ وثَـــوَابِ
فلَـــيسَ العُلَـــى حَيسَـــاً يَهُـــولُ منالُـــهُ وَلَا تُـــدْرَكُ العليـــا بِغَيـــرِ طِـــلاَبِ[2]
ومَـــا لَكُـــمُ مـــن لَـــمْ يُهَـــاجِر بِصَـــاحِبٍ وَلَا هُـــمْ لِسِـــبطَي أَحمَـــدٍ بِصِـــحَابِ[3]
فَيَـــالَ عَلِـــيٍّ دَعـــوَةً عَلَوِيَّـــةً وَلَســـتُ أنَـــادِي مِـــن وَرَاءِ حِجَـــابِ
دَعُوا السُّمر تَهدِي الشُّقْرَ في غَلَسَ الدُّجَى لِترجِـــعَ مـــن أرضِ العِـــدَى بِنِهَـــابِ[4]
وَشُـــدُّوا صُـــدُورَ الخَيـــلِ واعتَقِلُـــوا القَنَـــا وشُـــنُّوا مَغَـــاراً عَالِيَـــاً بضُـــبَابِ[5]
ولبُّـــوا بِهَـــا رَأْدَ الضُّـــحَى وتَلَبَّبُـــوا فـــأنتم لُبَـــابٌ مـــن صَـــمِيمِ لُبَـــابِ[6]
وعِنـــدَ طُلُـــوعِ الفَجـــرِ شُـــنُّوا مَغَارَهَـــا عَلَـــى كُـــلِّ مَفتُـــونٍ وَكُـــلِّ مُحَـــابِي
وغَشُّـــوا سَـــوَامَ البِـــيضِ نَبْـــتَ رقَـــابِهِمْ وإن أظهـــروا عجـــزَاً بِغَيـــرِ متَـــابِ
إلَـــى أن يُجِيبُـــوكُم إلَـــى مَـــا دَعَـــوتُمُ وأظهـــرتُمُ مـــن سُـــنَّةٍ وكِتَـــابِ
فَقِـــدْمَاً دَعَـــا النَّـــاسَ النَّبِـــيُّ وَصِـــنُوهُ فَلَـــم يَقبَلُـــوا إلا بِضَـــرْبِ رِقَـــابِ
وقـــد أظهـــرَ الـــرحمنُ آيَـــاتَ صِـــدقِهِ وَلَـــم تَعرفُـــوهُ نَاطِقَـــاً بِكُـــذَابِ]

[قصيدة الإمام إلى السلطان علي بن حاتم يحذره من الميل إلى الغز]

وأنشأ عليه السلام هذا الشعر إلى السلطان الأجل سعيد الدولة وابن حميدها علي بن حاتم بن أحمد بن عمران لما أمر بأصحابه الهمدانيين وقفوا

---

[1] ريب الزمان: صرفه وحاجته. وعَضُّ الزمان: شدته.
[2] الحَيس: تَمْرٌ يُخْلَطُ بِسَمْنٍ وأَقِطٍ، فَيُعْجَنُ شديداً، ثم يُنْدَرُ منه نَواهُ، ورُبَّما جُعِلَ فيه سَويقٌ.
[3] أي ليس لكم من لم يهاجر إلى نصر الحق بصاحب.
[4] الشقر: أي الخيل.
[5] أضب القوم: إذا نهضوا بالأمر جميعاً.
[6] اللَّب: المقيم اللابث. ورأد الضحى: ارتفاعه. وتلببوا: أي شمروا.

في الجنات في مقابلة جنده عليه السلام، يحذره من وخيم معاشرة إسماعيل وشهاب، فلم يلبث أن كان ما قاله عليه السلام، وهو هذا.

وكان إنشاؤه للشعر عليه السلام في شهر رجب من سنة خمس وتسعين، ونزل السلطان الأجل بشر بن حاتم إلى إسماعيل في المحرم أول سنة ست وتسعين واعتقله في آخر الشهر:

أبَـا حَسَـنٍ لَا والـذِي رَفَـعَ السَّـبعَا ... وصَـيَّرَ عُـوداً يَابِسَـاً حَيَّـةً تسـعَى
لِـئن خَلُصَـتْ مـنكم علـى النَّـأيِ نِيَّـةٌ ... لَتُعطُـوْنَ عَشْـراً عـن سُـؤالِكُمْ تِسْـعَا
ألســتُ الــذي نَــادَيتُمْ فَأجــابَكُمْ ... فَتَـىً يَمـلأُ الألبـابَ والعَـينَ والسَّـمعَا
يَشُــدُّ علــى الجَـيشِ اللُّهَـامِ كَأنَّــهُ ... وَإن كَـانَ فَـرداً قـد أَعَـدَّ لَـهُ جَمْعَـا
سَـلِ الخَيـلَ فِـي صَـنعَاءَ يَـومَ قَصـدتُهَا ... فَـإن لَـمْ تُبَـيِّنْ فَاسئلِ السَّـاكِنِي صَـنْعَا
أَلَــم أَكُ مَجمُــوعَ الفُــؤادِ مُشَــمِّراً ... أَدُعُّهُــم مــن خَلـفِ أبوابِهَــا دَعَّــا[1]
وَحامَيـتُ عـن دِيـنِ الأعَـارِبِ جَاهِـدَاً ... وصَـيَّرتُ جَمـعَ الأعجمـين لَهُـمْ دِرْعَـا
وخَـالَطَ قـومٌ بعـضَ شَـكٍّ وصَـارَ مَـنْ ... أُحِـبُّ بظهـرِ الغَيـبِ يَلسَـعُنِي لَسـعَا
عَلَـى أنَّ قَلبِـي لَـمْ يَحُـلْ عـن وِدَادِهِ ... وَلَا غَيَّـرت أيـدِي الخُطُـوبِ لَـهُ طَبْعَـا
أبَــا حَسَــنٍ فَــالحَن لِبشــرٍ فَــإنَّنِي ... أرَى ودَّكـم أَصـلاً وَوُدَّ الـورى فَرْعَـا
أيغــرِسُ شَــرْيَاً قَــاتِلَا فِــي دِيَــارِهِ ... ويَرضَـى لِزِيتُـونِ الشـآم لَهَـا قَلْعَـا[2]
ومَـا قلـتُ مـن خَـوفٍ مَقَـالِي فَـإنَّنِي ... لأَوْسَـعُ أهـلِ الأرض مـن حـادثٍ ذَرْعَـا
ومَـا هَـمٌّ مِثلِـي بَلـدةٌ دون بَلـدَةٍ ... وَلكِــن تَوَلِّيهَــا بأقطارِهَــا جَمْعَــا

---

[1] الدع: الدفع.

[2] الشري: الحنظل.

فهبُّوا إلَى نَصرِ الهدى وتَحَشَّدُوا ... وَكُونُوا لَنَا فِيمَا نُحَاوِلُهُ شَفْعَا
سَنجلِبُهَا شُعثَ النَّوَاصِي تَخَالُهَا ... مِن الليلِ لَولا مَا أضأن الضُّبا قِطْعَا
أَغِيرُ بِهَا صُبْحاً عِجالَا فَلَن تَرَى ... مِن الأرضَ فِتْراً لا تُثِيرُ بِهَا نَقْعَا
فَمهلاً بَنِي عِمرَانَ لَا تَترُكُوا العِدَى ... يَكُونُ لَكُم فِي حُرِّ أوطَانِكُمْ زَرْعَا
أمَن يُطعِمُ المسمومَ يا بشرُ مُحْسِنٌ ... وهَل مُحسِنٌ إلَا الذِي يَقصِدُ النَّفْعَا
ومَا صَدَّهُم تَفرِيقُنَا ضَلَّ سَعيُهُمْ ... فَهَل لَكُمُ يومَاً إلَى أُلفَةٍ رُجْعَى
فَلستُ بِهَيَّابٍ إذَا الحَربُ شَمَّرَتْ ... وَلَا قَائِلٍ للحادثات قِرِي دَفْعَا[1]
أَلَيسَ أبِي أمضَى الفَوَارِسِ عزمَةً ... وَجدِّي النَّبِيُّ المصطفى الشَّارِعُ الشَّرْعَا
وَنَحنُ رُعَاةُ الخَيلِ فِي كُلِّ مَأقَطٍ ... إذَا قَلَّ فِي يَومِ الكَرِيهَةِ مَن يَرْعَا
فَلَبُّوا دُعَائي إن دَعِيتُ إلَى الهُدَى ... وإن صمَّ من أهلِ الشَّقَاوَةِ من يُدْعَا
ومن أعجَبِ الأشياءِ كَونُ كُمَاتِكُمْ ... دُوَينَهُمُ يَبغُون مِنهُم لَنَا مَنْعَا
ومَا كَانَ تَرِكِي صَدمَهُم عن مَهَابَةٍ ... ولكن رَجونَا تَركَهُمْ يرأبُ الصَّدْعَا
وعِندَ التَّمَادِي يَقتُلُ الوَالِدُ ابنَهُ ... ويَقطعُ من لَا يَستَجِيزُ لَهُ قَطْعَا
ومَا جَبْرُنَا إن جَالَتِ الخَيلُ جَولَةً ... فَصَيَّرَت الأبطالَ مَا بَينَنَا صَرْعَى[2]
ومَا دُونَ ذَا إلا تَلاَقِي وُجوهِنَا ... عَلى دَهَسٍ والسُّمرُ تَحسِبُهَا شَمْعَا[3]
هنالك لو تَلْقَى أخَاكَ دَسرْتَهُ ... بِعُرَّاضَةٍ كَالأَيمِ ظَامِيَةٍ ضَلْعَا[4]

---

[1] قري هِو قَرِّي: أي اسكني، والمعنى: لست أسكن الحادثات وأهدؤها دفعاً لها وخوفاً من حوادثها.

[2] والمعنى: ما الذي سيجبر القتل إذا وقع.

[3] الدهس: المكان السهل ليس برمل ولا تراب.

[4] الدسر: الطعن والدفع. العراضة: صفحة السيف. الأيم: الحية البيضاء. والضلعاء: أي واسعة الفم عظيمته.

عَـــلامَ وفـــيمَ اليَـــومَ تَحتَقِبُونَـــهُ ... هَرِيتَـاً حَدِيـدَ النَّـابِ يَأكُـلُ مـا يَرْعَـى[١]

وتَنْـــأَوْنَ عـــن بَـــرٍّ رَحِـــيمٍ مُجَـــرِّبٍ ... قَـوِيٍّ أَمِـينٍ يُحْسِـنُ الضُّـرَّ والنَّفْعَـا

حَلِـيمٍ كَثِيـرِ الصَّـفحِ عَـن كُـلِّ مُـذْنِبٍ ... مُنِيـبٍ مُجِيـبٍ لِلخُطُـوبِ إذَا يُـدْعَا

فَتَـىً هَمُّـهُ فَـتحُ الثُّغُـورِ وسَـدُّهَا ... إذَا الـنِّكْسُ هَـمَّ النَّـومَ والـرِّيَّ والشَّـبْعَا[٢]

يَبِيـتُ بَعِيـدَ النَّـومِ والقَـومُ هُجَّـعٌ ... وَيُصـبحُ فِـي حَاجَـاتِهِم جَاهِـدَاً يَسْـعَى

أبَـا حَسَـنٍ هَـذِي أَلُوكَـةُ نَاصِـحٍ ... فَفَـرِّغ لَهَـا قَلبَـاً وأَوْعِ لَهَـا سَـمْعَا

ونَـحِّ أُصُـولَ الشَّـرِّ قَبـلَ تَفَـرُّعٍ ... وآحَـادَهُ مـن قَبـلِ أن يبلُـغَ الجَمْعَـا

وَكَـم رَافِـضٍ أَمـرَاً وَفِيـهِ نَجَاتُـهُ ... وَمُـدَّخِرٍ نَفْعَـاً وَفِـي نَفعِـهِ الأَفْعَـى

---

[١] تحتقبونه: أي تدخرونه. والهريت: الأسد.

[٢] النكس بالكسر: الرجل الضعيف.

[نهوض الإمام إلى الظاهر ووصول الأمير هلدري إليه]

ونهض الإمام عليه السلام يريد الظاهر، فأمسى بالهجر وأقام بها أياماً مع كراهة شديدة من أهلها، وبلغ إليه خبر أنهم قد عاملوا الغز الذين في الجنات فيه وفي من معه، وأحكموا رأيهم على أنهم يتركون باب القرية مفتوحاً، ويتقدم منهم جماعة إلى الجنَّات فيأتون بالغز في الليل.

فنهض عليه السلام إلى أثافت **في رجب من سنة خمس وتسعين** بعد أن أمر رجلاً من أصحابه إلى تهامة إلى الأمير هلدري بن محمد المرواني، وكان عند الأمير المؤيد بن القاسم بن غانم هارباً من إسماعيل، وهو من أكبر الكرد، وأشدهم عزيمة وبأساً، وكان سيف الإسلام يخاف منه على نفسه فكان إذا ركب معه من جملة الجند لم يحمل سلاحاً، وكان قد أساء إليه وقيده، وأمر به في البحر إلى جهة الشام، فرجع إلى اليمن وأقام في تهامة يغير في أطرافها، ونسب نفسه إلى طاعة الإمام عليه السلام، فلما وصله رسوله استرّ بذلك وبادر إلى الإجابة، ووصل إلى أثافت **في شهر شعبان من السنة المذكورة**، فتلقاه الإمام بالإكرام ورفع منزلته، وسأله التقدم على الجند والسلطنة، ففعل له الإمام ذلك وأمر الأشراف والجند وسائر الناس بالركوب معه، وحمل الغاشية بين يديه، وكتب له منشوراً، وانتشر ذكره، والتأم الجند إليه، وتقوى الأمر بوصوله.

تفصيل حادثة الأمير يحيى بن الإمام المتوكل على اللّه أحمد بن سليمان ومقتله ودعاء الإمام بدعاء الاستفتاح

قصة الأمير يحيى بن الإمام أحمد بن سليمان عليه السلام

لما توجه الإمام عليه السلام من الهجر إلى أثافت أتاه العلم بوصوله من جهة الشام إلى الظاهر، وقد كان أمر إليه الشريف الفاضل الحسن بن إبراهيم الحمزي يستدعيه إلى الطاعة، وأمر معه بفرس فقبضه ووعد باللقاء إلى بهمان ليوم معلوم، فأمر عليه السلام لكافة القبائل من وادعة وبكيل وبني صريم وبني صاع وغيرهم باللقاء إلى ذلك الموضع، فوصلوا من كل جهة وانتظروا وصوله فلم يصل، وأمر برد الحصان، وتقدم مظهراً للخلاف إلى بيت مساك[1] ويريد التقدم إلى الغز، فأمر الإمام عليه السلام أخاه الأمير عماد الدين يحي بن حمزة في جماعة من الشرفاء وغزوان بن أحمد السريحي الصاعي -رغبة في تغطيته، وقطع مادة فساده-، فبذلوا له ما يرضيه، واجتهدوا في إيصاله إلى الإمام عليه السلام حتى ساعدهم، فتلقاه الإمام عليه السلام بالإنصاف والإكرام، وأركبه حصاناً جواداً كان لأخيه عماد الدين، وطلب ولاية صعدة وأعمالها والهجر والحصنات، فساعده عليه السلام إلى ذلك، وجدد عليه البيعة والعهود المؤكدة، وكتب له الإمام منشوراً بعهد الولاية تركت ذكره اختصاراً.

---

[1] مساك: هي ساك: وهي قرية من عزلة خميس أبي ذيبة ناحية خارف قضاء خمر، من أعمال عمران.

[ملحق[1]]

[منشور الإمام المنصور بالله بعهد الولاية للأمير يحيى بن أحمد]

[هذا عقد كتبه الإمام عليه السلام، للأمير الأجل يحي بن أحمد بن سليمان قبل خلافه وقيامه مع الغز وحربه في الهجر، بعد تجديد البيعة عليه.

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وسلم

هذا عقد أنشأناه للأمير الأجل الأوحد الكبير، المقدم الخطير، ظهير الدين، زعيم المجاهدين، سيف أمير المؤمنين، المعتز بالله يحي، بن الإمام السابق الفاضل، ظاهر الفضائل، ذي الشرف الطائل، الأوحد الأجل، المتوكل على الله عز وجل، أبي الحسن، أحمد بن سليمان بن محمد بن المطهر بن علي بن الناصر بن يحي الهادي إلى الحق عليه السلام.

لما جرت السعادات مجراها، وسرت السرايات مسراها، وكادت البغايا تفرج جلد الصفا بين العترة المرضية، وتقدح نار الشر بين الذرية الزكية، وكان الأمير الأجل من أورى العترة زناداً، وأعلاها عماداً، وأصفاها وداداً، وسأل أموراً تقل عن حقه، وتقصر عن عالي شرفه وأوجب سبقه، منها تولية صعدة وأعمالها الداخلة في ضمن توليتها، وما ينضاف إليها، وينسب إليها، من سد ثغورها، وإصلاح أمورها، ورفع فجاجها، وتقويم اعوجاجها، وقطع لجاجها، وجلب أسباب الخير إليها، ودفع

[1] هذا العهد والتولية زيادة من مجموع رسائل وأشعار الإمام عليه السلام.

أنواع الشر عنها، ونصب ألوية الحق على منار الدين في ميادينها، وقمع مردتها وشياطينها، وتوفير خراجها وضبط دواوينها، والمعرفة بحق أكابرها وتوقير أصاغرها، وإصلاح مواردها ومصادرها، والقيام بأعباء أمورها، وتصفية نطاقها، من كدر الظلم والعدوان، وحماية سرحها من أهل الفسق والعصيان، والمعرفة بحق أهل الفضل والبيان، والشدة والغلظة على أعداء الرحمن، مقتفياً في ذلك آثار آبائه الصادقين، وسلفه المنتجبين، الذين شادوا منار الدين، وأحيوا بحميد سعيهم سنن المرسلين، وأقاموا أود الظالمين، متنكباً منهاج الحيف والميل، راكباً سنن طريق الحق المستقيم، والحكيم القويم.

ومنها: إضافة خراج الهجر والحصيات إلى يدي المذكور، يستعين بذلك على مؤونة من يخدم تحت ركابه، وينضم إلى جنابه،

وعليه في جميع ذلك الحفظ والتحفظ، على الحفاظ والولاة والعمال، وتوفير الأموال، واحتمال الأثقال، وقلة الترك والإهمال، ومواثبة العدو بالمقال والفعال، في مقامات الجدال والقتال، وحماية الحوزة، وضم القاصية، ودفع العاصية، فليثق بما صدرنا وأنشأناه، وأطلقنا به خطنا في هذا المنشور، وبالله وبيده الحول والقوة.

وكتب بتاريخ النصف الأخير من شهر رجب من سنة خمس وتسعين وخمسمائة].

وأقام عنده بأثافت أياماً وفي نفسه الخيانة، ثم تقدم إلى الظاهر بمن معه، وأظهر أنه يريد تخفيف المؤونة، وراح إلى بيت مساك وأظهر الخلاف وكتب إلى الغز إلى الجنات ثم إلى صنعاء، وعلم الأمير صفي الدين محمد بن إبراهيم بذلك فأتى من جهة المضلعة، وكان مقيماً بها لحرب الغز في الجنات، فطلب الدخول إلى بيت مساك لتعويده مما قد عزم عليه من الشقاق، فلم يأذن له

بالدخول إليه، وتمادى في غيه، وتقدم إلى الجنات، ثم إلى صنعاء، وخرج شهاب في لقائه في الجند، واسترّوا بوصوله وعظموه وأظهروا تبجيله، وتقلد فساد البلاد على الإمام، وكان قد أبرم أمره في جهات الشام وبلاد بني شاور والظاهر، وأجابه الناس لفسادهم وكراهتم للحق وأهله.

وكان ممن أعانه على ذلك السلطان بشر بن حاتم فاجتهد في إقامته معارضة للإمام لا لمحبة عنده للأمير يحيى، وأمر بخلعة نفيسة إلى شهاب برسم الأمير يحيى، وتقدم الأمير يحيى يريد الهجر فوصل إلى قاعة، ودعا الناس إلى طاعة إسماعيل فبايعوه على ذلك طوعاً وكرهاً، وانتسب إلى ملك إسماعيل وصدر كتبه بالملكي الغزي.

وكتب إلى الإمام عليه السلام من المعتزّ بالله، وسبه وسماه مسيلمة، ولم يترك شيئاً من الفساد إلا فعله، وتقدم إلى الهجر وجعله مستقره.

ولما استقر الأمير يحيى بالهجر ومعه قدر ثلاثمائة مع أهل البلد، وكان الأمير عماد الدين بحلملم فجمع عسكراً، وحط بالقرب من الهجر في موضع يسمى العِرّة[1]، ووقع الحرب بينهم فانهزم أهل الهجر، ولزم منهم جماعة.

وأمر الإمام عليه السلام الجند بالتأهب والغارة إلى الجنات، فنهضوا يوم الجمعة للنصف من شعبان، ودعا في ذلك اليوم بدعاء الاستفتاح[2]، وسأل الله النصر واستجاب الله سبحانه الدعاء.

---

[1] العِرّة: من قرى ناحية همدان صنعاء، قريبة من ذهبان على طريق الخارج من صنعاء نحو عمران.

[2] دعاء الاستفتاح، هو المشهور بدعاء أم داوود، وقد رواه الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة عليه السلام، قال أخبرني الشيخ الفاضل محمد بن أحمد بن الوليد العبشمي القرشي، قال أخبرنا الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان، قال حدثني الشيخ العالم الزاهد زيد بن الحسن بن علي

بن أحمد البيهقي الخراساني البروقني، أخبرنا الشيخ الصابر حيدر بن الحسن بن علي، أخبرنا الشيخ الإمام ظهير الدين أبو نصير محمد بن علي بن محمد الرشكي، أخبرنا الإمام أبو القاسم عبد الله بن عبد الله الحسكاني، حدثني أبو القاسم محمد بن علي المعمري، حدثنا محمد بن علي بن الحسن الفقيه أبو جعفر محمد بن إسحاق بن الحسن الموسوي، حدثنا محمد بن حمزة بن الحسن بن سعد المدني، قال حدثني أبو محمد عبد الله بن محمد العلوي، قال حدثني إبراهيم بن عبد الله، قال حدثتني فاطمة بنت عبد الله بن إبراهيم قالت: لما قتل أبو جعفر الدوانيقي عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، بعد أن قتل ابنيه محمداً وإبراهيم، جعلت لابني مكتلاً فغاب عني حيناً في العراق لم أسمع له خبراً، فكنت أدعو الله تبارك وتعالى وأتضرع إليه، وأسأل أهل الجد والإجتهاد والعبادة معاونتي بالدعاء.

قالت: فدخلت يوماً على أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه أعوده في مرض نزل به، فسألته عن حاله ودعوت له.

فقال: يا أم داوود ما فعل داوود . وكنت أرضعته بلبن بعض نسائه .؟

فقلت: وأين داوود، وقد فارقته منذ مدة طويلة وهو مسجون بالعراق.

قال: وأين أنت من دعاء الإستفتاح، وإنه الدعاء الذي تفتح له أبواب السماء، ويُلقى صاحبُه بالإجابة من ساعته، وليس لصاحبه عند الله إلا الإجابة والجنة.

قلت: وكيف لي بذلك.

قال: يا أم داوود، قد دنا الشهر العظيم رجب، وهو شهر مسموع فيه الدعاء، فصومي ثلاثة أيام، ثالث عشر ورابع عشر وخامس عشر، ثم اغتسلي في اليوم الثالث، وصلي صلاة الزوال ثمان ركعات، تحسنين قنوتهن، ثم تصلين الظهر، وبعد الظهر ركعتين، ثم بعد الركعتين ثمان ركعات، ثم تصلي العصر، واستقبلي القبلة:

واقرأي الحمد مائة مرة، وقل هو الله أحد مائة مرة، واقرأي سورة الأنعام وسورة الكهف ويس والصافات وحم السجدة وحم عسق وحم الدخان وسورة الفتح وتبارك الذي بيده الملك، وإذا السماء انشقت وما بعدها إلى الحمد، فإذا فرغت من ذلك فقولي:

=

صدق الله العظيم، الذي لا إله إلا هو الحي القيوم، ذو الجلال والإكرام الحليم الكريم، الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وبلّغت رسله رسالاته، وأنا بذلك من الشاهدين.

اللهم لك الحمد ولك المجد، ولك الفخر ولك النعمة ولك الرحمة ولك المهابة، ولك العظمة ولك السلطان ولك الإمتنان، ولك التسبيح ولك التهليل، ولك النورين ولك التكبير، ولك ما يرى وما لا يرى، ولك ما فوق السموات العلى، ولك ما تحت الثرى، ولك الآخرة والأولى، ولك ما ترضى من الثناء، ولك الحمد ولك الشكر ولك النعماء.

اللهم صل على جبريل أمينك على وحيك، والقوي على أمرك، والمطاع في سماوتك ومحال كراماتك، والمتحمل لكلماتك،والناصر لأنبيائك، والمدمر لأعدائك.

اللهم صل على ميكائيل ملك رحمتك، والمخلوق لرأفتك، والمستغفر لأهل طاعتك.

اللهم صل على إسرافيل حامل عرشك، وصاحب الصور المنتظر لأمرك، الوجل المشفق من خيفتك.

اللهم صل على حملة العرش الطاهرين، وعلى السفرة الكرام البررة، وعلى ملائكتك الكرام، يا ذا الجلال والإكرام.

اللهم صل على أبينا آدم بديع فطرتك، الذي أكرمته بسجود ملائكتك، وإباحة جنتك.

اللهم صل على أمنا حواء المطهرة من الرجس، المترددة بين محال القدس.

اللهم صل على هابيل وشيث وإدريس ونوح وإبراهيم، وموسى وهارون، ويوشع والخضر، وذي القرنين، ويونس وإلياس واليسع، وذي الكفل ولوط، وداوود وسليمان، وزكريا ويحيى، وأشعيا وأرميا، وهود وصالح، وإسماعيل وإسحاق ويعقوب، ولقمان والأسباط، وشعيب وأيوب وطالوت، وجرجيس ودانيال، وعزير وعيسى وشمعون، والحواريين والأتباع.

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل محمد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما صليت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، وعلى الشهداء والسعداء وأئمة الهدى والأبدال والأوتاد والسياح والعباد، والصالحين والزهاد، وأهل الجد والإجتهاد، وخص محمداً وأهل بيته بأفضل صلواتك وكراماتك، وبلغه تحية وسلاماً، وزده فضلاً وشرفاً وكرماً، حتى تبلغه أعلى درجات أهل

الشرف من النبيين والمرسلين والأفاضل المقربين.

اللهم صل على من صليتُ وعلى من لم أصلِّ من ملائكتك وأنبيائك ورسلك وأهل طاعتك، وأوصل صلواتي إليهم وإلى أرواحهم، واجعلهم إخواني فيك وأعواني على دعائك، وأستشفع بكرمك إلى كرمك، وبجودك إلى جودك، وبرحمتك إلى رحمتك، وبأهل طاعتك إليك.

اللهم أسأل بكل ما سألك به كل واحد منهم من مسألة شريفة غير مردودة، وبما دعوك به من دعوة مجابة غير مخيبة.

يا الله يا رحمن يا رحيم، يا حكيم يا كريم يا عليم، يا جليل يا جميل يا كفيل، يا وكيل يا مقيل، يا مجير يا خبير يا مُنيل، يا مزيل يا محيل، يا كبير يا قدير، يا نصير يا شكور، يا بر يا طاهر، يا ساتر يا حفيظ، يا قريب يا ودوود يا حميد، يا مبدئ يا معيد يا شهيد، يا حسن يا محسن يا مُجْمل، يا منعم يا مفضل، يا قابض يا باسط، يا هادي يا مرشد، يا مسدد يا معطي، يا مانع يا دافع، يا باقي يا خلاق، يا وهاب يا تواب، يا فتاح يا نفاح يا مرباح، يا من بيده كل مفتاح، يا رؤوف يا عطوف، يا كافي يا شافي يا معافي يا وافي، يا مهيمن يا عزيز يا جبار، يا متكبر يا سلام، يا مؤمن يا مهيمن، يا أحد يا صمد، يا فرد يا وتر يا قدوس، يا ناصر يا مؤنس، يا باعث يا وارث، يا عالم يا حاكم، يا بارئ يا مصور، يا مسلم يا مستجيب، يا دائم يا قائم، يا عليم يا حكيم، يا جواد يا بار، يا ستار يا عادل يا فاضل، يا ديان يا حنان يا منان، يا من علا فاستعلى، فكان بالمنظر الأعلى، يا ن قرب فدنى، وبعُد فنأى، وعلم السر وأخفى، يا من له التدبير والمقادير، يا من عليه العسير يسير، يا من هو على ما يشاء قدير، يا مرسل الرياح، يا فالق الإصباح، يا باعث الأرواح، يا ذا الجواد والسماح، يا راد ما فات، يا منشر الأموات، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم، يا حي حين لا حي، يا حي محي الموتى، يا حي لا إله إلا أنت، بديع السموات والأرض.

يا إلهي صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

وارحم ذلي وانفرادي، وفاقتي وخضوعي بين يديك، واعتمادي عليك، وتضرعي إليك، أدعوك دعاء الخاضع الذليل الخاشع، الخائف المستجير من عذاب السعير، المشفق البائس الفقير، المهين

الحقير، العائذ المقر بذنبه، المستغفر من سيئه، دعاء من أسلمت نفسه، ورفضته أحبته، وعظمت فجيعته، دعاء ضعيف حزين بائس مسكين.

اللهم وأسألك بأنك ملك مقتدر، وأنك على ما تشاء من أمر يكون، وأنك على ما تشاء قدير، وأسألك بحرمة الشهر الحرام، والمشعر الحرام، والبلد الحرام، والبيت والمشاعر العظام، وقبر نبيك محمد عليه السلام، يا من وهب لآدم شيث، ولإبراهيم إسماعيل وإسحاق، ويا من رد يوسف على يعقوب، ويا من كشف بعد البلاء ضر أيوب، ويا من رد موسى على أمه، ويا زائد الخضر في علمه، يا من وهب لداوود سليمان، ولزكريا يحيى، ولمريم عيسى، يا حافظ بنت شعيب، يا كافل ولد موسى.

أسألك أن تصلي على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، وأن تغفر ذنوبي كلها، وتجيرني من عذابك، وتوجب لي رضوانك، وأسألك غفرانك وحنانك وإحسانك.

وأسألك أن تفك عني كل حلقة بين وبين من يؤذيني، وتفتح لي كل باب، وتلين لي كل صعب، وتسهل علي كل عسير، وتخرس عني لسان كل ناطق بشرّ، وتكبت عني كل باغ، وتمنع عني كل ظالم وحاسد، وتكفيني كل عائق يحاول تفريقاً بيني وبين طاعتك، ويشبطني عن عبادتك، يا من ألجم الجن المتمردين، وقهر عباده الشياطين، وأذل رقاب المتجبرين، ورد كيد المتسلطين عن المستضعفين.

أسألك بقدرتك على ما تشاء، وتسهيلك لما تشاء، أن تجعل لي قضاء حاجتي مما تشاء.

ثم اسجدي على الأرض، وعفري خدك، وقولي:

اللهم لك صليت، ولك سجدت، وبك آمنت، فارحم ذلي وانفرادي وفاقتي.

واجتهدي أن تسفح عيناك، ولو بقدر رأس إبراة، فإن ذلك أثر الإجابة، واحفظي ما علمتك، واحترزي أن تعلميه من يدعو به بغير حق، فإن فيه اسم الله الأعظم، الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى.

فلو أن السموات والأرض كانتا رتقا، والبحار من دونهما، وكانت ذلك من وراء حاجتك لسهل الله تعالى الوصول لك إلى ذلك، ولو أن الجن والإنس أعداؤك لكفاك الله تعالى مؤنتهم، وذلل لك رقابهم، إن شاء الله تعالى.

=

وتقدم السلطان هلدري بالجند ولقيهم الأمير صفي الدين في عسكر من حاشد وغيرهم، وكمنوا في موضع بالبون لينالوا غرة من أهل الجنات، فسبق النذير إليهم فلم يخرج منهم أحد، فرجعوا وجعلوا طريقهم إلى الهجر فحطوا بالقرب منه، وحاربوهم حرباً شديداً حتى منعوهم.

قالت فاطمة بنت عبد الله: فكتبت الدعاء وانصرفت، ودخل شهر رجب، ففعلت كما أمرني، ثم رقدت، فلما كان آخر الليل رأيت في نومي كأن كل من صليت عليه من الملائكة والنبيين والشهداء والصالحين، ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم يقول: يا أم داوود أبشري، فكل من ترين أعوانك وإخوانك، وكلهم يستغفرون لك، ويبشرونك بنجح حاجتك، وأبشري فإن الله عز وجل يحفظ ولدك ويرده عليك.

قالت: فانتبهت من منامي، فما لبثت إلا مسافة الطريق من العراق إلى المدينة للراكب المجد، حتى قدم علي داوود، فسألته عن حاله، فقال:

إني كنت محبوساً في أضيق حبس، وأثقل قيد حديد، فما ذلك في النصف من رجب رأيت في المنام كأن الدنيا فتقت لي، فرأيتك على حصير صلاتك، وحولك رجال رؤوسهم فيالسما وأرجلهم في الأرض، عليهم ثياب خضر، يسبحون الله تعالى حولك، فقال رجل منهم حين الوجه، نظيف الثياب، طيب الرائحة، خلته جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا ابن العجز الصالحة، أبشر فقد استجاب الله تعالى لأمك فيك دعائها.

فانتبهت ورسول أبي الدوانيق على الباب، فأدخلت عليه في جوف الليل، فأمر بفك الحديد عني، والإحسان إلي، وأمر لي بخمسين ألف درهم، وخرجت من يومي.

قالت: قلت لأبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: أيدعى بهذا الدعاء في غير رجب؟.

قال: يوم عرفة، وإن وافق ذلك يوم الجمعة لم يفرغ صاحبه منه حتى يغفر الله له، وفي كل شهر إذا أراد ذلك صام أيام البيض، ويدعو به في آخره كما وصفت.

[ملحق]

[كتاب الإمام عليه السلام إلى الناس يستنهضهم للجهاد]

ثم وردت الكتب إلى الإمام يستنهضونه، ويحققون حصرهم للقوم فكتب كتاباً بخطه الكريم، وأمر من قرأه على الناس يوم السوق، يحضهم على النفير والجهاد في سبيل الله، ويشعرهم النهوض بالزاد والسلاح.

[ولما وقع منه الخلاف في الهجر وعزم الإمام عليه السلام على النهوض من أثافت لحربه كتب هذا الكتاب، وأمر بقرآءته يوم السوق:

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمد وآله وسلم

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ {١٠} تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ.

إلى كافة من سمع هذا الكتاب من القبائل، راغباً في نجاة نفسه، متعرضاً لرضوان ربه، منذراً لمن خالف من قومه.

سلام عليكم، فإنا نحمد الله إليكم.

وبعد ذلك: فإن الجهاد من أبواب الدين، ورهبانية المسلمين، فمن تركه متمكناً منه رماه الله بالذلة، وديثه بالصغار.

الجهاد فريضة تقام بها الفرائض، وتحيي السنن، وينتصف بها من الأعداء، وتستوفى بها الحقوق.

وقد عزمنا على النفير إلى بقية الأحزاب، وذرية النفاق، وحصب جهنم هم لها واردون، آخر يومنا هذا، مستعينين بالله، متوكلين عليه، طالبين لما عنده من الأجر والثواب، في الجهاد في سبيل الله والمنابذة لأعداء الله.

وقد أسمعناكم الواعية، ونحن ناهضون آخر يومنا هذا، أو بكرة غد إن شاء الله تعالى، فلا يتخلفنّ منكم أحد إلا من عذره الله سبحانه بقوله **{ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ}**[النور/٦١]، فاغتنموا هذه الأيام فإن الدنيا سوق الآخرة، وربحها الجنة، وخسارتها النار، **{فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ}**[الذاريات/٥٠]،

وقد روينا عن النبي صلى الله عله وآله وسلم أنه قال ((ما اغبرت قدما عبد مؤمن فدخل النار، ولا خفقت راية حق على رأس رجل مؤمن فدخل النار، ومن رمى بسهم في سبيل الله بلغ أو قصر كتب له عتق رقبة))، فهذه متاجر كبار، وغنائم جليلة الأخطار، **{وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ}**[آل عمران/١٣٣]، **{كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ}**[الصف/١٤]، وميعادنا بيننا وبين المطيعين لأمرنا،

الراغبين فيما عند ربنا، من جميع من علم بكتابنا، طلوع الشمس غداً إن شاء الله إلى بركة قطبين[١].

ونسأل الله تعالى لنا ولكم الهداية والتوفيق، وصلى الله على محمد وآله وسلم][٢].

وواعد الناس طلوع الشمس اليوم الثاني إلى بركة قطبين.

ثم وصل إلى الفايش[٣]، وأتاه الأمير سليمان بن محمد من بلد بني شاور في قوم فأمره بالتقدم إلى الأمير يحيى بن أحمد بن سليمان لتأكيد الحجة، وإبلاغ المعذرة، فتقدم إليه واجتهد في رجوعه فامتنع وأصر على غيّه.

[وقعة الهجر وأسر الأمير يحيى]

ثم نهض الإمام عليه السلام إلى الهجر وكان الحرب والقتال مستمراً من كل جهة على الهجر، وقاتل أهله قتالاً شديداً وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله.

وكان الإمام عليه السلام يطوف من مكان إلى مكان فغشيهم العسكر، وتعلقوا في الجدران ونقبوها، ووقع القتال على الخروق، وأعطى الله النصر على أعدائه، فدخل العسكر المنصوري عليهما الهجر قهراً، فأمسوا بين قتيل وأسير، قتل منهم نيف وعشرون سوى من لم يعلم به في الشعاب، وأسر قوم كثير، وتغنمت أموالهم، وجميع ما في قريتهم، وأتي بالأمير يحيى بن أحمد أسيراً، فأمر

---

[١] قطبين: بلدة جوار مدينة قفلة عذر من بلاد حاشد.

وهي أيضاً قرية من قرى عيال منصور، إحدى قبائل نهم، شمال شرق صنعاء.

[٢] ما بين القوسين زيادة من مجموع رسائل وأشعار الإمام عليه السلام.

[٣] حصن الفائش: من بلاد حاشد على مقربة من غربان.

الإمام عليه السلام من ضرب له خيمة في شق المحطة، ووكل بحفظه، وأقام الإمام عليه السلام أياماً لخراب القرية وتحريقها بالنار.

وقتل في جملة القتلى عمرو بن قاسم من بني محفوظ - وكان من أقوى أعوان الظلم، وأعظمهم فساداً، وكان والياً في الظاهر في دولة الغز، وأبوه من قبله في دولة آل حاتم، وقد كان تقرب للولاية مع الأمير يحيى بن أحمد-.

[مقتل الأمير يحيى بن الإمام أحمد]

ونهض الإمام عليه السلام إلى أثافت والأمير يحيى في الأسر فنزل في دار، ولم يضيق عليه، ولا منع أحداً ممن يريد الدخول إليه، فعمل مكيدة مع الجماعة الحافظين له بأن أطعمهم طعاماً قد جعل فيه البنج، وعامل جماعة على أن يكمنوا بظاهر البلد بالسلاح، فلما سكر الجماعة الذين عنده وصاروا كالمجانين، وكان عندهم الشيخ المكين فخر الدين مرحب بن سليمان السهلي ولم يأكل معهم من الطعام إلا يسيراً، وكان قد أحسّ بذلك فكان يلفظ الطعام من فيه إلى جيبه فلم يتغير حاله، ولم يضره، وأحس مرحب بالقوم بالقرب من الدار وتحركاتهم ونباح الكلاب، فازداد حزماً، وخشي أن يدخل عليه القوم فيأخذون الأمير قهراً، فأمر إلى الإمام عليه السلام يعلمه بالخبر، وقام الأمير يريد الخروج وقد فك القيد بغير علمٍ منهم، فقبض مرحب على سلاحه، وأخذ حجراً بيده، وخرج الأمير يريد موضعاً من جانب الدار فسبقه إليه مرحب، وحال بينه وبينه فقعد كأنه يقضي الحاجة، ثم عاد إلى البيت ولم يتمكن من مرحب بن سليمان، ولو تمكن منه لما سلم من شره.

وأبطأ رسوله إلى الإمام فصاح بأهل الدور القريبة منه فما أجابوه إلا بعد حين، ثم جاءه رسوله من عند الإمام عليه السلام في جماعة مع من حضر من أهل البلد، حتى امتلأ المكان وأخرج أولئك الجماعة وهم سكارى، ووجدوا مع الأمير سكيناً ولا شك أنه كان في نفسه هلاكهم.

هكذا ذكره صاحب سيرة المنصور -عليه السلام-.

[قال في الآلئ المضيئة: هكذا ذكره صاحب سيرة المنصور بالله عليه السلام المختصرة من السيرة الكبيرة التي ألفها القاضي علي بن نشوان، وهو الشيخ أبو فراس بن دعثم كاتب الإمام المنصور بالله عليه السلام].

قال: واشتهر موته -يعني الأمير- لأربع ليال خلت من شهر شعبان من سنة خمس وتسعين وخمسمائة.

الخروج إلى المطرح
والغارة على المقرانة
وبوسان
وحصار بيت مساك

قصة المخرج إلى المطرح[١]

نهض الإمام عليه السلام من أثافت[٢] بعد فتح الهجر بالجند المنصوري، ومن انضم إليه من العرب سابع شهر رمضان من السنة المذكورة إلى المطرح، وقد بلغه عليه السلام ظهور الفواحش، وامتناعهم عن طاعة الله، وتسليم الواجبات، ووصل إلى الخموس من بلاد الأهنوم بعد العشاء الآخرة، فحط بالعسكر ريثما استراحوا قليلاً وأعطوا الخيل علوفاً، ثم سروا ليلتهم حتى وافوا المطرح عند انبساط الشمس، وقد سبق إليهم نذير فمالوا إلى الجبال بأموالهم وما خف معهم، وأتى الإمام عليه السلام على إثرهم قبيل الظهر، وتأخر لتفقد من ثقل من الرجالة، ومن أعيا من التعب، وأردف الفقيه علي بن أحمد الأكوع - وكان صائماً -، وحط في القرية التي هي موضع أهل الفساد، فأخرجت مدافن من القرية فيها حب كثير.

وأمر إلى أهل جبل سجدا يدعوهم إلى الطاعة، وتسليم ما يجب عليهم، فوصلوا وقاطعوا بخمسة آلاف دينار، وأقبل سائر أهل البلاد بالسمع والطاعة، وقاطع كل في جهته على قدر محتملها.

وأقبلت العساكر من عذر وبلاد الأهنوم بعد استقرار المحطة، وفي عرض ذلك الغزوات إلى كل جهة من المخالفين وأهل الفساد.

---

[١] المطرح: اسم لموضع بالقرب من الخموس في الأهنوم.

[٢] أثافت: بضم الهمزة: بلدة بالقرب من دماج شرقي خمر.

[غارتان على المقرانة وبوسان]

وأغارت جريدة من الخيل فيها الأمير أسد الدين الحسن بن حمزة بن سليمان إلى بلد يقال لها المقرانة في شق بلد بني شاور فتغنموا ما فيه، وانقلبوا على أثرهم بعد بلاء شديد وقتال عظيم.

وقصدت جماعة من الشرفاء، منهم الأمير محمد بن إبراهيم، والأمير علي بن محمد بن يعقوب القاسميان وغيرهم فيهم ثمانية أفراس، فتوجهوا إلى جبل بوسان[١]، فوصلوا قبل طلوع الفجر فأحربهم أهل المكان فانهزموا عن المال، فأحاطوا عليه فأخذوه، ورأى أهله قلتهم فرغبوا فيهم وصاح صائحهم، واجتمع قوم كثير إلى خمسمائة، ولزموا مضايق الطريق -وهي طريق بين جبلين في واد طويل- فما زال القتال عليهم في الوادي حتى انتهوا إلى أسفله بغنائمهم سالمين، بعد مشقة شديدة لحقتهم.

وجاءت المكاتبات من كل جهة المغرب إلى الإمام عليه السلام كل يستدعيه إلى جهته، من حجة والشرف وحجور وغيرها.

ووصل المشائخ العمال بنو عيسى، من حكم[٢] من تهامة، يطلبون القود ولم يكن في الحال أهبة لتهامة فبايعوا على الطاعة.

ولما طالت الإقامة في المطرح وأصاب الناس مرض نهض بهم عليه السلام **لثلاث وعشرين خلت من رمضان** إلى حوث، فأقام فيه مدة.

---

[١] بوسان: قرية من بلاد أرحب.

[٢] حكم: ناحية واسعة من نواحي تهامة، تحتوي على بلدان وقرى وأودية.

وأمر إلى صنوه الأمير صارم الدين إبراهيم بن حمزة إلى الجوف بأن يصل في الخيل التي هناك، فوصل في قدر أربعين فارساً، وأتى الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة في عسكر، والأمير صفي الدين محمد بن إبراهيم في عسكر أيضاً.

[وصول شهاب إلى بيت الجالد وانهزامه]

وكان الإمام عليه السلام يريد غزاة نجران فجاء الخبر بأن شهاباً الجزري قد صار في بيت الجالد في خمسمائة فارس، ومعه السلطان بشر بن حاتم يريدون جهة الظاهر، فنهض عليه السلام بمن اجتمع من العسكر في الحال إلى أثافت.

ولما علم أهل الجوف بشهاب وقربه لم يقدروا على الإقدام إلى أثافت وراحوا على وجه الهزيمة.

وأمر الإمام عليه السلام الأمير صفي الدين محمد بن إبراهيم في بعض العسكر، ونهض على إثره السلطان هلدري بن أحمد فحطوا في جبل ضحيان[1] في مقابلة شهاب، فأمسوا ليلتهم وأوقدوا النيران في الجبال، فاضطربت أحوال شهاب وعسكره وأرجف عليهم المرجفون فرجعوا إلى صنعاء.

وبقي الإمام عليه السلام بأثافت شهوراً متوالية، والغز في البون في القوة، ومادتهم قريبة من صنعاء وشبام وأعمالها.

قال مصنف سيرته عليه السلام: وسمعته يقول بعد التقدم من أثافت: (ما علمت أني نزعت ثيابي من جسدي في ليل مدة الإقامة بأثافت، خوفاً من مفاجأة العدو وأنا على غير أهبة، وما زال سيفي ضجيعي ودرعي وسادي).

---

[1] ضحيان: قرية من حاشد من بلد الكلبيين على مقربة من ريدة.

[حصار بيت مساك]

ووصل في هذه المدة رجل من جهة الغز يحسن صنعة المنجنيقات، فأمره الإمام عليه السلام بعمل منجنيق، فعمل منجنيقاً محكماً، وكان حصن بيت مساك كثير المضرة، يأوي إليه العدو، ويقومون صاحبه بشر بن علي الذعفاني بالمال والمعونة رغبة في إفساد البلاد على الإمام، فتأهب للخروج إليه وأمر بحمل المنجنيق على الجمال واجتمع عسكر كبير، ثم وقع الخطاب على خروج بشر بن علي صاحب الحصن فجدد البيعة والأيمان، ورهن رهينتين في الطاعة والامتثال، وقبل الإمام -عليه السلام- ذلك من أهل الحصن.

غزوة نجران الأولى

قصة غزاة نجران الأولى وما يتلوها من فتح الجنات وغزاة سراقة[١] وفتح حجة ونحو ذلك

كانت غزاة نجران لثماني عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة خمس وتسعين من أثافت، والمقدم فيها الأميران صفي الدين محمد بن إبراهيم، وأسد الدين الحسن بن حمزة، فأمسوا بخيوان، وسبق النذير إلى حلة الصعيب الذهلي اليامي بجانب نهوقة[٢] من نجران، فانهزموا شر هزيمة إلى شق الغائط بأموالهم، ووصل العسكر وقد فاتوهم، فتتبعوا آثارهم، وأخربوا آبارهم، وأقبل أهل الوادي سامعين مطيعين.

وكان أهل كوكبان قد هموا بالحرب والامتناع، فقتل منهم رجلان بالنشاب، ثم أذعنوا للطاعة بعد ذلك واستغاثوا بالإمام فرفع عنهم القتل.

ثم نهض العسكر إلى صعدة ووصل السلطان علي بن هديان إلى أثافت يطلب العود إلى الجوف، والنصرة على أصحابه، وعمه عزان بن فليتة، في رد الماء، وإصلاح المزارع، فثبطه الإمام أياماً، وأتى الخبر أن عزان بن فليتة أخذ درب سدال، واستولى على ما فيه في حال مغيب علي بن هديان وكونه عند الإمام.

فنهض عليه السلام في لقاء العساكر إلى صعدة متوجهاً إلى الجوف بهم، وقد كاتب الأميرين الكبيرين يحيى ومحمد ابني أحمد بن يحيى بن يحيى في قود

(١) سراقة: من بلاد مراد أسفل الجوف.

(٢) نهوقة: جبل مشهور، في الجنوب من نجران.

العساكر، وأقام بصعدة أربعة وعشرين يوماً والقبائل تفد إليه من كل جهة، ثم نهض بهم إلى هجرة دار معين] (١).

.... [بقي هنا نقص لم نعثر على ما يكمله].

[رجوع إلى السيرة]

من جنب جميل بن غانم، وفروة بن عيسى بن عثمان، وعلي بن مقبل، وعيسى بن بسام، وانهزم باقي العسكر، وخشي العدو الكمين فوقفوا مكانهم - ولو لحقوا لنالوا-، فخذلهم الله تعالى، وعقر فرس لشيريارك من الجند، ومن خيل سبأ فرس أصيبت بسهم نشاب، وطعنة لم يَدَّعِها أحد، إلا أن الأمير صفي الدين وجد في سنان رمحه دماً فغلب الظن أنها منه، ولم يكن في تلك الخيل المغيرة من معه نشاب سوى رجل من الجند، اسمه فارس بن شوذكين معه تسع نشابات أصاب منها بسبع وأخطأ باثنتين، وراح العسكر سالماً لم يجرح منه أحد مع استظهار العدو عليهم، وهم يتلاومون على تفرقهم وتفريطهم في أخذ السلاح، وطالت الإقامة في انتظار العسكر من جملة الشام شهراً وثمانية أيام.

---

(١) إلى هنا انتهى المنقول من الآلئ المضيئة للشرفي، لتتميم بعض النقص الحاصل في السيرة، ولا زال هناك نقص ولكن لم أتمكن من تتميمه مما لدي من المراجع، لأن صاحب اللآلئ المضيئة وصاحب التحفة العنبرية اختصرا من هنا إلى ما بعد أحداث صعدة.

[إصلاح شؤون مأرب وبيحان والجوف وتعيين الولاة]

وفي خلال ذلك الغوايرُ على أهل مأرب مستمرة، والجو شديد حتى يبرد لمواشيهم العلف، فيُجزّ لها رِقُّهُ لترعاه، وربما ركب الإمام في يوم بين أيام في الجند، ودنى منهم وتعرض لحربهم ولا يفعلون.

وبلغت المشقة منتهاها، والضرة أقصاها، ورهن الإمام عليه السلام الدروع التي لمماليكه مع ما حصل من المادة من الجوف مما حصل من الزرع ومن حريب.

ووصله مال من عند الشيخ عز الدين عزان بن سعد أكثره فضة، فأمر ببيعها، وزاد في سعرها قدر الربع لعدم المشتري، ليسد به حالة العسكر لما قد لحقهم من المشقة، ولقد كان منهم من يقف الليلة والليلتين والثلاث على الشيء اليسير من النفقة، ويبيع الواحد أحد فردتي ثوبه وأحد نعليه ليسد به فاقته.

ووصل في عرض تلك الإقامة محمد بن ناصر، وعبد العزيز وميسرة بن أبي عجلت من بيحان، وهم بنو عم سلطانها محمد بن مؤمل المكرماني يعرضون منه ومنهم الطاعة والدخول تحت أمر الإمام عليه السلام، فآنسهم وقربهم، ووجدوا عنده من لين الجانب واللطف ما لم يكن في أنفسهم؛ لأن أهل مأرب باعدوهم، ومنعوا سلطانهم من الخروج إلى الإمام عليه السلام في المحطة ببيحان، وسألوا منشوراً، فأمر بكتبه لهم: على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقطع الفساد، ورفع الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وتسليم الحقوق الواجبة، وإقامة الجمعة، والأذان بحي على خير العمل، ومباينة سبأ، وقطعهم من بلادهم ما داموا حرباً للإمام، فسمعوا وأطاعوا.

وأمر معهم الشريف الحسن بن سليمان السراجي لأخذ البيعة عليهم وقبض الحقوق الواجبة، فتقدم الشريف إليهم فوفوا بما أمرهم به، وأقيمت الجمعة، فأذن المؤذنون في المساجد بحي على خير العمل، وقبض أخماس الملح، وزكاة أموال التجارة، وجزية أهل الكتاب، واستقاموا على الطاعة، وما نجم منهم بعد ذلك خلاف في أمر.

وطالت الإقامة ووصل كتاب الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة يحقق فيه تقدمه إلى بلاد خولان، وفرقة وقعت بينهم، وتعسراً ممن يريد الفساد وهم آل نشوان، وذكر أنه لم ينتظم معه منهم إلا قدر مائة رجل ممن يخاف الله تعالى.

فنهض عليه السلام بعد أن رتب في الخرمة قدر أربعين فارساً من جنب للغارة على سبأ وقطع موادهم، وأمر لهم ولخيلهم بأحمال دقيق وحب لقيه في الطريق -أربعة عشر جملاً من طعام ودقيق-.

وكان وصوله إلى براقش يوم الثلاثاء لليلة بقيت من جمادى الأولى، وكان في الجوف زرع ثقيل، فوقف العسكر مدة شهر يحسكون الخيل البر من عُدْمِ الشعير، ويطلبونه مثلاً بمثل فلا يكادون يجدونه، وقرر لهم أخبازاً وأرزاقاً، -وكان راتبهم مدة إقامتهم كل ليلة ثمانين فرقاً من البر، خارجاً عن الطعام المخبوز، وخارجاً عما يتوجه للغير من المطالب-، وجعل ما يحصل من الظاهر من الواجبات إليهم، وتقدموا إلى هنالك.

وجعل الإمام عليه السلام الولاية في قبض الحقوق الواجبة إلى صنوه أسد الدين الحسن بن حمزة بن سليمان وتسليم ذلك إلى الجند من تحت يده؛ لئلا يكون لهم إلى الرعية مطالبة، وأقام بعدهم ببراقش مدة قريبة.

[*توبة الفقيه أبي القاسم بن شبيب*]

وأتى الفقيه الفاضل العالم أبو القاسم بن حسين بن شبيب السليماني تائباً معتذراً عن مطاعن في مسائله التي أجاب عنها الإمام عليها، وسماها (**الناصحة المشيرة بترك الاعتراض على السيرة**)[1]، وأنشد قصيدة منها:

يا إمام الهدى إليك اعتذاري	**وإلى الله توبتي من ذنوبي**
أنا عبد لآل أحمد رق	**صادق الود فيه غير الكذوب**
أنا سيف الإمام بين يديه	**يوم حز الحلوق غير الهيوب**
يا بني حمزة موالي إني	**لكم اليوم كالأسير الغريب**
إن يكن نالكم من القول خدش	**لم أكن فيه بالحليم المصيب**
فأنا اليوم قارع السن راجٍ	**منكم العفو يا نقيي الجيوب**
وأنا السيف والمثقف والد	**رع لكم عند نائبات الخطوب**
لا تناسوا ما كان من سابقاتي	**واجتهادي في نصركم أسلوبي**
وإذا ما الفتى أساء الدهر يومًا	**كفرته عنه حسان الضروب**

---

[1] الناصحة المشيرة جواب عن المطاعن التي أوردها الفقيه أبو القاسم بن الحسين التهامي التي أسماها (الزهر المنيرة في تصفح السيرة)، وأجاب عنها الإمام عليه السلام في يوم واحد، وهو مستهل شهر رمضان المعظم من سنة ست وتسعين وخمسمائة، مع ترادف الأثقال، وكثرة الأشغال.

فقبل عذره وتوبته، ورفع منزلته، وركبه بعد ذلك حصاناً جواداً وأقام بين يديه مدة حتى سَفَّرَه إلى الحجاز إلى الأمير قتادة بن إدريس، وسيأتي ذكر الكتب التي صدرها عليه السلام صحبته في موضعه إن شاء الله.

[قصيدة الإمام في قضية مأرب وبيحان]

وأنشأ عليه السلام هذا الشعر في قصة مأرب وبيحان مستهل رجب سنة سبع وتسعين وخمسمائة:

اســــتِنَاناً بِسُــــنَّةِ المُختَـــارِ ... واصــطِبَاراً عَلَــى الأُمُــورِ الكِبَــارِ

وَجِيَـــاداً تَطِيـــرُ لِلشَّـــرقِ والغَـــر ... بِ مَطِيـــرْ العُقبَـــانِ لِلأوكَـــارِ

قُوِّضَــت مِــن بَــرَاقِشٍ ضَحوَةَ اليَــو ... مِ وَجَــاءَت بَيْحَــانَ وَجــهَ النَّهَــارِ

فَلقَتهـــا فِتيَـــانُ آلِ نُعَـــيْم ... فِـــي جُمُــوحٍ وَجحفَــلٍ جَــرّارِ[1]

لــم يكــن غيــر طرفــةِ العين حتــى ... أوَرَدتهــم سُــمرُ القنــا الخطــارِ

فعَرَضــنا بــين الفــريقين طَرْفَــاً ... لـــم يُسَـــوِّمْهُ رَبُّـــه للقِفَـــارِ[2]

حَسْـــبُه بعـــد أن أطَـــلَّ عَلـــيهم ... رائــدُ المــوت مِــن غُــرورِ الشِّــفَارِ

فوهبنـــا لهـــم مـــن المـــال جـــزءاً ... وفَرَقنـــا باقِيـــهِ فِـــي الأنصـــارِ

ثــم ماجــت جُــردُ السّــوابح فِــي بيــ ... ــحَان مــوج الغطــامط التيــارِ[3]

---

[1] آل نعيم: من قبائل المصعبيين، ديارهم في منطقة العليا من مديرية بيحان وأعمال شبوة، ويقال إن أصلهم من كندة. والرجل الجموح: الذي يركب هواه فلا يمكن رده.

[2] الطِّرْف: الكريم من الخيل.

[3] بحر غطامط بالضم، وغَطَوْمَط وغطميط: عظيم الأمواج كثير الماء، والمصدر الغطمطة والغِطماط بالكسر.

وحصدنا قبل الحصاد زروعَ الـ ... قوم بعد الإعذارِ والإنذارِ

وصَمَدْنَاهُمُ إلى حصنِ بيحَا ... نَ بعزمٍ يُحيي لَهيبَ النَّارِ

فذممت الميمون والطِّرفُ ضِيقٌ ... حيث لَمْ يصطبر بقَدْر اصطبارِ

مَا جزاني بصحبتي ووِدادي ... وثنائي عليه فِي المضمارِ

لو رعى صُحبتي لمَا ردّ رأساً ... مِن مواضي السَّهام والأحجارِ

وعصرناهم على الباب والحا ... صِبُ مِنهم كالوابلِ المدرارِ[1]

وقعَةٌ عَرّفتهم كيف كرُّ الـ ... خيل فِي المأقِطِ الكثير العِثارِ[2]

وكفى ذو الكفَايَتين وهل تُحْـ ... جَبُ شمس الضُّحى عَن الأبصَارِ[3]

وحُمَاةٌ مِن هاشمٍ شايعته ... بوُجُوه كدارة الأقْمَارِ

وعطفنا لمأرِب وبها حِمْـ ... يَرُ أَهلُ الجُنُودِ والآثارِ

فَأبحنا حمِاهُمُ بالمواضِي ... والمذاكي والعاسِلاَتِ الحِرَارِ[4]

وَرَعينا الشَّعيرَ وَهْيَ عليهم ... زعموا فوقَ كُلِّ خَطبٍ طَارِي[5]

وحصَرنَاهُمُ ثَلاَثِينَ يوَماً ... ثُمّ أتْبَعْتُها بعشرِ السَّرارِ[6]

وأطاعت فِي مدّة الحصرِ مِن بيـ ... ـحانَ أملاكُ كِنْدَةَ الأخيَارِ

---

[1] الحاصب: ريح تحمل التراب.

[2] المأقِط كمنزل: موضع القتال، أو المضيق في الحرب، والعثار: الهلكة، أو الشر.

[3] ذو الكفايتين هو محمد بن إبراهيم الحمزي أحد قواد الجيوش المنصورية.

[4] المذاكي من الخيل: التي أتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان، والعاسلات المراد هنا الرماح، والحرار: المراد ما يحصل من حرارة ألم حد الرمح، وقد يراد به الفرس أو الناقة السريعة إذ هي من معانيها.

[5] في الديوان الزروع بدل الشعير.

[6] السرار بالفتح: مستهل الشهر أو آخره أو وسطه.

مـن بنـي مَكْرَمَـانَ أهـلِ المعَـالي ووُلاةِ الإيـرادِ والإصْـدارِ[١]

صَـدَعُوا بـالأذَان والخطبـةِ الغَـرْا لأبنـا مُحمّـدِ الأطهَـارِ

فغـدا ديـنُ أحمـدٍ وبنيـهِ ظـاهراً كالنّهـارِ ذي الأنـوَارِ[٢]

أيُّهـا الراكبـان قـولا لِقَحْطـا نَ علـى نأيهـا ولابنـي نـزَارِ

مَـا اعتـذار السَّادات منكم إذا طو لِـب أهـل الأقـدار بالأعـذارِ

فـي إمَـامٍ لكـم نفـى العـار عـنكم وحَمـاكُم بالصَّـارِم البَتّـارِ

حَسَـنِيٍّ نَمَـى إلـى حَسَـنٍ فَـرْ عَيْـه أكـرم بِنَجـره مِـن نجـارِ[٣]

طَالـبٌ للأوتـار لَـمْ يُلْهِـهِ صـو تُ الملاهـي ورَنَّـةُ الأوْتَـارِ[٤]

حَامِـلٌ طَرفَـه علـى كبّـة الخَيـ ـل إذا قيـل أيـن حَـامي الـذّمارِ[٥]

قـد دعـاكم إلـى الهـدى فَـأجيبوا كَـدُعا جَـدِّه بَنِـي النّجـارِ

كُـلَّ مَـنْ كـان خـاذلاً لإمَـامِ الـ ـحَقّ أمْسَـى علـى شَـفيرٍ هَـارِ

---

[١] آل مكرمان: هم رؤساء مراد بيحان، ينحدرون من نسب الأشرس بن كندة، ولهم شرف وسؤدد ومقام في مذحج، وكانوا ولاة لآل يعفر.

[٢] التنوين لأحمد لضرورة الشعر، وهو سائغ، وقد ورد في الشعر كثيراً.

[٣] الفرعين: يريد أن نسبه من قبل أبيه ومن قبل أمه ينتهيان إلى الحسن عليه السلام، والنجار: الأصل.

[٤] في البيت جناس تام في كلمة الأوتار، فالمراد بها في الشطر الأول الثأر، وفي الثاني: آلات الملاهي.

[٥] الكَبَّةُ، بالفتح ويُضَمُّ: الدَّفْعَةُ في القِتالِ والجَرْيِ، والحَمْلَةُ في الحَرْبِ، والزِّحامُ، وإفْلاتُ الخَيْلِ، والذِّمارُ، بالكسر: ما يَلْزَمُكَ حِفْظُه وحِمايَتُه.

[استنجاد أهل مذحج بالإمام على أهل سبأ]

ووصل بريد من مذحج بمأرب بكتاب يحكون وقعة بينهم وبين سبأ وحرب شديد، وأنهم عدلوا عنهم السيل ومنعوهم من سقي وطنهم، وسألوا الإمام النصرة والغارة إليهم، وفي صدر كتابهم أبيات، وهي:

إليك أميرَ المؤمنين ابنَ حمزة ... شكيةُ ملهوف باسمك يهتِفُ

دعاك وبيض الهند تحكم في الطِّلى ... وجرد المذاكي بالمساعير تقذِفُ

وما للهدى والمسلمين ذخيرة ... سواك فهل عنهم لظى الحر تَكشِفُ

دعت حميرُ الحمرا الأعاريبَ حولها ... فصبحها جيش عن العدِّ يَكْثُفُ

فدارت رحى الحرب العوان بمذحج ... وليس سواك اليوم للقوم يُنْصِفُ

دعت نسوةٌ شمُّ العرانين سيدًا ... رجته وما وجه الرجا فيه يُخلِفُ

فَثُرْ ثَورَةٌ محمودةٌ حسنيةً ... تكاد لها من خوفها الأرض ترجُفُ

عليها ولاةُ المجدِ من آل حيدَرٍ ... ليوثٌ إلى الهيجاءِ بالبيض تُدلِفُ

كما فعل المختارُ يوم دَعَتْ بهِ ... خزاعةُ لما غالها فيه مُسْرِفُ

وقد علمت قحطانُ والحي خندفٌ ... بأنك مولاها وما عنك مَصْرِفُ

فيا ابن نبي الله عَجِّلْ بنُصرةٍ ... فنصرك مرجو وبحرُك يَغرِفُ

فأجابهم عليه السلام يأمرهم بالصبر ويعلمهم أنه غير متأخر عن قود العساكر المنصورة، والجنود الموفورة، وأنه ما صدر من سبأ وله هَمٌّ أعظم من الرجوع إليهم.

[كتاب الإمام إلى سبأ]

وكتب إلى سبأ هذا الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم

سلام عليكم سنة لا رضى، فإنا نحمد إليكم الله تعالى.

أما بعد:

فإن أشقى الأشقياء من شقي بعد الرشد، وأضل الضُّلال من ضل بعد الهدى، وإنكم لا تدرون أي عَقَبَةٍ تَتَسنَّمون، وأي دين تكرهون، {**فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**} [فصلت/١٧]، وإني {**نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ**} [سبأ/٤٦]، {**فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ * وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ**} [الذاريات/٥٠،٥١]، وإنا إذا جهدنا كل جهدنا أخرجناكم منها أذلة وأنتم صاغرون، وإني أقول لكم ما قال عمي سليمان عليه السلام: {**أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ**} [النمل/٣١]، وإن الإسلام لا يتم إلا بطاعة عترة خاتم المرسلين، وإني كتبت هذا الكتاب أريد استبقاءكم لبلادكم وسلامتكم لأوطانكم، وأن تجعلوا الطاعة لله ولنا ستراً حاجزاً بيننا وبينكم، فإن من عَرَّض صفحته للحق هلك، ولا تطمعوا عند استحضار جهدنا، وحشدنا لكافة جند الله وجندنا، أن التوبة تقبل منكم إلا بأمور يجوز لنا فعلها، عرفناها وجهلتموها، فتقولون عندها: {**رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ**} [ص/٦١]، {**رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ**

أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ}[فصلت/٢٩]، ولقد أبلغ في الإعذار، من تقدم بالإنذار، وأنا أنتظر إتيانكم كما وعدتم، أو إتيان كتابكم بالمعصية، فنُهَتِّم شأنكم، مستعينين بالله عليكم، وأنا قد عقدنا لمذحج بزراعتهم، أو صلب زراعتكم معهم، والآن قد زرعتم وأمنتم، وأنتم قوم لا تخافون إلا ما شاهدتم، وعند المشاهدة {**لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا**}[الأنعام/١٥٨]، فاقبلوا العافية معروضة مقبلة عليكم، ولا تطلبوها مدبرة ممنوعة عنكم، لا تعرضوا لنكال الدنيا والآخرة، فإن {**اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ**}[الرعد/١١]، وإن البغي بمعصية إمام الحق يُحل سفك الدم، واستباحة المال، وهدم الديار، على مذهبنا ومذهب آبائنا أهل البيت عليهم السلام، وإنا معكم ومع غيركم كما قال الشاعر:

مطل على أعدائه يزجرونه ... لساحتهم زجر المنيحِ المُشَهرِ
وإن يعدوا لا يأمنون اقترابه ... تشوف أهل الغائب المتنظَّرِ
فيوماً على نجد وغارات أهلها ... ويوماً بأرض ذات شَبٍّ وعَرعَرِ

وإنكم باستصغاركم لأمرنا ،كما قلنا لمن سلك مثل سبيلكم:

وصــغرتم أمــرًا كبيــرًا تزلزلــت … لــه عــدن مرعوبــة وزبيــدُ
ودونهمـا ملـك عظـيم حجابـه … ومـال عـريض واسـع وجنـودُ
فإن لـم أقـدها لاحقات بطونها … حـذاها حديـد والرجـال حديـدُ
إلى أن تبل العير ثوب جلودها … وتبتــل منهــا بــالحميم لبــودُ
فلا ذعرت خيلي السوام مغيرة … مع الصبح شعثا واللئام هجودُ

[قصيدة القاضي عمرو بن علي العنسي]

ومما قيل من الأشعار من قصيدة للقاضي زكي الدين عمرو بن علي العنسي وقد طالت إقامته ببراقش:

لاح بــرقٌ بــالغور لــيلاً فــأغرى … بي همومي وبَتَّ حبلَ اصطباري

إدعاء السلطان إسماعيل للخلافة وهزيمة الشيخ عزان له ومدح الإمام لهم بقصيدة ومكاتبة الإمام أشراف ينبع شعراً ونثراً وكتاب الإمام إلى أهل صعدة وإلى الأمير هلدري

قصة إسماعيل وادعائه الخلافة والإمامة

ولما راح إلى زبيد بعد قتل أهل الخوبة بشام تهامة سولت له نفسه ذلك وأعانه عليه قوم آخرون – فقد جاءوا ظلماً وزوراً – من أتباعه وأشياعه، فاحتجب حجبة عظيمة، وسلطن عبده الخصي المسمى بشرف الدين، وانتسب إلى بني أمية، وأمر بإظهار ذلك، ودعا الناس إلى البيعة، واستعمل لنفسه ألقاباً كثيرة، قال:

إمام الأئمة، كاشف الغمة، عالي الهمة، المفترض الطاعة على كافة الأمة، المستخرج من السلالة الطاهرة النبوية، وفرع الشجرة الإمامية الأموية، المعز الناصر، العزيز القاهر، الرحيم الفاخر، الحكيم الذاكر، سيد الموحدين، الحاكم بكتاب الله وسنن رسول الله، الهادي إلى الحق بأمر الله، أمير المؤمنين، أبو الفداء، إسماعيل بن طغتكين بن أيوب بن سادي بن مروان الأموي، خليفة رب العالمين، صلوات الله عليه وبركاته.

وإنما ذكرنا ذلك ليعجب منه العاجبون، ويضحك منه الناظرون، وكتبت دعوته في قدر خمسين ورقة سلطانية تتضمن نسبته إلى بني أمية، وتعظيم أمرهم وإظهار مثالب بني العباس وحلفائهم، بالكلام الشنيع وسب النساء بالرفث من القول، ووجه الكتب إلى الجهات يدعو الناس إلى طاعته، وأتى كتاب إلى الإمام عليه السلام من ولاية ينبع يعجبونه من كتاب وصل من إسماعيل إلى الأمير أبي عزيز قتادة بن إدريس، قالوا في كتابهم ورد إليه كتاب من سيف الإسلام متضمن كونه من بني أمية وأن الإمامة فيهم، وقد بويع في حضرموت وزيلع والحبشة والشحر وعمان وهرموز وبلاد الهند، ويطلب منه البيعة، هذه ألفاظ كتابهم.

فلم يستحي الله في ادعاء ما ليس له بأهل، ولا من الناس في إجابة دعوته من هذه البلاد التي ذكرها ولا أصل لذلك، وجاءت الأخبار بذلك من كل جهة، ولم يكد أحد يصدق بها ولا كان مثل هذا الأمر يخطر لعاقل ببال، ثم قطع أخبار أجناده وأقطعهم البلاد.

[تصدي الشيخ عزان لجند إسماعيل وهزيمتهم]

وأجمع رأيهم على المناصرة وعلى أن يمد بعضهم بعضاً، ويبدؤوا بأقوى البلاد شوكة، فأجمعوا على قصد بلاد مذحج وجهة الشيخ عز الدين عزان بن سعد، وكان قد صالحهم بقطعة على بلاده عن رأي الإمام عليه السلام ورسمه، وجمعوا العساكر الكثيرة والجنود من كل جهة، وكان المقدمون منهم النعش وابن سوار والحسام ومحمود الحيدان، فنهضوا حتى حطوا في شق بلاد المذكور.

فجمع عسكراً من بلاده إلى أربعة آلاف راجل ومائة فارس، مقدمها الشيخ ظهير الدين مفضل بن منصور بن أبي رزاح، وهو كبير البلاد ورئيسها، وكان الأمير علي بن حنظلة قد تقدم إليه من جبل كنن في الخيل التي صدر فيها من عند الإمام، وهي عشرون فارساً، فقصدوا الغز إلى محطتهم.

فلما دنوا وتأهبوا للحرب قال لهم: (إنكم بحمد الله تجاهدون بين يدي إمام عادل، وإن لم يكن ينظركم فإن الله ينظركم، فاصبروا وأخلصوا لله النية، فمن قتل منكم فالجنة، ومن قَتَل فثوابه عند الله عظيم).

وتقدم وأولاده وخواصه في صدر العسكر وهم على إثره معلنين بالتهليل والتكبير، وأقبلت الغز نحوهم واختلط الفريقان، وأشرعت الرماح، وجردت

السيوف، وأعطى الله النصر على أعدائه البغاة، فقتل منهم في تلك الوقعة خمسون فارساً وانهزم الباقون من المحطة أشر هزيمة والسيف فيهم، وتغنم العسكر المنصور المحطة بما فيها، ووصلت الكتب بالأخبار مفصلة إلى الإمام عليه السلام، لأربع عشرة ليلة خلت من شهر رجب المعظم، من شهور سنة سبع وتسعين، فالذي حكوا أنهم أخذوا من الخيل قلايع، ومن مرابطها مائة وعشرين فرساً، ومن الإبل خمسمائة، ومن البغال مائتين، ومن الآلات والدروع والبيض والذهب والفضة ما لم ينحصر عدده، ومائة خيمة كانت في محطتهم، وكان فتحاً عظيماً.

فلما حازوا الغنائم أمر الشيخ عز الدين عزان بن سعد في العسكر بمنادٍ بتسليم الأخماس فسلمت إليه على أوفاها، وأمر بحفظها حتى ورد أمر الإمام عليه السلام.

[قصيدة الإمام يشكر عزان وقومه ويثني عليهم]

وأنشأ هذا الشعر وما أمر به من الجواب يثني عليهم ويشكرهم على ما كان من النصر على أيديهم:

كمَا جَاءَنَا عَنكُم تكُونُ الوَقَائِعُ ... ويَطمعُ فِي العلياءِ مَنْ هُو طَامِعُ

وبِالكَرِّ دون الفَرِّ يُلْتَمَسُ العُلَى ... وتَزدَادُ طُولاً بالنِدَاءِ الصَّوَامِعُ

أَتَانِي ورحلِي فِي بـرَاقِشَ وَقعَةٌ ... يَشيبُ لَهَا فِي الظَّالِمِينَ الرَّوَاضِعُ

لِمذحِجَ حَيَّا اللهُ أحيَاءَ مذحِجٍ ... سَقَت أرضَهَا وَطَفُ الغَمَامِ الهَوَامِعُ[1]

أَجَابُوا نداءَ الحقِّ واقتبسُوا الهُدَى ... فنُورُهُمْ بينَ البَرِيَّةِ سَاطِعُ

سيوفٌ لأهلِ البيتِ بيضٌ قَوَاطِعٌ ... تُقَصِّرُ عنهنَّ السُّيُوفُ القَوَاطِعُ

---

[1] الوطف: إنهمار المطر.

فللـه عينـا مَـن رأتهـم وخيـلَهُمْ تَكِـرُّ وفيهن الرمـاحُ شَـوَارِعُ
أتـتهم جنـودُ الغُـزِّ تـرى كأنَّهـا الـ ـجبالُ علـيهنَّ البُـرُوقُ اللوامِـعُ
فكانت لهم عاداتُ صدقٍ لدى الوغَى فحـابَتْهُم أعضـادُهم والأصـابعُ
أبـوا أن يَفِـرُّوا والفـرارُ مُعَـرَّضٌ ورامـوهُ لَمَّـا أحرزتـهُ المَوَانِـعُ
بِأيـدِي رِجَـالٍ نَاصَـحُوا لإمَـامِهِمْ وَرَامُـوا مَنَـالَ الخَيـرِ وَالخيرُ وَاسِـعُ
رَأَوا أنَّ جَنَّـاتِ الخُلُـودِ أَمَـامَهُم وفِيهَـا حِيـاضُ السَلسَـبِيلِ تَـوَارِعُ[1]
وصـوتُ أجيجِ النَّارِ خَلفَ ظُهُـورِهِم تُسَـكُّ لَهَـا مـن سـامِعِيهِ المَسَـامِعُ
فَلَـم تَـرَ إلَا خَارِجيَّـاً مُجَـدَّلاً يَخِـرُّ سـجوداً وَ السُّـرَيحِيُّ رَاكِـعُ
وإلَّا أَمِيـرَاً تَمتَـرِي الطَّيـرُ نَفسَـهُ وتَنتَابُـهُ عُـرجُ السِّبَاعِ الخَوَامِـعُ[2]
وآخَـرُ قـد سَـافَ التُّـرَابَ مُقَـبِّلاً لَـهُ وعُقَـابُ المَـوتِ بـالموتِ وَاقِـعُ[3]
ومـن قَائِـلٍ عبـدُ الإمَـامِ وقَبلَهَـا تَعَبَّـدَ للطـاغُوتِ وهـو مُـدَافِعُ
وأخلَـصَ لَمَّـا عَـايَنَ المـوتَ جَهـرَةً وفِـي السَّـيفِ بُرهَـانٌ مَـع الحَقِّ قَـاطِعُ
فَمُوتُـوا وعِيشُـوا بَعـدَهَا إنَّ ذِكرَهـا بِكُـلِّ أَقَـالِيمِ البَسِـيطَةِ شَـايعُ
لِيَهْـنِكُمُ أنَّ النَّبِـيَّ مُحَمَّـدَاً لكُـم شَـافِعٌ إن رُدَّ مـن هـو شَـافِعُ
فيَـا رَاكِبَـاً إمَـا عَرَضـتَ فَـبَلِّغَنْ سَلَامَاً كَزهرِ الرَّوضِ والرَّوضُ نَاصِعُ[4]
إلَـى مَعشَـرٍ أمَّـا مَقَـامُ نَـدِيهِمْ فَرَمْـلٌ وأمَّـا بأسُـهُم فمَتَـالِعُ[5]

---

[1] التوارع: المليئة، وفي الديوان (تُوَادِعُ) والتوادع: الخفض والسكون والراحة والسعة في العيش.

[2] تمتري: أي تقطع. والخوامع الضباع اسم لَهَا لازم، لانها تخمع خموعاً وخمعانا وخموعاً، وهو العرج.

[3] السوف: الشمَّ، وساف التراب: أي صرع وألقي على وجهه.

[4] الناصع: الخالص من كل شيء، ونصع لونه: إذا اشتد بياضه.

[5] الرمل: الأرض المستوية، والتلعة: القطعات المرتفعة من الأرض، والمعنى: أن مجالسهم يسهل الوصول إليها لكرمهم وجودهم، وأما بأسهم فشديد لا يصل إليه العدو لارتفاعه.

تَجلَّـى ظَهِيـرُ الـدِّينِ فِيهَـا وقومُـهُ ... وَمَـولَى لَهُـم مَحـضُ النَّجَـارِ وتَـابعُ[1]

وسـعدُ بـنُ عِـزَّانٍ وعـزَّانُ نَجلُـهُ ... وهـل للـذِي يُعطِـي المهـيمِنُ دَافِـعُ

وعِـزَّانُ ذَاكَ الألمَعِـيُّ ابـنُ عَـامِرٍ ... يُـدَافِعُ إن كَـاعَ الكَمِـيُّ المُـدَافِعُ

وعِمـرَانُ فِـي آلِ الغِيَـاثِ وقَـومُهُمْ ... ونَجـلُ سَـعِيدٍ والمَـدَيحُ ودَايِـعُ

وآلُ جُمَيـعٍ بَعـدَ زَيـدِ بـنِ سَـالِمٍ ... وجَبـرُ بـنُ جَبـرٍ والثَّنَـا لَـكَ نـافِعُ

أَبُـو شـعَرٍ فِـي آلِ حَجَّـاجَ لَـمْ يـرُم ... وحَـرُّ نِيـارِ الحـربِ للوجـهِ سَـافِعُ

وفِـي عُمَـرٍ نَجـلُ القَـرِينِ مُصَـمِّمٌ ... عَلَـى الهَـولِ لَـمْ يَردَعْـهُ عَـن ذَاكَ رَادِعُ

قَبَائِـل قَامَـت بِـالفَرَائِضِ كُلِّهَـا ... عَلَيهَـا دُرُوعٌ للتقـى وخَيَاضِـعُ[2]

هُمَـامُهُمْ يَـومَ الكَرِيهَـةِ أَصـيدٌ ... وَفِـي السِّـلمِ عَبـدٌ خَاضِـعٌ مُتَوَاضِـعُ

أقَـامَ جَمَـالُ الـدِّينِ فِيهَـا وقَومُـهُ ... وشَمسُ الهدى طَعنَاً لَه الضَّربُ شَافِعُ

وَكَـم مِـن فَتَـىً فِـي الكُـردِ يَلقَـى غَرِيمَـهُ ... لَـدَى الـرَّوعِ صَـلتَاً حَاسِـرَاً وهـو دَارِعُ

وللشَّـنبَكِيِّ يَـومَ ذَلِـكَ مَوقِـفٌ ... لَـهُ قَـدمٌ فِـي شَـامِخِ المجـدِ فـارِعُ

وقُـلْ لِلكُمَـاةِ الشُّـمِّ مـن آلِ مـذحِج ... أقِيمُـوا عَمُـودَ الـدِّينِ فَالـدينُ ضَـايِعُ

فقَـد خَـفَّ مِيـزَانُ الضَّـلَالِ وأهلُـهُ ... فَـلَا يَـرتَعَنْ فِـي رَوضَـةِ الظُّلـمِ رَاتِـعُ

وصَـارَت وُلَاةُ الجَـورِ مِـنهُم كَـأَنَّهُمْ ... سَـحَابٌ هِـرَاقٌ مَـاؤُهُ وهـو رَاجِـعُ

فَـلَا عَـيشَ حَتَّـى تَركُضُـوهَا مُغِيـرَةً ... إلَـى عَـدَنٍ والنَّقـعُ فِـي الجَـوِّ سَاطِعُ

وتَهـوِي إلَـى الأجنَـادِ وهـي عَـوَابِسٌ ... عَلَيهَـا حُمَـاةُ الـرَّوعِ وهـي رَوَايِـعُ

إلَـى كَـمْ يَسُـومُونَ الهَـوَانَ كُمَـاتَكُمْ ... أأنـتُم لَهَـا دُونَ الأنـامِ قَطَـايِعُ

---

[1] ظهير الدين: هو الشيخ مفضل بن منصور بن أبي رزاح الحبيشي، كان من عيون أنصار الإمام، ولاه على القضاء في جهات مذحج، وقام بحروب ضد أعداء الإمام عليه السلام، وطهر بلاد مذحج من أهل الجبر، وله مواقف كريمة في نصرة الإمام عليه السلام.

[2] الخَيضعة: إختلاف الأصوات في الحرب، والغبار، والمعركة.

هَلُمُّوا إلَى دِينِ النَّبِي وأهلِهِ فَخَالِعُهُم لِربقَةِ الدِّينِ خَالِعُ

[كتب ولاة الإمام بينبع والصفراء تحقق الحوادث بين الأشراف]

وجاءت الكتب من مكة -حرسها الله تعالى- من ولاة الإمام عليه السلام بالصفراء وينبع يحققون فيها الحوادث التي جرت من الأميرين مكثر بن عيسى وولده محمد بمكة، وبين الأمير عزيز الدين قتادة بن إدريس، وأمروا بفرسين اشتريا من الحقوق الواجبة، وذهبَ صالح وحريز صحبة الشيخ سليمان بن غنيمة الزيدي فوصل بذلك إلى براقش، وحكوا في الكتب الواردة ما عليه أمراء الحجاز من اختلاف الآراء، وفساد الأهواء، واتصال الحروب والبعد عن طريق الصواب.

وذلك أن أميري الحرمين الشريفين مكثر بن عيسى وسالم بن قاسم بن مهنّأ، لما رأيا أن الأمير أبا عزيز قتادة بن إدريس أخذ يحسن الاعتماد في حفظ الطرقات، وقهر ذوي الفساد من نفاثة وغيرهم، وقد كانت تقدمت إليه مكاتبات من الإمام عليه السلام، وسأل وصول رجل من قِبَلِهِ يُعرف الناس ما يجب عليهم من معالم دينهم، ويقبض الحقوق الواجبة في البلاد، فلما رفع الفساد وقطع مواده، غضب عليه الأميران المذكوران ولم يتركا ممكناً في قطع جرثومته، وبذلا في الموسم الماضي لآل ربيعة الذخائر، وحشدا عليه العشائر، فكفاه الله شرهما.

وكان قد استنصره منصور بن داود على عمه مكثر بن عيسى فولاه مكة رجاء أن يكون فيه صلاح البلاد، فأقام بها شهرين وسلك غير طريق الصواب، فعزله وولى رجلاً من أصحابه فضَعُف عن ضبطها، فأتاه الأمير محمد بن مكثر من الطائف فلاذ بجنابه، وتمسك بأسبابه، فولاه الأمر وشرط عليه القيام بإصلاح المسلمين، وتطهيرها من أصناف الفساد، وتوجه معه إلى سالم بن

مهنى صاحب المدينة -على الحالِّ بها أفضل الصلاة والتسليم- لمكافأته بما فعل من نهب أمواله، وسفك دم رجاله، فأناخ تلقاء المدينة وأمر أصحابه أن لا يحاربوا، فخرج إليهم أهل المدينة للقتال، فبرز إليهم الميسرة من أصحاب الأمير أبي عزيز فهزموهم وأدخلوهم بابها قسراً، فلما كان من الغد لم يشعر حتى دخل عليه منصور ابن عم سالم بن مهنأ متشفعاً بمن معه من الأمراء وسادات الشرف، فأجاب سؤالهم وعفى عنهم مع القدرة عليهم، قالوا في كتابهم: وقد كانت خدمتهم صدرت إلى المقام النبوي -مجده الله وأسبغ على الكافة ظله، وأعلى طوله- صحبة حنظلة ولد عزيز الدين قتادة بن إدريس، فاسترده والده من دون مكة، ونيته الوصول إلى المولى فالله تعالى يسهل ذلك بمنه وكرمه، فإن مع وصوله إلى المولى يصل صحبته خلق كثير وتكثر شايعته، وذكروا في كتابهم ورود كتاب إسماعيل إلى قتادة وقد تقدم ذكره، وحكى الحاج الواصلون ظهور العدل بمكة -حرسها الله - وقطع الفساد وتطهيرها من المفسدين، وإظهار الطاعة من الأمير أبي عزيز للإمام مع خوف من خليفة بغداد وعسكر الشام.

وجاء كتاب من الشريف الفاضل نظام الدين يحيى بن علي من تهامة يحقق مثل هذه الأخبار، واستظهار الأمير قتادة في البلاد وإجابة الشرف له طوعاً وكرهاً، بعد قتل كثير من أهل مكة وخروج الأمير مكثر إلى نخلة منهزماً.

[قصيدة الإمام إلى الأشراف بالحجاز]

فأنشأ الإمام شعراً [إلى الأمير الكبير أبي عزيز قتادة بن إدريس وإلى بني الحسن] وأمر به في ضمن كتب صحبة الفقيه الفاضل أبي القاسم بن حسين بن شبيب، [في الموسم سنة سبع وتسعين وخمسمائة]، وهو:

دَعَا ذِكْرَ المَنَازِلِ فِي مُطَارِ ... أَصَابَتْهَا الغَوَادِي والسَّوارِي[1]

ولَا تَستَنبِحَا بِاللَّيلِ كَلْبَاً ... ولَا تَتَنَوَّرَا إِيْمَاضَ نَارِ

ونُصَّا العِيسَ سَامِيةَ الهَوَادِي ... تَبَارَى كَالنَّقَانِقِ فِي البَرَارِي[2]

إِلَى السَّادَاتِ مِن سَلَفَي عَلِيٍّ ... لُبَابِ اللُّبِّ مِن سَلَفَي نِزار

أنِيخَا بِالأَبَاطِحِ وانزِلَاهَا ... وَقُولا لا سَبِيلَ إِلَى السَّرَارِ[3]

بَنِي حَسَنٍ نِدَاءٌ مِن إِمَامٍ ... يُنَادِيكُمْ عَلَى نَأيِ المَزَارِ

إِمَامٌ مِن بَنِي حَسَنٍ أَبُوهُ ... أبُوكُم فَالنَّجَارُ مِنَ النَّجَارِ

نِصَابٌ لو أَضَاءَ نِصَابُ قَومٍ ... أَضَاءَ فَغَضَّ مِن ضَوءِ النَّهَارِ

إِذَا مَدَّتْ بِأَيدِيهَا العَذَارَى ... مُعَرِّضَةً فمَا وَجهُ اعتِذَارِي

أَتَانِي عَنكُمُ نَبَأٌ شَفَانِي ... كَحَلِّك لِلأَسِيرِ مِنَ الإِسَارِ

طَهَارَةُ مَكَّةٍ مِن كُلِّ غَاوٍ ... ورَحْضِ عِرَاصِهَا مِن كُلِّ عَارِ

بِعَزمِ الطَّالِبِيِّ أَبِي عَزِيزٍ ... أبِي الفَتَكَاتِ والهِمَمِ الكِبَارِ

---

[1] مطار -بضم الميم-: واد بين البوباة وبين الطائف، في جنوب الطائف قرب معدن البرام، قال في المعجم: وما وجدت من يعرفه اليوم. (معجم معالم الحجاز/٨/١٨٤).

[2] نصّ ناقته: استخرج أقصى ما عندها من السير. والعيس بالكسر: الإبل البيض يخالط بياضها شقرة. والتباري: المعارضة. والنقانق جمع نقنق: وهي ذكر النعام.

[3] سرارة الوادي: أفضل مواضعه، ويطلق السرار على الأرض الكريمة، وعلى جوف الشيء ولبه.

شَرِيفٍ لَمْ تُدَنِّسهُ الدَّنَايَا وَلَا مَرَّت لَهُ بِفَنَاءِ دَارِ
نَشَا للمَكرُمَاتِ فَأَحرَزَتْهَا يَدَاهُ قَبلَ تلوِيثِ الإزَارِ
وَصِل حَبلاً بِحَبلٍ وابنِ مَجداً عَلَى مَجدٍ ونَادِ عَلَى المَنَارِ
فَنَحنُ الطَّالِبُونَ بِثَأرِ دِينِ الـ ـإلَاهِ وأهلُ أَلْوِيَةِ الفَخَارِ
وَكَم يَومٍ ضَربنَا الخَيلَ فِيهِ إلَى حَوضِ الرَّدَى ضَربَ القِمَارِ[1]
أَصُدُّ عَن الصُّدُودِ إذَا التَقينَا وَكَم يَومٍ فَررتُ مِن الفِرَارِ
وَأقصِدُ حومَةَ المَوتِ اعتِمَاداً كَأنِّي قَاصِدٌ أَهلِي وَدَارِي
أَشُدُّ علَى الكَتِيبَةِ لَا أُبَالِي وَقعتُ علَى اليَمِينِ أو اليَسَارِ
وَلَيسَ لَنَا عَلَى البَلوَى مُعِينٌ سِوى نَفرٍ قَلِيلٍ كالدَّرَارِي[2]
وِمِنْ يومِ القِيَامِ نَظرتُ منكُمْ مُؤَازَرَةً وقد طَالَ انتِظَارِي
وَلَيسَ الموتُ يُدفَعُ بِالتَّوَقِّي ولَيسَ الرِّبحُ إلا بِالخَسَارِ
فَإن خِفتُم مِن الأعدَاءِ عَضباً فَرَبُّ العرشِ جَارُكُمُ وجَارِي
حَلَلتُم بِالحِجَازِ عَلَى وَقَارٍ حُلُولَ الدُّرِّ أوسَاطَ المَحَارِ[3]
وَثَأرُكُمُ بِبغدَادٍ جِهَاراً أُعِيرُكُمُ بِهِ والثَّأرُ ثَأرِي
هُمُ قَتَلُوا جُدُودَكُمُ وَجَدِّي وَهُمْ هَدَمُوا دِيَارَكُمُ وَدَارِي[4]

---

[1] القمار: الإبل التي تقع في الكلأ الكثير.

[2] أي كالشهب الدراري: وهي المضيئة.

[3] في النسخة الأصلية للديوان: (على وفازٍ) وهو المكان المرتفع، واسْتَوْفَزَ في قِعْدَتِهِ: انْتَصَبَ فيها غير مُطْمئِنٍّ، أو وضَعَ رُكْبَتَيْهِ، ورَفَعَ أَلْيَتَيْه، أو اسْتَقَلَّ على رِجْلَيْهِ، ولَمَّا يَسْتَوِ قائماً، وقد تَهَيَّأَ للوُثوبِ. وأما على بقية النسخ: فالوقار: هو الرزانة. والمحار جمع محارة: وهي الصدفة.

[4] يريد الإمام عليه السلام أن العباسيين قتلوا آباء وأجداد الأمير قتادة بن إدريس، لأنه من ذرية الإمام عبد الله الجون بن موسى بن عبد الله الكامل بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب

زَمَـانَ سُـوَيقَةٍ سُـقِيت رُبَاهَـا عَلَـى شَـحَطِ النَّـوَى صَـوبَ القُطَـارِ[١]
وأَيَّـامَ الحُسِـينِ بِـبَطنِ فَـخٍّ فَقَاتِلُـهُ شَـبِيهٌ بالقُـدَارِ[٢]
بَنِـي حَسَـنٍ أَعِيرُونِـي نَهَـاراً مِـنَ الأَيَّـامِ مَـا حَـدُّ النَّهَـارِ

عليهم السلام، وقد قتل العباسيون إخوته الأئمة العظماء: محمد وإبراهيم ويحيى وموسى وسليمان بنو عبد الله الكامل، وهم أجداد وأعمام الأمير قتادة.

[١] سويقة: منطقة بالحجاز، مكان من وادي حزرة جنوب غربي المدينة على ٥١كم تقريباً، وبها آثار عين دائرة لا زالت رسوم أحواض الماء، ومجاري العين التي تصب في بركة كبيرة يبلغ ضلعها (١٩.٥٠) متراً، أما ارتفاعها فقد اندفن، وفي سفوح الجبال آثار قصور تحولت إلى أكوام حجرية لا تتميز، وهي المعروفة بسويقة الهاشميين، وتعرف بسويقة عبد الله بن الحسن، وكان فيها سكن الأشراف الموسويين، وفيها تخفى الإمام عبد الله الجون بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وفيها توفي وبها قبره، وقد أخربت عدة مرات أخربها أبو جعفر الدوانيقي لما تخفى فيها محمد وإبراهيم ابنا عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، فلما خرج النفس الزكية وقتل أخربها الدوانيقي، ثم أخربها أبا الساج بأمر المتوكل العباسي لما خرج الإمام محمد بن صالح بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن ثائراً، فخرج أبا الساج في جيش عظيم إلى سويقة فأخربها وقطع نخلها وزروعها وبيوتها، وبها مقبرة بأسفل الجبل بها قبور لأهل البيت، وقبر في سفح الجبل لعله قبر عبد الله بن موسى والله أعلم.

والشحَط: البعد. والنوى: الدار. والقُطار بالضم كغراب: سحاب كثير القطر عظيمه.

[٢] يعني الإمام الشهيد الحسين الفخي بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، الشهيد بفخ وهو شعب على مدخل مكة من جهة المدينة، قريباً من التنعيم، ويسمى الآن منطقة الزاهر، وفيه قبر الإمام الحسين الفخي والشهداء الذين استشهدوا معه، وبنى عليه الأمير قتادة بن إدريس مشهداً بأمر الإمام المنصور بالله عليه السلام، ولا زالت بعض آثار المشهد باقية إلى اليوم، وتسمى مقبرة ابن عمر رقم(٢).

وقُدار المذكور في البيت: هو قدار بن سالف عاقر ناقة هود عليه السلام.

أَلَا يَا لَيتَ شِعرِي هَل أَرَاهَا ... مُعَقَّدَةَ السَّبَائِبِ للمَغَارِ[١]

أَلَا يَالَيتَ شعري هل أراها ... كَعُقبَانٍ تَخِرُّ علَى وَبَارِ[٢]

أَلَا يَالَيتَ شِعرِي هَل أَرَاهَا ... تَصُدُّ الطَّيرَ عَن سَنَنِ المَطَارِ[٣]

فَلَستُ بِمُستَكِينٍ للأعَادِي ... وَلا أَنَا بِالمُدَاهِنِ والمُمَارِي

حَلَفتُ لأبعَثَنَّ العَامَ حَرباً ... عَوَانَاً كَالحَرِيقِ أو العِصَارِ[٤]

وَ إلَا فَاسأَلُوا صَنعَاءَ عَنَّا ... وَيَومَ البَابِ فِي كَنَفَي ذَمَارِ

أَلَم أَكُ فَارِسَ الخَيلَينِ جمعَاً ... وَهَل سَبَقَتْ فَوارِسُهَا غُبَارِي

بَنَيتُ لِمَعشَرِي وَسُرَاةِ قَومِي ... هُنَالِكَ مَفخَرَاً صَعبَ المَجَارِي

وَلَستُ بِفَاخِرٍ سَفَهَاً وَكِبرَاً ... وَلكِن طَاعَةُ البَارِي افتِخَارِي

وَهَل رَجُلٌ يَقُولُ أَبِي عَلِيٌّ ... يُقَهقِرُ عَن مُنَاطَحَةِ الشِّفَارِ

أَلَيسَ كِنَانَةٌ وَسُرَاةُ قَيسٍ ... دَعَا شُذَّاذُهَا حَربَ الفِجَارِ[٥]

---

[١] السبائب جمع سِبّ بالكسر: وهو الحبل. والمغار: الغارة.

[٢] وبارِ كقَطام، وقد يُصْرَفُ: أرضٌ بَيْنَ اليَمَنِ ورِمالِ يَبْرِينَ، سُمِّيَتْ بوَبارِ بنِ إِرَمَ، لَمَّا أهلك الله تعالى أهَلَها عاداً وَرَّثَ مَحَلَّتَهُم الجِنَّ، فلا يَنْزِلُها أحدٌ مِنَّا، وهي الأرضُ المذكورةُ في قوله تعالى: {أَمَدَّكُمْ بأَنْعامٍ وبَنينَ وجَنَّاتٍ وعُيُونٍ}.

[٣] المطار بالضم كغراب أو الفتح كقطام: اسمان لموضعين، وقد يراد المصدر الميمي لطار أي موضع الطيران.

[٤] العوان كسحاب: الحرب التي قوتل فيها مرة.

[٥] حروب الفجار: كانت بين قريش ومن معها من كنانة وبين قيس عيلان، وهي أربعة حروب: الأول: وقع بعكاظ، واستمر ثلاثة أيام وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ابن عشر سنين، والثاني: وقع والنبي صلى الله عليه وآله وسلم ابن أربع عشرة سنة، وقيل عشرين سنة، وشارك فيه

وَأَيَّامُ الكِلاَبِ سَمَت تَمِيمٌ بِكَلكَلِهَا وأَيَّامُ النِّسَارِ[1]
وَذِي قَارٍ رَبِيعَةُ عَظَّمتهُ وَلَولاَ ذَاكَ لَمْ يَقرَاهُ قَارِي
وَهَذِي رَايَةٌ منكُم وفِيكُمْ فَخُوضُوا دُونَهَا لُجَجَ الغِمَارِ
أَسَادَةَ مَعشَرِي وَسُرَاةَ قَومِي وأهلَ الصَّبر عِندَ الإصطِبَارِ
وخَيرَ قَبِيلَةٍ مَنعَت ذِمَاراً إذَا عَدِمَ الحُمَاةُ عن الذِّمَارِ
وأطْعَنَ فِي العَجَاجِ القِرْنَ شَزْرَاً وأَضْرَبَ هَامَةَ البَطَلِ المُمَارِي
تَعَيَّنَ فَرضُ قَآئِمِكُمْ عَلَيكُمْ فَأعطُوا نَاجِزَاً دُونَ الضِّمَارِ

كما قال صلى الله عليه وآله وسلم ((كنتُ أنْبُلُ على عُمُومَتِي يَوْمَ الفِجارِ، ورَمَيْتُ فيه بأَسْهُمٍ، وما أُحبُّ أنِّي لم أكُنْ فَعَلْتُ)) ، وكانت الدائرة فيها على قيس.

[1] الكلاب بالضم: ماء بين الكوفة والبصرة، وهو من اليمامة على سبع ليال أو نحوها. وأيام الكلاب من أيام تميم المشهورة، وهو من أعظم أيام العرب المشهورة، وهو يومان:

الأول: ما وقع بين شرحبيل وسلمة ابنا الحارث بن عمرو بن حُجر آكل المرار الكندي، وكان شرحبيل على بكر بن وائل وبني حنظلة وبني أسيد والرباب، وسلمة على بني تغلب والنمر بن قاسط وبني سعد، فالتقوا بماء الكلاب، واقتتلوا قتالاً شديداً، انهزم شرحبيل ومن معه وقتل وحمل رأسه إلى أخيه سلمة.

والثاني: أن كسرى لما وقع ببني تميم فقتلت المقاتلة وبقيت الذراري والأموال، بلغ ذلك بنو الحارث من مذحج وأحلافها من نهد ووجرم بن ربان، فمشى بعضهم إلى بعض وقالوا: إغتنموا بني تميم، ثم بعثوا الرسل في قبائل اليمن وأحلافها من قضاعة، فقيل إنه اجتمع من مذحج ولفيفها ثمانية آلافٍ، وقيل: اثنا عشر ألفاً من همدان وكندة وغيرها، وكان بنو تميم لما علموا بهم افترقوا فرقتين، فرقة لزمت طريق الدهناء، وفرقة لزمت ماء الكلاب، فلما التقوا بالكلاب وقع قتال عظيم وحرب شديد، قتل فيها أشراف الفريقين، وكانت الغلبة فيه لبني تميم، وانهزمت مذحج شر هزيمة.

وأما النسار: والنِّسار بكسر النون: موضع فيه جبال متجاورة، وهو ماء لبني عامر، ويوم النِّسار كانت الغلبة فيه لِبَني أَسد وذُبْيان على جُشَم بن معاوية.

[دخول أهل جبل أداف في البيعة والطاعة]

وجاءت كتب من الجهات الحرازية من قوم يقال لهم: بنو فياض وبنو الركود بجبل أداف يذكرون إجابتهم لدعوة الإمام عليه السلام، ودخولهم في الطاعة، وخروجهم من مذهب الجبر إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام، لما وصل إليهم الشريف علي بن أحمد القاسمي، وأنهم أقاموا الجمعة وبايعوا، وسلموا الحقوق الواجبة، وسألوا المسامحة في الوصول لأعذار ذكروها، وأن يكون جهادهم في بلادهم لمن امتنع عن تأدية واجب، وأن يذكرهم مؤلف السيرة وطاعتهم مع بُعدِ ديارهم من غير إكراه، فذُكروا لأجل ذلك.

[نهوض الإمام من براقش إلى صعدة]

ونهض الإمام عليه السلام من مدينة براقش **يوم السبت لاثنين وعشرين ليلة خلت من شهر رجب سنة سبع وتسعين** بعد تواتر كتب الأميرين الكبيرين شيخي آل الرسول شمس الدين يحيى وبدر الدين محمد ابني أحمد بن يحيى، ومكاتبات من الشيخ ظهير الدين أحمد بن حجلان، يحضونه على المبادرة لحوادث في البلاد، وأمور لا يسد خللها إلا وصوله إلى صعدة والجهة الشامية، فكتب إلى أهل صعدة هذا الكتاب قبل نهوضه:

[كتاب الإمام إلى أهل صعدة]

بسم الله الرحمن الرحيم

سلام عليكم، فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، ونسأله لنا ولكم الهداية والإرشاد، إلى طريق الخير والسداد.

أما بعد: يا أهل صعدة: فإن الله قد جعل برحمته وعترة نبيه -صلى الله عليه وآله- بلدكم حرماً آمناً، وربعاً حصيناً، وغديراً عذباً، تجبى إليه ثمرات كل شيء، وتعمر عرصاتها القطرات والإبل المؤبلة، قد جعل الله مِنَّةَ قريش واقعة عليكم، فأطعمكم من جوع، وآمنكم من خوف، لغير سابقة منكم، ولا يد إلى عترة نبيكم، ولا قبلتم مسيئنا لما فعله محسننا، وقد جاء في الأثر: ((هبوا مسيئنا لمحسننا))، فتَحَنَّنَّا عليكم تَحَنُّنَ الشفيق، وحفظناكم حفظ الصديق الرفيق، ثم جريتم على سنن الاستقامة ما جريتم من المدة، حتى استطولتم أمد العافية، وأحرزتم أرسان المهلة، أوضعتم في أودية الضلال، وسلكتم مسالك الجهال، واستخننتم أعدل وال، وأنا أخشى إن تماديتم أن يكون مآلكم شر مآل، فاللهَ اللهَ في أنفسكم لا تهلكوها، وفي أستاركم لا تهتكوها، وفي بلدكم لا تخربوها، وفي أرواحكم لا تذهبوها.

وقد بلغنا من بعضكم أنه قال: لم يقهر للغز فكيف لنا، فوارحمتا له من الغز، وسبحان من رحمه من جورهم بهذه الدولة المنصورة وسواه، ونحن نعيذ بالله من أراد اللهُ رحمتَه أن يتعرض لحرب هذه الدولة، فإن إسماعيل أقوى من ذلك المسكين، فقد نكسه الله بنا على رأسه من نقيل خدار، وفر منا أقبح فرار، ولم يقرَّ به من خوفنا قرار، وها نحن وقفنا في وجهه، وحرقنا طعامه، فما تَرَكَنَا رحمةً ولا شفقةً، ولا حُبَّاً ولا إجلالاً، إلا مخافة وذلّاً، فإن كان الله قد أراد هلاككم فالله تعالى ينتقم لضعيفكم من قويكم، ولصغيركم من كبيركم، ولغافلكم من جاهلكم، فإنهم يحملون أوزارهم وأوزار الذين يضلونهم بغير علم، وكان الله الشاهد عليكم، وكنت بريئاً إلى الله سبحانه مما يلحقكم، ولا تقيسوا الأمر بالأمر فإن الإمام المتوكل على

الله[1] -قدس الله روحه- حاربكم، وامتنعتم بشق الأنفس، ولو حاربناكم فيما نرجو من الله سبحانه ما أمسى منكم إلا الأطفال والنسوان، وبالله ما أريد ذلك ولا أشتهيه، ولئن كلفتمونا ليكونن إن شاء الله، ونسألكم بالله، وبرسوله صلى الله عليه وآله لتهبونا نفوسكم، ولتدخلن في رضا شيخكم، المتعرض في حبكم، المجتهد في نصيحتكم، الدال لكم على رشدكم، وأنتم تعلمون أن الإمام المتوكل على الله -قدس الله روحه- امتنع منه القرى في الجوف، ودخل صنعاء وزبيد، ونال -قدس الله روحه- منالاً عظيماً، وامتنع عليه هينٌ، وهذه دولة قد رسخت قواعدها، وكبت حاسدها، وذل معاندها، وصارت البلاد من تهامة إلى مأرب ملكاً محكماً، وما جرأكم علينا إلا حبنا لكم، ولا آنسكم إلا قلة إساءتكم، وإلا فأكثر منكم عسكراً وأمنع حصناً، يضطرب قلبه من خوفنا، وترتعد فرائصه من حركتنا، فهذا شهاب لم يقر به قرار في صنعاء في هذه الأيام بعد مراح سلطانه من خوفنا، وحيز أولاده وحريمه إلى عضدان خوفاً منا نأخذه في صنعاء قهراً، ونأسره مرة أخرى، ولما بلغنا هذا الخبر وصل كتابكم فبرد بعض ما كان في نفوسنا عليكم، وأنتم يا أهل صعدة لا تصلحون إلا بالطاعة، ولا يصلحكم إلا متابعة الجماعة، فادخلوا في رضا شيخكم، وعلينا إزالة ما تشكون منه بألطف مما سألتم، وقد سألتموني عزله وما لكم وال سواه ما عشتم وما عاش، إلا أن تظهر منه معصية لله

---

[1] كانت الحرب بين الإمام المتوكل على الله أحمد بن سلمان عليه السلام وبين أهل صعدة، في سنة (٥٤٣)هـ، وكان عدد جند الإمام المتوكل على الله قليلاً، مقدار مائة ترس، وأهل صعدة عدد كثير، وقوة وفيرة، قدر خمسمائة ترس، وألف قوس، فعبأ عسكره، ووقف ينظر إلى المعركة، فدخل الإمام من جهة بستان في شق المدينة مع عدد قليل، وقد انهزم أصحاب الإمام، وأحاطوا بالإمام ومن معه من كل جانب والنبل عليهم مثل المطر، فما تخلص الإمام إلا بمشقة، وعاد إلى موضعه في الجبجب.(سيرة الإمام المتوكل على الله /١٣٧،١٣٨).

لا تحتمل التأويل، أو نكره ذلك كراهة لا يردها التعويل، فإن شئتم فأعلنوا بالطاعة فهي خير لكم، وإن شئتم ففارقوا الجماعة وهو شر لكم.

والسلام على من اتبع الهدى.

[قصيدة الإمام (ع) وقد حط شهاب بحذمان سنة (٥٩٧)هـ]

ونهض الإمام عليه السلام إلى الجوف الأعلى، وأتاه العلم بأن شهاباً الجزري قد عزم على أخذ البلاد التي للسلاطين آل حاتم بعد موت السلطان علي بن حاتم فصالحوه بحذمان[1]، فكتب إليهم بهذا الشعر:

مـا مَنْـزِلُ الحَـيِّ دُونَ الجِـزْعِ فَـالوَادِي ... مَلْقَـى لِرحلِـي وَلَا مَلقَـى لِمِيعَـادِ[2]

وَلَا البُكَـــاءُ علـــى دَارٍ وَسَـــاكِنِهَا ... بالرَّمـلِ مـن شِـيَمِي كَـلَّا ولَا عَـادِي

فَـاذكُر إذَا شِـئتَ تُشْـجِينِي وتُطرِبُنِـي ... كَـرَّ الجِيَـادِ عَلَـى أَبـوابِ بَغـدَادِ

والسَّـــمهرِيَّةَ فِـــي الأكبـــادِ وَارِدَةً ... والمَشـرَفِيَّةَ فِـي الهَامَـاتِ والهَـادِي

وقَائِـلٍ جَـاد مَـا سَـوَّيتَ مِـن عَمَـلٍ ... فَقُلـتُ رِفقـاً فَـإنِّي فِـي أبِـي حَـادِي[3]

لَا تَحسَـبُوا أنَّ صَـنعَا جُـلُّ مَـأرُبَتِي ... ولَا ذَمَـارَ فَـلَا أشـجَيتُ حُسَّـادِي

إن نِلْـتُ فِـي الحَرب لَـمْ أفرح بِهَـا بَطَرَاً ... أو نِيـلَ كُنـتُ كَآبَـائِي وأجـدَادِي

---

[1] حذمان: عزلة من مخلاف جعر من ناحية وصاب العالي.

[2] الجِزْع بالكسر والفتح: مُنْعَطَفُ الوادي، ووَسَطُهُ، أو مُنْقَطَعُه، أو مُنْحناهُ، أو لا يُسَمَّى جِزْعاً حتى تكونَ له سَعَةٌ تُنْبِتُ الشَّجَرَ، أو هو مكانٌ بالوادي لا شَجَرَ فيه، ورُبَّما كان رَمْلاً، ومَحِلَّةُ القومِ، والمشْرِفُ من الأرض إلى جَنْبِه طُمَأنينَةٌ.

[3] مُنْعَطَفُ الوادي، ووَسَطُهُ، أو مُنْقَطَعُه، أو مُنْحناهُ، أو لا يُسَمَّى جِزْعاً حتى تكونَ له سَعَةٌ تُنْبِتُ الشَّجَرَ، أو هو مكانٌ بالوادي لا شَجَرَ فيه، ورُبَّما كان رَمْلاً، ومَحِلَّةُ القومِ، والمشْرِفُ من الأرض إلى جَنْبِه طُمَأنينَةٌ.

فَمَـا تَحُـلُّ عُـرَى عَزمِـي زَلَازِلُهَـا وَلَا تُضَعضِـعُ مِـن رُكنِـي وَلَا آدِي[١]

ونَـائِمٍ نَـامَ والأعيَـانُ سَـاهِرَةٌ مِنـهُ وريَّـانَ مِـن كُـوبٍ مِـن الصَّـادِي

وَزِيـنَ قَـولِي بِفعلِـي فِـي شَـدَائِدِهَا وَلَـم يُـزَيَّنْ قَبِـيحَ الفعـلِ إنشَـادِي

وَخيـرُ مـالِ الفَتـى التَّقـوَى لِخَالِقِـهِ وذَاكَ زَادِي إن فَتَّشْـتَ عَـن زَادِي

يَـا رِيـحُ هـل لَـكِ فِـي إيصَـالِ مَألُكَـةٍ إلَى المُلُوكِ بِأعلَى الشَّامِخِ الطَّادِي[٢]

أبنَـاءِ حَـاتِمَ أعلَـى النَّـاسِ قَاطِبَـةً وأشـرفِ النَّـاسِ مِـن قَـارٍ ومِـن بَـادِي

شُـمِّ العَـرَانِينِ أبطَـالٍ لُبُوسُـهُمُ فِي الرَّوعِ أَبرَادُ حَربٍ نَسجُ زَرَّادِي[٣]

مِن صِيدِ هَمدَانَ من أعلَى ذَوِي يَمَنٍ قَـدراً وأنـداهُمُ رَاحَـاً لَـدَى النَّـادِي

لَـم أنسَـهُم وَرِمَـاحُ الخِـطِّ شَـاجِرَةٌ وَلَا تَبَـدَّلتُ أودَادَاً بِـأودَادِي

إنِّـي عَلَـى العَهـدِ لَـمْ يَنقُضـهُ حِلْفُكُـمُ لِلنَّـاكِثِينَ وَلَا تَقْرِيـبُ أضـدَادِي

مُجَـرِّدٌ لِحُسَـامٍ غَيـرُ مُنحَسِـرٍ مُسَـدِّدٌ لِأَصَـمٍّ غَيـرُ مُنَـآءِدِي

أنَـا الـذِي عَجَمَتْنِـي الحربُ مُعجَمَهَـا صَمَّاء كَمَا الفَحلِ فِي بطحَاءِ أجيَادِ

فَـإنْ أَتَانَـا رَسُـولٌ مِـنكم ورَدَتْ شُعثُ النَّوَاصِي جِيَادٌ تَحت أَجوَادِ

تُـردِي بِكُـلِّ طَوِيـلِ البَـاعِ هِمَّتُـهُ ضَربُ الكَمِـيِّ بِمَاضِـي الحَـدِّ قَـدَّادِي

كَعَارِضِ المَوتِ أو كَالسَّيلِ مِـن بَلَـدٍ نَـاءٍ يَضِـيقُ بِـهِ مُستوسِـعُ الـوَادِي

مِن هَاشِمِ الصِّيدِ من أَعلَى الوَرَى حَسَبَاً فِـي العَـالَمِينَ وأَعـرَابٍ وأَكـرَادِ

فِي الشَّرقِ والغرَبِ غَارَاتٌ لَهُم شَهِدَتْ بِهَـا المَلَاحِـمُ فِـي غَـورٍ وأنجَـادِ

كَـم شَـاهِدٍ عِنـدَكُم غَابَـتْ مَنَافِعُـهُ عِـنكُم وإنَّـا لَغُيَّـابٌ كَشُـهَّادِ

---

(١) الآد: القوة، وأدى الرجل: أي قوي.

(٢) الطاد: الطود أي الجبل العالي.

(٣) الزراد: صانع الدروع.

إن شِئتُمُ الحربَ عَقَّدنَا سَبَائِبَهَا صُبحاً وكُنَّا كَفُرَّاطٍ لِوُرَّادِ[1]

أو شِئتُمُ السِّلمَ فَالأقوَامُ شَأنُهُمُ أَكْلُ المُسَالِمِ فِعلَ الخَاتِرِ العَادِي

وَهذِهِ عَادَةٌ مِنهُم مُجَرَّبَةٌ أَوَ بعدَ عِرفَانِ غَشٍّ حَكُّ نقَّادِ

لَهُم حَبَائِلُ مِن عَهْدٍ ومن ذِمَمٍ لَا كَالحَبَائِلِ مِن أَوتَارِ صَيَّادِ

[أمر الإمام للسلطان هلدري برد ما أخذه العسكر من الأموال]

ووصل الخبر بأن السلطان هلدري لما صدر عن أمر الإمام عليه السلام يريد جهة الظاهر لقبض ما يتحصل منه للأجناد والوقوف بهم هنالك.

فلما صار بعيان أغار يريد قوماً يقال لهم: العقارب، يقطعون السبل، ويفسدون في البلاد، فأتى بهم الدليل إلى قوم صالحين -وكان المتقدم في الخيل الشريف حاتم بن علي بن أحمد بن جعفر القاسمي فأخذ العسكر شيئاً من أموالهم من غير قصد لهم بالغارة، فكتب عليه السلام إلى السلطان في ذلك وأمره برد ما أخذوه، فأتى كتابه يعتذر بأنه لم يعلم، وكان قد شدد عليهم في الأخماس، وجعلها في جملة الشروط في منشور الظاهر، فأمر برد الخمس وقد كانوا أخرجوه، وإشعار أهل تلك البلاد ممن حضر الغزاة من بني جبير وعذر وغيرهم رد ما أخذوه.

وتقدم عليه السلام إلى صعدة، **وكان وصوله إلى دار معين لسبع وعشرين ليلة خلت من شهر رجب، وتقدم إلى صعدة بعد ذلك.**

---

[1] فرط القوم: يفرطهم فرطاً تقدمهم إلى الوِرد لإصلاح الحوض والدلاء وهو الفُرَّاط. والوارد: السابق إلى ماء البئر.

الإقامة بصعدة وما حصل من المصالح مدة الإقامة والأحداث التي وقعت

[إقامة الإمام بصعدة وما حصل من الأحداث]

ذكر إقامته عليه السلام في صعدة وما حصل من المصالح في مدة إقامته والحوادث التي حدثت:

[زيارة المشاهد المقدسة وقضاء حوائج الناس]

وكانت الإقامة سنة كاملة وشهرين وأياماً، وفي مدة هذه الإقامة يركب بكرة كل يوم في قدر عشرين فارساً وثلاثين ويزيد وينقص، ثم يأتي المشاهد المقدسة بالجامع الشريف -رضوان الله على سكانها- لزيارتها ما يدع ذلك إلا في النادر لعذر عائق يقتضي التأخر -وما أقله-، ويتلقاه أرباب الحوائج من الفقراء والضعفاء والمساكين ومن لا يستطيع الوصول إليه في الدار مع كثرة الناس وسعة الأشغال، فيقف لكل واحد، ويسمع كلامه، ويقضي له حاجته إن أمكنت في الحال، أو يأمر بعض غلمانه بقضائها، أو يعده إلى ميسرة بلطف ولين جانب، ثم تأتيه المسائل مكتوبة في قراطيس فيجيب عنها كل سائل بأبلغ جواب، وأوجز خطاب، وينصف المظلوم من الظالم، ولا تأخذه في الله لومة لائم.

[تاريخ إنشاء المدرسة المنصورية بحوث]

ولقد أتى إليه علم من أهل المدرسة المنصورية بحوث وكان المتدرسون بها يومئذ خمسين من الأشراف وغيرهم، من البلاد القاصية والدانية، والمدرس بها الشيخ العالم الفاضل محيي الدين محمد بن أحمد بن الوليد، وكان ابتداء التدريس فيها **من شهر شوال من سنة ست وتسعين.**

[موقف الإمام من إساءة الأمير شجاع الدين إلى داود الخيبري]

فجاء منهم الخبر إلى الإمام عليه السلام بأن الأمير شجاع الدين جعفر بن الحسين بن القاسم بن الحسين بن حمزة - وهو ابن عمه، وله مواقف مشهودة بين يديه في جهات شتى، وصبر في البأساء والضراء -، ذكروا أنه أخطأ على رجل منهم، وهو القاضي الفاضل داود بن عبيد، وكان قد أتى من خيبر مجاهداً في سبيل الله لما بلغت إليهم دعوة الإمام عليه السلام، فأقام يدرس في علم التوحيد وينسخ الكتب التي يحتاج إليها، وكان شديد الاجتهاد في القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فكان يختلف في قرى الظاهر ويأمرهم بالصلاة وحضور الجمعة، ولم يكن الأكثر يعرف الصلاة فأخذهم باللين والشدة، وجعل على من قطع الصلاة عشر جلدات، فصلى الناس رغبة ورهبة.

فأتى في بعض الأيام إلى غلام الأمير المذكور فسأله في مجمع: هل صليت؟ فقال: لست أصلي، وأغلظ له في الجواب، فأمسكه وجلده عشر جلدات، وراح يشتكي إلى مولاه، فأتى وقد حمله الغيظ ولم يملك نفسه، ومعه غلامان له، فأمسكا الفقيه وضربه على [رأسه بعمود الدبّوس، فأنكر الناس ذلك، ولما وصول العلم إلى الإمام عليه السلام حكى بعض من حضر أنه أمسَى ليلته تلك يتململ وما ذاق فيها النوم غضباً لله سبحانه، ووافق ذلك وصول الأمير المذكور بكرة يوم تلك الليلة، وقد كان الإمام أمر الأمير ذا الكفايتين محمد بن إبراهيم بالركوب إلى حوث ليؤدِّيه إليه، فلمَّا حضر في مجمع كبير حضر الأميران الكبيران شيخا آل

الرسول يحيى ومحمد ابنا أحمد بن يحيى بن يحيى، وطائفة من الشرفاء آل الهادي وآل حمزة، وقاضي الشرع محمد بن عبد الله بن حمزة، والشيخ محيي الدين محمد بن أحمد النجراني، وأهل المدرسة المنصورية بصعدة، وهو المدرِّس بها، واجتمع بها خلق كثير من أهل البلد وغيرهم، ومن رؤساء الناس وغصَ المسجد والحجرات، وقد أمَّ الباب بالناس، فسأله الإمام عليه السلام عن القصَّة بعد كلام شرحه في ذلك المقام، فأنكر وقال: إن شهد عليّ شاهد من أهل المدرسَة قبلت شهادته، وقد كان وصل منهم رجل ممن حضر القصَّة، فدعاه الإمام فشهد بما حدث، فلمَّا رأى ما عند الإمام من الغضب تقدَّم إلى بين يديه، ووضع سيفه وسوطه واستَسلم للحق، وقال: امض حكمك بما تراه، فأمر الأمير صفي الدين ذا الكفايتين يجلده عشرين جلدة تأديباً، وأمر بقبض فرسه ودرعه، وأحضر أحد غلاميه فجلده ثلاثين جلدة وحلق رأسه، وأمر الأمير جعفراً بالصدور إلى حوث ليبلغ الفقيه ما يجب له بحكم الله تعالى، ففعل وحضر إلى المسجد الجامع بحوث - عمره الله بالصالحين - وأحضر غلامه الثاني، وذلك في حال عمارة المسجد ولم يسقف بعد، وحضر خصمه بين يدي القاضي ركن الدين عمرو بن علي العنسي، وحضر الشيخ محمد بن أحمد العبشمي، والقاضي شرف الدين إبراهيم بن أحمد بن أبي الأسد، وأهل المدرسة ومن بلغته صلاة الجمعة من أهل البلاد، فادعى الفقيه ما لحقه من الأمير والغلام، فاعترفا بذلك، فتراجع من حضر من العلماء في أمر الغلام، فأجمع رأيهم على الاقتداء بما فعله الإمام عليه السلام في الغلام الأول في صعدة، فأمر القاضي بحلق رأسه وجلده ثلاثين جلدة، وبقي الأمير فقام إليه الأمير بعد وجوب الحق

واعترافه فلزم على يده ووهب له حقه، وافترق الناس على ألسنَةٍ داعيةٍ للإمام عليه السلام بالنصر، معلنة لله تعالى بالحمد والشكر][١].

[كتاب وقصيدة من الأميرين شيخي آل الرسول]

[٢]بمتابعته وبايعنا له القبائل في هذه الآفاق، والمجامع والأسواق، وأقمنا الجمع، ونفينا البدع، وهدمنا الكنائس والبيع، وأمَّنا البلاد، ونفينا الفساد، وقد كَلِبَت الحرب، وكثرت الريب، وشمل الناس العطب، بحطمة عمت، وغمة طمت، فلولا استقامتنا لصلاح البلاد، لوقع الاختلال والفساد، فقمعنا الطاغي، ومنعنا الباغي، ولو أنا غبنا عن البلاد لفسدت، ولاستذأبت عقاربها وتأسدت، فرأينا في المقام صلاحاً يعود على الإسلام، فهذا عذرنا في الخروج إلى الإمام عليه وعلى آبائه أفضل الصلاة والسلام، ومن ظن فينا غير ذلك فقد تقحم في المهالك، وسلك أقبح المسالك، وقال ما ليس له به علم، وإن بعض الظن إثم، فمن تأخر عن إمام عصره، ولبس على المسلمين في أمره، بكاذب الأقاويل، وفاسد الأباطيل، كانت النار أولى به، والشياطين من أحزابه، فهذا اعتقادنا في إمامنا المنصور، ومذهبنا المشهور، فمن شاء {**فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ**

---

(١) ما بين القوسين سقط من نسخة السيرة المنصورية، وهذه التتمة التي بين القوسين منقولة من كتاب مطلع البدور للقاضي العلامة أحمد بن صالح بن أبي الرجال، ذكرها في ترجمة داوود بن عبيد الخيبري، فأوردتها تتميماً للفائدة.

(٢) أول الكتاب ساقط من النسخة الأصلية في السيرة.

نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف٢٩]، والسلام على من اتبع الهدى.

وأصحبا هذا الكتاب هذا الشعر:

بسمرِ القنا والمرهفات الصوارمِ ... وبذل اللُّهَى والمقرُبَاتِ الصلادمِ

وبالكر دون الفر في حومة الوغى ... وطعن الكلى شزراً وضربِ الجماجِمِ

وإتباع غارات الجهاد على العدى ... مع القائمِ المنصورِ من آل هاشِمِ

وفرسانِ صدقٍ من نَزَارٍ ويعرب ... مَساعيرَ حربٍ كالليوثِ الضراغِمِ

يقيم إمامُ الحق دينَ محمد ... ويستنصفُ المظلومَ من كل ظالِمِ

ويحمي ذمارَ المسلمين فطالما ... أباح حماهُ جورُ أهلِ المَظَالِمِ

وينفذ أحكامَ الإلهِ بأرضه ... ويعدلُ في أحكامه كلُّ حاكِمِ

بدولةِ مولانا الإمامِ ابنِ حمزة ... مقيمِ عمادِ الحق ماضي العزائِمِ

فقد خَصَّنَا الرحمنُ جلَّ جلالُه ... بأفضلِ داعٍ للأنامِ وقائِمِ

فَمَنْ شكَّ فيه أو تَوَهَّمَ لم يكُن ... غداً من جميع المسلمين بسالِمِ

ومن كَذَّبَ الحقَّ اليقينَ فهذِهِ ... دلائلُ فيه واضحاتُ المعالِمِ

ومن ظنَّ أَنَّا واقفونَ لشُبهَةٍ ... فقد ظنَّ إثماً ليس فيه بعالِمِ

أفي الدين أَنَّا نُوهِمُ الخلقَ غيرَ مَا ... لدينا فذَا واللهِ إحدى المآثِمِ

ألسنا أقمنا في اعتقاد إمامنا ... معالِمَ دين الله ضربةَ لازِمِ

ألسنا وطئنا كلَّ ضِدٍّ معانِدٍ ... بكَلْكَلِنَا فعلَ الأُبَاةِ الأكَارِمِ

ألسنا هدمنا كلَّ حصنٍ ومَعْقِلٍ ... لكلِّ عدوٍّ للإمام مقاوِمِ

ألسنا نزعنا عزَّ يامٍ فأصبَحَتْ ... طرائحَ في غيطانِهَا كالبهائِمِ

وقدنا إليهم عسكراً فلَّ حَدَّهُمْ ... وأقعد منهم صاغراً كلَّ قَائِمِ

وجاؤوا إلينا بعد ذلك طاعَةً تقُودُهُمُ أخدَامهم بالعمائِمِ
وقد خسروا أموالَهم وبلادَهم وعادوا وقد باؤوا بصفقَةِ نَادِمِ
ونحن حكمنا في الشآم وأهلِهِ بحكمٍ لأسبابِ المظالم صَارِمِ
وصارت أسودُ الغابِ فيه ثعالِبَاً لنا وصقورُ الصيدِ مثلَ الحَمَائِمِ
جمعنا وأحيينا به كلَّ جُمعَةٍ كأسلافنا في عصرِ يحيى وقاسِمِ
ونحن سبقنا الناس للبيعة التي لزمنا بها من قبل كل ملازِمِ
ونحن عليها دائمون جميعنا إذا لم يكن مروٌ عليها بدائِمِ
فهذا وأيمُ اللهِ فيه اعتقادُنا ومذهبُنا والفوزُ عند الخواتِمِ
وواللهِ إنا ما تركنا وصولَه لشكٍّ بَدَا فيه ولا كَلْمِ كَالِمِ
ولكن لأعذارِ الزمانِ وأهلِهِ وقحطٍ ثنى آمالَ أهلِ العزَائِمِ
ولولا استقمنا في الشآم وأهلِه لأفسدَ من غبرِ الوجوهِ الأشائِمِ
حكمنا على آسادها فتحكمت وما خضعت من قبل ذاك لحاكِمِ
فمن مبلغ عنا سراةَ قبيلنا بني المصطفى المختار من آل هاشِمِ
ومن مبلغٍ عمرانَ نبراسَ مذحج وسلطانَ همدانٍ عليَّ بنَ حاتِمِ
وعزانَ نعني نجلَ سعد ورهطَه وأشياعنا من كل حبر وعالِمِ
بأنا على عهد الإمام إذا انثنت ذوو الشك من أهل القِلَى والسخائِمِ
فقوموا قيام الأكرمين وبادروا إلى نصره واستأثروا بالمغانِمِ
كناصرِ دينِ الله صفوةِ أحمد مبارزِ الليثِ الهصور الصيارِمِ
وأسرتِهِ الأكرادِ أكرمِ أسرة أقامت مع المنصور سبطَ البراجِمِ[1]

---

[1] السِبْط: ككتِف: طويل، والبراجم: جمع بُرْجُمَة بالضم: المفصل الظاهر أو الباطن من الأصابع والإصبع الوسطى من كل طائر، أو هي مفاصل الأصابع كلها، أو ظهور القصب مِن

وســوف نوافيــه قريبــاً بجحفــل أجــشٍّ كثيــفٍ يمــلأ الأرض غاشِــمِ
يقــيم بــه المنصــورُ ديــنَ محمــد وينفــي بــه فــي الحــق كــل مقــاوِمِ
عليــه ســلامُ الله مــا ذَرَّ شــارقٌ ومــا انهــل وَدْقٌ مــن خِــلالِ الغَمَــائِمِ

وكان وصول الشعر والرسالة إلى قرية ضَمَد[1]، فأمر الإمام عليه السلام بهما إلى المدرسة المعمورة المنصورية بقرية حوث إلى الشيخ الفاضل محيي الدين محمد بن أحمد بن الوليد، وأمره بنسخها والإنفاذ بها إلى الجهات، وإظهارها عند الخاص والعام ونشرها، ليظهر لجهال الشيعة الطاعنين عليه المثبطين عنه صحة اعتقاد الأميرين والتزامهما بطاعته والوفاء ببيعته.

ووصل بريد من الجوف مبشراً بخروج عزان بن فليتة من درب سدال، ورجوع أولاد علي بن هديان إليه، لما أيقن بأنه لا يسلم ولا يستقيم له أمر فيه بعد كتاب الإمام إليه وإيعاده له، وقد كان الأمير صارم الدين جمع عسكراً من الجوف للمحطة على الدرب، وأغار جحاف بن حميدان وهو حليف لعلي بن هديان في صرم عزان بن فليتة، فقتل رجلين وعقر فرسين وأخذ إبلاً.

[رجوع الإمام إلى أهله في صعدة بعد غيبة سنة وثمانية أشهر]

ونهض الإمام لثلاث ليال خلون من المحرم من أول شهور سنة ست وتسعين، [إلى أهله ومنزله بهجرة دار معين]، فلما دخل منزله وسأله أهله عن

الأصابع، أو رؤوس السُّلاميات إذا قَبَضْتَ كفك نشزت وارتفعت.

[1] ضَمَد – بفتح الضاد والميم–: قرية من تهامة في المخلاف السليماني ما بين صبيا وأبي عريش.

أخباره وطول غيبته وكان قد غاب عنهم سنة كاملة وثمانية أشهر وعشرة أيام، و[كانت] مدة إقامته عندهم [قبل السفر إلى اليمن] منذ دخوله بهم [إلى نهوضه إلى الجوف] عشرين يوماً، ونهض عنهم موطناً نفسه على الصبر وتحمل الأثقال، [وهذه المدة التي غاب عن أهله فيها] فكان فتح صنعاء وذمار [وما فتح الله عليه من علو البلاد والاستظهار] في هذه المدة، فكان جوابه عليه السلام لأهله [عن سؤالهم عن حاله] بهذه الأبيات [قالها على البديهة] ارتجالاً:

مَا زال سيفي وشَاحي مذ فَرَقْتُكُمُ — حتّى دخلتُ عليكم سَاحَةَ الدَّارِ

فسائِلي الخيل عنّي فِي مواقفها — مَا كان إذ ذاك إيرادي وإصداراي

ألم أكن يومَ صنعا قطبَ كَلكَلِها — وفي ذمَار ألم يَسْطَع سَنا ناري

وهل قذفتُ بنفسي غير مُكترثٍ — في جَحفلٍ كسَوَاد اللّيل جَرّار

والعُرب حائمةٌ حولي ومَا وقَعَت — حتّى رَفَعْتُ مَنار المجد لِلسّاري

فإن هلكتُ فلا خَمشَاً ولا شَللاً — ولا أبيح لِحبٍّ حَلق أشعاري

بل ذكر أيَّام صِدْقٍ كلها غُررٌ — بخفض صوتٍ وتلطيفٍ وأسرَارِ

ثم وقف يومين، ونهض في اليوم الثالث إلى صعدة فتلقاه السلطان مبارز وكافة الجند إلى وادي الخانق[1]، فنزلوا عن ظهور الخيل إجلالاً للإمام عليه السلام، وساروا بين يديه، ولما دنا من صعدة خرج أهلها إلى ساحة البلد في السلاح والعدد والخيل والزينة، فسلموا عليه، واستبشر الجميع بوصوله، فأقام أربعة وعشرين يوماً والقبائل تفد إليه من كل جهة للسلام، وتأدية الحقوق والبر، مدة

---

[1] وادي الخانق: واد مشهور في جنوب صعدة في بلاد العبديين، لسحار ووادعة، فيما جبلي الصمع والسنارة، يبعد عن صعدة ١٠ كم تقريباً، وكان به قديماً سد الخانق.

إقامته، وأتى أهل نجران بباقي القطعة فأمر السلطان يفرقها في الأجناد ليصلحوا ما يحتاجون إليه من آلة خيلهم وسلاحهم، وأمرهم بالتأهب للنهوض.

[وفود جماعة من أشراف مكة وينبع إلى الإمام (ع)]

ثم تقدم إلى هجرة معين فأقام بها مدة، ووصل إليه جماعة من الشرفاء بني حسن أهل مكة وينبع، فيهم الشريف الحسن بن طامي، كان وصوله إلى محطة الهجر، والباقون وصلوا إلى هجرة دار معين، وهم مفرح ونمَير ولدا حسن بن ثابت، وعلي ومحمد ابنا حسين بن مفرح الحرابيان.

[رؤيا سباع بن محمد الحرابي وبيعته للإمام عليه السلام واستشهاده]

ووصل بعد ذلك الأشراف سالم بن عزيز، وعلي بن الريس، وسباع بن محمد الحرابي، فاستشهد إلى رحمة الله في غزاة نجران الآخرة، وكان عبداً صالحاً ورعاً كثير الصيام، أتى قاصداً للجهاد بعد أن تخلص بماله، وقضى الحقوق التي عليه في بلده، فلما وصل استأذن الإمام عليه السلام بالتقدم إليه للبيعة فأذن له وبايعه، وقال له الإمام: (بارك الله فيك).

وحكى أنه رأى مناماً في بلده أنه بايع النبي صلى الله عليه وآله فلما فرغ من بيعته قال له: بارك الله فيك، كما قال له الإمام، فحمد الله تعالى وأثنى عليه وازداد يقيناً.

وقال: كنت أنتظر قول الإمام بعد البيعة قول النبي صلى الله عليه وآله، فوافق المنام، وأقام ملازماً مع الإمام صابراً مرابطاً، حتى استشهد في سبيل الله إلى رحمة الله.

ثم استشهد منهم الشريف محمد بن الحسين بن مفرح الحرابي أيضاً في غزاة سراقة إلى رحمة الله تعالى، وكان وصولهم بعد الموسم، وقد كانت وصلت الكتب من مكة وينبع، منهم من يعتذر، ومنهم ممنوع عن الوصول، وبعضهم يقول: إنه غير متأخر عن الوصول.

[قصيدة الإمام يحض بني الحسن بمكة وتهامة على النصر وأجابة الدعوة]

فأنشأ عليه السلام هذا الشعر إليهم:

أَتـذْكُرُ أيَّـامَ العَقِيـقِ وحَـاجِرِ ... ودَاراً لَهُـم بَـينَ اللِّـوَى فالحظـائِرِ

وَجَـرَّ الـذُّيولِ فِـي بَلَهْنِيَّـةِ الصِّـبَا ... عَلَـى غِـرَّةٍ بَـينَ الضُّـبا والجـآذِرِ[1]

وَكُـن ذَاكِـراً إن كُنـتَ لَا بُـدَّ ذَاكِـراً ... بَنَـاتَ الوَجِيـهِ والعُقَـابِ وَشَـاغِرِ

طُـوالَ البُطُـونِ والظُّهُـورُ قَصِـيرَةٌ ... فِسَـاحَ العُيُـونِ واسِـعَاتِ المَنَـاخِرِ

كَـأنَّ أَعَالِيطَـاً مـن المَـرْخِ رُكِّبَـتْ ... بَهَامَاتِهَـا فَـوقَ العُيُـونِ الحَـوَادِرِ[2]

مُشَـقَّقَةُ السِّـيقَانِ قُـبٌّ بُطُونُهَـا ... غِـلاَظُ الجُنُـوبِ مُكْرَبَـاتُ الحَـوَافِرِ[3]

إذَا أُرسِلَت فِي المَهْمَهِ الشَّهْبِ شُبِّهَتْ ... بِعُقْبَـانِ دُجْـنٍ آيَسَـاتٍ كَوَاسِـرِ[4]

فهـل تَحمِلَـنَّ الـرِّيحُ مِنِّـي رِسَـالَةً ... أو الطَّيْـرُ إن أَغنَـتْ رِسَـالةُ طَـائِرِ

إلَـى خَيـرِ حَـيٍّ مـن مَعَـدٍّ عَلمتُـهُ ... وأكْـرمِ بَـادٍ فِـي الأنَـامِ وحَاضِـرِ

---

[1] جر ذيولٍ. يقال: هو في بلهنية من العيش اي سعة ورفاهية.

[2] الأعاليط جمع إعليط كإزميل: وعاء ثمر المرخ. والحوادر جمع حدراء: وهو الحول في العين.

[3] مشققة السيقان: أي بعيدة طويلة. ومكربات الحوافر: أي شديدة الأسر قوية محكمة.

[4] المهمه: المفازة البعيدة الأطراف، والأرض الشهباء: التي لانبات فيها لقلة المطر فيها. والدُّجنة: الظلماء.

بَنِي حَسَنٍ قَومي الذِينَ شِعَارُهُمْ ... غَدَاةَ الوَغَى غَشْوَاً صُدُورُ البَوَاتِرِ

فَقُلْ لِسُليمانَ ومَوسَى كِليهِمَا ... حُمَاةِ الثُّغُورِ والكُمَاةِ المَسَاعِرِ[١]

أَلَمْ تَأتِكُمْ لِي دَعوةٌ عَلَوِيَّةٌ ... يُنَادَى عَليهَا ظَاهِرَاً فِي المَشَاعِرِ

وأنتُم حُمَاةُ الرَّوعِ فِي كُلِّ مأقِطٍ ... إذَا قَالَ مَن يَحمِي ظُهُورَ الصَّوَادِرِ[٢]

وَكَم لَكُمُ مِن وَقعَةٍ عَلَوِيَّةٍ ... بِبِيضِ المَوَاضِي والرِّمَاحِ الشَّوَاجِرِ

أَجُبْنَاً فمِنْ أنَّى؟ وكَيفَ؟ وَأنتُمُ ... بَنُو المُشْبِلاَتِ واللُّيُوثِ الهَوَاصِرِ[٣]

أَيَأسَاً فأنتُم طَالِبُونَ بِثَأرِكُمْ ... وهَل آيِسٌ مِن ثَأرِهِ كُلُّ ثَائِرِ

وهَذَا أخُوكُم كَاشِفٌ نصفَ سَاقِهِ ... إِلَى كُلِّ رَوعٍ غيرُ وَاهِي المَرَائِرِ

يَرَى الجَيشَ مِلءَ الأرضِ من نِصفِ عَينِهِ ... ويُقَدِمُ إقدَامِ المُذِلِّ المُكَابِرِ

مُسِيحٌ عَلَى أعدَائِهِ كُلَّ لَيلَةٍ ... وإن كَانَ عَنهُم نَائِياً غَيرَ حَاضِرِ[٤]

لَهُ كُلُّ يَومٍ غَارَةٌ مُسْبَطِرَّةٌ ... إِلَى كُلِّ أفَّاكٍ أثِيمٍ وفَاجِرِ

فَأَينَ الحَمَايَا مِن أُنُوفٍ حَمِيةٍ ... تَنَشَّقْنَ رَيحَانَ العُلَى والمَفَاخِرِ

تَمُتُّ إلَى أصلٍ رَفِيعٍ ومَنبَتٍ ... مَنِيعٍ وَجَدٍّ شَامِخٍ غَيرَ عَاثِرِ

هَلُمُوا بَنِي بِنتِ النَّبِي مُحَمَّدٍ ... إِلَى شرفِ الدَّارَينِ دَهرَ الدَّواهِرِ

فَمَا أنتُمُ دُونَ الحُمَاةِ رَبِيعَةٍ ... غَدَاةَ خَزَازَى يَومَ جَمعِ الجَمَاهِرِ[٥]

---

[١] أي بني سليمان وبني موسى.

[٢] الصوادر: أي المتقدمة في الحرب.

[٣] الشبل: ولد الأسد إذا أدرك الصيد. والهواصر جمع هصور: وهو من أسماء الأسد.

[٤] مسيح: أي يمر على أعدائه ولا يغفل عنهم.

[٥] خزازى: جبل بطخفة ما بين البصرة إلى مكة وهو قريب من سالع. ويوم خزازى من وقعات أيام العرب المشهورة ومن حديثه: أن ملكاً من ملوك اليمن كان في يديه أسارى من ربيعة ومضر وقضاعة فوفد عليه وفد من بني معد فكلموا الملك في الأسرى فوهبهم لهم، فاحتبس الملك عنده بعض الوفد

وَلَا دُونَ أحيَا عَامِرٍ يَومَ مَذحِجٍ عَشِيَّةَ فَيفِ الرِّيحِ أَيَّامَ عَامِرِ[١]

أَبُوكُم عَلِيٌّ والنَّبِيُّ مُحَمَّدٍ فَهل بَعدَ هذا من فَخَارٍ لِفَاخِرِ

أَرأسَ مَعَدٍّ لَا عَدِمتِ قَبِيلَةً هَلُمِّي إلَى عِندِ الإمَامِ فَهَاجِرِي

هَلُمِّي إلَى دِينٍ ودُنيَا عَرِيضَةٍ وقَائِمِ حَقٍّ بِالتَّوَاصُلِ آمِرِ

يُنَادِي بَأعلَى الصَّوتِ يَا آل أحمد خُذُوا حِذرَكُم من كُلِّ أطلسَ غَادِرِ

فأنتم وُلَاةُ الأمرِ فِي كُلِّ بلدَةٍ وأهلُ اللوَاءِ والرِّدَا والمَنَابِرِ

وَهَا أَنَا هَذَا حَيثُ لَا تَجهَلُونَنِي كَطودِ شَمَامٍ ظَاهِرًا أيَّ ظَاهِرِ[٢]

أَشُدُّ على أعدائكم بمهنَّدي فهل أحدٌ منكم عليهم مظاهِرِي

[*أبيات للإمام عليه السلام في صدر كتاب إلى صاحب حلي*]:

وكتب عليه السلام في صدر كتاب إلى علي بن عطية بن يعقوب صاحب حلي هذه الأبيات:

رهينة، وقال للباقين إئتوني برؤساء قومكم لآخذ عليهم المواثيق بالطاعة لي وإلا قتلت أصحابكم، فرجعوا إلى قومهم فأخبروهم الخبر، فبعث كليب وائل إلى ربيعة فجمعهم واجتمعت معد عليه، فلما اجتمعوا إليه سار بهم، وجعل على مقدمته السفاح التغلبي وهو سلمة بن خالد بن كعب، وأمرهم أن يوقدوا على خزازا ناراً ليهتدوا بها، وقال للسفاح إن غشيك العدو فأوقد نارين، فبلغ مذحجاً إجتماع ربيعة ومسيرها، فأقبلوا بجموعهم واستنفروا من يليهم من قبائل اليمن وساروا إليهم، فلما سمع أهل تهامة بمسير مذحج انضموا إلى ربيعة، ووصلت مذحج إلى خزازا ليلاً، فرفع السفاح نارين، فلما رأى كليب النارين أقبل إليهم بالجموع فصبحهم فالتقوا بخزازا، فاقتتلوا قتالاً شديداً أكثروا فيه القتل فانهزمت مذحج وانفضت جموعها. الكامل في التاريخ(٣١٢/١) .

(١) فيف الريح من أيام العرب، تقدم ذكره.

(٢) شمام كسحاب: جبل.

أَلَا أَبلِــغْ كِنَانَــةَ حَيــثُ كانَــتْ حُمَــاةَ الــرَّوعِ لَا خُــذِلَتْ كِنَانَــهْ

سُــلالَةُ مَالِــكٍ سَــادَاتِ قَــومِي وَأهــلُ المَجــدِ قِــدماً والمَكَانَــهْ

وَقُــلْ لِعَلِيِّهَــا الجَــارِي المُجَلِّــي تَمَسَّــكْ بِالإنَابَــةِ والدِّيَانَــهْ

وَكُــنْ كَأبِيــكَ لِلإســلَامِ رُكنَــاً لِيُعْــرَفَ مــن مَكَــانِكُمْ مَكَانَــهْ[1]

وَكُــن كَــأبِي الطُّفَيــلِ فَأنــتَ مِنــهُ أَعِــنْ أَبنَــاءَ أحْمَــدَ إذْ أعَانَــهْ

[أبيات للإمام عليه السلام إلى الشرفاء بني علي]

ثم أنشأ عليه السلام أبياتًا في صدر كتاب إلى الشرفاء بني علي يحضهم على طاعة الأمير نظام الدين السيد يحيى بن علي السليماني، ويعرفهم بحقه، ويأمرهم بالمهاجرة معه، وقد كان بلغه منهم تقصير في حقه، فكتب إليهم هذه الأبيات:

ألَا أبلِــغْ هُــدِيتَ بَنِــي عَلِــيٍّ خُصُوصَــاً مــن سُــلَيمَانَ الكِــرَامِ

بَنِــي الــرُّكنِ المُعَظَّــمِ والمُصَــلَّى وأهــلِ الحَــلِّ والبَلَــدِ الحَــرَامِ

خُصِصــتُمْ دُونَ قَــومِكُمُ بِيَحيَــى شَــرِيفِ الفِعــلِ مَحمُــودِ القِيَــامِ

فَتَــىً لَــمْ يَخْــلُ مــن فِعــلٍ حَميــدٍ ولَــمْ يُنْسَــبْ إلــى دَنَــسٍ وذَامِ

وَلَــو يَحيَــى دَعَــا قُــدْماً إليهَــا لَكَــانَ بِهَــا إمَامَــاً لِلإمَــامِ[2]

فَحَــقُّ أَخِــيكُمُ لَا تَجهَلُــوهُ أتُجْهَــلُ حُرمــةُ الشَّــهرِ الحَــرَامِ

وَكُونُــوا دُونَــهُ حِصــناً حَصِــيناً مِــنَ الأعــدَاءِ فِــي يَــومِ الصِّــدَامِ

وَخِفُّــوا نَحــوَ هِجرَتِــهِ جَمِيعَــاً تَحُــوزُوا الفَخــرَ فِــي يَمَــنٍ وشَــامِ[3]

---

[1] أبو الطفيل: كنية عامر بن واثلة الكناني، صحابي من محبي علي وأشياعه.

[2] القُدم بالضم: السابقة في الأمر.

[3] خِفوا: أي هاجروا إليه خفافاً أو جماعات.

[وصول السيد يحيى بن علي السليماني إلى الإمام إلى صعدة وكلامه]

ووصل السيد يحي بن علي بعد أيام من تهامة **لثلاث ليال خلون من شهر صفر من سنة ست وتسعين** في خيل في أصحابه وشيعته، فخرج الإمام في لقائه، وركب الجند، وخرج أهل المدينة، وراح الكل بعد السلام إلى المسجد المعمور بالمشاهد المقدسة سلام الله على ساكنيها، فلما استقر المجلس في ذلك المجمع افتتح السيد الكلام بالحمد لله تعالى والثناء عليه، وأكثر من الشكر لله سبحانه على تعجيل اللقاء والاجتماع بالإمام عليه السلام، وأقسم بالله تعالى لقد حسبت الهلاك في التوقف عن القيام بأمر الله، وما كان تأخري عن ذلك إلا ترجيًا لقيام الإمام عليه السلام، قال:

ولما وصلتني دعوته المباركة استبشرت بها، وتلقيتها بالطاعة والقبول، وضربت بيدي اليمنى على اليسرى أخذاً للبيعة على نفسي، ونشرتها مجتهداً طاقتي، وأقسم بالله تعالى ثانية إني لباق على بيعته متمسك بطاعته.

ثم قال للحاضرين مبشرًا لهم: إنكم لعلى سبيل المتقين، وإمامكم على الحق اليقين، ولقد وجدت في ملحمة قديمة قد بلي ورقها من طول المدة اسم إمام الحق عبد الله، وفيها ذكر صفاته، واستقامة دولته، وظهور كلمته، فأبشروا بذلك إن شاء الله، فهو إمام الحق، الناطق بالصدق، وإنكم على سبيل النجاة فعليكم بالجهاد في سبيل الله بالأموال والأنفس، فإن ذلك فرض واجب عليكم، لقول الله تعالى: **{وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ}**[التوبة/٤١]، فألزم الكافة بالجهاد بالأموال جميعها من غير تخصيص لشيء معين منها، وأوسع في الكلام في نشر

فضائل الإمام عليه السلام، وأكثره موشح بآيات القرآن كل شيء منها في موضعه؛ فاطمأنت نفوس من سمع كلامه، وازدادوا يقيناً في أمره عليه السلام.

[وصول الأميرين إلى الإمام إلى صعدة]

ثم وصل الأمير الكبير شمس الدين شيخ آل الرسول يحيى بن أحمد يوم الخميس الخامس من شهر صفر المذكور في عساكر جمة كثيرة العدد من كافة قبائل خولان إلى ثلاثة آلاف، فتلقاهم الإمام إلى شامي المدينة للسلام، وافترقوا في المدينة للضيفة، ولما كان من الغد وهو يوم الجمعة وقضيت الصلاة وغص المسجد بالزحام، صعد الأمير شمس الدين المنبر فحمد الله وأثنى عليه ونشر فضائل الإمام عليه السلام، وحض الناس على طاعته والالتزام بولايته، والتأهب للخروج والجهاد بين يديه في سبيل الله، وقال: وأما أنا فخادم من جملة خدام الإمام.

وصدر بعد ذلك في العساكر بنفسه على كبر سنه، لما رأى في ذلك من إقامة الدين، وصلاح المسلمين، وتحملَ المشقةَ رغبة فيما عند الله تعالى، وإظهار طاعة الإمام؛ لأن الشيعة قد كانوا لبسوا على الناس في أمره وقالوا: إنه قد وقف عن نصرته، وسقطت عنده إمامته، فتكلف الأثقال في رضا الله سبحانه.

ثم صعد الأمير نظام الدين السيد يحيى بن علي على إثره المنبر فتكلم مع الناس، فالذي حفظته من معنى كلامه وبعض ألفاظه على الجملة تجديد إظهار فضائل الإمام وقال بعد القسم: لولا تعينت علينا فريضة الجهاد، لما تكلفنا المشاق وفارقنا الزوجات والأولاد، فالحمد لله رب العالمين على بلوغ المراد.

فأقبل الناس إلى قولهما، إذا كل واحد منهما لو دعا إلى الأمر لأجابه الناس ولاستحق الإجابة، فازداد أهل العلم يقيناً، والجهال والعوام طاعة وسكوناً، وأنشدت الأشعار في ذلك اليوم وقبله.

[قصيدة الشيخ يحيى بن أحمد حجلان]

فمن ذلك: قصيدة للسيخ يحيي بن أحمد بن حجلان:

فتحت سعودك كل باب مقفل	**والبيض في أغمادها لم تقلَلِ**
والخيل مقربة تظل كوانساً	**حول المنازل والقنا لم تحملِ**
جاريت أهل الفضل في ميدانهم	**فسبقتهم سبق الجواد الأولِ**
تسمو إلى رتب العلا متوشحاً	**سيف الإمامة ذا النجاد الأطولِ**
متسربلاً بالمجد مرتدياً به	**يا حبذا للمرتدي المتسربِلِ**
متمكناً في الذروة القعساء مر	**تدياً بثوبي عزةٍ وتذلُّلِ**
كالنجم في جو السماء محلقاً	**وتراه في قعر القليب الأسفلِ**
ألقت إليك يد الخلافة كفها	**واستعصمت بك أن تكون لها ولِي**
حتى حللت عصابها واقتدتها	**بكراً كبكر الغانيات العيطَلِ**
هذا وكل فضيلة قد حزتها	**ونصبتها فوق السماك الأعزلِ**
أما السماحة فهي فيك طبيعة	**مولودة وسجية من أولِ**
يلقى الرماح بصدره وبنحره	**لا يتقي منها بغير الكلكَلِ**
وإذا التقى الصفان في رهج الوغى	**امتاز عنه كل قرم فيصلِ**
حتى ذا حمي الوطيس رأيته	**كالليث يزأر في الرعيل الأوَلِ**
ولقد دعوت الناس يا ابن محمد	**سرّاً وجهراً للجهاد الأفضلِ**
ستقودها شعث النواصي شزباً	**تعدو بكل مكبِّرٍ ومهلِّلِ**

حتى تزور الروم في ناديهم … بالمشرفية والرماح الذبَّلِ
وتمر في وسط الفرات عوابساً … وتجوز قباً في العراق الأسفل
لا تنتهي حتى تزور الروم عن … كثب وترمي عزها بالجحفَلِ

[قصيدة الفقيه يحيى بن أحمد الزيدي]

ومما أنشده من قصيدة الفقيه يحيى بن أحمد الزيدي:

الله أكبر حي بعد خمولِهِ … دينُ المهيمن بابن بنت رسولِهِ
وتَبَلَّجَ الإسلامُ بعد ظلامه … نوراً وهذا اليوم غايةُ سولِهِ
وزها بعبد الله صفوةِ حمزة … ما كان قد درست رسومُ طلولِهِ
قام الإمام بِهِمَّةٍ علويةٍ … قطَّاعةٍ كَسِنَانِهِ وصَقِيلِهِ
من بعد تدقيق الأمور وعلمه … بدقيق أمر قيامِهِ وجَلِيلِهِ
فأتى على حسب الإرادة أمرُه … وبدا له التوفيقُ بعد أفولِهِ
وأمدَّهُ الرحمنُ جل جلالُه … بعساكر من رَجلِهِ وخيولِهِ
بيضِ الوجوهِ جحاجحٍ أضحى بهم … دين الإله يجر فضل ذيولِهِ[1]
يحيى بنِ أحمدَ شمسِ آلِ محمد … ومحمدٍ صمصامِهِ وخليلِهِ
دعت الإمامةُ والزعامةُ رَبَّها … بالنصر للمنصور قبل حصولِهِ
فالنصرُ خلفَ لوائِهِ وأمامَهُ … والسَّعدُ حِلْفُ بنودِهِ وطبولِهِ
وتقر في بغداد رتبةُ ملكِهِ … إذ فيضُ دجلتها كفيضِ جميلِهِ
من بعد ما تجري بريح سعادة … أقلامُ مولانا بمصرَ ونيلِهِ

---

[1] الجحاجح: جمع جحجاح، وهو السيد.

[قصيدة مؤلف السيرة أبي فراس بن دعثم]

ومما أنشد من قصيدة لكاتب الإمام عليه السلام أبي فراس بن دعثم منتزع هذه السيرة الشريفة:

جيادٌ تبارى في الشكيمِ بفرسَانِ ... تخال إذا حالت كواسر عقبانِ
سوامي الهوادي مقرباتٍ كأنها ... هضابُ ثبير أو شماريخُ ثَهلَانِ[١]
وكل رحيبِ السَّحْرِ عَبْلٍ ذِرَاعُهُ ... له في مغار الخيل أرجاءُ سِرْحَانِ[٢]
يثير عجاجاً مثل ليلٍ نهارُه ... كواكبُه لمعٌ بأطراف مُرَّانِ
غدت ضحوةً فرسانُها من أُثافتٍ ... يكفكفها حتى استقرت بخيوانِ[٣]
وجازت عِياناً في الهجيرِ وعرَّجت ... بأملَحَ تطفُو في مُرُوتٍ وغيطَانِ[٤]
فمادت جبالٌ في مغارِبِ حَجَّةٍ ... ومادت سهولٌ في مشَارِقِ بَيحَانِ
وصَبَّحَتِ الأعداءَ والفجرُ ساطِعٌ ... فساء صباحُ المُنذَرِين بنجرَانِ
فَفَرَّ صُعَيبٌ حينَ فَاجَاهُ علمُها ... وَوَلَّى ولم يلوِ لأهلٍ وجيرانِ
وشَاهَدَ دَوحاتِ الفَلَاةِ فوارِسَاً ... وما ليس إنساناً رآه كإنسَانِ
ووَدَّ من الرُّعبِ المُبَرِّحِ أَنَّهُ ... يكون له في منكبيه جناحَانِ
وما العير يوماً يَستَقِرُّ قَرَارُهُ ... إذا زأرت من حوله أُسْدُ خِفَّانِ

---

[١] ثَهلان -بفتح الثاء-: اسم جبل في أرض نجد لذبيان.

[٢] السَّحْر- بسكون الحاء وفتحها-: الرئة، والعبل: الخضم من كل شيء. والسرحان: الذئب أو الأسد.

[٣] خيوان: مدينة في الشرق الشمالي من حوث، وهي من بلاد خيوان.

[٤] عيان -بكسر العين-: قرية مشهورة في سفيان، بها مشهد الإمام القاسم بن علي العياني عليه السلام. والمرت: المفازة بلا نبات، أو الأرض لا يجف ثراها ولا ينبت مرعاها. والغيطان: جمع غائط: وهو المطمئن الواسع من الأرض.

فـإن تنفلـت منهـا فلـيس بفائـت وإن لـه مــن بعــدها موقفــاً ثَــانِي

[توجه الإمام إلى الجوف ووصول الوفود إليه]

ونهض الإمام عليه السلام إلى هجرة دار معين **يوم الثلاثاء العاشر من صفر**، ومن خف من العسكر، وتكامل الباقون يوم الخميس، ونهض عند طلوع الشمس يوم الجمعة بالعساكر المنصورة متوجهاً إلى الجوف، وتلقاه آل دعام[1] إلى البطحاء، وقد صفت الخيل، ولبست الجند آلة الحرب، ونشرت البنود والأعلام، وكان الأمير شمس الدين يحيى بن أحمد في عسكر خولان فحط الإمام بين السوق ودار عصية، ووقف يومين، وصدر كتباً إلى مأرب وبيحان يأمرهم باللقاء إلى براقش، وأمر إلى سائر أهل الجوف يأمرهم بالوصول، ولم يكن أحد منهم مصدقاً بوصوله لاشتغاله بمقاومة الغز ومحاربتهم.

فوصل السلطان جحاف بن حميدان في قدر خمسين فارساً من بني منبه، ووصل عزان بن فليتة وأصحابه في اليوم الثاني، واجتمع في ذلك اليوم خلق كثير من ألفاف العرب.

[كلام الإمام عليه السلام لأهل الجوف فيما جرى منهم]

فتقدم الإمام عليه السلام إلى أوساط الناس فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي صلى الله عليه وآله، ثم تكلم بكلام يعجز عنه الفصحاء والبلغاء، ثم أقبل

---

[1] آل دعام: أهل درب ظالم بالجوف بطن من بكيل الهمدَانية.

بكلامه على عزان بن فليتة لما كان قد تقدم منه من الإساءة في أخذ درب سدال، فأغلظ عليه في القول، فالذي ضبطت من لفظه ومعاني كلامه عليه السلام أن قال:

إنا ما تركناكم عجزاً عنكم، بل رأفة بكم، وحفظاً للجيرة المتقدمة والألفة بيننا وبينكم، وأنتم تعلمون أن إسماعيل بن سيف الإسلام أكثر منكم مالاً، وأقوى منكم حالاً، وأكثر خيلاً ورجالاً، ففللنا شباته، ونغصنا عليه حياته، وخرج من صنعاء خائفاً يترقب، وأمواله تؤخذ في كل جهة وتُغنم، فاعرفوا حدكم، ولا تتعدوا طوركم، ثم دعوناكم إلى الجهاد في سبيل الله فأجابنا منكم من أجاب على كره وقلة رغبة، وفي نفسه الهزيمة، وضعف العزيمة، حتى إذا وجد رائحة العدو اضطربت أحواله، وانقلب على عقبيه هارباً، ولو صَدَقُوا الله لكان خيراً لهم، فخسرتم الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين، ثم طلبنا منكم المعونة على الجهاد بأموالكم فصعب عليكم ذلك أشد الصعوبة، فإذا كنتم تضنون بأموالكم، ولا تجاهدون بين يدي عترة نبيكم بأنفسكم، فبماذا تلقون خالقكم؟!، فالله المستعان، ثم تركناكم لاشتغالنا بما هو أهم منكم من حرب عدونا وعدوكم، فسهرنا ونمتم، وجعنا وشبعتم، وتعبنا في رضا الله سبحانه واسترحتم، ورضينا منكم بصلاح ذات بينكم، لِتَحَنُّنِنَا عليكم، وحِفظِنَا لصحبتكم، فأبيتم إلا التمادي في قطع أسباب الخير، وفتح أبواب الشر، وقصد كل واحد منكم صاحبه، وأعد العدة لحربه، وهذا كلامنا، والصلاة على محمد وآله.

فتقدم السلطان عزان بن فليتة بولده وحصانه رهناً فيما وجب عليه وحدث منه في درب سدال، وفيما يلزمه من حقوق الله، وعلى ما يوجبه عليه حكم الشريعة، واعتذر فيما كان منه، فقبل الإمام عذره وانقياده، وجعل لهم موعداً

للفصل إلى براقش، وكان وصوله إليهم **يوم الجمعة لعشرين ليلة خلت من شهر صفر سنة ست وتسعين وخمسمائة.**

فوفد إليه راشد بن منيف الجنبي، ومنيف بن ضيغم بن عبد رب، في جماعة من أصحابهما، فسمعوا وأطاعوا واستحلفهم الأمير شمس الدين على المصحف الأيمان المؤكدة على الطاعة لله تعالى وللإمام عليه السلام وإجابة دعوته، وكان عندهم خوف من الإمام عليه السلام فما وصلوا حتى لقيهم صنوه عماد الدين يحيى بن حمزة مرافقاً لهم.

[صاحب حضرموت يبذل الطاعة للإمام عليه السلام]

ووصل جواب صاحب حضرموت عبد الله بن راشد بن سجنعة[1] مهنياً بما وقع من الاستظهار على أعداء الله، ويتعرض للخدمة ويبذل من نفسه الطاعة، وفي صدر كتابه هذه الأبيات:

الآن قرت على الآساسِ أركانُ وطال للدين والإسلام بنيانُ
وقام بالشرف البَذَّاخِ صاحِبُه وعز للدولة الغراء سلطانُ
وثار ثائر حق من بني حسن في وجهه لعلو الشأن عنوانُ

---

[1] أمير حضرموت العالم العادل الشهيد السلطان عبد الله بن راشد بن أبي قحطان الحميري، كان أميراً عادلاً نبيهاً، له مشاركة في علم الحديث، وصحب جماعة من العلماء والزهاد، وسالمته الليالي أعوام أمارته، فكان عصره أحسن العصور بحضرموت، وكان يقول: في بلادي ثلاث خصال أفتخر بها على السلاطين: لا يوجد بها خراج ولا سارق ولا محتاج، ثم ترك الأمارة في آخر عمره، ومال إلى الطاعة، فعوتب على ذلك من ترك الأمارة، فقال: لم أجد من يواليني على الحق، وخرج ليصلح بين قبيلتين، فقتل ظلماً سنة ٦١٣هـ رحمه الله.(أئمة اليمن لزبارة ١٤٣/١).

من آل هاشمٍ الغرِّ الجحاجِحِ ما زالوا نظاماً لشمل الدين مُذْ كانُوا
مَنْ جَدُّهُ الأقدَمُ الأعلى نبيٌّ هدى وجَدُّهُ الأقربُ الأدنى سليمانُ
ذاك ابنُ حمزةَ عبدُ اللهِ نورُ هدى به المكارمُ والعلياءُ تزدَانُ
فلا عدمنا إماماً من بني حسن فإنهم لملوك الأرض تيجَانُ
تَسْتَعْبِدُ الناسَ منهم حُسنُ سِيرَتِهِم وطالما استعبَدَ الإنسانَ إحسانُ

[كلام الأمير شمس الدين وكلام الإمام (ع) فيما جرى بين أهل الجوف]

ووصل عزان بن فليتة وجحاف بن حميدان وعلي بن هديان وشبيب بن هشام وفيصل بن يحيى إلى الندي وجماعة من أصحابهم للميعاد والفصل فيما بينهم.

فتكلم الأمير الكبير شمس الدين وقد اجتمع قوم كثير فقال:

أنتم يا بني منبه سلاطين البلاد، ومن يرجى للقيام والجهاد، والمعونة في الأمور المهمة، واعلموا أن مولانا الإمام عليه السلام يحبكم خاصة دون غيركم، ويريد تغطيتكم، والصلاح بينكم وأنتم تتسرعون بالشر وإهلاك بعضكم لبعض، وهو يحفظ لكم الجيرة، وقديم الصحبة والألفة، فاحفظوا أنفسكم، والله الموفق لنا ولكم.

ثم تكلم الإمام عليه السلام على إثر كلامه فقال:

إنا نعيد خَبَراً، والصلاة على محمد وآله، قد تكلم هذا الأمير فلم يدع للكلام مجالاً، وأنتم معنا بين ثلاثة أمور لا رابع لها:

إما أن تعطوا أنفسكم وتصلحوا ذات بينكم، فما نريد إلا الإصلاح.

وإما أن تفترقوا فنكون إلباً على الباغي منكم، والله المستعان.

وإما أن تجمعوا أمركم على خلاف أمرنا فأذنوا بحرب من الله ورسوله، فاختاروا لأنفسكم ما شئتم فقد شغلتمونا عن الأمور المهمة التي يصغر هذا الأمر في جنبها.

فأجابوا بالسمع والطاعة، فقال عليه السلام: (إن الطاعة بالمقال دون الفعال لا تنفعكم، فلما رأوا شدة أمره وقوة عزمه برزوا ساعة، وعادوا وقد انسدت أمورهم وهدموا ما كان بينهم من الحنات المتقدمة، وتغطت أمورهم).

ووصلت كتب من أهل مأرب يعتذرون عن المبادرة لحروب وقتل وقع بينهم، وأنهم تحت الطاعة.

[أسباب حبس إسماعيل لبشر بن حاتم]

ووصلت أخبار مقدم السلطان بشر بن حاتم إلى السلطان إسماعيل إلى جهة اليمن.

وكان سبب ذلك: أن شهاباً أشار عليه وأظهر له النصيحة وأنه يريد مكافأته على ما كان قد قدم إليه من الصنيع وخلاصه من حصن فدة، فلما وصل إلى إسماعيل نهض شهاب مبادراً من صنعاء يصل الليل بالنهار حتى أتى إسماعيل وأغراه بلزمه، فقبض عليه عند وصول شهاب وعلى أصحابه وأمر بهم إلى تعز، ونقلوا بعد ذلك إلى حصن التعكر[1]، هذا مع اجتهاد السلطان بشر بن حاتم في النصيحة لهم، وإظهار مباينة الإمام عليه السلام، وكان تقدمه إلى اليمن بغير علم السلطان علي بن حاتم ولا مشورته؛ لعلمه أنه يمنعه من ذلك، فلما صحت أخبار لزمه وأولاده وأصحابه جاء كتاب السلطان علي بن حاتم يستنهض الإمام ويحضه

---

[1] التعكر: من أشهر جبال اليمن وأبعدها صيتاً، وأمنعها حصانة، وأعلاها شموخاً، يقع في أرض ذي الكلاع من مخلاف جعفر، يطل من الجنوب على وادي ظباء ونخلان فصبر فالجند فالمعافر.

على التقدم إلى البلاد، فنهض الإمام عليه السلام -وكانت إقامته ببراقش خمس عشرة ليلة- إلى الجوف الأعلى، وقد كان العسكر تقدم إلى هناك مع الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة، والتأم إليهم خيل من جنب ومن الجوف، واستمروا حتى وصلوا شوابة، وكانت الإقامة بها ثلاثة أيام لجمع العساكر والجيوش من سفيان وذيبان وداعي بكيل وغيرهم، فأقبل الناس من كل جهة، فأمرهم الإمام عليه السلام بالنفير للجهاد في سبيل الله والقود إلى الجنات، ونهض في عسكر كثير متباعد الأطراف من الخيل الكثيرة، والفياس الجمة العدد، فأتى الجنات **لعشر ليل بقين من شهر ربيع الأول**، ولعل الخيل تكون ثلاثمائة، فأما الرجل فخلق كثير.

[استسلام أهل الجنات والشروط المأخوذة عليهم]

[وكان عدلان في الجنات رتبة وله الجواسيس على الإمام، فلما علم بإقبال العساكر المنصورة انهزم إلى صنعاء فيمن كان معه]، فأيقن أهل الجنات بالهلاك وضاقت عليهم الأرض بما رحبت، فأعلنوا بالتهليل والتكبير، وخرج منهم جماعة مستسلمين فوقفوا بين يدي الإمام، فَعَرَّفَهم ما كان منهم من نكث البيعة، ومظاهرة أعداء الله، وعفوه عنهم مع التمكن منهم ثلاث مرات، فاعترفوا بإساءتهم، ووقع الخطاب على خراب دروبهم، وسور قريتهم، ودفن الخندق، وتسليم ثلاثة آلاف دينار صلحاً عما وجب عليهم من الحقوق، وتسليم ثلاث عشرة ذهبية على هذه الشروط، وعلى الطاعة، وتسليم الواجبات في المستأنف، وأمنهم على ذلك، وتقدم لقبضه، ونفاذ الخراب، وقام الأميران فيه عماد الدين يحيى بن حمزة، وصفي الدين محمد بن إبراهيم، ورفع الإمام المحطة عنهم إلى الحوائط عشرة أيام.

وأقبلت القبائل من أقاصي البلاد وأدانيها.

[وصول المطرفية إلى الإمام (ع) والحوار الذي دار بينهم وبيعتهم]

ووصلت المطرفية المرتدة من هجرة قاعة بعد يومين أو ثلاث في جمع كثير، فتلقاهم الإمام عليه السلام فسلموا في مجمع كثير، فتقدم كبيرهم معتذراً عن المبادرة بالوصول، فأقسم بالكفران بالله تعالى ما علمنا بوصولك يا مولانا إلى البارحة، فعجب العامة والخاصة من هذه اليمين في ذلك المجمع المشهود، وقلة التورع منها كانت على حق أو باطل، فعقد الإمام عليه السلام لهم مجلساً جمع فضلاء العترة وعلماء الشيعة وفقهاءهم.

وكان ممن حضر ذلك المقام الأمير الكبير شمس الدين يحيى بن أحمد بن يحيى بن يحيى ابن الهادي إلى الحق عليه السلام، والأمير السيد نظام الدين يحيى بن علي السليماني، ويحيى بن محمد بن أحمد، ويحيى بن الحسين بن يحيى من ولد الهادي عليه السلام، وجماعة من الشرفاء الحمزيين والعباسيين، والفقيه أبو القاسم بن الحسين، والفقيه علي بن أحمد الأكوع، والفقيه سليمان بن عبد الله السفياني، والقاضي أحمد بن عصيم، والقاضي سليمان بن جعفر الشيباني، والشريف القاسم بن يحيى بن القاسم الحمزي، والشريف يحيى بن أبي جعفر من ولد العباس ين علي.

ولما استقر المجلس سأل الإمام عليه السلام الأمير شمس الدين فتح الكلام، فتكلم بعد أن حمد الله تعالى، وصلى على نبيه وآله صلى الله عليه وآله وقال:

يا معشر المسلمين، الملتزمين بأسباب الدين، إنه بلغنا كلام عمن لا دين له ولا معرفة عنده، أحببنا شرحه والإجابة عنه بما عندنا، وهو أن الإمام عليه السلام لما

وصل إلى صعدة ونهوجها خالفنا أمره، وتأخرنا عن إجابة دعوته لشك في إمامته، وقدح في زعامته، فأردنا أن نوضح لكم ما عندنا، وما نعتقده في إمامنا، فاعلموا أنه لما دعانا إلى طاعة الله أجبنا دعوته، وكنا أول سابق إلى بيعته، بعد أن اختبرنا علمه وزهده وورعه وجمعه لخصال الإمامة، وصح عندنا بالبراهين الواضحة، والأدلة البينة أنه إمام حق، وقائم صدق، ولم نقدم على شك في ديننا، وهذا مجمع قد حضره علماء أهل البيت وفقهاء المسلمين، فمن كان عنده منكم شك أو شبهة فهذا موضع السؤال، ولا حائل دون ذلك ولا مانع، فإن المحاباة في الدين مما لا تسع أحداً من المسلمين، فهذا ميدان السؤال والجواب، واعلموا أنا تحملنا المشقة لما لزمت الفريضة ووجبت الحجة، وأنا منذ وقعت البيعة ما تركنا الجهاد في سبيل الله، والمناصبة لأعداء الله، حتى استشهد منا من استشهد في سبيل الله، وقد تكلفت المشقة على كبر سني رجاء لما عند الله، فإن كان عند أحد منكم دليل أو حجة يحط عنا مشقة هذا التكليف شكرناه على ذلك، ولا يقولن أحد ممن حضر هذا الموقف: إني خشيت على نفسي، أو منعت من السؤال، أو لم أقدر على السؤال لعظم الحال، فما هذا عذر يقبل، وأُشهد من حضر أن من كانت له مسألة، أو أمر من الأمور، وأراد البحث عن ذلك والمطالبة بإزالة ما عنده، فإنه جار لي ما تلحقه معرة ولا مضرة.

ثم تكلم الإمام عليه السلام بكلام متسع، وقال في أثنائه بعد ذلك:

تكلم هذا الأمير بما هو أهله، ونشر من الفضل ما هو فرعه وأصله، فإن الله يجزيه خيراً عن الإسلام، فلقد تحمل من المشقة في إعزاز الدين، ووطن النفس على الاصطبار رغبة فيما عند الله سبحانه، وأنتم تعلمون ما فرض الله عليكم

من طاعة القائم من عترة نبيكم، وأوجب عليكم من الوفاء ببيعتكم، وما ألزمكم من الجهاد في سبيله، فلا جاهدتم في سبيل الله بأموالكم ولا بأنفسكم، ولا أطعتم أمر إمامكم، وليته مع ذلك يسلم من لسع ألسنتكم، ثم تركتم صلاة الجمعة المفروضة عليكم، التي من تركها جهلاً بها واستخفافاً لحقها وله إمام عادل فلا جمع الله شمله، ولا بارك له في أمره، ولا صلاة له، ولا زكاة له، ولا حج له، ولا صوم له، ولا جهاد له، إلا أن يتوب فيتوب الله عليه وهو التواب الرحيم، وأنتم تعلمون أن لكم شروطاً في هجركم من تأخر عنها أزعجتموه عن قراره، هذا في مغرم أو لعذر مانع، فتغلظون عليه، ولا تعذرونه من الانتقال، فكيف بمن يقطع فرضاً واحداً من صلاة أو زكاة أو حج أو صوم أو جهاد، فيجب أن تكون الشدة عليه أكبر والتغليظ أشد، فكيف وقد صرتم في حكم من قطع هذه الفروض بترك صلاة الجمعة للخبر الذي رويناه، فما عذركم عن إقامة الجمعة وهذا شيخكم أحمد بن أسعد الفضيلي ومقدمك وعالمكم قد بايع وتابع وما ظهر منه إلا الطاعة، وقد اختبر بعلم وسأل عن معرفة، وهذا باب السؤال مفتوح فمن كان معه منكم شك فليزله باليقين، ولا تتعصبوا لمذهب بغير دليل.

فأجابه الشيخ أحمد بن أسعد الفضيلي بكلام وخبر وقال:

يا مولانا إنا باقون على البيعة غير شاكين ولا معارضين، ولكن عاقت عوائق من مرض وقلة ذات يد وضعف حال عن الوصول للجهاد.

فقال الإمام عليه السلام: أما من عذره الله فهو معذور، فهل بقي عندكم شك في أمرنا؟

فقال الفضيلي: أما أنا يا أمير المؤمنين فما عندي شك من قبل ولا من بعد.

فسأل كل واحد منهم على الانفراد وهو يشير إليه بأصبعه هل بقي عندك شك أو عليك شبهة، فيقول: أبداً ما بقي شك، حتى أتى على آخرهم، فكان جوابهم في ذلك واحداً.

فقال عليه السلام: اشهدوا عليهم يا من جمعه مجلسنا، وتفرق الناس بعد ذلك، وسألوا الأمير شمس الدين التقدم معهم إلى الهجرة فأسعف سؤالهم، واستأذن الإمام وتقدم في قدر ثلاثمائة من شيعته وعسكره من خولان، فأمسى بالهجرة آخر نهار الخميس، وأقام صلاة الجمعة عندهم، وراح إلى المحطة آخر نهاره.

[شعر القاضي عمرو بن علي العنسي]

ووصل القاضي زكي الدين عمرو بن علي العنسي وأنشد له هذا الشعر، منه:

عز بك المجد بعد ذلته ... وحيّ من بعد موته الكرمُ

واتضح الحق بعد أن طُمست ... أعلامُه واستطالت الهممُ

جردت في الله سيف مقتدر ... تبيد أعداءه وتنتقمُ

أمسى بك الدين وهو مبتهج ... وأصبح الأمر وهو منتظمُ

يسمو بك المنبر المنيف ويسـ ... ـمو السيفُ والسمهريُّ والقلمُ

أنت الإمام الذي فضائله ... كمثل نافٍ يقلها علمُ

أنت الجواد الذي مواهبه ... تخجل منها الأنواء والدِّيَمُ

يفدي محياك معشرٌ غُفُلٌ ... لا عملوا صالحاً ولا علموا

[ملحق القصائد التي قالها الإمام عليه السلام أيام الإقامة بصعدة]

[قصيدته حين لامته امرأته في الدخول بجارية]

وقال عليه السلام وهو بهجرة معين مخاطباً لامرأته حيث عتبت عليه في دخوله بجارية من ملك يمينه:

دَعِي اللّوم عَنّي اليوم يا أُمَّ أحمدِ ... ونَامِي فإن لَمْ تَشتَهي النّوم فَاقعُدِيْ[1]

دعيني فَإني قبل لَوْمك خائفٌ ... ليومٍ يُشيِّبُ هَولُهُ كلَّ أَمْرَدِ

سمعتُ أبي يحكي مصائبَ هوله ... وكان امرءاً يَهْدي الرشاد ويهتدِي

أطَلْتِ العِتابَ فِي حَلالٍ ركبتُه ... وإني بآيات المنزل مُقْتَدِي

متى كان فِي القران تحريم زَوْجَةٍ ... على المرء أو تحريم مَا مَلِكَتْ يدي

وإن كُنتِ من بيتٍ شريفٍ فإنني ... بمَا جئتُه فَاستعلمي غير مُعْتَدِيْ

أَبَى الله لِي والعِلمُ والحلمُ والحِجَى ... مَسِيْري إلا فِي طريق محمَّدِ

أبٌ نُزِّلَ الوحي الشريف بذكرِه ... وإني منه كالبنان مِن اليَدِ

لنا الدِّيْنُ والإيمانُ إرْثٌ ومَن يَزغ ... نُقَوِّمُ عِطْفَيْه بعَضْبٍ مهنّدِ

لنا البيتُ بيتُ الله والحِجْرُ والصَّفَا ... وبَطْحَا مِنَى بين الأخاشب عن يدِ[2]

ومن كان بَاغٍ للنّجاة بغَيْرِنا ... يكن كالذي يبغي السَّباقَ بمُقْعَدِ

ضَرَبْنا صُدُورَ الخَيلِ حَتَّى تَحَنَّنَتْ ... صُدُورَ المَواضي للوشيجِ المُقَصَّدِ

---

[1] أم ولده أحمد هي الشريفة الفاضلة فاطمة بنت يحيى بن محمد الأشل من ولد الهادي عليه السلام.

[2] الأخاشب: الجبال الصمان، والمراد هنا جبلا منى، تسمى الأخشبان.

ويــومٍ كــأنّ اللّيــل أعطــاه بُــردَه حِبَــاً وكــأن الشــمس مُقلــة أرْمَــدِ
ركبْنَــا صــدور السّــمهريّة طُولَــهُ إلــى أن أنــابَ مُخلِصــاً كــلُّ مُلحِــدِ
ويــومٌ كظِــلّ الــرمح طَــال وَلَــمْ يَطُــل بِسَــبٍّ ولكــن بالطعَــان المجَــرّدِ
صَبَرنا لَــهُ حتّــى اضــمحَلّ وَلَــمْ نَقــلْ علــى إثْــرِه عِنْــد الــوداع ألا ابْعُــدِ
ولــولا ثــلاثٌ هُــنّ مِــن شيمة الفتــى وجــدِّك لَــمْ أحفــل متى قــامَ عُــوَّدِي[1]
فمنهنّ خلـط الخيـل بالخيـل ضـحوةً علــى عَجــلٍ والبيـض بـالبيضِ تَرْتَــدِي
ومِـنهنّ نشـر الـدين فِـي كـل بلـدَةٍ إذا لَــمْ يَقُــمْ بالــدّيْن كــل مُبَلَّــدِ[2]
ومــنهنّ تطهيــر الــبلاد مِــن الخنــا ورحـض أدِيْـم الأرض مـن كـل مَفسِـدِ
بــذلك أوصــاني أبــي وبمثلــه أُصَّــي بَنِــيّ أوْحَــدًا بعــد أوْحَــدِ
بنــيّ وديْنــي فَــاعلموه وديْــنُكُم ودِيْــنُ جُــدُودِيْ مُرْشــدٍ بعــد مُرشِــدِ
هــو القــول والتوحيـد والعـدل فَـاعلموا وصِــدْقُ الوعيــد للعصــيّ المخَلّــدِ
وحَــرْبُ ولاة الجَــوْرِ فِــي كــل بُلــدَةٍ علــى سَنَنِ التَقْــوى وذلــك مقصَــدِي

---

[1] هذا البيت من معلقة طرفة بن العبد بن سفيان الوائلي البكري، شاعر جاهلي، من أصحاب المعلقات السبع، قتله المعكبر وهو شاب وله عشرون، وقيل: ست وعشرون سنة، وذلك لستين سنة قبل الهجرة، والأبيات من معلقته التي مطلعها:

لخولــة أطــلال ببرقــة ثهمــد تلـوح كبـاقى الوشـم في ظـاهر اليـد

والأبيات التي جعلها الإمام عليه السلام بدلاً عنها كما يلي:

ولــولا ثــلاث هــن مــن عيشــة الفــتى وجــدك لم أحفــل مــتى قــام عــودي
فمــنهن ســبقي العــاذلات بشــربة كُمَيــت مــتى مــا تُعْــلِ بالمــاء تُزبــد
وكــري إذا نــادى المضــاف مجنبــاً كســيد الغضــا نبهتــه المتــورد
وتقصـير يـوم الـدجن والـدجن معجـب ببهكنــةٍ تحــت الطــراف المعمــد

إلى آخر القصيدة.

[2] المبلد: المعتوه.

فسـيروا علـى إثـري بنـيَّ فـإنني لَحبْـتُ سَـبِيْلاً لا يغيـبُ لمهتَـدي[١]
وَمَـن أنكـر البَلْـوى وتفضِـيْلَ ربِّكُـم لكـم بمقَامَـاتِ الخـلاف فقـد رُديْ

[قصيدته عليه السلام في ولده أحمد]

وقال عليه السلام فِي ولده أحمد[٢]:

أَلَا لَيـتَ شِـعرِيَ يَـا أحمَـدُ وللقـولِ ناقِـدُهُ ينقُـدُ
أتُصـبِحُ كالبيـتِ للزَّائِريـ ـنَ وكالبَـدرِ حَفَّـت بِـهِ الأسعُدُ
وكَالليـثِ يَـزْأَرُ فِـي الدَّارِعِيـ ـنَ وَنَـارُ الحـروبِ بِـهِ تُوقَـدُ
وَكَـالبَحرِ تَطفُـو قَرَاقِيـرُهُ ويَـدفعُهَا اللَّجِـبُ المُزْبِـدُ[٣]
وتُعْـرَفُ بـالعلمِ والصَّـالِحَا تِ ويَحمـدُكَ الوفـدُ إن أوفَـدُوا
وَتَحمِـي حِمَـاكَ وَتَبنِـي عُـلَا كَ وَيَزهُـو بِـكَ الدَّسْـتُ والمَسـجِدُ[٤]
وَتَعتَقِـبُ الخيـلَ عِنـدَ الصَّبَا حِ وَقَـد صَـرَعَ الأصـيدَ الأصْـيَدُ
فَتُـردِي الكَمِـيَّ بِفَـوَّارَةٍ يُقَحِّـمُ فِيهَـا السِّـنَانَ اليَـدُ
وَتَضـرِبُ بالسـيفِ ثَبْـتَ الجَنَـا نِ وكَـفُّ الشـجاعِ بـهِ تَرْعَـدُ

---

[١] اللحب: الطريق الواضح، والمعنى: رسمت لكم طريقاً واضحاً.

[٢] هو الأمير الكبير أحمد بن الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة (ع) كان فارساً شجاعاً أديباً فصيحاً بليغاً، محققاً فِي اللغة والأدب والأنساب، وأخبار العرب، لَهُ قصائد بليغة فِي مدح الإمام الشهيد أحمد بن الحسين (ع)، بايع الإمام الشهيد ثم نكث بيعته وغدر به وحالف الملك المظفر، وشارك فِي قتل الإمام الشهيد، والأعمال بالخواتم، والله هو الفاصل والحاكم، توفي سنة (٦٥٦) هـ وقبرة بصعدة، وتفاصيل أخباره فِي الموسعات.

[٣] القراقير جمع قرقور: وهو السفينة العظيمة أو الطويلة.

[٤] الزهو: المنظر الحسن والإشراق والنور. والدست: صدر البيت.

وَتلــوِي جَــوَادَكَ خَلــفَ الجِيَــا دِ وقَــد ضَــاقَ بِالشَّــارِدِ المَشْــرَدُ
فَتَمنَعُهَــا وهــي مَطــرُودَةٌ فَترجِــعُ مــن حينِهَــا تَطْــرُدُ
وتَحْلُــمُ حــينَ يَطِــيشُ الحليــم وتُصْــدِرُ قومَــك إن أورَدُوا
ويَأتِيــكَ للعلــمِ مُسترشِــدٌ ويَأتِيــكَ للمــال مُسْــتَرْفِدُ
فَتُنبِــي أخــا العِلــمِ بِالغَامِضَــا تِ حتَّــى يَعُــودَ بِهَــا يُرْشِــدُ
وَتُعطِــي أخَــا المَــالِ مَــا يَبتَغِــي مــن المــال فهــو غــداً يَنْفَــدُ
وتُحْمِــي عَلَــى الظَّــالِمِينَ الجِهَــا دِ بِضــربٍ يَشِــيبُ لَــهُ الأمــرَدُ
وَتَخفِــضُ للصَّــالِحِينَ الجَنَــا حَ وإنَّ لاَمَــكَ النــاسُ أو أحمَــدُوا
وَتُغلِــظُ رُكنَــاً علــى الفَاسِقِيــن وإن شَــايَعُوكَ وإن أســعَدُوا
إذَا كُنــتَ مُطَّلِعَــاً بالقيَــا مِ عَلَــيهم وســيفُكَ لا يُغْمَــدُ
وَدِيــنُ جــدودِكَ ديــنُ الإلَــه وَغَيــرُهُمُ جَاحِــدٌ مُلْحِــدُ
وَجَــدُّكَ يَحيَــى سَــلِيلُ الحُسَيــن هــادِي الأنَــامِ فلــم يهتَــدُوا[1]
وَجَــدُّكَ حَمــزَةُ مــن جَانِــبٍ فهــذا الهِــلاَلُ وذا الفرْقَــدُ
فَمَــا عُــذرُ مِثلِــكَ إن لَــم تَكُــن كَآبَائِــكِ الشُّــمِّ إن عُــدِّدُوا

[قصيدته إلى السلطان عمرو بشر يذكر فيها ضيافة قبائل شاكر له]

وله عليه السلام إلى السلطان عمرو بن بشر:

سِــرْنَا بِقَلــبٍ للفِــرَاقِ مُكَلَّــمِ عَلِــمَ المليــكُ بِــذَاكَ إن لَــمْ تَعْلَــمِ
وجِيَادُنَــا تَهْتَــزُّ شَــوقَاً للنَّــوَى شَــتَّانَ بــين فَصِــيحِنَا والأَعْجَــمِ

---

[1] جده من قبل أمه الإمام الهادي إلى الحق يحي بن الحسين عليهم السلام .

قَطَعَــتْ بِنَــا أَبَــراً خَوائِــفُ للعــدَى والخُــوفُ مِــنْ نَفَحَــاتِ نَــارِ جَهَــنَّمِ[١]

واســتقبَلَت رَجْــوَى مَطَــارٍ شُــزَّباً خَبَــبَ السِّــبَاعِ بِكُــلِّ لَيــثٍ ضَــيغَمِ[٢]

فتبَرَّضَــت مِنــهُ شــمالاً آجِنَــاً فَعَلَــى جَحَافِلِهَــا كَلَــونِ العِظْلَــمِ[٣]

مَــا فَتَّــرَت حَتَّــى اســتقَرَّ قَرَارُهَــا فِــي الجــوفِ قَبــلَ دُجَــى الظَّــلاَمِ الأَقْــتَمِ

حُبِســتْ بِــهِ سِــتَّاً لِفَــرْطِ كَرَامَــةٍ وكَأَنَّهَــا لِفِــرَاقِكُمْ لَــمْ تُكْــرَمِ

ثُــمَّ استعَاضَــت والنَّــوَى مَيَّالَــةً مِــن أرضِ أرحــبَ مَعْلَمَــاً مــن مَعْلَــمِ[٤]

لَــم تَــدَّخِر فِيهَــا بَقِيَّــةَ عُقْبِهَــا وتَحَمَّلتْهَــا كَالأَبَــاءِ المُضْــرَمِ[٥]

وأتَــوا إلَــيَّ بِصَــاحِبٍ مِــن زَعمِهِــم طَــبٍّ بِمَعرِفَــةِ المَجَاهــلِ مُقْــدَمِ[٦]

فَصَــحِبتُهُ حَتَّــى تَبَــيَّنَ مَكْــرُهُ وتَركتُــهُ مثــلَ الأصَــمِّ الأَعْجَــمِ

ونَبَذتُــهُ خَلْفِــي رَمِيَّــةَ رَأْيِــهِ وأمــرتُ أســرَتِي الصَّــمِيمَةَ صَــمِّمِي[٧]

وَسَــلكتُ وادِي النِّيــلِ وهــو لِهَولِــهِ يَــا عَمــرُو لَصْــبٌ مثــل شِــدْقِ الأَرْقَــمِ[٨]

---

[١] أبراً ويسمى الآن (يبر): واد متفرع عن وادي هران، ويسيل إلى وادي الخارد من الجوف، وهو بين هران والجوف.

[٢] رجوى: اسم جبل. ومطار كقطام: موضع بين بني تميم وبني يشكر. والشزب جمع شازب: وهو الضامر. والخبب: السرعة.

[٣] البرض: القليل، وتبرضت الشيء: أخذته قليلاً قليلاً، وتبرضت الماء: كلما اجتمع منه قليل غرفه.

[٤] معلم الشيء كمقعد: مظنته، وما يستدل به.

[٥] الأباء: القصب. والمضرم: المشتعل.

[٦] أرض مجهل كمقعد: لا يهتدى فيها.

[٧] الصميم: المحض والخالص.

[٨] وادي النيل: واد مشهور من أودية المراشي برط، يسيل من العقبة قريب من العنان إلى شرقي الخراب، ويجتمع مع وادي دهمة ووادي سفيان في الرويس من المراشي، ثم تسيل الثلاثة حتى

لَـمْ تَختَلِجنِـي عنـهُ أهـوالُ الـرَّدَى أَبـدَاً وَلَـمْ أُحْـرِقْ لـذلك أُرَّمِـي[١]

فَمُـذ انتَهَـت شِـحرَاؤهُ وعُطُوفُـهُ أفْضَـى إلَـى غبطَـاءَ مِثـلِ السُـلَّمِ[٢]

فنَصَصْـتُهَا نَـصَّ الجَنَـابِ بـأجرَدٍ نَهْـدِ المَرَاكِـلِ أعـوجِيٍّ شَـيظَمِ[٣]

حَتَّـى ظَنَنـتُ سَـبِيبَهُ لِعُلُوِّهَـا يَـا عمـرُوُ مُحترِقـاً بنَـارِ المَـرْزَمِ[٤]

فَبـدَت لَنـا لَمَّـا عَلَونَـا رَأسَـهَا الـ آطَـامُ مِـن بَـرَطٍ كَوَاضِـحَةِ الفَـمِ

وَجَـرَت لَنَـا رِيـحٌ تَقُـولُ بِحَالِهَـا قَـدِّمْ فَقـد أَلفَيـتَ أَسـعدَ مَقْـدَمِ

وأَتَـت أفَاضِـلُ دُهْمَـةٍ فَتقَاسَـمَتْ فِيمَـا نُؤَمِّلُـهُ بِـأعظمِ مَقْسَـمِ

لَتُقَاسِـمِنَّ المَـالَ غيـرَ ظَنِينَـةٍ ولَتَضْـرِبَنَّ بِكُـلِّ مَـاضٍ مِخْـذَمِ[٥]

دُونِـي إذَا نَادَيتُهَـا لَا تَنثَنِـي فِـي مُنْجَـدٍ أو مُغْـوَرٍ أو مُـتْهِمِ

فَقَبِلـتُ مِنهَـا مَـا أَتَـت وحَمِـدْتُهَا وَشَـكَرتُهَا شُـكرَ الحَيَـاءِ المُـثْجِمِ[٦]

تلتقي مع وادي المرانة والصلل في بئر سالم من الخراب، ثم تسيل إلى وادي مذاب، منه إلى وادي الجوف، وطريق الإزفلت إلى برط يمر من جنوب وادي النيل. واللصب: الشعب الصغير فِي الجبل، وكل مكان ضيق فِي الجبل فهو لصب.

[١] فلان يحرق الأرم: إذا حك أضراسه بعضها ببعض من الخوف.

[٢] الشِّحر بالكسر: الشط الضيق. ومنعطف الوادي: منحناه. والغبطاء: الأرض المستوية المرتفع طرفاها المطمئنة. والسلم:الأرض الكثيرة نبات السلم.

[٣] النص: الرفع. والجناب: اسم جبل. النهد: الفرس الجميل الجسيم اللحيم المشرف. مراكل الدابة: حيث يركلها الفارس برجله فِي مواضع الركل. الشيظم: الطويل الجسم الفتيء من الإبل والخيل والناس.

[٤] السبيب من الفرس: شعر الذنب، أو العرف والناصية. والمرزم من الغيث والسحاب: الذي لاينقطع رعده.

[٥] ماض مخذم: أي سيف قاطع.

[٦] أي المطر الغزير.

وَقَصدتُ فِي أَوطَانِ أَملحَ سَادَةً شُمَّ الأنُوفِ من القَبِيلِ الأَعْظَمِ[1]
مِن صِيدِ وَايلَةٍ وذُروَةِ شَاكرٍ أَكْرِم بِهَا يومَ الحَفِيظَةِ أَكْرِمِ
فَتَقَبَّلُونَا بِالبَشَاشَةِ واغتَدَت فِيهِم مَحَبَّتُنَا مِشَاشَ الأَعْظُمِ[2]
شَدَخُوا الدِّمَاءَ بِوَصلِنَا وتَمَاحَضُوا وتَسَلَّمُوا للأمرِ أَيَّ تَسَلُّمِ[3]
وتَبَادَرُوا للدِّينَ حَتَّى أصبَحُوا مِنِّي بِمَنْزِلَةِ اللسَانِ مِنَ الفَمِ
وأَتَى إلينَا مِن نَوَاحِي صعدَةٍ قَومٌ عَلَى الدِّينِ الحَنِيفِ القَيِّمِ
عُلَمَاءُ شِيعَتِنَا وعمدَةُ أمرِنَا بَعدَ الإلَهِ وعِصمَةُ المُسْتَعْصِمِ
سَألوا ثَلاثَاً فِي معَالِمِ دِينِهِم مِن كُلِّ مُشكِلَةٍ وأمرٍ مُبْهَمِ
فَتَرَكتُهَا بِأدِلَّةٍ مَعلُومَةٍ مِثلَ الصَّبَاحِ يَلُوحُ لِلمُتَوَسِّمِ
وَسُؤالُنَا عَنكُم فكَمْ من مُرشِدٍ فِيكُمْ وغَاوٍ جَائرٍ مُتَوَهِّمِ
حَتَّى استَبَانَ مَعِيبُهُم فَتَقَلَّبَتْ مِنَّا القُلوبُ عَلَى الغَضَاءِ المُضْرَمِ
وأتيتَ فَانقَلَبَ الغَرَامُ مَسَرَّةً فَالحمدُ للهِ المُفِيدِ المُنعِمِ
أهلاً بِوَجهِكَ آيِبَاً مِن غَيبَةٍ يَا ابنَ الأَهِلَّةِ للورى والأنجُمِ
يَا ابنَ الذِي يَهَبُ الأُلوف مُهَوِّنَاً[4] ويردُّ شأوَ الجَيشِ غَيرَ مُصَمِّمِ
فَلَعَلَّ مَن سَمَكَ السّماء بِأَيْدِهِ يَأتِي بِهِ لِيَلَذَّ عِندِي مَطْعَمِي
وَيَتِمَّ بالمَلِكِ الهُمَامِ سُرورُنَا كَسُرُورِنَا بِسَلِيلِهِ المُتَقَدِّمِ

---

[1] أملح: وادي مشهور من بلاد شاكر، من أعمال صعدة، فيه قرى ومزارع، وهو لوايلة ودهمة ابنا شاكر.

[2] المشاش جمع مشاشة بالضم: رأس العظم الممكن المضغ .

[3] شدخوا الدماء: أي أسالوها، عبارة عن ذبح الأنعام للإكرام.

[4] مهوناً: أي مستحقراً لها غير مبال بما يعطي.

[قصيدة الإمام عليه السلام جواباً على شعر من السلطان بشر بن حاتم]

وله عليه السلام جواب إلى السلطان الأجل بشر بن حاتم الشعر أوله:

تـــألق بـــرق بـــالحمى فشـــجاني فحابـــاه منـــي القلـــب بالخفقـــانِ

فقال عليه السلام:

شَـــرَى مَوهِنَـــاً بَعـــدَ الهُـــدوءِ يَمَـــانِي كَنَصـــلِ مَلِـــيحٍ أو فُـــؤَادِ جَبَـــانِ[١]

بِوطفَـــاءَ أمَّـــا قُطبُهَـــا فَمُحَلِّـــقٌ وأَمَّـــا رَحَاهَـــا والرَّبَـــابُ فَـــدَانِي[٢]

دَجَـــتْ بِمُلِـــثٍّ القَطْـــرِ مُنفَصِـــمِ العُـــرَا بَطِـــيءٍ مِـــن العِـــبءِ المُحَمَّـــلِ وَانِـــي

فَنَـــامَ صِـــحَابِي وارتفعـــت أَشِـــيمُهُ لَعمـــرُكَ والحَـــالاَنِ مُختَلِفَـــان[٣]

وسَـــاقِي مَـــدَامِ النَّـــومِ يُهـــدِي كُؤوسَـــها إلَـــى كُـــلِّ فَرحَـــانٍ مِـــن الحَـــدَثَانِ[٤]

إلَـــى أنْ بَـــدَا لِـــي الـــنَّجمُ وَاهٍ كَأنَّـــهُ نِظَـــامُ فَرِيـــدِي لُؤلُـــؤٍ وجُمَـــانِ[٥]

فَقلـــتُ أَهـــذَا الـــنَّجمُ أثقلَـــهُ الكَـــرَى أم انصـــاعَ مَرعُوبَـــاً مِـــن الـــدَّبَرَان[٦]

أمْ امَـــاثَ مِـــن خَـــوفِ السِّـــمَاكِ فُـــؤادُهُ وَخَـــافَ يُفَاجِيـــهِ لَـــهُ بِمَكَـــانِ[٧]

---

[١] شرى: أي لمع. والموهن: بعد نصف الليل. والمليح: سنان الرمح.

[٢] سحابة وطفاء: إذا كانت مسترخية الجوانب لكثرة الماء فيها، أو هي الدائمة السح الحثيثة طال مطرها أو قصر. والقطب: النجم. والرَّباب: السحاب الأبيض.

[٣] شمت البرق: إذا نظرت إلى سحابته أين تمطر.

[٤] الفرحان: الكثير الفرح والسرور.

[٥] واه: أي خافت ضعيف. والفريد: الشذر يفصل بين اللؤلؤ والذهب، والجوهرة النفيسة، والدر إذا نظم وفصل بغيره. والجمان كغراب: اللؤلؤ، أو هنات أشكال اللؤلؤ من فضة.

[٦] الكرى: النوم.

[٧] الميث: الموت، وماثه إذا خلطه.

وَهَــب رُمْحَــهُ قــد رَآهُ النــاسُ كُلُّهُــمْ ... أَيُرهَـــبُ ذَا رُمــحٍ بِغَيــرِ سِــنَانِ

أم ابــنُ ذُكَــا وافَــا وشَــامَ حُسَــامَهُ ... عَلَيــهِ كَلَــونِ الــرُّمحِ غَيــرُ دَدَانِ[١]

كَطَلَعَـةِ طُـرْسٍ جَـاءَنِي فِـي سُـطُورِهِ ... قَـرِيضٌ علـى بُعـدِ المَـزَارِ شَـجَانِي

أَتَـى مِـن مَلِيـكٍ أَوحَـدٍ فِـي زَمَانِنَـا ... لَبَـلْ أوحـدٌ فـردٌ بِكُـلِّ مَكَـانِ[٢]

هُمَـامٌ نَمَتـهُ مـن مَقَايـلِ يَعـرُبٍ ... حُمَـاةُ المَعَـالِي يَـومَ كُـلِّ طِعَـانِ[٣]

يَبِيتُ النَّـدَى فِـي الْمَحْـلِ وهـو ضَجِيعُهُ ... كَأَنَّهُمَـا قَـد أُرضِـعَا بِلِبَـانِ

شَـكَى عَرَبَـاً فِـيهم مـن العُـرْبِ جِسـمُهُمْ ... وَأنفسُــهُمْ للسِـيدِ ذِي العَسـلانِ[٤]

سَـيُغنِيكَ عَـنهُم مَـنْ أَحَلَّـكَ فَـوقَهُم ... عَلَـى قِمَّـةِ الجَـوزَاءِ والسَّـرَطَانِ

فَيَـا أَيُّهَـا الغَـادِي عَلَـى شَـدقَمِيَّةٍ ... بَقِيـةُ أَسـفَارٍ وعُبـرُ رِهَـانِ[٥]

نَمَاهَـا جَـدِيلٌ مـن أَبِيهَـا وأُمِّهَـا ... لِشَـدقَمَ فَـالنَّجرَانِ مُختَلِطَـانِ[٦]

ومِـن شَـاغِرٍ فِيهَـا عَقَائِـلُ مَنصِـبٍ ... فَأوفَـت كَهِيـقِ الرَّمْـلِ ذي الـرَّمَلاَن[٧]

تَحَمَّـل هَـدَاكَ اللهُ مِنِّـي رِسَـالَةً ... تُـؤَدِّي بِهَـا مَـا فِـي ضَـمِيرِ جَنَـانِي

وَقُـلْ لِـي لِمَحمُـودِ السَّـجَايَا ابـنِ حَـاتِمٍ ... وَمَـن لَـمْ يَـرُمْ مِرقَاتَـهُ القَمَـرَانِ

سَـتُبدِي لَـكَ الأيَّـامُ مِنِّـي مَـوَدَّةً ... بِبُرهَـانِ صِـدقٍ والرِّمَـاحُ دَوَانِـي

---

[١] ذُكا: الشمس. والددان كسحاب: من أسماء الأضداد، يطلق على السيف القطاع والكهام.

[٢] لبل: أصله لا بل.

[٣] المقايل جمع قيل: وهو الملك.

[٤] السيد ذي العسلان: أي الذئب. والمعنى: أن أجسامهم أجسام الآدميين وقلوبهم قلوب الذئاب، كناية عن غدرهم ومكرهم.

[٥] ناقة عُبر أسفار: أي قوية تشق ما مرت به.

[٦] النجران: أي الأصلان.

[٧] شاغر: اسم فحل من الإبل الأصيلة، الهيق: الطويل المفرط في الطول.

وَيَأتِيــكَ بِــالمَحبُوبِ حَــدٌّ ومَحتِــدٌ لَــهُ كُــلُّ خَــدٍّ فِــي البَرِيَّــةِ عَــانِي
وَنحــنُ لــكَ الأنصَــارُ فيمَــا تَرُومُــهُ إِذَا خَــانَ مَحــضَ الــوُدِّ كُــلُّ هُــدَانِ
إِذَا خَــاضَ مــوجُ الخَيــلِ بِــالبِيضِ والقَنَــا وأُدهِــشَ خَــوفَ المــوتِ كُــلُّ جَبَــانِ
فَــإن لَــمْ أَخُضْــهَا بالمُهَنَّــدِ ضَــاحِكاً فَــلَا حَمَلَــت سَــيفِي إِلَــيَّ بَنَــانِي
إِلَــى أن تَــرَى مَــا كَــانَ أَكــدَرُ صَــافِياً وَحَــدُّ حُسَــامِي صَــارِمٌ ولِسَــانِي
فَأَمَّــا الَّــذي عَــادَوك فِينَــا فَــدِينُهُمْ وَدِينُــكَ مِثــلُ التِّبْــرِ والصَّــرَفَانِ[1]
أَلَــيسَ أَبُونَــا صَــاحِبُ الــوحي حَظَّهُــم علــى وُدِّنَــا مَــا دَامَ بَحــرُ عُمَــانِ[2]
فَــدَعهُم سُــقِيتَ الغَيــثَ مِــن كُــلِّ وُجهَــةٍ وَلَا زِلْــتَ مَحمُــوداً بِكُــلِّ لِسَــانِي
أَلَــم يَقــرؤا حَــامِيمَ – لا حُــمَّ خَيــرُهُمْ– ومَــا فِيــهِ مــن لُطْــفٍ لَهُــمْ وبَيَــانِ[3]

[قصيدته إلى بني الحسن بالحجاز]

وله عليه السلام من قصيدة إلى أهل مكة [كتب بها إلى بني الحسن إلى الحجاز وقد بلغه اختلاف بينهم]:

أَلَا يَــا رَاكِــبَ الأدْمَــاءِ بَلِّــغْ وإن شَــطَّ المَــزَارُ بِــكَ الكِتَابَــا[4]
إِلَــى السَّــادَاتِ مِــن سَــلَفَي عَلِــيٍّ أَعَــزِّ بَنِــي الــوَرَى جمعَــاً رِقَابَــا
حُمَــاةٌ يَــأنفُونَ عــن الــدَّنَايَا كُمَــاةٌ عَلَّمُــوا العَــرَبَ الضِّــرَابَا
إِذَا نَقَــعَ الصَّــرِيخُ سَــمَوا إِليهَــا وأســرَوهَا مُسَــوَّمَةً عِرَابَــا[5]

---

[1] الصرفان: النحاس، وقيل: الرصاص القلعي.

[2] حظهم: أي حثهم وأمرهم.

[3] لاحم: بمعنى هلك وفني خيرهم، ولا زائدة.

[4] الأدماء من الإبل: التي فيها لون مشرب بياضاً وسواداً، أو بياضاً واضحاً.

[5] النقع: رفع الصوت.

مُحَـــدَّدَةَ المَرَافِـــقِ مُقرَبَـــاتٍ صَـــلاَدِمَ تَحمِـــلُ الأُسْـــدَ الغِضَـــابَا

إِذَا نَزَلَـــت عَلَـــىَ أبيـــاتِ قَـــومٍ تُغَادِرُهَـــا مُعَطَّلَـــةً يَبَابَـــا[١]

مُحَنَّبَـــةَ الضُّـــلُوعِ لَهَـــا عُيُـــونٌ كَمشْـــلِ حَوَاجِـــلٍ مُـــلِئَت مَلاَبَـــا[٢]

عَلَيهَـــا كُـــلُّ أصـــيدَ هَاشِـــمِيٍّ يَـــرَى طَعـــمَ العِـــدَى شُـــهداً مُـــذَابَا

أَتَـــانِي عَـــنكُمْ والبيـــتُ نَـــاءٍ وكَـــم خَطَـــاءٍ رَآهُ فَتَـــىً صَـــوَابَا

بِـــأَنَّ عَقَـــارِبَ الأضـــغَانِ دَبَّـــتْ فَأَلفَـــت كُـــلَّ عِمـــرَانٍ خَرَابَـــا

فَـــلَا تَـــدَعُوا لِنَمَّـــامٍ حَـــدِيثاً ولا تُحيُـــوا الحَسَـــائِكَ والضِـــبَابَا[٣]

بَنِـــي حَسَـــنٍ وهـــل يُغنِـــي نِـــدَائِي ومَـــن نَـــادَاهُ ذُو مِقَـــةٍ أَجَابَـــا

ألا مَـــا عـــذرُ مـــن أمســـى عَلِـــيٌّ أبَـــاهُ إذَا أَتَـــى هُجْـــراً وعَابَـــا

وَأضـــحَى والحـــرَامُ لَـــهُ طَعَـــامٌ وأَمْسَـــى والمَـــدَامُ لَـــهُ شَـــرَابَا

خُـــذُوا عَنِّـــي ثَلاَثَـــاً واحفظُوهَـــا فَخَيـــرُ القَـــولِ أنفعُـــهُ مَآبَـــا

أَطِيعُـــوا اللهَ فِـــي سِـــرٍّ وجَهـــرٍ فَقَـــد وَلَـــجَ السَّـــلاَمَةَ مَـــنْ أَنَابَـــا

وحِفْـــظُ بِلاَدِكُـــم مِـــن كُـــلِّ طَـــاغٍ يُرِيـــدُ يُحِـــلُّ سَـــاحَتَهَا العَـــذَابَا

وحِفـــظُ الجَـــارِ بَـــل كُونُـــوا عَلَيـــهِ مِـــنَ الأعـــدَاءِ والنَّكَبَـــاتِ بَابَـــا

خُـــذُوهَا مِـــن مُـــودٍ ذِي صَـــفَاءٍ رَعَـــى الأرحَـــامَ والنُّسَـــبَ القُرَابَـــا

و إلَا فَاصـــدِفُوا عَنهَـــا وكُونُـــوا كَمُلقِـــي المَـــا إذَا نَظَـــرَ السَّـــرَابَا

---

[١] اليباب: الخراب.

[٢] التحْنيبُ: احْدِيدابٌ في وظيفَي الفَرَسِ وصُلْبِها، والحواجل جمع حوجلة: وهي القارورة الغليظة الأسفل. والملاب: ضرب من الطيب.

[٣] الحسايك والضباب معناهما: العداوة والحقد والغيظ.

الإقامة بحلملم
وغزوة سراقة

[نهوض الإمام عليه السلام إلى حلملم]

ثم نهض عليه السلام إلى حلملم لتسع ليال بقين من ربيع الأول بعد استيفاء المال من أهل الجنات وقبض الرهائن والإنفاذ بها إلى حصن ثلا، هذا بعد أن أمر إلى السلطان عمرو بن علي بن حاتم يشاوره على التقدم إلى قرية شبام ثم القود إلى صنعاء، فكاتب أباه إلى ذمرمر يأخذ رأيه فعاد جوابه يسأل التوقف عن ذلك والميل إلى جهة المغرب، وذكر أن بينهِ وبين إسماعيل ذراعة على خلاص أخيه بشر بن حاتم، وتسليم رهينتين فساعدهم إلى ذلك مع كراهة من السلطان هلدري والجند؛ لأن الفرصة قد كانت ممكنة والبلاد بعد فتح الجنات طائعة، وأمر الإمام عليه السلام الأمير شمس الدين بالتقدم إلى حصن ثلا والإقامة هنالك طلباً للرفق به، والراحة عليه من مشقة السفر، ولما يحصل من الهيبة عند العدو.

[قصيدة الإمام يوم أَخْذَ الجنات]

وأنشأ عليه السلام إلى السلطان علي بن حاتم [حين طلب منه ترك التقدم إلى صنعاء خوفاً على أخيه بشر بن حاتم من إسماعيل] هذا الشعر بعد الوصول إلى حلملم:

دَعَـا ذِكْـرَ أَيَّـامِ اللِّـوَى وشَـقَائِقِهِ ... وَبَـارِقِ مَجـرَى السَّـابِقَاتِ وَبَارِقِـهِ

وَرَسْـمَاً كَوشْـمِ الكَـفِّ عُـرِّضَ فَوقَـهُ ... أو الـوَحيُ فِـي أَلوَاحِـهِ ومَهَارِقِـهِ[١]

ومَرْتَـاً كَـأَنَّ الـرِّيحَ فِيـهِ طَلِيعَـةٌ ... لِآرَامِـهِ مَندُوبِـهِ ونَقَانِقِـهْ[٢]

---

[١] المراد بالوحي هنا: الكتابة أو الرسالة، بمعنى الشيء المكتوب. المهارق: جمع مُهرق كمُكرم: الصحيفة.

[٢] المرت: المفازة بلا نبات، أو الأرض لا يجف ثراها ولا ينبت مرعاها. الآرام: الأعلام، وهي أحجار تجمع وتنصب في المفازة يهتدى بها.

وَلَا تَــذْكُرَا إِلَا الجِيَــادَ عَوَابِسَــاً ... وغاراتِهَــا يَــومَ الهِيَــاج ومَارِقَــهْ

وَصَــبْرِي – ومَــا فخــراً أَرَدتُ– لِعَــارِضٍ ... مِــنَ الخَيــلِ مِثــلُ البَحــرِ مَــوجُ سَــوَابِقِهْ

فَلَــم أبتَــئِس مِــن لاَمِــهِ ورُكَامِــهِ ... هُنَــاكَ وَلَــمْ أَصــعَق لِوَقــعِ صَــوَاعِقِهْ[١]

ومَــا هَــذِهِ الأحــدَاثُ إِلّا أَدِلَّــةٌ ... لِمَــا كَــانَ فِــي مَاضِــي القَضَــاءِ وسَــابِقِهْ

فَقَــد جُعِلَــت عِنــدِي تَهُــونُ لِأَنَّنِــي ... دَفَعــتُ الــذِي لَا أَســتَطِيعُ بِخَالِقِــهْ

وَلَا مثلُ مَا أَسأَرْتَ يا بِشرُ فِي الحَشَى ... فَهَــل قَائِــلٌ صِــدقُ المَقَــالِ لِصَــادِقِهْ[٢]

فَــإن مَــرَّ بِشْــرٌ مَــرَّةً فَلَطَــالَ مَــا ... طَعِمنَــاهُ كَالشُّــهدِ المُشَــارِ لِذَائِقِــهْ

وَهَــل تَمــنَعَنْ مِــن حِفظِــيَ الــوُدَّ فُرقَــةٌ ... وَكَــم حَــافِظٍ مَحــضَ الإِخَــا لِمُفَارِقِــهْ

أبَــا حَسَــنٍ لَا تُصــغِ سَــمعاً لِمَــارِقٍ ... مِــن الــدِّينِ مَطبــوعِ الفُــؤَادِ مُنافِقِــهْ

فَهَــا هِــيَ أحسَــابٌ لَكُــم نَبوِيَّــةٌ ... نُصَــفِّي بِهَــا مَحْــضَ الــوِدَادِ لِمَاذِقِــهْ[٣]

ولَمَّــا أَتَــانِي مَــا أَهَمَّــكَ لَــمْ أَنَــمْ ... مَنَــامَ ثَقِيــلِ الجِســمِ فَــوقَ نَمَارِقِــهْ

ولَــمْ أَتَلبَّــثْ بعــدَهُ غَيــرَ لَيلَــةٍ ... وَقُمــتُ إِلَــى مُطَّهَّــمِ الخَلــقِ فَائِقِــهْ[٤]

وأرخَيــتُ مُجْــراً تَمــلأُ الرَّحــبَ خَيلُــهُ ... وتَبْــرُقُ أبْصَــارُ الــورى مِــن بَوَارِقِــهْ

عَنَــاجِيجُ أَمثَــالُ القِــدَاحِ سَــوَاهِمٌ ... تَجِــيشُ بِفتيَــانِ الــوَغَى وبَطَارِقِــهْ[٥]

عَلَــيهِنَّ خَلْــطٌ وَهــو صَــفوٌ مُمَحَّــضٌ ... مِــنَ النَّــاسِ مِــن غَــرْبِ المَــلَا ومَشَــارِقِهْ

يَقُــودُهُمْ شَــيخُ الفَخَــارِ ابــنُ أحمــدَ بـــ ... ـــنِ يَحيَــى بــنِ يَحيَــى الليــثُ عــينُ خلائِقِهْ

---

[١] اللأم جمع لأمة وهي الدرع. والركام: الجموع.

[٢] اسأرت: أي أبقيت.

[٣] مذق الود: لم يخلصه.

[٤] المطَهَّم –كمعظم–: التام من كل شيء، والبارع الجمال.

[٥] العناجيج: جياد الخيل والإبل، ومن الشباب أوله. والبطارقة: جمع بطريق ككبريت: القائد من قواد الروم تحت يده عشرة الاف رجل..

وَحَـامِي الحِمَـى والمُقتَضِـي بَيضَـةَ الحِمَـا ... مُبَـارِزُ مَحمُـودُ الثَّنَـا فِـي طَرَائِقِـهْ

ومِـنْ كُـلِّ حَـيٍّ قَـد جَمَعـتُ فَوَارِسَـاً ... كَأُسْـدِ الشَّـرَى لَـولَا بَيَـاضُ يَلاَمِقِـهْ[1]

كأبنـا سـليمان وموسـى ذوي الحجـا ... بنـاة العلـى قـدماً حمـاة حقائقِـهْ

وكُنـتُ امـرَأً لَا أَطعَـمُ النَّـومَ وَاتِـرَاً ... فَـإن كُنـتُ مَوتُـوراً فَغَيـرُ مُوَافِقِـهْ

وَلَمَّـا نَزَلنَـا سَـاحَةَ البَـونِ جَاءَنَـا ... حَـدِيثُك أنَّ العَـزمَ عِيـق لِعَائِقِـهْ[2]

فَنَكَّبـتُ عـن تلـك الطريـقِ وإنَّنـي ... أُلُـوفٌ لَهَـا إلـفَ النِّجَـادِ لِعَاتِقِـهْ[3]

صَـبُورٌ إِذَا ضَـجَّ الصَّـبُورُ عـن الـوَغَى ... عَطُـوفٌ عَلَـى أعقَابِهَـا فِـي مَضَـائِقِهْ[4]

بَصِـيرٌ وَسَـلْ يَـا ابـنَ الحُمَيـدِ بِأمرِهَـا ... عَبُـورٌ عَلَـى مُعلَـنكِسِ المَـوجِ دَافِقِـهْ[5]

نَشَـأتُ بِهَـا مُـذْ بِضـعَ عَشـرَةَ حَجَّـةٍ ... إِلَـى اليَـومِ كالهنـديِّ صِـينَ بِفَائِقِـهْ

أنـا ابـنُ مُعِيـدِ الخَيـلِ تَـدمَى نُحُورُهَـا ... بِسُـمرِ القَنَـا مِـن سَـائِلِ الطَّعـنِ وَادِقِـهْ

إِذَا نَـالَ لَـمْ يَفـرَح وإن نِيـلَ لَـمْ يُنَـلْ ... فَـأكرِمْ بِـهِ مِـن فَـاتِقِ الخَطـبِ رَاتِقِـهْ

[وأنشأ عليه السلام هذه الأبيات القافية في ساعة من النهار في حلملم مع كثرة الإشتغال بالجند وبأهل المغارب وغيرهم، فاعتزل منهم في بيت ضيق مظلم، وأغلق عليه الباب، فكانوا يطرحون إليه عليه السلام الحجج من أصداع الباب، فخرج وقد أنشأها][6].

---

[1] اليلامق: جمع يَلْمَق وهو: القباء الفارسي.

[2] البون: قاع فسيح يمتد من جنوب مدينة عمران إلى شوابة، ومساحته لا تقل عن ٦٠ كم تقريباً.

[3] النجاد ككتاب: حمائل السيف.

[4] ضجّ: جزع وغُلب.

[5] المعلنكس: من اليبيس مَا كثر واجتمع، والمتراكم من الليل.

[6] ما بين القوسين زيادة من مجموع الرسائل والأشعار.

[إقامة الإمام بحلملم وما وقع من الأحداث]

فلما وصل الإمام إلى حلملم وأقام بها أياماً، أتاه أهل حجة وأهل ميتك وأهل حورة وبنو شاور كل منهم داخل في رضاه وطاعته، وسأله أهل حجة القود لحرب مبين ونصرتهم، واسترجاع الموضع الذي بأيدي بني الأزرق ورده إلى أهله بني بطين، وقد كان أبو الفضل ابن الأزرق أظهر الخلاف، وأمر الأمير يحيى بن أحمد بن سليمان والعابد العطيف، ووقع الحرب للإمام عليه السلام، وقد تقدم ذلك، وقتل أبو الفضل بالذنائب[1] موافقاً لهلاك الأمير يحيى بن أحمد.

وقيل: إنه كان في يوم واحد أو أيام متقاربة، وذلك أنه تقدم إلى العابد في أمر البلاد، والحيلة في قود الغز إليها وتمكينهم منها، وأمر بنو الزيدي وأسعد بن حاتم إلى العابد فبذلوا أموالاً جليلة في قتل ابن الأزرق فساعدهم إلى ذلك، وأتوه بالرهائن فسلموها، ومكنهم منه في منزله فقتلوه، وأراح الله من شره، وحاق به مكره، وكان ذلك من جملة ألطاف الله تعالى ونصره لوليه.

ثم وصل علي بن حجاج إلى حلملم ودخل في الطاعة وذكر أن له حقّاً يطلبه في جبل مبين، فسوغه الإمام في طلب الحق، وجعل ذلك للوصول إلى حجة، ويأتي بما معه من بينة بين يدي قاضي الشرع المنصوب من قبله.

وأمر الشريف إبراهيم بن يحيى بن الحسين بن حمزة إلى ولد ابن الأزرق وبني عمه بني برام، فكتب إليهم كتاباً إعذاراً إليهم وإنذاراً، وأنه ما يعذرهم من

---

[1] الذنائب: بلدة في أسفل جبل ملحان، في الناحية الشمالية من المهجم، بالقرب منها.

إبلاغ الحق وما يجب لبني بطين، وتقدم الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة مع علي بن حجاج لتسع خلون من ربيع الأول.

ووصل الأميران الكبيران المنتصر بالله العفيف محمد بن المفضل، والأمير نظام الدين أبو الفتح بن محمد في جماعة من الشيعة بعد تقدمهما إلى الأمير شيخ آل الرسول إلى ثلا، وسألوه المعونة لهم على الإمام بالقود إلى صنعاء وأعمالها، ووقعت العناية في ذلك فأجابهم بأنه لا رأي لنا مع رأي الإمام عليه السلام، فتقدموا منه.

[نكث أهل الجوف وغاراتهم على أهل القرى]

ووافق وصولهم وصول بريد من الجوف بكتاب من الأمير صارم الدين إبراهيم بن حمزة يذكر أن راشد بن منيف وعزان بن فليتة نكثا البيعة، ونقضا العهد، وقادا إلى الجوف في خيل كثيرة، فرعوا زرع القرى لبني دالان[1]، وأنهم مستمرون على رعي الجوف والفساد، إن لم تقع المبادرة بالغارة.

فحينئذ أمر للسلطان وفرق للعسكر والجند مالاً وأمرهم بالتأهب، فصدر مائة وخمسون فارساً ضحوة النهار، **يوم الأربعاء مستهل شهر ربيع الآخر**، وشيعهم الإمام عليه السلام إلى ظاهر البلد، ودعا لهم بالنصر على المفسدين، وأمرهم بتقوى الله والعمل بما يرضيه، وعاد لتمام قضاء حوائج السلطان زيد بن علي بن حاتم، وقد كان أتى إليه في جماعة من قرابته يطلبون النصرة من الإمام على أنهم يثيرون الحرب، ويباينون الغز، وسألوا أشياء للحصون، فجعل لكل حصن ما يقوم بمن فيه من الديوان، وغرمهم من الحقوق الواجبة، وسلموا الحصون ودخلوا في

[1] بنو دالان: من وادعة حاشد، وتقع ديارهم في الجوف.

رضاه، وكتب لهم بما انعقد عليه الكلام منشوراً شهد فيه من حضر من الشرفاء وغيرهم، فراحوا منه على أمور متجملة، بعد أن خلع عليهم وجمل أمورهم.

ولما كان يوم الجمعة صلى بالناس الجمعة، وأنشدت الأشعار.

[قصيدتان لعلي بن سليمان الحيدرة في مدح الإمام عليه السلام]

فمنها: شعر للقاضي علي بن سليمان الحيدرة وهو:

هـواه رمـى بـه المرمَـى البعيـدَا ... فحُـقَّ لمقلتيـه أن تجـودَا

فـلا تعذلـه إن العـذلَ يُـذْكِي ... بقلـب الهـائم الصـبِّ الوقـودَا

تَعَلَّـقَ يافِعَـاً هيفَـاءَ رودا ... مهفهفـة خدلجـة خـرودا[1]

أعـارت ظبيـةَ الدعسـاء عينـاً ... مدعجـة وسـالفة وجيـدا[2]

تواعـده ولا تـوفي بوعـد ... وتُوعِـدُه فتصـدُقُه الوعيـدا

فمهمـا أحـدثت هجـراً جديـداً ... أجـد لوصـلها شـوقاً جديـدا

أسيرٌ فـي الهـوى قتلتـه صـبراً ... فـأودي لا أُقيـلَ ولا أقيـدا

بـذلت لحبهـا دمعـي وقلبـي ... وذات يـدي وتطمـع أن أزيـدا

تحلَّـى مـن ثناياهـا بِـدُرٍّ ... وتلـبس مـن شـبيبتها بـرودا

وبـين جفونهـا سـيف حديـد ... يقـد بحـد شـفرته الحديـدا

وتحسـب قـدها رمحـاً ولكـن ... إذا هزتـه صـدعت الكبـودا

ومـن عجـب تشـق بـه قلوبـاً ... فتصـميها ولـم تجـرح جلـودا

---

(١) الهيف: دقة البطن والخاصرة. والرود: مشي المهل. جارية مهفهفة: ضامرة البطن، دقيقة الخصر. خَدلَّجة الساقين: أي لها ساقان ضخمتان عظيمتان ممتلئتان. والخَرودُ: البِكْرُ لم تُمْسَسْ، أو الخَفِرَةُ الطَّويلَةُ السُّكوتِ، الخافِضةُ الصَّوْتِ المتَسَتِّرَةُ.

(٢) السالفة: ناحية مقدم العنق.

وتغـــدوا مـــن ظفائرهـــا صـــباحاً بأشـــراك فتقتـــنص الأســـودا
فـــدع عنـــك امـــرأ لـــم يعـــنَ صـــبراً ولـــم يطعـــم وإن هجـــدت هجـــودا
ســـبته الغانيـــات وأنـــت ســـالٍ فلمـــت ومـــن ســـلى لام العميـــدا
فقـــد بـــذ التجلـــد دمـــعُ صـــبٍّ يخـــدُّ بفضـــل مجـــراه الخـــدودا
كمـــا بـــذَّ ابـــنُ حمـــزةَ نيـــلَ مصـــر بنائـــل كفـــه كرمـــاً وجـــودا
إمـــام ســـابق قامـــت عليـــه دلائـــل عـــدل دولتـــه شـــهودا
خليفـــة رحمـــة وســـع البرايـــا هـــدى فنـــدى فأوســـعهم مزيـــدا
كـــأن بنانـــه للمـــال ضـــدٌّ فمـــا يبقـــى الطريـــف ولا التليـــدا
أعـــفُّ العـــالمين يـــداً ونفســـاً وأكـــرمهم إذا انتســـبوا جـــدودا
أبـــوه المصـــطفى أكـــرم بهـــذا أبـــاً متخَيَّـــراً وبـــذا وليـــدا
أقـــام عمـــود ديـــن الله حتـــى اســـ ـــستقام وكـــان منـــآداً وئيـــدا
أبـــاد عداتـــه عنـــه فبـــادت ومـــا كانـــت تظـــن بـــأن تبيـــدا
أبـــاحَ لهـــم صـــعاداً ظاميـــات فـــروى مـــن دمـــائهم الصـــعيدا
وأغمـــد فـــى الطلـــى والهـــام بيضـــاً رقاقـــاً حـــين فارقـــت الغمـــودا
وبـــزّ ذوي الممالـــك كـــل ملـــك فأضـــحوا تحـــت قدرتـــه عبيـــدا
وكـــم مـــن مرتـــد بـــرداء كبـــر فأعقبـــه السلاســـل والقيـــودا
ومضـــطهد أعـــزَّ وكـــان ممـــن يقاســـى وَدَّ لـــو عـــدم الوجـــودا
هـــو المنصـــور أيـــده بنصـــر إلـــه العـــالمين فـــلا جحـــودا
تميـــد بأهلهـــا الأقطـــار رعبَـــاً إذا عقـــدت أناملـــه البنـــودا
كمـــا نصـــر النبـــى مســـيرَ شـــهر برعـــب يصـــدع الحجـــر الشـــديدا
ســـيهدم عـــن قريـــب درب صـــنعا ويـــوطى ســـاحة الجَنَـــدِ الجنـــودا
ويعـــدن فـــى قـــرى عـــدن ويرمـــى علـــى جـــرد كنانتـــه زبيـــدا

ويمـــلأ ظهرهـــا عـــدلًا ويســـطو فـــيملأ مـــن أعاديـــه اللحـــودا

وله أيضًا:

إن كنـــتَ متخـــذاً خلـــيلا فاجعلـــه مطـــرداً طـــويلا
ومهنـــــداً فـــــي حـــــده مـــوت الـــورى إلا قلـــيلا
ومُفاضـــــة ريعانهـــــا يغشـــى الأنامـــل أو شـــليلا[1]
ومحنبـــــاً كالصـــــقر لا زهـــم القطـــاة ولا ضـــئيلا[2]
وعزيمـــــةً يمضـــــي العـــدو بهـــا هزيمـــاً أو قتـــيلا
واستنصـــــر الله الجليـــــ ـــل إذا تجشـــمتَ الجلـــيلا
واتـــــرك فلانـــــاً وابنـــــه وأخـــاه يعتســـف الســـبيلا
هـــذا يـــروم بـــك الخمـــو ل وذا يقـــود لـــك الخيـــولا
وعســـــى وعَـــــلّ وربمـــــا رجعـــوا كمـــا فـــي الصـــحف قـــيلا
يـــا ويـــح مـــن خـــذل ابـــن حـــ ـــمزة بعـــدما نصـــب الـــدليلا
مـــا عـــذره فـــي ابـــن الرســـو ل غـــدًا إذا لقـــي الرســـولا
وعـــن الـــذين أتـــوك أر ســـالًا يجـــرون الـــذيولا
أعطـــوك بيعـــتهم وقـــد جعلـــوا لـــك الله الكفـــيلا
بـــذلوا لـــك الأرواح والـــ ـــأموال لـــم يبغـــوا ممـــيلا
حتـــى إذا قلـــت الســـلاح تنكبـــوا ومضـــوا فلـــولا
وتطلبـــوا الأعـــلال واد رعـــوا لهـــا الـــدين العلـــيلا

---

[1] المفاضة من الدروع: الواسعة. والريعان من الدروع: فضول كُمَّيها. والشليل: الغلالة تحت الدرع، أو الدرع الصغيرة تحت الكبيرة.

[2] التحْنيبُ: احْدِيدابٌ في وظيفَي الفَرَسِ وصُلْبِها. والرهم: الضعف. والقَطاةُ: العَجُزُ، وما بين الوَرِكَيْنِ أو مَقْعَدُ الرَّديفِ من الدابةِ. الضَّئيلُ، كأميرٍ: الصغيرُ الدَّقيقُ الحَقيرُ، والنَّحيفُ.

يتجـــــاهلون وقـــــد رأوا منـــك الـــذي بهـــر العقـــولا
نســـأوا الصـــلاة وأمســـكوا مـــا عُـــونَهم طـــراً غلـــولا
وتمســـكوا باســـم الإمـــا مـــة كـــي ينـــالوا منـــك ســـولا
جبنـــاً وبخـــلاً بـــالنفو س ومـــا حـــوت هُبِلُـــوا هُبُـــولا
أَوَ يـــؤثروا الـــدنيا فـــإن وراءهـــم يومـــاً ثقـــيلا
فـــالبس لهـــم ســـربال حلـــ ـــمك واصـــفح الصـــفح الجميلا

[الاستظهار على الناكثين من أهل الجوف في غزوة سراقة]

وأتى البريد من الجوف مبشراً من الجوف **لثمان ليال بقين من شهر ربيع الآخر**، بما فتح الله به من الاستظهار على أعداء الله.

هذا بعد أن كان البدو قد رعوا زرع القرى، وقتلوا من أهل الجوف في لُقيَة عشرين رجلاً، وربطوا ثلاثين، وجاءهم النذير وهم على النهوض إلى درب ظالم بأموالهم، فانهزموا شر هزيمة، ووصلت الخيل المنصورة إلى الجوف الأعلى بكرة يوم الجمعة فأتوها بليلة واحدة، وعرضوا بسراقة، واستدعاهم عزان بن فليتة للوقوف فلم يساعدوه، فترك في سراقة ثلاثين فارساً مع أهلها ونجا بنفسه.

فلما أصبح فاجأتهم الخيل والجنود المنصورة فبرزت خيلهم للطراد، فحمل فيها الشريف محمد بن الحسين الحرابي الينبعي فجمعها إلى الباب، وأرسل كل منهم إليه ما كان بيده من الحراب والحجارة فأصيب في رأسه بزرقة، وأصيب فرسه باثنتين في رقبته فصرعه الفرس، وطمع العدو في حوزه، فوقع عليه قتال شديد من الفريقين جميعاً، وحارب دونه من أصحابه أخوه علي بن الحسين بن مفرح الحرابي، والأمير

أسد الدين الحسن بن حمزة، والأمير شجاع الدين حمزة بن حمزة، والفقيه أبو القاسم حسين بن شبيب حتى استخرجوه وما لحقه إلا الصابة التي سقط منها.

ثم تقدم الأمير صفي الدين محمد بن إبراهيم، والأمير أسد الدين فعرضا عليهم الدخول في طاعة الإمام عليه السلام، وأبلغا إليهم في المعذرة واجتهدا في ذلك، فامتنعوا وتمادوا في معصيتهم وطغيانهم، فترجلت الجند وزحفت عليهم العساكر، ووقع القتال الشديد على الدرب، وتحصنوا من وراء الجدرات إلى آخر النهار، وأعطى الله النصر عليهم، فأخذوا قهراً بالسيف، وقتل منهم قوم كثير، وتغنمت منهم الأموال الجليلة من الذهب والفضة والبقر والغنم والإبل، وأخذ من خيلهم قدر ثلاثين فرساً، ومن دروعهم قدر عشرين درعاً، ومن الحبوب على أصنافها والعبيد والآلات والسلاح شيء كثير، ولم يبق للبدو خبر ولا أثر، وانقشعوا من البلاد.

[قصيدة الإمام عليه السلام في غزوة سراقة]

وأنشأ الإمام هذا الشعر:

مغَارٌ بَعِيدٌ والمَرَامُ بَعِيدُ … ونزعٌ عَلَى نَائِي المَزَارِ شَدِيدُ

وَمُنتَصِرٌ لله جَرَّدَ عَزمَهُ … فَرِيعَ لَهَا شَيخٌ وشَابَ وَلِيدُ

تَبَارَى سِرَاعَاً مِن شِعَابِ تَهَامَةٍ … إِلَى الجَوفِ تُبدِي جَريَهَا وتُعِيْدُ

ومِن حَيثُ جَاءَت شَاهَدَ البحرَ فِتيَةٌ … وهَا هِي حَولِي فِي النَّدِيِّ قعُودُ[1]

فَمَرَّت مُرورَ الطَّيرِ وهي عَوَابِسٌ … عليهَا حُمَاةٌ فِي المَقَامَةِ صِيْدُ

فَإن تنجُ منها يا ابنَ بدرٍ فَإنَّهَا … تُعِيضُكَ والأيامُ نَحوَكَ سُودُ

عَفونَا فكافَأتُم بِألأَمِ خُطَّةٍ … وهل بعد مَا قدمت فيكَ مزِيدُ

عَدَوتم على صِهرِي و ضَيفِي وصَاحِبِي … كَأنِّي غَرِيبٌ فِي البلاد وَحِيْدُ

---

[1] الندي: المكان الذي في الإجتماع.

ولـو شئتُ ضَاق الجَوفُ بين جِبَالِهِ … بِجَـيشِ لـه آديَّـةٌ ومَديْـدُ[١]
وصَـغَّرتُم أمـراً عظيمَـاً تَزَلزَلَـت … لـه عَـدَنٌ مرعَوبـةً وزَبِيْـدُ
ودونهمَـا مَلـكٌ عَظِـيمٌ حِجَابُـهُ … ومَـالٌ عـريضٌ واسِـعٌ وجنُـوْدُ
وفِتيـان صِدْق كلمَا حَمُسَ الـوَغَى … تَبَـارَت أسُـودٌ مـنهم وأسُـودُ
فكَيـفَ بِرُعيَـانِ المَخَـاضِ تَروعُنَـا … وتَرعَـى حِمَانَـا ضَحْوَةً وتزيْـدُ
وأعجَبَـك الجَـيشُ اللُّهَـامُ وَهزمَـهُ … بِرحْبَـانَ لَـمْ تَشـهَد عَلَيـكَ شُـهُودُ
أحـربُ بَنِـي بِنـتِ النَّبِـي مُحَمَّـدٍ … وحيْـدرَ حـيسٌ بـاردٌ وثريْـدُ
ألسـنَا نُزِيـلُ المَلْـكَ وهـو مشـيّعٌ … تُـزَفُّ عليـه فِـي المقـام بنُـودُ
وَلـو لَـمْ يَصِـلكَ المنـذرُون لأصْبَحَت … جنـودُكَ مـنهم قـائمٌ وحصـيْدُ
وَلاَخْتَضَـبَتْ بـيضُ الوجُـوهِ بِعظلَـمِ … وشُـقّت جُيُـوبٌ جهـرةً وخُـدُودُ[٢]
أشـيخَي بَنِـي قحطـانَ شَـيباً وَهَيبَـةً … ألـيسَ عُقُـولٌ للشـيُوخ تـذُوْدُ
أَغَـدراً ونكثـاً للعُهُـود وهزمَـةً … جِهَـاراً عليهَـا سَـائِقٌ وَشَـهِيدُ
وَمَـا كَـان لـو عَقَّلتُمَاهَـا عَلَيكُمَـا … وفَـلَّ حَدِيـدَاً فِـي العَجَـاج حَدِيـدُ
وظَلَّـت لَهَـا حُـورُ العُيُـونِ شَـوَاهِدَاً … فيَهلَـك سـعدٌ دُونَهَـا وَسَـعِيدُ
أعُـوذُ بِرَبِّـي أن أَغِـشَّ أَصَـبْتُمُ … فَنيَـالٌ عَظِـيمٌ دُونَ ذَاكَ شَـرِيدُ
فَقُـل لِـي لِجَحَّـافٍ وإن بَعُـدَ المَـدَى … مَقَامُـكَ مَحمُـودٌ وأنـتَ حَمِيْـدُ[٣]

---

[١] الآدية: العدة والأهبة، والمديد: ما يُخْلَطُ به سَوِيقٌ أَو سِمْسمٌ أَو دقيق أَو شعير جَشٌّ؛ قال ابن الأَعرابي: هو الذي ليس بحارٍّ ثم يُسقاه البعير والدابة أَو يُضْفَرُه، وقيل: المَدِيدُ العَلَفُ، والمراد أن الجيش كامل العتاد والعدة.

[٢] العِظْلِم: كزِبْرِج الليل المظلم.

[٣] هو السلطان جحاف بن الربيع الدعامي الأرحبي، من خلص أصحاب الإمام المنصور بالله وأتباعه، له مواقف كريمة في الثبات على بيعة الإمام عليه السلام، ذكرها في السيرة المنصورية.

وَقُــل لِشَــبِيْبٍ عنــدَ ذَاكَ وفَيْصَــلٍ وبَــدرٍ وقــولِي صَــائِبٌ وسَــدِيدُ[١]
حَفظــتُم ودَادِي فَــاقتَنُوهُ ذَخِيــرَةً فكُلُّكُـــمُ عنـــد الغَـــدَاة وَدُودُ
وقــل لِــي لعِــزَّانٍ ورَاشِــدَ خُنتُمَــا الــ ــعهُودَ فأيمـــانٌ تَلَــت وعقُــودُ[٢]
ولمَّــا التــوى جيــشُ المراشــي فَخَــرتُمُ وشُـــدَّت قُيُــودٌ فــيهم وقُــدُوْدُ
سُــرِرتُم وأيّــام السُّــرور قَلِيلَــةٌ لِمَــن رامَ حَرْبِــي فَابتَــدُوا وأعيــدُوا
دَعُوا فُلُجاتُ الجَوفِ قَد حَالَ دُونَهَا ضِـرَابٌ كأشـدَاقِ المَخَـاضِ عَتِيـدُ[٣]
فَــإن تُبــتُمُ فَــالتَّوبُ يُقبَــلُ مِــنْكُمُ و إلاَّ فَزِيـــدُوا مَـــرّةً وأزِيْـــدُ
فَــإن لَــمْ أقُــدْهَا لاَحِقَــاتٌ بُطُونُهَــا حِـــذَاهَا حَدِيـــدٌ والرِّجَـــالُ حَدِيـــدُ
إلَــى أن تَبُــلَّ العيــرُ ثَــوبَ جُلُودِهَــا وتَبْتَـــلَّ منهـــا بـــالحَمِيمِ لُبُـــودُ
وَتعصِــفَ عَصْــفَ الــرِّيح وَسْــطَ دِيَــارِكُم وتُنسَـــى بِهَـــا عـــادُ الأولَـــى وَثَمُـــودُ
وتُشْــرَى بِــدِينَارٍ قَرِيــعُ سَــوَامِكم وبالتَّافِـــهِ المُزجَـــى يُبَـــاعُ قَعُـــودُ[٤]
فَــلَا ذَعَــرت خَيلِــي السّــوامَ مُغِيــرَة مــع الصُّــبح شُــعثاً واللئــامُ هُجُــودُ

[قصيدة علي بن يحيى البحيري في غزوة سراقة يمدح الإمام(ع)]

وأنشد هذا الشعر وكان الفقيه الأجل علي بن يحي بن الحسين البحيري حاضراً في جماعة من أهل المعرفة فقال ارتجالاً:

---

[١] هو شبيب بن هشام، وفيصل بن يحي وبدر بن عامر وهم من شيوخ وقادات أهل الجوف، وتشير السيرة المنصورية إلى أنهم تارة يميلون مع الغز وأخرى مع الإمام بحسب السيطرة، ولم أتمكن من معرفة ما آل إليه حال هؤلاء، إلا أن الظاهر أن موالاتهم للغز كانت من باب التقية، خوفاً على أنفسهم وأبنائهم وممتلكاتهم وعشائرهم، واستجلاباً لعطايا الغز، والله أعلم.

[٢] عزان بن فليتة، وراشد بن منيف، سبق ذكرهما.

[٣] الفلجات: جمع فُلجة، والمراد بها هنا: الأرض التي شقت للزراعة.

[٤] القريع: خيار المال، والناقة التي يكثر الفحل ضرابها ويبطئ لقاحها.

مقــال أنــت قائلُـه فريــدُ وعصــر أنــت أوحـده حميــدُ
فـلا وأبيـك لـو يـدري لبيـد بهـذا الشعر لـم يشعر لبيـدُ

وقال هذا الشعر الفقيه علي بن يحيى:

لـيس الحسـام بقـاض للعـلا أَرَبـا إلا إذا كـان مسـلولاً ومختضِـبَا
هـو النـذير بأيـدي الضـاربين بـه يتلـو علـى الهـام فـي يوم الـوغى خُطَبَـا
والحـزم والعـزم مقرونـان فـي قـرن هـذا لهـذا أخ فـي النـاس إن نُسِـبَا
ولـن ينـال المعـالي المـرءُ مقتعـداً عجـزاً ومتئـداً فـي الحـربَ إن حُرِبَـا
مـا العـز إلا بشـق الـنفس يدركـه فتـى إذا أمكنتـه فرصـة وَثَبَـا
ولا يُقضَّـى لـه فـي بلـدةٍ أَرَبٌ إلا وجـدد فـي أخـرى لـه أَرَبَـا
يقـول والفعـل يتلـو القـول ينجـزه يهمهـم الرعـد كيمـا تمطـرَ السُّحُبَا
كفعـل منتصـرٍ للـدين منـتقمٍ للنـاكثين وأعلـى الناصـرين أبَـا
من آل مروان أهل الملك إن نسبوا أضـحى هلـدري كريمـاً فـيهم نَسَبَا
وزاده شـرفاً أن أمسـكت يـدُه مـن عتـرة المصـطفى فليهنـه سَـبَبَا
طالـت يـد العـدل فاستعلى بنصـرته والجـور أصـبح مهضـوماً ومنقضِـبَا
وخيـل حـق تغشـاها مجـردة تـردي بفتيـان صـدق تحسـن الطَّلَبَـا
جـازت بقـارن والجنـات صـادرةً شـوابة تعتلـي الأقـواز والكُثُبَـا
والجـوف موردهـا والبـدو مقصـدها وريـع عـزان مـن أهـدت لـه النُّوَبَـا
جاءتـه ذاهبـةً فـي الليـل ساريةً تـوري سـنابكها مـن قـدحها لَهَبَـا
تـردي بصيد من الأكـراد واحـدهم يـوم الـوغى لجـب إن صـادم اللَّجِبَـا
مـن كـل أروع مغـرى بـالقنيص بهـا ولـيس يصـطاد إلا الفـارس الكلبـا
لله درهـم مـن عصـبة فتحـوا ثُغـراً غـدا صـبرهم فـي ثغـره سَـبَبَا
ولـم يـردوا رؤوسـاً عـن سـراقةَ إذ حـازوا الجميـع بهـا المسلوبَ والسَّلَبَا

وصار ما أبرم البِدوانُ منبتكاً والصدق يمحو كما قد شاهدوا الكذبا

ووصل القضاة آل نشوان في عسكر من خولان أهل حيدان وما يليه من الأديم ومران والرعا وبني ذؤيب والجعاشن وشعب حي قدر سبعمائة، فأمرهم بالتقدم إلى جهة بني أعشب وميتك.

ثم نهض الإمام متوجهاً إلى حجة بعد استحكام الأمر، وقبض الرهائن، **يوم السبت لخمس بقين من شهر ربيع الآخر**، فوصل إلى ميتك وأتاه أهل البلاد سامعين مطيعين، وفي جملتهم قوم من بني شاور يقال: الأدبلة كانوا قد انقلعوا من مساكنهم من الجوف فيما بينهم فأصلح أحوالهم وأعادهم إلى مساكنهم.

وأتى كتاب من السلطان يستورد أمر الإمام عليه السلام فأتاه كتاب بالنهوض إلى جهة تهامة، ونهض إلى حجة في عسكر عظيم، وكان صحبته السلطان محمد بن الحسين بن الأمير، من بني المنتاب، وصل إلى حلملم في جماعة من أصحابه مطيعين لأمره مسلمين لخيلهم إليه، ثم لم يفارق الإمام مدة طويلة بحجة.

ولما وصل إلى حصن قليع تلقاه أهل البلاد بالامتثال والطاعة، وقد كان الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة طلب من أهل البلاد تسليم الواجبات عليهم من الحقوق منذ قيام الإمام عليه السلام وظهور دعوته، فشق عليه ذلك فوقع الصلح على تسليم ثلاثين ألف دينار سبائية معونة على أمر الجهاد في سبيل الله، فقبل ذلك منهم وفرقه فيهم كل على قدر احتماله، واقتسموا العسكر في بلادهم، وأتى كل منهم بما عنده.

فتح المحالب
وغزوة حرض

[فتح المحالب وشعر الإمام في ذلك]

وجاء البريد من الأميرين صفي الدين محمد بن إبراهيم، وأسد الدين الحسن بن حمزة مبشراً بأخذ المحالب[1]، **يوم السبت الثالث من جمادى الأولى**، فتغنموا منها أموالاً جليلة من الذهب والفضة، والخيل والإبل والبقر والغنم، والحرير والبز والعبيد، وقد كان بقي من الشرفاء بني حمزة وأهل مكة وبني سليمان ومن الجند قوم مع الإمام فنهضوا ووافقوا وصول أصحابهم، فطلبوا منهم شيئاً من تلك الغنائم فامتنعوا عليهم، فتقدموا إلى شامي المحالب إلى موضع يسمى المديرة، فتغنموا أموالاً جليلة من الإبل والبقر والغنم واستقرت المحطة في الذنائب، واضطربت تهامة وأهلها إلى باب زبيد.

وأنشأ الإمام هذا الشعر في فتح المحالب:

دَعَا ذِكْرَ أيّامِ الصَّبَا والمَلاَعِبِ … ورَبعَ الغَوَانِي والدّمُوعَ السَّوَاكِبِ

وَرَكْبٍ سَرَوا وَالرِّيحُ تَجذُبُ عَنهُمُ … حَوَاشِي البُرُودِ أو فُضُولَ العَصَائِبِ

وَحَيٍّ حِلاَلٍ بَينَ سِلَيَامَ والقُرَى … فَأعرَاضُ حَامٍ فَالرُّبَا والسَّبَاسِبِ

وَكُن ذَاكِراً إن كُنتَ لا بُدَّ ذَاكِراً … مَغَارَيْنِ مَا بين الخِضَمِّ ومَأرِبِ

لمُنتَصِرٍ للدِّينِ جَرَّدَ عَزمَةً … أَشَدَّ مَضَاءً من رِقَاقِ المَضَارِبِ

عَلَى الجُردِ مِن آلِ الوَجِيهِ وَلاَحِقٍ … خِمَاصِ البُطُونِ خَافِيَاتِ المَنَاكِبِ

بَدَت وهي أمثالُ العِشَارِ بَوَادِنٌ … وآبَت كأمثَالِ القِدَاحِ الشَّوَازِبِ

تَؤُمُّ مِن الجَوفَيْن حيّاً مُخَيَّماً … كَثيرَ جِيادِ الخيلِ حَالَ المذَاهِبِ

---

[1] المحالب: بلدة قديمة خربة جنوبي وادي مور، على مقربة من سوق بجيلة، تقع ما بين المهجم والذنائب.

فَلَـولَا خِيانَـاتُ الثِّقَـاتِ لأصـبَحَت جُثَـاهُم غُثَـاءً فـوقَ تلـك الجَنائِـبِ
فَحَطَّـت عَلَـى بَـابَي سُـرَاقَةَ بَرْكَهَـا بِعَـزمٍ ورأيٍ فِـي المُهِمَّـاتِ صَـائِبِ
فَيَـا لَـكَ يَومَـاً مَـا أشـدَّ علـى العِـدَى وأحْسَـنَ فِـي عـين الـوليِّ المُصَـاحبِ
غَـدَوْا بـين مجمـوعٍ بِقَيـدٍ مُكَبَّـلٍ ومفتـرقٍ بالمُرْهِفَـاتِ القَواضِـبِ
وَلاَح لَهَـا بـرقٌ شَـرَى بتهَامَـةٍ عِشَـاءً كَمثـلِ السَّـيفِ فِـي كَـفِّ لاَعِـبِ
فَطَـارَت إليـه مِـن هِيَـاجِ سُـرَاقَةٍ لترعَـى عـوَافِي نَبتِـهِ فِـي المحَالـبِ[1]
فَهَـل بَعـدَ سَـبعٍ لَيلِهَـا ونَهَارِهَـا مَـرامٌ لِغَـازٍ أو مُـرادٌ لِطَالِـبِ
فَمَـا شَـعَرُوا حتَّـى رأوهَـا مُغِيـرَةً سَـوامِي الهَـوادِي مُشـرِفَاتِ الحَوَاجِـبِ
تَجِـيشُ بفتيَـانِ الحُـرُوبِ يَقُـودُهُم إلَـى الـرَّوعِ مَرهـوبُ اللِّقَـا غيـرُ هَائِـبِ
فَرَفَّـعَ عـنهم سَـيْفَه حِلـمُ نَفسِـه ولـو شـاءَ كـان المـوتُ ضـربَةَ لاَزِبِ
فَتَىً من بني مروان سَادَاتِ خِندِفِ الـ ـكِرَامِ لُبَـابِ اللُّـبِّ مـن آلِ غَالِـبِ
مَسَاعِير فِي الهيجا مَطَاعِيْنَ فِي الوَغَى مَطـاعِيمَ فِـي الـلأوَا كـرامِ المَناسِـبِ
نَضَـاهُ أميـرُ المـؤمنين مُهَنَّـداً علـى ضِـدِّه فِـي شـرقِهَا والمغَـارِبِ
فَمَـا امتنَعَـت مِـن شَـفرَتَيهِ ضَـرِيبَةٌ ولَا انتصَـرَت مِنـه رُؤوسُ الشَّـنَاخِبِ
وَشَـايَعَهُ فِتْيَـانُ صِـدْقٍ إلـى الـوغى فَـأكرِمْ بِـهِ مِـنْ صَـاحِبٍ وَمُصَـاحِبِ
فَهُـم عنـدَنَا أوْلَـى بِمَـا قَـالَ أوّلاً زِيـادٌ سَـليمُ القلـبِ مـن كُـلِّ عَائِـبِ
وَلَا عَيْـبَ فـيهم غيـر أن سـيُوفَهُم بِهِـنَّ فُلُـولٌ مـن قِـرَاعِ الكَتَائِـبِ
يُخَبِّـرنَ عـن أزمَـانِ يَـومِ حَليمَـة إلَـى اليـوم قـد جـرّبن كُـلَّ التَّجَـارُبِ
أمَـا والـذِي طَـافَ الحَجِـيجُ بِبَيتِـهِ عَصَـائِبُ شُـعثاً تَقتَـدِي بِعَصَـائِبِ
لَقـد نلـتَ فخـراً يـا ابـنَ مَـرْوَانَ بَاذِخـاً أضَـاءَ لِكُـلِّ النـاسِ مـن كُـلِّ جَانِـبِ
بِنَصـرِ ابـنِ بِنـتِ المُصـطَفَى وَوَلِيِّـهِ إمامِ الهُدَى المطلوبِ من آلِ طَالِـبِ

---

[1] العوف: نبات طيب الرائحة.

فَكَافحـتَ عنـه كُـلَّ ضِـدٍّ مُكَـافِحٍ ... وناصَـبتَ عَنـه كُـلَّ قَـالٍ مُنَاصِـبِ

وَصِـرتَ مَلِيكَـاً مثـلَ أَجـدَادِكَ الأولَـى ... زَمَـانَ دِمشـقٍ فِـي العُصُـور الـذّوَاهِبِ

فَـلَا عَـيشَ حتـى تُقـرعَ الخَيـلُ بالقَنَـا ... وتَرفُـلَ فِـي المَـاذيِّ فـوقَ قَبَاقِـبِ[1]

وتَسْـري إلـى بغـدَادَ عشـرينَ لَيلَـةً ... وعشـرِين يومَـاً فِـي غُبَـارِ المَقَانِـبِ

ونَـدعُو بنِـي أعمامِنَـا لِمُقَامَـةٍ ... تَشـيبُ لَهَـا إذْ ذَاكَ سُـودُ الـذّوائبِ

إلَـى أن يَقِـرَّ الحـقُّ فِـي مُسـتَقَرِّهِ ... ويَرجِـعَ مـن طُغيانِـهِ كُـلُّ غَاصِـبِ

وَيَجلِـي ابـنُ مـروانَ العِـراقَ بِسَـيفِهِ ... على الحـقِّ ضَـربَاً فِي الطّلَى والتّرَائِبِ

أمَـامَ إمَـامٍ مـن ذؤابَـةِ هَاشِـمٍ ... شَـرِيفِ مَسَـاعِي الفعـلِ زَاكِـي المَنَاصِـبِ

[طلوع الإمام إلى حصن مبين، والمحاكمة بين بني برام وبني بطين]

فلما كان العاشر من شهر جمادى الأولى نهض الإمام عليه السلام من حصن فليع إلى جبل مبين بعد اجتماع العساكر من خولان وحمير وهمدان وسائر أهل البلاد فدخل مبين ونزل بدار أسعد بن قاسم وتفرق العسكر للضيفة في جهات حجة، ولتقاض المدفوع في المعونة، وتَرَكَ في الجبل قوماً من خولان يحفظونه، وأمر بني بطين وبني برام للحضور للفصل فيما يدعي بعضهم على بعض في جبل مبين، ونصب القاضي الفاضل محمد بن نشوان للقضاء بينهم بحكم الله تعالى، فجرت المنازعة ثلاثة أيام، وأحضر كل منهم بينته وشهوده، فحكم القاضي بعد الأجل وتمكين كل منهم من حجته لبني بطين بالجبل، وكان المتقدم لخصمتهم علي بن حجاج بعد الوكالة من أصحابه فانقطع، فأمر

---

[1] الماذي: كل سلاح من الحديد، والقبب: دقة الخصر وضمور البطن، ومِنَ اللُّجُمِ: أصْعَبُها وأعْظَمُها، وبالكسر: العَظْمُ النَّاتِئُ مِن الظَّهْرِ بَيْنَ الألْيَتَيْنِ.

الإمام عليه السلام بني بطين بالرجوع إلى منازلهم ومكنهم منها، وكان قد حدث من خولان على بني برام روعة في الجبل، وذلك أنهم أنكروا منهم أشياء فطلعوا عليهم الدور ولزموا سطوحها، بغير أمر الإمام ولا مشورة له، فنهض في الحال وجمع خولان وتكلم معهم في ذلك، وخطأهم فيما فعلوه وقال: لا بد من تسليم رهائن من كل بطن منكم، فتبادروا بالرهائن فيما يجب عليهم واعترفوا بما لزمهم، وافترق الناس بعد صلاة المغرب، فلما أصبح حضرت خولان وسائر العسكر، وبنو بطين وبنو برام، وادعى بنو برام أن خولان استُجعِلُوا على ترويعهم، ولم يحضروا بينة، واستحلفهم القاضي اليمين البالغة ما كان ما حدث منهم لجعالة، وانتقل بنو برام إلى موضع لهم يقال له: الرهبة.

ورأى الإمام عليه السلام إيناسهم وتألفهم فيما حدث عليهم من خولان، فأمر الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة بحصان أشقر من جياد الخيل لشيخهم علي بن حجاج فطابت نفوسهم وشكروا على ذلك، وظهر عند الخاص والعام قيام الإمام عليه السلام بحكم الله وإنفاذه لما أوجبته الشريعة المطهرة.

[وفود القبائل من جهات المغرب]

ووصلت القبائل من جهات المغرب سامعة طائعة، ووفد إليه نيف وسبعون رجلاً من الشرفاء السليمانيين ومواليهم، والمقدمون منهم: قاسم بن محمد بن غانم اليحيوي، وعيسى بن مرير السماحي، ويوسف بن علي العلوي، والحسن بن علي الجياشي، ومنصور بن سليمان اليحيوي، وقد كان وصل السيد يحيى بن علي في جماعة فيهم علي بن يحيى الشماحي.

وممن وصل إليه جوزة[1]، وأدران[2]، وعيان، والسلطان شهاب بن خالد بن جعفر من جهة جعيل في جماعة من بني عمه، ومن أهل شرف البياض السلطان شرحبيل بن عبد الحميد وكافة بني عمه، ومحمد بن عبد الله بن خطاب، والقتيب بن [أحمد العلوي]، وعبد الله بن النجيم، ومحمد بن الفهيم، والسمؤال بن، وأبو العشيرة، والقاضي علي بن عبد الرحيم، كلهم سامع مطيع رغبة وامتثالاً، فبايعهم على الطاعة وله واستحكمت الأمور.

[كتاب الإمام إلى الأمير هلدري]

وأتى كتاب من السلطان هلدري يحقق أنه يريد الغزاة إلى تهامة ويستورد الأمر، ويسأل وصول الأمير عماد الدين فيمن كان من الخيل بحضرة الإمام عليه السلام من الشرفاء والحمزيين والجنبيين وغيرهم، وقد كان وقع منه تفريط في إيفاء الأخماس من الغنائم فلم يحصل منها سوى مائة رأس من البقر، فكتب عليه السلام في ذلك إليه وإلى كافة الأجناد كتاباً، وأمر بقراءته عليهم ظاهراً على عيون الأشهاد، وهو:

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمد وآله

يقول أمير المؤمنين عبد الله بن حمزة بن سليمان ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، للكافة من المؤمنين والمسلمين:

---

(1) جَوزة: قرية في وادي الأجبار، شرق جنوب صنعاء، يسكنها قبائل من سنحان.

(2) أدران: بطن من بني عريب بن جشم بن حاشد، وبعضم يسكنون قدم حج.

فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، حمداً كثيراً، بكرة وأصيلاً.

أما بعد:

فإن الله تعالى جعلنا الولاة في بلاده، والأمناء على عباده، والحكام في أرضه، وخصنا بولادة نبيه صلى الله عليه وعلى آله، ووراثة كتابه، وحفظ علمه، وقد طال زمان الفترة، وبعدت علينا في عاجل الدنيا النصرة، محنة صبرنا عليها، وغاية جرينا إليها، لنوفى أجر الصابرين بغير حساب، ثم الآن قد رد الله الأمر إلى نصابه، والملك إلى أربابه، من أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومهبط الوحي، ومختلف الملائكة، وقد صرتم بأمر الله سبحانه تحت أمرنا داخلين، ووجب عليكم تلقي القابلين، قال أصدق القائلين: {**وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ**}[النساء/٨٣]، ونحن الذين يرد الله سبحانه الأمر إليهم، والعماد في معالم الدين عليهم.

ولما كان أمير المؤمنين ناظرًا لهذه الأمة في صلاحها، متحرياً لتقويم عمود دينها، وكان الدين لا يقوم إلا بشدة ولين، وعطاء ومنع، وبسط وقبض، وقيام وقعود، وذكاء وخمود، وكان لا بد من نظام للجنود، وقائد للجيوش، يجمع رباطة الجأش، وحسن التدبير، ولطف السياسة في الجمهور، مع خشونة الجانب، عند قود المقانب، ولجاج المواثب، عند ازورار المناكب، فيطرق إطراق الشجاع، ويثب وثوب السباع، فرأى أمير المؤمنين رأياً يسأل الله تعالى فيه الثبات، وتوفيق الحركات والسكنات، وخلوص النيات، أن هذا الأمر لا يقوم به إلا من يجمع شرف المنصب، وشدة المنكب، وثبات القلب، وذكاء اللب، وصبر البازل المقيد، وعزم بواسل الأسود، مع سخاء النفس، وكرم الجنس، ورأى هذه الخلال كلها مجتمعة في السلطان المكين،

المنتصر للدين، الملك المسعود، شريف الجدود هلدري بن أحمد المرواني -تولى الله توفيقه- فقلده لذلك السلطنة العامة، على الخاصة والعامة، وأمر الكافة من المسلمين المنقادين لطاعته بالانقياد له في أوامره التي فيها لله أمر سابق؛ إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وشرط عليه أمير المؤمنين تقديم أمر الله سبحانه على كل أمر، وإنفاذ حكمه على كل حكم، والانقياد لأمر الشريعة فيما عزَّ وهان، وقسى ولان، وتحرّي المصلحة للمسلمين الخاص منهم والعام، والانقياد لحكم الإمام، بطاعة العزيز العلام، وإنفاذ الأوامر الشرعية، في جميع الأجناد والرعية، والقسمة بالسوية في الأقسام النبوية، بعد التنفيل المذكور للمصلحة وإخراج الأخماس في الغنائم، واجتناب المآثم والمظالم، وترك المنكرات باطناً وظاهراً، وتقديم أمر الله أولاً وآخراً، ولين الجانب لأهل الولاية، وخشونة الجانب لأهل العداوة، وأخذ أمير المؤمنين على هذه الشرائط على الملك المذكور المفوض إليه هذا الأمر عهدَ الله وميثاقه مرة بعد أخرى، وجعل ذلك بينه وبين النار ستراً، ولم يأل للأمة نصحاً وللدين نظراً، وهو يستمد من الله التوفيق في جميع أموره، فمهما وافق هذه الشروط الموسومة فأمر السلطان فيه من أمره، وأمره من أمر الله سبحانه، وهو واجب على الأمة الانقياد له، ومتى خالف ذلك فهو منه بريء، وهو يسأل الله تعالى تثبيت أمر سلطانه، وتقوية جنوده وأعوانه، والصلاة على محمد وآله.

فلما وصل الكتاب إلى السلطان نادى مناديه في العسكر يأمرهم بالحضور فحضروا، فأمر بقراءة الكتاب وازداد به شرفًا وهيبة عند الجند وغيرهم، وحمد الله وأثنى عليه وأخذ الكتاب فقبله وتركه على رأسه، وقال: هذه النعمة ما حصلت لي بحولي ولا بقوتي إلا بالله وبركات أمير المؤمنين.

وقد كان الإمام عليه السلام أمر بتجديد اليمين عليه فحلف اليمين المغلظة المشددة على طاعة الله وطاعته، وطابت نفسه، وأظهر المسرة بما حصل له من التبجيل والإعظام، وارتفاع المنزلة والهيبة على الجند.

[غزوة حرض وما حصل فيها من الكرامة]

ونهض لغزاة حرض[١] وأظهر أنه يريد المهجم[٢] في الجند والعسكر، ونهض الأمراء والأشراف صفي الدين محمد بن إبراهيم، وأسد الدين الحسن بن حمزة، وحسام الدين سليمان بن محمد بن الحسن بن القاضي من بني الهادي إلى الحق عليه السلام، ومن الهمدانيين السلطان علي بن محمد بن حاتم بن أحمد، والقاضي حاتم بن أسعد، والسلطان حاتم بن معن من آل القبيب، وأخو العابد العطيف وأولاده، وكانت الرجل قدر ثلاثمائة راجل، فأخذوا طريقهم يعتسفون سهولها وحزونها في وقت شديد الحر، واستمرت الخيل، وتقطعت عليهم الرجالة، ولحقهم السموم والظمأ، حتى وافوا حرض بعد نصب شديد قبيل الظهر، ورتبة حرض يومئذ على ما حكي مائة وخمسون فارساً، ومن الحرابة وأهل البلاد خلق كثير، وقد كانوا على أهبة وتعبئة للقتال فقصدهم الجند المنصور مع ما قد لحقهم من الكلال وشدة الحر والعطش، وقد صفوا للحرب دون المدينة، والحرابة والرجل من خلفهم، وحملت فيهم الخيل واختلط بعضها ببعض وتنادى عسكر الإمام بأسمائهم وصاح فيهم السلطان يال الإمامية يال الإمامية فأعطى الله النصر عليهم، فانفرج القتام عن سبعة قتلى من

---

(١) حرض: بلد مشهور من بلدان تهامة.

(٢) المهجم: من المدن التهامية، ذات الشهرة التاريخية، وهي مقابل لساحل اللحية، وتقع في شرق مدينة الزيدية، وهي اليوم خراب.

غز حرض، وأخذت خيلهم وسلاحهم، ومنعهم من المدينة كثرة الرجالة، ووقف كل مكانه، واضطر عسكر الإمام عليه السلام من شدة الظمأ وانقطاع راجلهم عنهم فانقلبوا على إثرهم سالمين ما جرح منهم أحد ولا قتل في تلك الوقعة رجل واحد، إلا طائفة يسيرة فإنهم بعد عودة الخيل عالوا بين الشجر، ففقد منهم قدر خمسة عشر رجلاً، واشتد بالناس الأمر، وكادوا يتلفون عطشاً، وساروا على غير طريق فأداهم سيرهم بلطف الله ورحمته بعد أن أشفوا على الهلاك إلى ماء كثير في مقطعة من الأرض لم يعهدوه من غير مطر ولا أثر سيل في ذلك الوقت، فكان ذلك من جملة كرامات الإمام عليه السلام، فحط العسكر عليه، وسقوا دوابهم، واستراحوا، وتتابعت إليهم رجالتهم، إلا من هلك منهم من السموم، ثم نهضوا وما مروا بقرية من قرى تهامة إلا حرقوها ممن قد هرب إلى جهة الظالمين ما بين حرض والمحالب، حتى صارت كالأمس الذاهب، وتغنموا من البلية إبلاً قريباً من مائة رأس، وراحوا إلى الذنائب، ووصلت كتبهم بتحقيق أخبارهم، ويستوردون أمر الإمام عليه السلام في الإقامة ليستريحوا وتثوب خيلهم.

وأقام الإمام بمبين حتى استكمل تحصيل المال ففرقه على مرور الأيام جميعه في مدة إقامته، في الجند والديوان والوافدين إليه من تهامة وغيرها، مع ما وصل إليه من بني شاور قدر ستة آلاف دينار مما كان قد صالحهم عليه في دية أخيه محمد بن حمزة رضي الله عنه، ومما قام محصول حجة وهو ثلاثون ألف دينار بما نفق فيها، واستقرت الأمور، ونفذت الأحكام بحجة ومخاليفها، فالحمد لله رب العالمين.

[قصيدة الشيخ عزوي العصيفري]

ومما أنشد في ذلك الوقت هذا الشعر للشيخ عزوي العصيفري:

أغيـري يمينـاً وإلا شـمالا ... وبـاري الجنـوب وإلا الشـمالا

أخيـل الإمـام عليـه السـلام ... غـدت لـك هـام الأعـادي نعـالا

تكـر خفافـاً ولكنهـا ... مـن النقـع تزجـي سـحاباً ثقـالا

عليهـا الضـراغم بيض الوجوه ... شـوقاً تهـز الرمـاح الطـوالا

إذا هـي حفـت بـه فـي اللقـا ... رأيـت الكواكـب حفـت هـلالا

يمـد الوشـيج عليهـا ظـلالاً ... وتنفـي ببيض السـيوف الضـلالا

إمـام حـذا حـذو آبائـه ... علـى سـنة الله ذاك المثـالا

فمـا بـال قـوم أبـانوا الخـلا ... ف وما خالف القول منه الفعالا

يريـدون أن يطفئـوا نـوره ... ومـا زاده الله إلا اشـتعالا

أمـا هـو مـن عتـرة المصـطفى ... بفضـل المهيمن حـاز الخصـالا

فـأكثر علمـاً وأنفـذ عزمـاً ... وأفضـل زهـداً وأزكـى نـوالا

لك الفضل يا ابن مبين الهدى ... مـن الله سـبحانه وتعـالى

رأينا الحوادث تصدي الرجال ... ومـا زادك الخطـب إلا صـقالا

إلـيكم مـن الخـالق الأمـر الا ... فحييـتم آل أحمـد آلا

عجبـت لصـاد يـرى جـودكم ... فيصـدف عنـه ويقصـد آلا

أقـام المبـارزُ سـوق الجهـا ... دِ وأحمـى علـى النـاكثين القتـالا

إذا سـار والكـرد مـن حولـه ... يهـز القنـا والظبـا والنبـالا

وتلـك البيـارق مـن فـوقهم ... وبـيض الحديـد علـيهم تـلالا

فلـو زاحمـوا فـي اللقـاء جبـالاً ... لألجوا إلى الميل تلك الجبالا

تشـكى الخيـول إليـك الـوحى ... وتشـكو إليـك المطايـا الكـلالا

تغـور وتنجـد فـي غزوهـا ... فيومـا حـزازًا ويومـا سـدالا

وعمـا قريـب سـترمي سـهاماً ... وترمـي بهـا زُمعـاً وفشـالا

تــؤم زبيــد وأعمالهــا وترقــى تعـز وتلـك الجبــالا
وتـأتي المشـيرق مـن مشـرق ومــن أرض سـنحان تـأتي أزالا

[كتاب الإمام عليه السلام إلى قتادة بن إدريس مع مفرح ونمير]

ولما عزم الشريفان مفرح ونمير ابنا حسين بن ثابت على المراح إلى مكة حرسها الله وسألا الإمام الفسح، جمل أمورهما، وأجزل عطيتهما، وأعطاهما من التفاصيل الحريرية والفوط لأهلهما، وأمر معهما بجواب كتاب كان وصل في الموسم من الأمير أبي عزيز قتادة بن إدريس أنشأه في الحال، مع كثرة الأشغال، وهو:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله، المنصور بالله، أمير المؤمنين، عبد الله بن حمزة بن سليمان ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

سلام عليك أيها الأمير الأثير الكبير الموفق.

فإنا نحمد إليك الله الذي عرفنا معالم دينه، وجعلنا وإياك من ذرية نبيه صلى الله عليه وآله، وهدانا وإياك إلى سلوك منهاجه، أما بعد:

فإن الدنيا دار غرور لمن اعتر بها، دار نصح لمن استنصحها، فكم واثق بها قد خدعته، وساكن إليها قد صرعته، وذي تاج فيها قد أكبته لليدين والفم، سلطانها دول، وصفوها كدر، وحيُّها بعرض موت، وصحتها بعرض سقم، فنوصيك وأنفسنا بتقوى الله العظيم الذي يرى ما أظهرنا، ويعلم ما أسررنا، ويجزي الذين أساؤوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى، وإنا قد كنا وإياك قليلاً فكثرنا الله، وأذلاء فأعزنا، ومستضعفين في الأرض فقوانا، ومكننا لغير حق وجب لنا عليه، ولا

يد سبقت منا إليه، بل منة منه علينا، ونعمة أسداها إلينا، ذلك {**مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ**} [النمل٤٠]، وقد بلغتنا كتبك في الموسم المبارك، وما حققت فيها من الأعلام، ولا شك فيما ذكرت أيدك الله بتوفيقه، غير أن الله سبحانه يقول: {**لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**} [الحشر/٨]، والله ما أفقرهم إلا ما حكى أصدق القائلين من ابتغائهم فضل الله ورضوانه وهجرتهم في سبيل الله، وما الأمر -بحمد الله- بمتساوٍ، بل قد رفع الله سبحانه معظم المشقة عنا، ونحن نعلم أنك إذا خرجت بجيشك انتقلت إلى ملك وسيع، وصيت رفيع، وعز منيع، ونعشت دين آبائك الطاهرين، الذين شادوا منار الدين، وأحيوا سنن المرسلين، سلام الله عليهم أجمعين، وارتجعت ضالتك المفقودة، وشيدت قواعد مجد آبائك المهدودة، ونقمت ثأرك المطلول، وسننت غرار سيفك المسلول، فقد طال ما تداول أمركم الذي جعل الله لكم العبيدُ والإماءُ، والخصيان والنساء، وإنما أخذوه باسمكم أولاً وآخراً، وأعانهم عليه قوم آخرون، فقد جاؤوا ظلماً وزوراً، فكيف تسمح نفوسكم بأمر لو كان ملكاً لحسن منكم بذل المهج فيه، وتلف الأرواح دونه، وأنتم لب اللباب، وقد فزتم برباطة القلوب، وشرف النصاب، وذكاء الألباب، وطهارة النيات، وإن لم يكن الأمر فيكم عاماً ففيكم أكثره ومستقره، وإليكم مرجعه ومرده، وأنتم أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومهبط الوحي، ومختلف الملائكة، والحكمة تربية حجوركم، والكتاب حليف صدوركم، والسنة

ملاك أموركم، وفيكم علم الله سبق، وأنتم شهداؤه على عباده، وأمناؤه في بلاده، وما نال القوم ما نالوا إلا بالانتساب إلى أدنى سبب من أسبابكم.

واحد قالوا: نطق القرآن بأنه صاحبه في الغار، وثانٍ: ناصره على الكفار، وثالث: صهره وقرينه.

ولما تقطعت الوصل بينه وبين معاوية وأمه الهاوية قالوا: خال المؤمنين، لمكان أخته من رسول الله صلى الله عليه وآله، فكيف بكم يا لكم الخيرات، وأنتم لحمه ودمه، وشعره وبشره، وعترته وذريته، وأهل الطعن والشزر، والضرب الهبر، واحدكم يهزم باسمه الصف، ويقوم مقام الألف، ولا يولي يوم الزحف، يصل السيف بالخطى، ويناطح شفار الظبا، على حمية أو عصبية، أو منع جار، أو حماية ذمار، فكيف بكم وهذه رايتكم منصوبة، وقباب عزكم مضروبة، وإمامكم مشهور، ومجدكم معمور، قد قهر جنود الظالمين بنصر ربه، فصاروا حيارى لا يهتدون يميناً ولا يساراً، ملأ الله قلوبهم رعباً، فصاروا يرون البعد قرباً، هذه صنعاء أبوابها عليهم موصدة، وعماد الخوف عليهم ممددة؛ وهذه زبيد ليس فوق ما هي فيه من الرعب من مزيد، قد ضاقت بأهلها من أقطارها، ونبت بهم عن قرارها؛ وهذه بوادي تهامة، أجفلت إجفال النعامة، فأما قراها، فلله عينا من يراها، {**وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا * فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا**}[الطلاق/٨،٩]، فهذا المطلب الأول، وهو أعظم المطلبين أمراً، وأعلاهما ذكراً، وأكبرهما أجراً، وأسناهما فخراً.

وأما المطلب الآخر الأسنى، وكلاًّ وعد الله الحسنى، فإنه تواتر الإمداد بالأموال والرجال، في الحال بعد الحال، التي تستحكم الأمور، وتصلح الجمهور، ولا

ثالث لهذين المطلبين؛ فمثلك ممن له شرف أصلك، وكمال عقلك، واشتهار فضلك، لا يعزب عنه الصواب، ونحن نسأل الله أن يوفقنا وإياك لطاعته، وأن يجنبنا معصيته، وأن يهدينا لرشدنا، ويعرفنا سبيل نجاتنا، وأن يعيننا على أنفسنا الأمارة بالسوء، فإن جهادها الجهاد الأكبر، كذلك جاء في الأثر، عن خير البشر، محمد صلى الله عليه وآله، وقد جاءتنا بشارات قبل هذه المطالعة بإقبالك إلينا بالجنود المتظاهرة، والعدد الوافرة، والجموع المتكاثرة، فارتجت لذلك البلاد، واضطرب أهل الفساد، وارتاع أرباب العناد.

وأما ما كان بلغ إلينا من الأمر بمن يصلح لتقويم البلاد، وإرشاد باغي الرشاد، فما منع من ذلك إلا قلة من يصلح لمثل ذلك الشأن، وقليل من عبادي الشكور، فالله المستعان.

وقد بلغنا -أبقاك الله- ما خولك الحكيم من الاستظهار، وحسن الآثار، وأنت أهل لذلك، فالله تعالى يتمه عليك بإحسان، ويمدك بمواد الامتنان؛ فعليك بارتباط ذلك بلين الجانب، للأقارب والأجانب، والصبر على أذية الصاحب؛ لأمر ما يُسَوَّدُ من يسود، وعليك بالانقياد لأهل الديانة والعلم، فإنهم أعوانك على الحق، وأدلتك على الرشد، وإن كان ذلك هو المأثور عندك، والمرجو فيك، وكن بينهم كأحدهم، وبين أهل الدنيا على حالة توجب الجلالة، وتكسب الهيبة، وإياك والغضب ودوامه فإن ذلك أخلاق السباع، وقصوره فإن ذلك من أخلاق الصبيان، ولتتخذ بين ذلك سبيلاً؛ وقد علم أن الآن قد أطلق الله سبحانه سلاسل الاعتقال، فلتشكره على ذلك، فاحمد الله حيث جعل أحكامك شرعية، وأفعالك نبوية، وسيرتك إمامية، ولك بذلك بلوغ الأغراض

النبيلة، والمراتب الجليلة، وقد علمنا ما بينك وبين عشيرتك من الحروب والحوادث، والقدرة تذهب الحفيظة، ثم قد انحسم الشر، وظهر النصر، والمراد منك حسن العودة، وكرم الجودة، ولطف الرفق، ولين الجانب، حتى يظهر ذلك للأباعد والأقارب، فإن ذلك مما يكبت حسادك، ويصمي أضدادك، وأنت أهل العفو ومستحقه، وقد وصل إلينا من وصل من جهتك فحبب إلى الباقين ممن ترى وصوله صواباً الوصولَ بما تراه من الصواب، ولا تخلنا من المطالعة في جميع أوقات الإمكان، والسلام عليك وعلى جميع المسلمين ورحمة الله وبركاته.

وكتب لثلاث وعشرين ليلة خلت من جمادى الأولى من سنة ست وتسعين وخمسمائة.

خروج إسماعيل إلى صنعاء والأحداث

[خروج إسماعيل إلى صنعاء والأحداث هنالك]

وجاءت الأخبار بأن السلطان إسماعيل في جمع الجنود والعساكر إلى صنعاء، وتقوية الرتب في تهامة وزبيد إلى حرض، وطلع في قدر ألف فارس، ومن الرجل في خلق كثير، وجعل طريقه على هجرة الجبجب ببكيل فأخربها، وهدم مساجدها، وتقدم إلى صنعاء فكان وصوله يوم الثلاثاء لأربع خلون من شهر جمادى الآخرة من سنة ست وتسعين، فأقام بها أياماً، ونهض إلى أثافت فحط بها خمسة أيام، واجتهد في تقريب أهلها وتوديتهم، فامتنعوا خوفاً من الإمام عليه السلام، فلما يئس منهم أخرب القرية والمساجد التي بها، وأمر بكبس البركة ورمي الميتة فيها، واجتهد في ذلك، وفي عرض إقامتهم الغواير عليهم في الليل والنهار والقتل في أطرافهم، وعقر الجمال والخيل من بني صاع وأهل الظاهر، ونهض بعد ذلك إلى كوكبان، وقد كان السلطان عمرو بن علي بن حاتم جمع عسكراً كثيراً من حمير وغيرهم من رتب الحصون، وتقدم إليه الأمير صفي الدين محمد بن إبراهيم في عسكر كثير من جهة ثلا وغيره، وكانت محطتهم في موضع يسمى اللظية[١]، ورتب العسكر للقتال، وجعل لكل منهم جهة وأنفق المال، ووصل إسماعيل بجنده ووقع القتال، والجراحات الكثير ولم يثبت العرب لقتالهم فحقت الهزيمة فيهم، وتفرق الناس من المحطة، وراح السلطان عمرو بن علي إلى حصن بكر[٢]، وطلع إسماعيل فحط على كوكبان يوم الجمعة السادس من رجب، ونصبت المنجنيقات، ورموا بها فلم تصنع شيئاً، ولا اضطر منها أهل الحصن، فصنعوا برجاً عالياً من صروف وأخشاب، وجعلوه قاهراً للحصن، ونقلوا له أبواب شبام وأخشابها وأبواب المسجد

---

[١] اللظية: موضع قريب من جبل ضِلَع.

[٢] بُكُر ــبضم الباء والكاف-: حصن يحاذي جبل كوكبان.

الجامع، وجعلوه إصطبلاً للخيل والدواب والجمال، وجعلوا هذا البرج على عَجَل، وسَيَّروه حتى وصل قريباً من الخندق، ووقع عند أهل الحصن خوف عظيم ورعب شديد، وكانت عندهم عرادة قد أعدوها لوقت القتال، فرموا ذلك البرج بها فكسروه، وبطل عملهم فيه واستدوا بعد ذلك.

[تفرق المحطة المنصورية وكتاب الإمام إليهم]

ووصل إلى الإمام عليه السلام إلى حجة السلاطين مسعود بن علي بن حاتم، وعمران بن مدرك، وعلوان بن بشر، يطلبون منه النهوض بالجند، وإثارة الغور، وقطع مواد المحطة على كوكبان، وخراب البلاد على إسماعيل، وكان الجند في الذنائب وقد اختلت أمورهم، فمنهم من يريد المراح إلى جهة الشام، ومنهم من يريد إلى إسماعيل، وكان وردسار قد صار في المحالب وهم يريدون التقدم إليه، ومنهم من يريد الإقامة، فلما وصل السلاطين المذكورون وقع عند الجند أنهم وصلوا بأموال جليلة، وكتب إليهم الإمام عليه السلام يأمرهم بالنهوض فطلبوا المال وجعلوه عذراً لهم، وما وصل السلاطين إلى الإمام بدرهم فرد، فكان ذلك سبب تفرقهم، فعدا منهم نيف وخمسون فارساً أكثرها من خيل الإمام فكتب إليهم هذا الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد، فإنكم رأيتم رأياً لا تحمد عاقبته في الدنيا والآخرة، من أنكم تأخرتم في وقت لو أسأنا إليكم كل إساءة ما حسن منكم التأخر، وقد ظن الخاص والعام أن ذلك جبن منكم من لقاء العدو، فالحرب سجال، وقد تركناكم أنفق من صرف دينار بدراهم، ولكن علم الله لو جرى علينا غلب –والعياذ بالله– لا رأيتم خيراً حيث أنتم، ولتهلكون دفعة واحدة، ويحكم لا تحبسوا أنفسكم في

حق المكابرة، بخسارة الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين، وستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد، فارجعوا من قريب قبل أن تضعضع حالكم وأنتم تنظرون، أولئك يعدونكم ويمنونكم ويقولون: إنا نفعل لكم ونصنع، إنما يعدونكم ليفرقوا شملكم، وأمرنا بالله إن نصرنا فلا خاذل لنا، وإن خذلنا فمن ذا الذي ينصرنا من بعده، فلا تشمتوا عدوكم فإنها خدعة الصبي عن اللبن.

والذي يُقسم به عبدُ الله لو غلبنا إسماعيل لتتأخرن إلى منوع بلادنا وبين عشائرنا، وليأخذنكم أخذ الضبع الرابضة في وجارها، حتى تُجُرَّ برجلها، وتُذبحَ على باب جحرها، اللهم اشهد عليهم، وكفى بالله شهيداً بيني وبينكم، ما لي آخذ بحجزكم من النار وأنتم تهافتون فيها تهافت الفراش، يا راجعاً من البحر، يا هارباً بالليل، يا من أتيت وأنت في الاعتقال، أما الآجال فلست قادراً على ردها، ولكني أعززتكم حتى صار من يموت منكم يموت بين الصفين على ظهر فرسه، ومن مات من غيركم جروه مجر الشاة حتى يذبحوه أو يعلقوه، ولقد حصل لكم هذا الشرف أن نفاعتكم جاءت على يدي قاتل سيف الدين، وأنت تعلم يا شجاع أنا امتنعنا من مكاتبة مبارز أبيك حتى شاورناك، لأنه قتل سيف الدين، صرت أنا عدوكم وورdسار صديقكم، وتلك الأيام نداولها بين الناس، وأمر العدو دون ما في نفوسكم، فخذوا نصيبكم من الأجر والفخر، ولا تغدوا نسياً منسيّاً، والله المستعان.

[جواب الإمام (ع) على كتاب لوردسار أرسله إلى السلطان هلدري]

وقد كان وصل من وردسار كتاب إلى السلطان هلدري يعتب عليه ويناقده، ويذكره نعم بني أيوب عليه، ويعرض عليه المال وإقطاع البلاد، والرجوع إلى طاعة إسماعيل، فأمر بالكتاب إلى الإمام عليه السلام يسأله رد الجواب عنه فأجاب الكتاب بهذا الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

انتهى الفهم إلى ما ذكرت في كتابك من النصيحة، ولا شك أنك إن كنت جهلت فأنت معذور، وإن علمت فأنت غار مغرور، فيا سبحان الله العظيم كيف تدعونا إلى الخروج من طاعة ولد الوصي، وسلالة النبي، الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، وأنت على ذلك من الشاهدين.

وأما ما ذكرت من إحسان آل أيوب إلينا فإحساننا إليهم أكثر، أعطيناهم ديننا وأعطونا دنياهم، فالذي أخذوا منا خير من الذي أخذنا منهم.

وأما قولك: إن السلطنة لهم، فالله تعالى مالك الملك يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ونحن نطلبه من الذين أعطاهم.

وأما قولك: سودت وجوه الأكراد، فإن قلت ذلك لخوف وتقية، فأنت معذور، وإلا فكيف سودت وجوه الأكراد وأنا رفعت ذكرهم، وأعلنت أمرهم، ووصلتهم بعترة نبيهم صلى الله عليه وآله، وقد تَفَنَّوا في القفار، وطرحوا في البحار، فجمعتهم من تحت كل كوكب، تحت راية حق من خفقت على رأسه لم تطعمه النار، فإن قبلت النصيحة فأقبل على الرحب والسعة، إلى خير الدنيا

والآخرة، فأنت من أهل النخوة وممن يريد لنفسه الخير؛ واعلم أنك أولى بقبول النصيحة مني، فهلم إلى شرف الدنيا وعزها، وثواب الآخرة وسرورها.

وأما ما ذكرت من السلطان وأنه يعطيني صعدة والظاهر والبون، فقد أعطاني ذلك مالكه حلالاً طيباً، فالحمد لله.

وأما قولك: لا أطلب السلطنة، فقد طلبتها ووجدتها، وأصبحت سلطاناً على جميع أهل الأرض بحكم الله سبحانه، وجميع سلاطين الدنيا عليَّ خوارج؛ لأن إمام المسلمين، وخليفة رب العالمين على الحقيقة سلطنني، وملكني زمام الحل والعقد على الكافة، وهو ولي الأمر وواجب الاتباع؛ لقول الله سبحانه: {**أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**} [يونس/٣٥]، فانظر -رحمك الله- لنفسك نظراً يخلصك عند الله سبحانه.

وأما ما ذكرت من غارتي إلى حرض، فقد كانت ولم أر من الله فيها إلا خيراً محضاً، بتعب الظمأ والسموم، ومحق عدونا بأسيافنا.

فأما ما ذكرت من قتل الأمير جمال الدين لرجالتنا والظن فيك جميل، فإنك ما ذكرت في كتابك إلا ما ذكر لك، ونحن نخبرك خبراً يعلم الله صدقنا فيه، بلغ بنا الظمأ إلى قرب الموت فوصلنا وما فينا حراك ولا في خيلنا، ولقينا ذلك الأمير لقاء مثله من الأجواد، في أجناد كالآساد، وكانت خيلنا قد انقطعت عنا إلا أربعة أو خمسة فقرعنا العود بالعود، فكنا أصبر على الموت فقتلنا من علمت، وأخذنا القلايع، وحزنا القتلى، وأبعدنا الظمأ عن مداومة القتال، وإلا فكنا نأخذهم وهم يعلمون، فانقلبنا بنعمة من الله وفضل لم يمسسنا سوء واتبعنا رضوان الله، وما علمنا بقتيل قتلوه، ولا انتقلت خلفنا لهم فرس وهم يعلمون، ولما وصلنا البلاد فقدنا من جميع ذلك العسكر قرب خمسة عشر نفساً صرعهم

الظمأ، ولم نعلم بميت يقتل، ومنهم رجل رمى بنفسه البئر من شدة الظمأ فأخرجه الله ببركة أمير المؤمنين ولحقنا سالماً، فهذه عندنا آية، والآية الأخرى الماء الذي لقينا في مقطعة من الأرض، وجاءنا منهم من بقيت فيه حركة لما أبرد عليه النهار، وبقي أنفار قليل مُثل بهم بعد موتهم، وقد علمت أنا لو أردنا القتل كنا قد قتلنا مئين من يوم شننا الغارات في تهامة من الأحياء الذين يقوون مَن خالفنا، فانظر أي الفعلين أكرم، أمن قتل الموتى أم من سلم الأحياء.

وأما تهددك بأنك في أربعمائة فارس، فذلك من الممكن، ولكنا لا نلقاكم بالكثرة، ولكنا نقاتل بالنصر، ومن ينصر الله فلا غالب له، و{**كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ**}[البقرة/٢٤٩].

وأما قولك: من أن السلطان يأتي من صنعاء ونهوجها وأنت من تهامة، فكيف يصل إليّ من في صنعاء وبيني وبينه ابن رسول الله صلى الله عليه وآله في عشرين ألفاً أو يزيدون، واضعي سيوفهم على عواتقهم، يرون الموت سعادة، والحياة شقاوة، وإني لأرجو إن خيط برجله الحبالة أن تستحكم عليه الأنشوطة، وقد علمت ألطاف الله سبحانه لابن نبيه صلى الله عليه وآله، ألم يكن في شبام مقاوماً محارباً، فصنع الله حتى دخل صنعاء على أحسن قضية، والذي فعل له ذلك باق لا يزول وهو الله سبحانه، أين من الله معه ممن ليس من الله بسبيل، فتفكر فيما ذكرت لك فإنه محض الإنصاف.

وأما حكايتك من العرب وأنهم يزعمون أن إعطاءهم لنا صدقة، واستخفافهم بنا، فنحن أعلم بنفوسنا، وأشفق عليها من غيرنا، ولو علمنا ذلك لكان في الأرض سعة، وكيف يدخل ذلك في خَلَد مثلك من أهل العقول، وهم حملوا

راجلنا، وكسوا عارينا، وأمنوا خائفنا، ونحن اليوم نسير أحد عشر يوماً طولاً في ثمانية أيام عرضاً يبيت الواحد منا ناحية، وفرسه ناحية، وسلاحه ناحية، ما يرتفع علينا صوت ولا نخاف أحداً، والمواضع التي تعرف كان يحوزها حي سيف الإسلام والصوت عليه والسلاح، فصار يسير الواحد منا وحده لا يعرضه أحد بشر، فقد أطعمنا الله من جوع وأمننا من خوف.

وأما ما ذكرت من إطلاق السلطان ليدك في الأموال، فمال الله أكثر من مال السلطان، وقد أطلق أمير المؤمنين يدي فيه وخزائن الله لا تنفد.

وأما قولك من شأن الطوق والسلفسار، فما عند الله خير للأبرار، ولعل الخبر قد بلغك أنا أعطينا من عطايا أمير المؤمنين أقل شيء منها ما هو أجل مما ذكرت، وإن كنت لم تذكر إلا جيداً لو كان بنا إلى ما ذكرت حاجة.

وأما الفسح فلا يكون إلا لمالك، ولا مالك لنا اليوم إلا أمير المؤمنين، وقد خرجنا من البحر كما تعلم من غير فسح، وفعلنا فعل من لا يخاف العقوبة.

وأما ما فعلت لشمس الدين وفخر الدين، فلا تفعل إلا ما أنت أهله وأنت عليه مشكور، ولو كان لوجه الله أو في سبيل الله لكنت عليه مأجوراً، ولكنهما ممن بايع أمير المؤمنين، ونقض الأيمان بعد توكيدها لإمام الهدى، فما ينفعهما شيء بعد ذلك حتى يتوبا إلى الله تعالى، فاعلموا ذلك، والسلام.

[كتاب الإمام (ع) إلى وردسار ومن معه في المحالب يدعوهم إلى الطاعة]

ثم كتب عليه السلام إلى وردسار والأجناد الذين معه بالمحالب منه هذا الكتاب؛ دعوة إليهم:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله، المنصور بالله، أمير المؤمنين، إلى كافة الأمراء والأجناد المرابطين بتهامة، سلام عليكم.

فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، حمداً يقتضي المزيد من آلائه، ويضاعف الشكر على نعمائه، وصلى الله على نبي الرحمة، وسراج الظلمة، وآله الطاهرين الأئمة.

أما بعد:

فلو علمتم ما أنتم فيه لضاقت عليكم الأرض برحبها، وفررتم من عظيم خطبها؛ وذلك أنكم أمسيتم حرباً لعترة نبيكم صلى الله عليه وآله سفن نجاتكم، وأدلتكم إلى الخير، ونهاتكم عن الشر، فهل علمتم أحداً قبلكم حارب دليله، وعادى نصيحه، وكيف يهناكم عيش إلا مع غفلة الشكر، وعمى الاغترار، ورسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ((حرمت الجنة على من أبغض أهل بيتي، وعلى من حاربهم، وعلى المعين عليهم، أولئك لا خلاق لهم في الدنيا، ولا يكلمهم الله يوم القيمة، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم))، وقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله: ((من كان في قلبه مثقال حبة من خردل عداوة لي ولأهل بيتي لم يرح رائحة الجنة))، فكيف بكم وقد أمسيتم وأصبحتم لا هَمَّ لكم إلا حرب الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر عترة نبيكم، فأي سماء تظلكم، وأي أرض تقلكم، قد أصبحتم على هذه الحال، فو أيم الله لو أن محمداً صلى الله عليه وآله خلف بهيمة لتقاصف الخلق على شعرها وبشرها، يتمسحون بها ويتبركون بأثرها، فكيف وقد خلف ذرية كريمة يقضون

بالحق وبه يعدلون، يخلطونكم بأنفسكم، ويعلمونكم معالم دينهم، ولا يسألونكم على ذلك أجراً، فإذا احمرت الأحداق من الخوف كانوا ليوثاً عادية، فإذا اغبرت الآفاق من الجدب كانوا غيوثاً هامية، وإذا التبست المشكلات في العلم كانوا بحاراً زاخرة، قد دفعوا رداء الكبر عن أنفسهم، وتجلببوا بثياب الخشية للتواضع، يأكلون الطعام، ويمشون في الأسواق، وهم أفضل أهل الأرض عند أهل السماء، لم تلوث أعراضهم أدناس المعاصي، يمسون ويصبحون ولا هَمّ لهم إلا صلاح هذه الأمة، كلامهم ذكر، وصمتهم فكر، أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون، فهلم -رحمكم الله- إلى كلمة جامعة غير مفرقة، عادلة غير جائرة من سمعها وأجابها لم يبل بعدها بأن لا يسمع ولا يجيب، ومن صم عنها ولم ينتفع بسمعه فلا ينتفع بإجابته، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((من سمع واعيتنا أهل البيت فلم يجبها كبه الله على منخريه في نار جهنم))، فاحزموا من هذا الخطر، ولا تمسكوا بحبل الغرر، وكونوا عباد الله الصالحين الذين قالوا {**رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا**} [آل عمران/١٩٣]، ففازوا مع الفائزين، ونجوا مع الناجين، ولا يضركم من ضل إذا اهتديتم، فليس في الخطأ أسوة، ولا ينفع الخاطئ كثرة الخاطئين، ولا مع الحق وحشة، ولا يضر المحق قلة المحقين، ونحن وإياكم في دنيا قد ذهب صفوها وبقي كدرها، فلم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل، وهي عند الله أهون من قراضة الجلم، ونفاثة السواك عندكم، ولو رضيها لأنزلها عباده الصالحين، مِن غِيَرِها أنك ترى المرحوم مغبوطاً، والمغبوط مرحوماً، لا تستقيم على حال، نهاية شبابها الهرم، ونهاية صحتها السقم، ونهاية غناها الفقر، بينا الساكن إليها صاحب القصر، إذ قيل هو صاحب القبر، تأكل

الدود لحمه، ويمص الثرى صديده، وخلي بينه وبين عمله، {**فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ (٨٩) وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩٠) فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩١) وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (٩٢) فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ (٩٣) وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ (٩٤)**} [الواقعة]، {**فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٥٠) وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٥١)**} [الذاريات].

واعلموا أنا وإياكم بقية من كان أطول منا أعماراً، وأعظم آثاراً، أنزلوا الدنيا أي نزول، وتعبدوا لها أي تعبد، فهل بلغكم أنها سمحت لهم بل رمتهم بالمصائب، ودهمتهم بالنوائب، وهل أعقبتهم إلا النار، وهل أورثتهم إلا الدمار، وقد كانت الدعوة[1].

[1] في النسخة الأصلية من السيرة، انتهت الصفحة بهذه الكلمة، والذي يظهر أن فيها نقصاً، لأنه لم يتعرض لذكر الخمر في الكلام السابق، وعندما يسر الله تعالى بمجموع فيه بعض رسائل وأشعار للإمام عليه السلام، اتضح أن النقص حاصل، أو أن الكاتب خلط بين كتاب الإمام عليه السلام إلى كافة الأجناد في المخالب، وإلى وردسار خاصة، لأن هذا الكلام الموجود بعد لفظة (الدعوة) وجدته في رسالة الإمام إلى وردسار وساق بقية الكتاب إلى آخره، فعلى هذا يكون الكتاب الأول، مبتور الآخر، أو ناقص، والكتاب الثاني مبتور الأول، وقد عثرنا بحمد الله على رسالة الإمام إلى وردسار الخاصة، وأثبتنا البتر الموجود في أولها، كما هو أعلاه.

[كتاب الإمام عليه السلام إلى وردسار]

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله

من عبد الله، المنصور بالله، أمير المؤمنين، عبد الله بن حمزة بن سليمان بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إلى السلطان المعظم، والملك المكرم.

سلام عليك، فإنا نحمد إليك اللهَ الذي لا إله إلا هو، ونسأله لنا ولك الهداية، والعصمة من الغواية.

أما بعد: فإنا نوصيك وأنفسنا بتقوى الله العظيم، فإن الموصي بتقوى الله لم يدخر نصيحة، ولم يقصر في إبلاغ عظة، ونحذرك الدنيا فإنحا غرارة غدارة غرور ما فيها، ولا خير في كثير من زادها إلا التقوى، من قلل منها استكثر مما ينفعه، ومن استكثر منها لم تدم له، ملكها زائل، وظلها مائل، وعيشها غير طائل، أين الملوك الجبابرة؟ وأين القرون المتكاثرة؟ عثرت والله بهم الخدود العاثرة، وردوا في الحافرة، بعد أن كانوا عظاماً ناخرة، ورموا بالفاقرة، وألقوا في الساهرة، لا قوة ناصرة، ولا غدرة ساترة.

أقرب الواعظين إليك أبوك الذي خضعت من هيبته الملوك، وزالت عن قدرة سلطانه الشكوك، نُزع من الدنيا أسكن ما يكون إليها، وغدرت به أوثق ما كان بها، فلم تدفع عنه جنوده المتكاثرة، ولا جموعه الوافرة، بل دخل عليه الموت بغير أذن، وخرج عنه بغير فسح، ولم يهب جنوده المجندة، ولا سيوفه المهندة، وولا خيوله المجردة، ولا رماحه المسددة، أصبح ملكاً كبيراً، وأمسى ضعيفاً أسيراً، يتصرف فيه ببسط يده، من كان لا يجتري من ترفع النظر إلى جسده، وكان آمراً فأمسى مأموراً، وقاهراً فأصبح مقهوراً، وغالباً فآض مغلوباً، وسالباً فانقلب مسلوباً، بينا هو صاحب

القصر المشيد، إذ قيل صاحب القبر الجديد، نقل من السعة إلى الضيق، أربعة أذرع طولاً في ذراعين عرضاً، لا يملك سماء وأرضاً، ولا بسطاً ولا قبضاً، ولا نقداً ولا عَرَضَاً، فيا لها موعظة ما أظهرها إن عُقلت، وأنفعها إن قُبلت.

وإني قد بعثت إليك بهذا الكتاب أدعوك إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله، وإلى أن نقيم ألسنتنا بالحق، ونأمر بالصلاح والصدق، وننهى عن الكفر والفسق، ولا تأخذنا في الله لومة لائم، والصبر في البأساء والضراء وحين البأس، وإنصاف المظلوم ولو منَ أنفسنا، والضرب على يد الظالم ولو كان أحدنا، ورفع المناكير والمآثم، فإن قبلتَ هذه الهدية السنية، وأخلصتَ لله سبحانه النية، فلك الله عليّ إقرارك على ما في يدك من الأموال والمماليك، إلا ما تبين له مالك، ولنصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز، ولينصرك إن نصرتنا فلا يغلبك مع الله غالب، وليعلون ذكرك في المشارق والمغارب، وليقهرن سلطانك الأباعد والأقارب.

ونعيذك بالله أن يحضرك وزير، أو يعترضك مشير، كما روينا في ملك بعث الله إليه نبياً يدعوه إليه، فقال له ذلك النبي: إن الله بعثني إليك أدعوك إلى طاعته، على أن يؤتيك ثلاث خصال:

الأولى منها: أن يقرك على ملكك، وأن يردك شاباً، وأن يدخلك الجنة.

فأثر ذلك فيه، وهم بالرجوع إلى الله، فدخل وزيره عليه، فخبره الخبر.

فقال: ما جاءك بشي:

أما ملكك: فمن قد غلبك عليه حتى يقرك عليه.

وأما ردك شاباً: فإنما حتال لتسويد شعرك، وأنا أحتالك في ذلك بخضاب يُسَوُّده.

وأما إدخالك الجنة: فوعدك أمراً غائباً لا تعلم حقيقته.

فرجع إلى قوله، فكان سبب هلاكه، فنسأل الله تعالى التوفيق.

فاظر لنفسك فكم من ملك قبلك، فكر في المعاد، فاستكثر من الزاد، وهجر الرقاد، وانتهى عن الفساد، فصار عند الله وجيهاً وعند الصالحين نبيهاً، فراجع أهل العقول من حاشيتك وغاشيتك، وإن أمكنك أن تجعلهم ممن لا يركب الفحشاء، ولا يشرب المسكر فافعل، فإن لم تجد ذلك، فاجعله ممن خطي نفسه في ذلك فهو أقرب إلى الحق، لأن المشير لا يكاد يشير إلا بما يلائم طبعه.

فيشير عليك الجبان بما يؤدي إلى الجبن.

والشجاع بالإقدم، والمتهور في الشجاعة بالغشم.

والكريم بالإعطاء، والبخيل بالمنع.

ولا بد من أن تؤمن تستيشره من سطوتك، فإن السلطان دونك مهيب، فأكثر من يشير عليك يتوخى مرادك، ويؤثر إسعادك، فلا يشير عليك بشيء تكرهه، وإن كان صواباً، فأعلم من تستشيره بما يزيل عن قلبه الخوف، ليمحضك النصح.

واعلم أني ما قمت طالباً لدنيا أصيبها، ولا لمال أجمعه، ما أريد إلا الإصلاح ما استطعت، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، ورفع المنكر، وترك الفواحش ما بطن منها وما ظهر، والإثم والبغي بغير الحق، فما أحد من المسلمين من يختلف في قبح شرب الخمر، وركوب الفجر، وقد نطق القرآن الكريم، ومضت به السنة الشريفة.

واعلم أن الخمر جماع الإثم، وكانت تسمى الإثم في الجاهلية، فلو لم تحرم لكان تركها أولى، لأنها تذهب العقل حتى يتواضع للخسيس، ويستخف بالعظيم، ويغفل عن ذكر الله، وربما كانت سبب الهلاك، فكم لها من قتيل في الدنيا، وهي سبب عذاب الآخرة.

في الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله: ((من شربها في الدنيا كان حقاً على الله أن يسقيه من طينة الخبال))، قيل: يا رسول الله، وما طينة الخبال؟ قال: ((عصارة جلود أهل النار))، وأنت تعلم أنك تعاف الذباب، في الطعام والشراب، وأنت تؤمن بالمعاد والمآب، ولست كجفاة الأعراب، الذين لا يعرفون ربّاً، ولا يدينون ديناً، ولا يعقلون دليلاً، ولا يهتدون سبيلاً.

فانظر لنفسك، قبل حلول رمسك، فإن الدنيا زائلة فانية، والآخرة واصلة باقية، واعمل في دار البوار لدار القرار، واعلم أنه ما منعني من الكتاب إليك في بدئ الأمر إلا خيفة سطوتك فيمن يصل إليك بكتابي؛ لأني لو أمرت صغيراً أو كبيراً من أصحابي لم يتأخر وإن علم الموت عياناً، فخفت أن يقع أمر فأقع في الإثم، وأمارة الخوف أنك ملك شاب مترف غني قادر تشرب الخمر، ولكل واحدة مما عددت سكر يزيد على سكر الخمر، فإذا اجتمعن كان صاحبهن أخطر من لجة البحر عند غلبة الرياح، وإلا فقد علمت أني قد قدرت على أصحابك مرة بعد أخرى، وما نجى أحد منهم من القتل بقدرته وحيلته، فمن زعم ذلك فقد مان، بل طلبت لهم الرفاق بعد أن روجعت في أمرهم فسددت فيهم وحفظتهم حتى وصلوا إليك سالمين، لم يكلم أحد منهم كلماً، فما هو إلا وصولهم ثم قلبوا ظهر المجن، وأسعروا نيران الفتن، ومن قدرت عليه منهم كافأته على إساءته بالإحسان، هذا عدلان همَّ فيّ بما لم ينل ثم جاء إلي في يوم ثاني بغير ذمام ولا عقد مرتين فهم أصحابي بقتله فمنعتهم من ذلك، وقضيت له حاجته في توليج داره، وأمرت معه من استرجع بقره، والثالثة يوم حادثة الأمير شهاب فتمكنت منه يغير ذمة، فلم أفعل فيه شيئاً من المكروه، وذلك أنه يعلم أني شرطت عليهم أن لا يفسدوا أحداً من العسكر ولا من العرب، وأن

ينزلوا إلي ويصدروا من عندي، فوقع حلف سنحان وفساد رجلين من العسكر، وما رأيتهم إلا بعد الحادثة، وبالله يميناً كنت عنها غنيّاً لو خفت حنثاً فيها ما أمرت بذلك، ولا شاورت فيه، ولا مالأت عليه، ولقد سُئلتُ عارة فرس فما فعلت، وعارة تجفاف فما فعلت، وقد كان الأمير هشام عارفاً بسري وبالقضية كيف كانت، وأمرت إلى الأمير شهاب الدين أن يستأذن السلطان سيف الدين إلى الدار العلياء، لأؤنسه وأصله بمعونة، الله بذلك عليم، ولعل الرسول قد وصله فلم يتأت ذلك حتى نقل إلى فدة بغير أمري، وعوّل علي سيف الدين رحمه الله في خراب دار شهاب فلم أفعل، الله على صدق ما قلت من الشاهدين، ودخلت دار صنعاء وفيها اسمك واسم أبيك مكتوب فسألني بعض من سأل غيار اسمك واسم أبيك فلم أساعد إلى ذلك، وعمرت فيها عمارة فيها اسمي واسم آبائي الطاهرين عليهم سلام رب العالمين، الذي لو قرئ على مريض لشفي، فغير لما دخلتها ومحي، فإما أن تكون أمرت وإما أن تكون ما أنكرت، وقد تركت دار عدلان في الجنات، وهو وال من ولاتك فما قدرت قدرة إلا جعلتها مِنّة، وكل ذلك رجاء أن ينصر الحق يوماً ما، ووالله ما هذه المزاحمة لأفوز بشيء من الدنيا، فنفسي لا تكثر في مالي فكيف في مال الله، وكيف أركن إلى دنيا لم تدم لمن كان قبلي، وقد سأل العبد الصالح ربه فقال {**هَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي**}[ص/٣٥]، فزال، فكأنه ما كان، فكيف يرغب في الدنيا إلا من يقيم لله حجة راغب، أو يطلبه إلا ليطهرها من أدناس المعاصي طالب، فأقبل إلى الله سبحانه فإن يوماً منك يعدل بعباده أكثر الخلق، وموقف ساعة في سبيل الله يعدل عبادة ستين سنة.

واعلم أن ثواب السلطان إذا أطاع الله سبحانه عظيم، وعقابه إذا عصى الله أليم؛ لأنه متبوع فله في ثواب غيره وعقابه شرك، وقد خيرت بين الدنيا والآخرة، أو الدنيا منغصة مكدرة زائلة فانية بلا آخرة، فاختر لنفسك، أخذ الله تعالى إلى الرشد بيدك، ومسح بيد الرحمة على ناصيتك، ووفقك لتفرق بين رشدك وغيك.

واعلم أنك تشرف بالانتساب إلى من يشرف بالانتساب إلينا إذا سئل وأنصف من بني عمنا ببغداد، الذين جعلوا الخلافة ملكاً، والخشونة فيما أوجب الله فيه الخشونة ليناً، لأنك لا تجهل حال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومن طلب الخلافة منهم فجزاهم الله عنا وعن الإسلام خيراً، لقد كانوا للإسلام نجوماً، وللشياطين رجوماً، فهل علمت أحداً منهم احتجب احتجاباً غليظاً؟ وهل بات من خوف النار إلا جريضاً؟.

وإن شئت فانظر إلى أمير المؤمنين، وسيد المسلمين علي بن أبي طالب عليه صلوات الله ورضوانه ورحمته وبركاته، فلقد كان يخصف نعله، ويحمل بضاعته، لقد شرى تمراً بدرهم ثم حمله على ظهره من السوق بنفسه، أين هذه السيرة من سيرة أصحابنا الذين سفهوا أحلامنا، وقطعوا أرحامنا، وابتزوا أمرنا، وأنكروا فضلنا.

هذا أبونا علي بن أبي طالب عليه السلام ((خير البشر فمن أبى فقد كفر)) قاله النبي صلى الله عليه وآله، وأمنا فاطمة الزهراء، وجدتنا خديجة الكبرى، وخالنا إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وآله، وعمنا جعفر الطيار مع الملائكة في الجنة، فأي شرف يوازي شرفنا، أو مجد يشاكل مجدنا، ونحن عترة رسول الله صلى الله عليه وآله، وخزان علمه، وورثة كتاب الله، وولاة أمر الله، ونحن أهل البيت الذين كان جبريل إليهم يهبط ومنهم يصعد.

ولا والله ما صرف الناس عنا إلا تشددنا في أمر الله، وعملنا بكتاب الله، وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما توخى سلفنا سلام الله عليهم المنهاج الأعظم، وسلكوا السبيل الأقوم، ومال عنهم الأكثر وبقي الأقل، فقَتَلوا وقُتلوا، وعلوا ونزلوا، ولم يزدادوا مع ذلك إلا شدة، فاقتحموا على الآساد أخياسها، وضيقوا على الملوك أنفاسها، ولما رجونا أن يصل إليك هذا الكتاب وينفعك الله به أمرنا به إليك، فإياك أن ترد نصيحة الناصحين، فلسنا بيائسين إن أطعت الله سبحانه وأطعتنا أن تطعم حلاوة ذلك عاجلاً، وتجني ثمرة خيره آجلاً، ولسنا نصدك عن هدى، ولا ندلك على ضلالة ولا ردى، **{فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى}**[طه/١٦]، فتصفح هذا الكتاب، وانظر إلى ما هو يؤدي واردد الجواب، بما هو عندك من قبول أو رد، ومهما غفلتَ منه فلا تغفل من أن هذا الأمر يزيدك سلطاناً إلى سلطانك، وعزّاً إلى عزك، ومجداً إلى مجدك، ولا يبعد أن يصير أمر عامة ملوك الدنيا إليك، فنحن على موعود من ربنا، ولن يخلف الله وعده، ونحن أولاد الرجل الصالح، النذير الناصح، الذي كان يقول: ((سآخذ كنوز كسرى وقيصر)) فيقولون: ساحر أو مجنون، خرج إلى بدر على بعير له فيه شريكان، فكان يركب عقبة وينزل عقبتين، فآل أمره إلى ما آل، **{وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٥) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ (٦)}**[سبأ]، والسلام على من اتبع الهدى، وصلى الله على محمد المصطفى وعلى آله الأطهار النجباء، وسلم.

ولما استولى إسماعيل على كوكبان وبكر أمر من يتجسس له أخبار ثلا وأمر عبده الأستاذ رشيد الذي سلطنه بأن يكتب منه كتاباً على طريقة النصيحة،

وكان يريد الهدنة والمحملة يصلح بينه وبين أهل ثلا مدة، فصالحوه بعد مشورة الإمام عليه السلام سنة، واقترح عليهم خروج الأمير عماد الدين من الحصن فلم يساعدوه فقبل منهم من غير مشاحة، وراح السلطان هلدري من المحطة من ذمرمر بعد نفاذ الصلح إلى الظاهر.

[قصيدة الإمام عليه السلام في التهنئة بخلاص بشر بن حاتم من الأسر]

ووصل السلطان بشر بن حاتم إلى ذمرمر فأنشأ عليه السلام هذا الشعر تهنئة للسلطان بشر بن حاتم بالخلاص والسلامة من العدو:

آبَــت لِأوبَتِــكَ العَليَــاءُ والظَّفَــرُ ... إلَــى مَنَازِلِنَــا والشَّــمسُ والقَمَــرُ

يَـا أَيُّهَـا المَلْـكُ مِـن يَـامٍ ومَـن شَـهِدَتْ ... بِفَضـلِ هِمَّتِـهِ الأعَـدَا ومَـا شَـعَرُوا[1]

أنـت الـذِي حَالَفَتنَـا بَعـدَ غَيبَتِـهِ الـ ... ـأحزَانُ والوَجْـدُ والتَّهْمَـامُ والسَّـهَرُ

أَسْـأَرْتَ مَـا لَـمْ تَكُـن تَـدرِي بِمَوقِعِـهِ ... مِنِّـي وإن مَـانَ أقـوامٌ وإن هَجَـرُوا

إن كَـانَ للمجـدِ أعضـاءٌ مُسَـوَّمَةٌ ... فأنـتَ لَا شَـكَّ منهَـا السَّـمْعُ والبَصَـرُ

يَـا رَاكِـبَ الخَطَـرِ المَخشِـيِّ جَانِبُـهُ ... ألـيسَ يَكْبُـرُ فِـي حَوبَائِـكَ الخَطَـرُ[2]

أَلزَمـتَ نَفسَـكَ تَصـغِيرَ الكَبِيـرِ وتَيـ ... ـسيرَ العَسِـيرِ أهـذَا يفعَـلُ البَشَـرُ

يَـا غَـادِراً بِـأبِي البَسَّـامِ مُتَّخِـذاً ... عُـذْراً لَقَـد فَضَـحَت أفعَالَـكَ الغِـدَرُ

طَلبـتَ مَـا لَا يُسَـاوِي شِسـعَهُ شَـرَفاً ... مَـا كَوكَبَـانٌ لَـه عِـدلٌ ولا بُكُـرُ

ولَا المَـدَائِنُ والأمـلَاكُ تَعدِلُـهُ ... ولَا الحُصُـونُ أَعِـدْلُ الجَـوهَرِ الحَجَـرُ؟!

أَرخَصـتَ مَـا لَـم تَكُـن تَـدرِي بِقِيمَتِـهِ ... وأرخَـصُ البِيـعِ بَيـعٌ نَالَـهُ غَـرَرُ

---

[1] يام: قبيلة من همدان، نسبتهم إلى يام بن أصبى بن دافع بن مالك.

[2] الحوباء: النفس.

فَلَـو عَلِمنَـا بِإرخَـاص الثَّمِـين لَمَـا تَنَـاوَلَ الخُبْـرَ مِـن مكنونِنَـا الخَبَـرُ

فَيَـا مُغِـذَّاً عَلَـى وَجنَـاءَ نَاجِيَـةٍ مِـن آلِ شَـدقَمَ مَـوْحِيٌّ لَهَـا السَّـفَرُ

بَلِّـغ أبَـا حَسَـنٍ عَنِّـي وأسـرَتَهُ وآلَـهُ فَهُـمُ الوَضَّـاحَةُ الغُـرَرُ

وقُـلْ لِيَهـنِكُمُ أنْ آبَ واحـدُكُم وكـلُّ كَسْـرٍ سـوى بِشْـرٍ سَـيَنْجَبِرُ

يَـا مُقلَـةَ الـدَّهرِ دُمْـتِ الـدَّهرَ نَائِمَـةً أمثـالُ بِشْـرٍ يَوافِينَـا بِـهِ القَـدَرُ

إن الإسـارَ سِـرارٌ للهِـلاَلِ وَقَـدْ يَعُـودُ بعـد السِّـرَارِ البَـاهِرِ القَمَـرُ[1]

يَـا عُظـمَ مَـا فَعَـلَ الأعـدا و مَـا عَمِلُـوا وأيَّ لَيـثٍ ومَـا طَـاحَ القَنَـا أسَـرُوا

هَـلَّا غَـدَاةَ العُـويرَا والجَـوَادُ لَـهُ حِصنٌ ومَاضِي الظُّبا مـن خوفِهِم وَزَرُ

والخَيـلُ تَمضِـي شُـعَاعَاً مـن مَخَافَتِـهِ وفِـي طِـوَالِ القَنَـا مـن نَيلِـهِ قِصَـرُ

فَـانْعَمْ أبَـا حَسَـنٍ فِـي المُلـكِ مُفتَرِشَـاً نَمَـارِقَ العِـزِّ مَهمَـا أَوْرَقَ الشَّـجَرُ

وكُـن علـى حَـذَرٍ مِمَّـن تُعَاشِـرُهُ فَأحسـنُ الحِبَـرِ الملبوسَـةِ الحَـذَرُ

فأنـتَ أكمـلُ مَلْـكٍ قَـد عَلِمـتُ بِـهِ وأعلَـمُ النَّـاسِ مَـا يَـأتِي ومَـا يَـذَرُ

إنَّ الـذِّيَابَ قـد اخْضَـرَّتْ بَرَاثِنُهَـا ولـيسَ يُـؤْمَنُ ذِئـبٌ مَسَّـهُ ضَـرَرُ[2]

وَصَـاحَ مـن كُـلِّ نَجـدٍ صَـائِحٌ بِهِـمُ فَفِـي قُلُـوبِهِمُ التَّخـوَافُ والحَـذَرُ

وَرُبَّ هَيجَـاءَ خَيـرٌ مِـن مُوَادَعَـةٍ ورُبَّ سِـلْمٍ هـو السُّـمُّ الـذي ذَكَـرُوا

وهـذِهِ الجُـردُ تُـردِي فِـي أعِنَّتِهَـا عِنـدِي وسُـمْرُ رِمَـاح الخـط تَشْـتَجِرُ

وَالبِـيضُ مَطـرُورَةُ الأطـرَافِ بَاتِكَـةٌ والأُسـدُ تَخْطُـرُ فِـي أعيَانِهَـا خَـزَرُ

---

[1] السرار: آخر ليلة من الشهر إذا كان تسعاً وعشرين فسراره ثامن وعشرون، وإذا كان ثلاثين فسراره تسع وعشرون. والذي في الديوان: إن السرار إسار للهلال.

[2] البراثن من السباع والطير بمنزلة الأصابع في الانسان.

يَـا حَـيَّ هَمـدَانَ هـل صِـفِّينُ شَـاهِدَةٌ ... أو النُّخيلَـةُ أو مَهـرَانُ والنَّهـرُ[1]
بِفَعْلَـةٍ مـن شُـيُوخٍ مـنكم سَـلَفُوا ... وَهَـل فِعَـالُهُمُ المَحْمُـودُ يَنحَصِـرُ
فَجَـدِّدُوا مَـا وَهَـي مـن فِعـلِ أَوَّلِكُـمْ ... فَلَـيسَ يُحْمـدُ لَـولَا الصَّـارِمُ الأَثَـرُ[2]

[جواب بشر بن حاتم على قصيدة الإمام عليه السلام]

وهذا الجواب:

أروضـة الحَـزن وُشِّـيَ بينهـا الزَّهَـرُ ... أم نظـم لفظـكَ ضمنَ الطرس أم دُرَرُ
أودعـت أثنـاءه غـراءَ سـائرةً ... كـالنجم يحـدو بـه مـن خلفـه السَّـفَرُ
حـذاء مـا وردت صـقعاً ولا بلـداً ... إلا وأزعجهـا عـن جـوّه الصَّـدَرُ
تطوي بها الفيح عرض البيد عن عرض ... طـورا ويصـعدُ مختـاراً وينحـدرُ
فمـا أقامـت علـى قـوم مخيمـةً ... فمكثُهـا ريثمـا تُـروى وتنتَشِـرُ
حتـى أتتنـا علـى بعـد المـزار بهـا ... حـوض الرواسـم أفنـى نخصـها السَّـفَرُ
أهـدت إلينـا نسـيمَ الـودِّ أحرُفُهـا ... كأنهـا الـروض نشـراً جـاده المطـرُ
جـاءت مهنئـة ممـن غـدا مَلَكـاً ... فـي فعلـه وهـو فـي تصـويره بَشَـرُ
بفـك أسـري عـن قـوم زعانفـة ... في ذمهـم قـد تساوى الخُبْرُ والخَبَرُ
لـولا سـعادتك الميمـونُ طائرُهـا ... يـا ذا العـلا لانقضـى للكاشـح الـوَطَرُ
فأنبأتنـا بـأن الفضـل أنـت لـه ... أهـل وآبـاؤك المحمـودة الأثـرُ
القـادة السـادة الأمجـاد مـن لهـم ... قـدرٌ دَنَـا دونـه فـي بُرجـه القمـرُ

---

[1] صفين كسجين: موضع قرب الرقة بشط القرات، وهو الموضع الذي دارت فيه حرب أمير المؤمنين علي عليه السلام مع أمير القاسطين معاوية عليه لعنة الله في غرة شهر صفر سنة ٣٧هـ. والنخيلة ومهران من حروب الردة. والنهر: النهروان مع الخوارج.

[2] في الديوان: من فعل والدكم.

بفضــلهم نطقــت فــي الــذكر معربــة آياتُــه المحكمــاتُ الغــرُّ والسُّــوَرُ
يــا ابــن النبــي الــذي طابــت مغارســه وطــاب مــن طيبهــا فــي فرعهــا الثَّمَــرُ
مــا بعــد فخــرك مــن فخــر لمفتخــر كــلا وأنــى بمــاذا كــان يفتخــرُ
لله درك بــيــن الخيــل مبتســماً والبــيض تبكــي دمــاً والنقــع معتَكِــرُ
عــين المــودة بــالإخلاص دانيــة وإن تباعــدت الأشــباحُ والصُّــوَرُ
ألســت مــن هاشــم الغــر الــذي هشــموا مــن الأعــادي عظامــاً لــيس تنجبــرُ
إن الوفــا لــك طبــع لا تفارقــه ولــيس يخــرج مــن هالاتــه القمــرُ
مــا كــان مثلــك فــي بــأس ولا كــرم ولا تــدل علــى مثــل لــك السِّــيَرُ
الحَــدُّ يخــدم مــن جــداه حيــدرة وأحمــد المصــطفى والنصــر والظفــرُ
والعــزم همتــك التــالي لوقعتهــا لــدى ملاحمهــا الصمصــامةُ الــذَّكَرُ
بعــدًا لقــوم قــرى الضــيفان عنــدهم أســر وحــبس فــلا كــانوا ولا انتصــروا
بتــوا العقــود وخــانوا فــي العهــود ومــا أبقــوا علــى حلفهــم بقيــاً ولا وذروا
قــد أظهــروا مــنهم الإنصــاف رائقــة وتحتــه الســم فــي مكنونــه الخطــرُ
وغرنــي فــيهم طيبــي وكنــت كمــن يرمــي بــزوراء لــم يُحكَــم لهــا وَتَــرُ
مــا كــان يخطــر فــي بــالي بــأنهم إذا وفــى لهــم ذو نجــدة غــدروا
وكلمــا قــد قضــاه الله مــن قــدر فلــيس ينجــي الفتــى مــن كونــه الحَــذَرُ
لكــن بســعدك لــم يظفــر بنــا مــذق حلــو اللســان جنــاه المــرُّ والصَّــبِرُ
وابــق الليــالي فــي عــز موطــدة أركانــه شــادها التوفيــق والظَّفَــرُ

[كتب الإمام (ع) إلى أهل الجنات]

ولما وقع الصلح بين المشايخ أهل ثلا والسلطان إسماعيل أمر الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة برهائن الجنات إلى الظاهر - ومستقر الإمام يومئذ هنالك بموضع

يسمى جحدان-، والسلطان هلدري بقرية حوث في الجند، فلما علم أهل الجنات بتقدم الرهائن إلى جهة الظاهر وصل منهم جماعة، وكانوا قد امتنعوا من تسليم الواجبات إلى ثلا والمحطة على كوكبان، وكانوا أكثر الناس فساداً، وأشدهم اجتهاداً ورغبة في تقوية الغز، فكانوا يمرون إلى المحطة بالطعام والغنم والدقيق الكثير في الليل والنهار، وكان أعظمهم اجتهاداً شيخهم منصور بن عمرو فإنه كان شديد الحرص في أمر إسماعيل ومحبة الغز، فما كان إلا مدة يسيرة حتى انتقمه الله تعالى فجذُمَ، وقتل بأمر شهاب، ومضى إلى غير رحمة الله.

فكتب الإمام عليه السلام مع الجماعة الذين وصلوا منهم هذا الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله، المنصور بالله، أمير المؤمنين، سلام عليكم.

فإنا نحمد الله إليكم، أما بعد:

فإن {**اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ**}[الرعد/١١]، وإن السعيد من وعظ بغيره، وقد علمتم الإقالة التي أقلناكم بعد بلوغ العثرة نهايتها، والنكثة غايتها، وسروح سباع العرب إليكم فاغرة أفواهها، قالصة شفاهها، قد حددت لافتراسكم أنيابها، وقلصت للوثبة عليكم أثوابها، فلما كان ذلك كذلك بسطنا عليكم جناح الرحمة، وألحفنا عليكم كنف الشفقة، فألحقنا المتخلف عنكم بسربه، وأوصلنا الراتع منكم إلى نمير شربه، وأسغنا غصة المغصوص، واستوفزنا ريش المقصوص؛ طلباً لغرس شجر الإحسان، في منابت المروءة والإيمان، فلما هدرت شقاشق الضلال، وظهرت ذرية النار، وحزب الشيطان، وجنود الطغيان، الذين هدموا المساجد، وأخافوا الساجدين والسواجد، وأمنوا الفاسدين والفواسد، وقد كنا قدمنا إليكم من الكلام ما يذكره أهل

الحفظ منكم إن كنتم حافظين، وما في بعضه بلاغ لقوم عابدين، رفعتم رؤوسكم مستبشرين، ولثياب العناد مستسعرين، ونسيتم الأمر المتقدم، وما في أعناقكم من الصنائع المنسية عندكم، والأيادي المنكرة لديكم، وأنتم فانظروا لأنفسكم نظراً يخلصكم من عهدة ما في رقابكم لله سبحانه ولولد نبيكم، {**إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**}[الفتح/١٠]، وقد وصلنا إلينا منكم سالم بن عمرو، ونزار بن أبي سعيد، وحققنا لهما من الكلام ما يحققان لكم، فإن عملتم بذلك مهدتم لأنفسكم، ووطأتم لحياتكم، وإن بغيتم بما أنتم فيه بدلاً، فبئس للظالمين بدلاً، {**وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ**}[الشعراء/٢٢٧]، {**وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ**}[الرعد/٤٢]، ولولا رجاؤنا لصلاحكم، ورجوعكم إلى رشدكم، ومعذرة إلى ربكم، لما كتبنا إليكم، فانظروا لأنفسكم، والسلام على من اتبع الهدى، وتجنب مسالك الردى.

وصلى الله على محمد وآله وسلم

فتثاقلوا عن حمل الطعام الذي قد صار عندهم أياماً رجاء استظهار الغز، ولم يخشوا على رهائنهم رهقاً ولا خوفاً، وأمنوا من جانب الإمام عليه السلام، وأنه لا يأتي منه إلى الرهائن سوء؛ فجدد إليهم هذا الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى كافة المشايخ الفضليين، سلام عليكم، فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد:

فإنكم تعلمون أنا أقلناكم العثرة، وعفونا عن عظيم الزلة، وتجاوزنا عن الخطيئة، فلم تعصمكم قوة، ولا منعتكم قدرة، وبلغنا مع ذلك أنكم مستثقلون لأيام الحق،

مستطيلون لمدة الخير، فيا عجباً كل العجب من خير مكروه، وشر محبوب، وقد أصبحتم اليوم في غفلة من أمركم، وضلال عن رشدكم، وقد علمتم الكلام بيننا وبينكم، وما انبرم من العقود، وتأكد من العهود، فإن وفيتم بما ألزمتم نفوسكم فانهضوا بالطعام إلى ثلا عند وصول كتابنا هذا، وإن كرهتم فاعلموا أن كل عقد لبعضكم أو لكلكم بعلامة منقوض، نَقَضَهُ فعلكم، وأذنوا بحرب من الله ورسوله، إن الله لا يحب الخائنين، ولا والذي في السماء ملكه، وفي الأرض سلطانه، لإن خنتم عهدكم، ونقضتم أيمانكم، وأمكننا الله منكم، لنجعلنكم عبرة للسائلين، وآية للناظرين، ولنصبحنكم صباحاً يذكركم صباح ثمود ويزيركم أرباب اللحود، يجترف الطارف والتالد، وينسي الولد الوالد، فإذا قرأتم هذا الكتاب فما بقي لكم علينا حجة، فاختاروا لأنفسكم أصلح الأمور، والسلام على من اتبع الهدى.

ووصلت كتب من الشيخين الأجلين عز الدين عزان بن سعد، وظهير الدين مفضل بن منصور بن أبي رزاح يحكيان جمعهما لقبائل مذحج وسائر أهل بلادهما، والمحطة على كوكبان، فأغارا في حقل ذمار وقتلا قوماً ممن هو مظاهر للعدو، وتغنموا أموالاً جليلة، وقطعوا المادة من اليمن، وحطوا بدار الضيف، وكانوا يريدون أخذ ذمار فوافق ذلك طلوع وردسار من تهامة في الجند الذين كانوا معه في المحالب، لما علموا بطلوع جند الإمام عليه السلام من الذنائب، وأمنوا في نهج تهامة، فمالا بعسكرهما إلى شق بلادهما بعد الاستظهار على بلاد أعداء الله، وذكرا إقبال الناس وحسن طاعتهم وانقيادهم لأمر الله وأمره عليه السلام في تلك الجهات.

[قصيدة الإمام (ع) إلى خولان يحثهم على الجهاد]

ثم كتب كتاباً إلى كافة خولان بالقد اليماني يحضهم على النهوض، ويرغبهم في الجهاد في سبيل الله، ويحقق لهم ما هو عليه من منابذة أعداء الله الظالمين، وأصحبه هذا الشعر:

دَعَا ذِكْرَ أطلالٍ عَفَت ومَعَانِي ... بِذَاتِ الغَضَا فَالهضبِ فَالبَرَدَانِ(١)

وقُلْ لِذُرى خَولاَنَ حيثُ وجدتَهَا ... بِكُلِّ مَقَامٍ جَامِعٍ ومَكَانِ

أترضونَ يَا خَولانُ أنَّ إمَامَكُمْ ... مُقِيمٌ بِدَارِ الخَوفِ غَيرَ مُعَانِ

وَحِيداً ومَا مِن صَاحِبٍ يَستَزِيدُهُ ... سِوَى نَثْرَةٍ مَسرُودَةٍ وحِصَانِ

وأنتُم أُلُوفٌ لا تُرَدَّ وُجُوهُكُمْ ... غَدَاةَ الوَغَى مِن خِيفَةِ الحَدَثَانِ

ألستُم ذُرَى قَحطَانَ طُرَّاً وصِيدَهَا ... ذَوُو الضَّربِ والسُّمرُ الدِّقَاقِ دَوَانِي

لَكُم فِي بِلادِ الحَيِّ يَامٍ مَوَاقِفٌ ... ونَجرَانَ وَادِي النَّخلِ والشَّبَهَانِ(٢)

وَفِي الجَوفِ يَومٌ لَمْ يُشِنْكُمْ حَدِيثُهُ ... تَركتُم بِهِ البَازِيَّ كَالكَرَوَانِ(٣)

---

(١) الغضى: أرض لبني كلاب، وواد بنجد. والهَضْبَةُ: الجَبَلُ المُنْبَسِطُ على الأرضِ، أو جَبَلٌ خُلِقَ من صَخْرَةٍ واحِدَةٍ، أو الجَبَلُ، أو الطويلُ المُمْتَنِعُ المُنْفَرِدُ، ولا يكونُ إلا في حُمْرِ الجِبالِ.
والبردان بالتحريك: يطلق على عدة مواضع منها: عَيْنٌ بالنَّخْلَةِ الشَّامِيَّةِ، وماءٌ بالسَّماوَةِ، وماءٌ بنَجْدٍ لعُقَيْلٍ، وماءٌ بالحجازِ لبَني نَصْرٍ، ومدينة ببغداد، ومدينة بالكوفَةِ، ونَهرٌ بِطَرَسوسَ، ونَهرٌ آخَرُ بِمَرْعَشَ، وبئْرٌ بِتَبالَةَ، وموضع ببلاد نهد باليمن.

(٢) والشَّبَهانُ، محرَّكتينِ: نَبْتٌ شائِكٌ، له وَرْدٌ لَطِيفٌ أحْمَرُ، وحَبٌّ كالشَّهْدانِجِ، تِرْياقٌ لنَهْشِ الهَوامِّ، نافِعٌ للسُّعالِ، ويُفَتِّتُ الحصى، ويَعْقِلُ البَطْنَ، وبضمتينِ: شَجَرُ العِضاة.

(٣) الكروان بالتحريك: طائر يدعى الحجل، وقيل الحبارى.

وفِــي مَبْــيَنٍ كُنــتُم كِرَامَــاً أَعِــزَّةً ... فَــأَكرِمِ بِحَــيٍّ لا يُــرَدُّ يَمَــانِي[1]

فَهُبُّــوا إِلَــى نَصــرِ الإمــامِ وشَــمِّرُوا ... لِحُــورٍ حِسَــانٍ فِــي مَقَــامِ جِنَــانِ

فــأنتُم بَنُــو الحَــربِ العَــوَانِ ومــنكُمُ ... تَعَلَّــمَ أهــلُ الحــرب كــلَّ عَــوَانِ

هَبُــوا لِــيَ عُشْــرَ العُشْــرِ مــن سَــرَوَاتِكُمْ ... وَشِــيكاً فَمَــا نَيــلُ العلــى بتَــوَانِ

فلَــو كُنــتُ أرجُــو نُصْــرَةً مــن سِــوَاكُمُ ... مَــعَ اللهِ نَادَيْنَــا بِكُــلِّ لِسَــانِ

أيُعْجِــبُ إسْــمَاعِيلَ عِظَــمُ جُنُــودِهِ ... وأنــتُم جُنُــودِي والزَّمَــانُ زَمَــانِي

وقــد ضَــمَّ مــن أرذَالِ كُــلِّ قَبِيلَــةٍ ... نُفَاضَــةَ جَــيشٍ لــيس بالمُتَــدَانِي[2]

فَكَيــفَ إذَا رَاقَــت إلــيَّ جُمُــوعُكُمْ ... كَسِــيلٍ تَهَــادَى مِــن رُؤُوسِ رُعَــانِ[3]

ومَــاذَا يَــرُدُّ السَّــيلَ عــن مُســتَقَرِّهِ ... وَهَــل لَهُــمُ يومَــاً بــذَاكَ يَــدَانِ

وقــد صَــارَ فِــي أُحبُولَــةٍ لا نَجَــا لَــهُ ... كَبَاسِــطِ كَــفٍّ غَيــرِ ذَاتِ بَنَــانِ[4]

يُخَــوِّفُنِي والسَّــيفُ بَينِــي وَبَينَــهُ ... ومَــا صَــارِمِي يَــومَ الــوَغَى بِــدَدَانِ[5]

فقلــتُ رُوَيــدَ الحــربُ تُنبِيــكَ بِاسْــمِهَا ... وتَأتِيــكَ خَــولاَنٌ يــدِي وَسِــنَانِي

ودِرعِــي إذَا خَــفَّ الجَبَــانُ وصَــارِمِي ... وتُرسِــي ونَبلِــى دُونَ كُــلِّ يَمَــانِي

فَجَلُّــوا سَــوَادَ الوَجــهِ منــي بِغَــارَةٍ ... علــى الفَــورِ لَا يَشــغَلْكُمُ المَلَــوَانِ[6]

فكــم غمــةٍ فرجتموهــا ونَجْــدَةٍ ... حَــوَيْتُمْ بِضَــرْبٍ صَــادِقٍ وطِعَــانِ

وَكَــمْ حَملَــةٍ يَــا حَــيَّ خَــولاَنَ شَــيَّدَتْ ... عُلاَكُــم عَلَــى العَيُّــوقِ والسَّــرَطَانِ

---

[1] ناحية من حجة بها قبر الأمير حمزة بن سليمان والد الإمام المنصور بالله عليه السلام.

[2] النفاضة: أي من لا يبالى بهم وليس لهم خطر.

[3] الرعن: الانف العظيم من الجبل تراه متقدماً، وجمعه أرعان ورعون.

[4] الأحبولة: المصيدة.

[5] الددان من السيوف: الكهام الكال الحد.

[6] الملوان: الليل والنهار.

وكـم سَـيِّدٍ مِـنكُم رَمَـى بِسَـوَادِهِ عَلَـىَ النَّـاسِ والصَّـفَانِ مُقْتَـبِلاَنِ
مفَـاخِرُ مَـا كَانَـت لِحَـيٍّ سِـوَاكُمُ وَلَا نَطقَـت يومَـاً بِهَـا شَـفَتَانِ
إذَا سَـأَلَ اللّهُ الشُّـهُورَ فَإنَّـهُ سَيسَـأَلُ عشر البِيضِ مـن رَمَضَـانِ
فَتخبِـرُهُ مـنكم ولَـيسَ بِجَاهِـلٍ بِشَـاهِدِ إِيمَـانٍ لكـم وأمَـانِ

[موقف الجند الذين تفرقوا عن الإمام في الذنائب]

ولما تفرقت الجند من الذنائب بعد المشقة التي لحقتهم كما وعدهم الإمام عليه السلام في كتابه إليهم، فمضت منهم طائفة إلى جهة إسماعيل فاستخف بحالتهم، وتوجهت منهم فرقة تريد الشام.

فكتب عليه السلام إلى الأمير المؤيد بن القاسم بن غانم يأمره بالاحتياط عليهم، وأخذ خيلهم، وما كان معهم، وأعلمه بأن أكثرها مشتراة للجهاد في سبيل الله من بيت المال، وأباح له أخذها، والجهاد بها في جهته.

فعاد جوابه يقول:

إنه ورد الأمر بأخذهم وقد صاروا على فراشه وضيافته، فرأى تحميلهم لذلك، وجدد البيعة عليهم للإمام عليه السلام، وقبض رهائن منهم على الخدمة معه حتى تطيب نفوسهم، فأقاموا عنده مدة، وعزموا على المراح، فأخذ خيلهم ووهب لهم بعض أثمانها.

[قصيدة الإمام (ع) إلى الشرفاء بني سليمان يحضهم على حر الغز]

وكتب عليه السلام إلى الكافة من الشرفاء بني سليمان كتاباً بليغاً يحضهم على إثارة الحرب في نهجهم، وشغل العدو في جهتهم، وأصحبه هذا الشعر إليهم:

هَـذِهِ غُـرَّةُ الكَـلاَمِ البَـدِيعِ مَـا مَقَـامِي فِـي دَارِسَـاتِ الرُّبُـوعِ

مَـا تَهِيجُ الأشـوَاقَ مـن نَـوْءِ دَارٍ وأثـافٍ سُـفْعٍ وطَيْـرٍ سُـجُوعِ[١]

كُلَّمَـا رُمـتُ غُـرَّةَ الـدَّهرِ أَوفَـى بِخُطُـوبٍ تَـرُومُ تَروِيـعَ رُوعِـي[٢]

جَـاءنِي الـدَّهرُ وهـو شَـيخٌ مُعِيـدٌ فَـانثَنَى كَـابنِ خَـامِسِ الأُسْـبُوعِ

أنَـا يَـا دَهـرُ مـن عَجمـتَ قَـدِيمَاً وقَنَـاتِي عَسَـتْ عـن التصـدِيعِ[٣]

نَـامَ قَـومٌ فِـي الأمـن نَـومَ عَـرُوسِ الـ ـحَيِّ والسَّـيفُ فِـي المنَـامِ ضَـجِيعِي

شَسَـعَتْ مَكَّـةٌ ومَـرْوٌ وجَيـ ـلانُ وفَـاسٌ عَنَّـا وأي شُسُـوعِ

وسُـليمَانُ هـذهِ حَيَّـةُ الـوا دِ مَصِـيفِي فِـي جَنبِهَـا ورَبِيعِـي[٤]

سَـادَةٌ يَعـزِرُونَ جُـردَ المَـذَاكِي وَيَمِيسُـون فِـي بُـرُودِ الـدُّرُوعِ[٥]

قَـامَ دَاعٍ لَهُـم إلـى الرُّشـدِ يَـدعُو مِـنْ صَيَاصِـي أصـولِهِم والفـرُعِ

حسـنيُ النَّجَـارِ يَـدْعُو إلـى اللـ ـه بِرِفـقٍ فِـي قَولِـهِ المَوضُـوعِ

بَـائِعٌ نَفسَـهُ مـن الله فِـي الـرَّو عِ فَـأكرِم بِنفسِـهِ مـن مَبِيـعِ

طَالِـبٌ مِـن رِضَـاهُ مَـا يُوجِبُ الفَـو زَ مَـع الخُلـدِ فِـي المَحَـلِّ الرَّفِيـعِ

دَعـوَةً يَـا بَنِـي عَلِـيٍّ إلـيكُمْ وَهـي مِـنكُم فَهـلْ لَنـا مـن سَمِيعِ

حَـارَ فِكـرِي فِـي وَقفَـةِ الخَيـلِ والصَّيـ ـدِ إلَـى أنْ حَمَـى عَلَـيَّ هُجُـوعِي

أرسِـلُوهَا شَـعوَاءَ شُـعثَاً تَبَـارَى فِـي الفَيَـافِي بِعَاسِـلاتٍ شُـرُوعِ[٦]

---

[١] الأثفية بالضم والكسر: الحجر التي توضع عليها القدر، جمعها أثافي وأثافٍ. والسفع: السواد والشحوب. وأثاف سفع: التي أقدت بين النار فسودت صفحاتها التي تلي النار.

[٢] الروع: القلب.

[٣] عجمت الرجل: خبرته. وعسى الشيء عسواً: يبس واشتد وصلب.

[٤] يقال فلان حية الوادي أو الأرض أو البلد: أي داهية خبيث.

[٥] العزر: التقوية والنصر. والميس: التبختر.

[٦] غارة شعواء: متفرقة.

كَحَرِيــقِ الثُّمَــامِ هَاجَتْــهُ رِيــحٌ حَرجَـفٌ فِي المَصِيفِ بَعدَ هَزِيعِ[١]
مَــن يُقَــارِبْ حَرِيقَهَــا يَنثنِــي عَنــ ــهَا بِوَجــهٍ مَــن حَرِّهَــا مَسْــفُوعِ
أو تَجُــوزُ الجِيَــادُ ثَــانِي سَــهَامٍ كَالسَّــعَالَى مُحْنَيَّــاتِ الضُّــلُوعِ[٢]
تَتَبَــارَى بالصِّــيدِ مــن آلِ يَاسِيــ ــنَ المَسَــاعِيرِ غَــوثِ كُــلِّ مَــرُوعِ
هــل أراهَــا مُغِيــرَةً كَبُغَــاثِ الطَّــ ــيرِ تُــردِي بِكُــلِّ لَيــثٍ مَنِيــعِ[٣]
حَسَــنِيٌّ تُنمَــى إلَــى حَسَــنٍ فَــر عَيــهِ كالبــدرِ الــتَّمِّ عند الطُّلُــوعِ
غَصَــبَ النــاسُ حَقَّكُــم فَــاطلبُوهُ بالمَوَاضِــي فَهُــنَّ خَيــرُ شَــفِيعِ
فَشَــنَنَّا المَغَــارَ فِــي كُــلِّ أَرضٍ ورَفعنَــا المَنَــارَ فِــي كُــلِّ رِيــعِ
والمَوَاضِــي عصِــيُّنَاً ورِمَــاحُ الــ خَــطِّ فِــيهِم فَكم لَهَــا مــن صَرِيعِ
وقِــرَاعٍ لَنَــا بِبَــابَي آزَالٍ صَــيَّرَ الكَهــلَ مِــنهُمُ كَالرَّضِــيعِ
فَتَحُــوا بَابَهَــا لِيحمُــوا حِمَاهَــا ثُــمَّ رَدُّوهُ فِــي زحــامٍ شَــنِيعِ
فَــاغْنَمُوا فُرصــةَ العَــدُوِّ فَقَــدْ آ ذَنَ مُلــكُ الطُّغَــاةِ بِــالتَّوْدِيعِ
فلَعَمــرِي مَــا أغفــلَ الضِّــدَّ عَــنكُم غَيــرُ طَعــنٍ شَــزرٍ وضَــربٍ قَطُــوعِ
وَلَقَــد ضَــلَّ عَــنكُمُ كُــلُّ رَأيٍ ومَــرَامٍ وضَــاقَ كُــلُّ وَسَــيعِ

[كتاب الإمام (ع) إلى الأمير قتادة]

ولما دنا الموسم أمر بإنشاء كتاب إلى الأمير أبي عزيز قتادة بن إدريس، وكتب في آخره بخط يده:

---

[١] الثمام كغراب: نوع من الشجر. الحرجف كجعفر: الريح الباردة الشديدة الهبوب.

[٢] ثاني أي مثاني سهام: أي معاطف وادي سهام: وهو واد مشهور في تهامة. والسعالى جمع السِّعلاء والسعلاة: وهي الغول أو ساحرة الجن.

[٣] بغاث الطير: شرارها.

والأمير الأوحد -أيده الله- قد صُرفت إليه أزمة الفضل والشرف بما ألزم نفسه من المواظبة على طريق السؤدد والجلال، وخلال خصال المجد والكمال، وليس بمنكر جري الجواد، وقد بلغنا دنوه إلى مكة حرسها الله تعالى بالصالحين وزادها شرفاً إلى يوم الدين، وما أمر به من رسوم العدل والطهارة، فازددنا بذلك قوة في أمرنا، هذا بعد أن كانت حركته قد نقلت بابها إلينا في ابتدائها، فاستبشر المسلمون بسار أنبائها، وارتجَّتِ الأقطار بذكرها، وعلقت الألسن بشكرها، وهو يعلم -أدام الله علوه- محبتنا له قبل هذا الأوان، ونحن نرجو أن يكون لقائم الحق من الأنصار والأعوان، فلما أفضى الأمر إلينا بحكم الواحد المنان، ولزم فرضه جميع أهل الإيمان، ذكرنا تلك المودة القديمة والرجاء السابق، وقد كان لنا بذكره شغل في الشعر في حال الحداثة من ذلك الأبيات الدالية، وهي:

أَبلِـغْ لَـدَيكَ أَبَـا عَزِيـزٍ مَأْلُكَـاً — بَحـرَ العَطَـا ونِظَـامَ آلِ مُحَمَّـدِ

الطَّـاعِنَ الـنَّجلاءَ فِـي رَهَـجِ الـوَغَى — والخَيـلُ تُغسَـلُ بـالحَمِيمِ المُزْبِـدِ

والمُخضِـبَ العَرَصَـاتِ فَـيضَ بَنَانِـهِ — والأفـقُ مُـدَّرِعٌ كَعَـينِ الأَرْمَـدِ[1]

أسـليلَ إدريـسَ الفَتَـى بـنِ مُطَـاعِنِ الـ — ـطعانِ فِـي رَهَـجِ العَجَـاجِ الأربَـدِ[2]

إنِّـي أَتتنِـي والـدِّيارُ بَعِيـدَةٌ — أفعـالُ مَحمُـودِ الشَّـمَائِلِ فَـازدَدِ

آخرها -أعني الأبيات-:

إنِّـي أَتتنِـي والـدِّيارُ بَعِيـدَةٌ — أفعـالُ مَحمُـودِ الشَّـمَائِلِ فَـازدَدِ

وأبيات أخر أولها:

أَبلِـغْ قَتَـادَةَ عَنَّـا إن عَرَضـتَ بِـهِ — جَهـدَ الرِّسَـالَةِ لَا مَيْنَـاً وَلَا زُوْرَا

---

[1] الأفق مدرع: أي لا سحاب به ولا مطر، وليس في الأرض مرعى، أو مرعى قليل متباعد.

[2] الرُّبدة: لون إلى الغبرة.

[وَقُلْ لَهُ قَدْ أَتَانَا عَنكُمُ نَبَأٌ تُخَالُ نَفحَتُهُ مِسْكاً وَكَافُورَا
يَا ابنَ الذِي تَعرِفُ الخَيلاَنِ مَوقِفَهُ فَتنثَنِي دُونَهُ مَذعُورَةً ضُورَا[1]
أَثنى عَلَيكَ بِمَا أَولَيتَهُ حَسَنٌ وفَاعِلُ الخَيرِ يَلقَى الخَيرَ مَسْطُورَا
مَا ضَرَّ قَومِي ولَا أَعنِي بِهِ رَجُلاً لَو أنَّ أمرَهُمُ مَا بينهم شُورَا
فَحَكِّمُوا العَضبَ فِي أطرافِ أَرضِهِمُ وغَادِرُوا الأَسْمَرَ الخَطِيَّ مَكْسُورَا
حَتَّى يَقولَ الوَرَى شَادت بَنُو حَسَنٍ مَجداً لَهُمْ كَانَ قَبلَ اليَومِ مَعْمُورَا]

وهي طويلة، والآن قد بلغ الله فيه الأمنية، وأجزل من عوارفه العطية، وملكه أعنة الجياد، ونشر ذكره في الحاضر والباد، وشكر الله سبحانه الذي تجب لحضرته العالية به الزيادة، القيام بما يجب من لوازم أمره، والاجتهاد في طاعته ونشره، {وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} [الحج/٤٠]، وهو سبحانه لا يقول إلا الحق، فانصر يا أبا عزيز دين ربك بأسرتك وحزبك، فحق عليك أن تقوم بما قعد عنه غيرك، فإن أمكنتك الكبرى من القضيتين ففيهما الأوفى من الأجرين، وإن تعذرت فأنت معذور، وسعيك مشكور، وكنت توجه إلينا الكتيبة بعد الأخرى، وتنوي بذلك للدين قوة ولربك نصراً، وأَرْضِ الله بسخط الناس يكفك سبحانه شرهم، قال جدك صلى الله عليه وآله: ((من أرضى الله بسخط الناس كفاه الله شرهم))، ولسنا نشك نحن ولا أنت في صدقه، بل كافة المسلمين يدين الله بصدقه، وقد علمت أن الأعاجم نصرتنا وأطراف العرب ومن لا خلاق له من الأمم، فكيف لا تنصرنا وأنت من السلالة المباركة، والذرية الطيبة، والعترة

[1] الضَّور: الجوع الشديد، والتضور: التلوي من وجع الضرب والجوع.

الطاهرة، أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومهبط الوحي، ومختلف الملائكة، فراجع في هذا الأمر أهل الأديان والبصيرة والعقول الثاقبة.

واعلم أنك تحوز به شرف الدنيا والآخرة، وتقمص ملابسها الفاخرة، وكم لك على ذلك من حاسد من شياطين الجن والإنس.

واعلم أنا قمنا على هؤلاء القوم وهم ينكرون اسم الشرف رأساً، ويسخرون من ذاكره، فنصرنا الله سبحانه عليهم فزلزلنا بالله سبحانه أقدامهم، وأبطلنا آثامهم، وحزنا ممالكهم، وأسرنا أمراءهم، ونلنا منهم ما وعدنا ربنا، {**وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ**} [الروم/٤٧]، فلما توطت العرب في مرابدها، واستضعفت أمر عدوها، رمتنا بقسي العداوة التي وترناها بأيدينا لعدوهم، فضرُّوا نافعهم، ونفعوا ضارّهم، فكان في صنعاء ما قد بلغ إلى حضرته، فلزمنا حدود بلادنا، وازددنا أكثر بلاد العدو، وغارتنا اليوم تصل إلى قرب باب صنعاء، والبلاد في أيدينا، وما بقيت إقامتهم في صنعاء إلا ليشغلونا عن تهامة، وإلا فما لها اليوم أعمال، وجندنا بحمد الله قوي، وأعمال هذه الدولة ممتدة في جهة الشرق إلى قرب الجند وبلاد بني حبيش وما والاها، والمغار من كلها وما معهم إلا الطريق لكثرة خيلهم، وقد تعين عليك القيام في هذا الأمر لثلاثة أوجه:

إما للدين وطلب ما عند الله سبحانه، فهذا هو الأصل والذي يعنى فيه الصالحون.

وإما للحمية والعصبية على الأصل والحسب، قال الشاعر:

ومـدت بأيـديها النسـاء فلـم يكـن ... لـذي حسـب عـن قومـه متخلـف

وإما طلب الملك والرفعة، فما شمس الدولة وسيف الإسلام بأعلى منك همة، وذلك الملك حرام وهذا حلال.

فاعلم أنك لو وصلتنا أو أمير من قبلك في أربعمائة فارس مع من يجتمع من الخيل والرجل ما حماهم منا إلا رأس حصن قولاً واحداً، ولاستولينا على جميع المدن والممالك، فانظر في ذلك ولا يرضيك في نصيبك من هذا الأمر ما لا ينصفك منه، والله يعلم ما كثرة تطويلنا - وإلا فالله سبحانه أغير لدينه، وأحنى عليه- إلا لما يبلغنا من شرف همتك، وعلو قمتك، وشدة عزمتك، ولا بد أمرنا هذا -إن شاء الله- يودع بطون الأوراق، إلى يوم التلاق، فنحب أن يكون لك منه أطيب ذكر، وهذا عزان بن سعد ومفضل بن أبي رزاح من عرض العرب وكانت بلادهما في يد العدو، وظهرت الدعوة الشريفة ورهائنهم أولادهم قطع أكبادهم في الاعتقال، فآثروا رضا الله سبحانه، فلطف بلطفه الخفي في إخراج أولادهم، وحماية بلادهم، فأنفذوا فيها الأحكام، وأمضوا الأوامر على سنن الاستقامة، وجرى لهم ذكر جميل في العرب العاربة، وشروا الخيل، ووفروا المال، وقووا كلمة الدين، وعز في جانبهم أمر المسلمين، فالله الله دبر هذا الأمر بما أراك الله، وفقك الله لرشدك، وأخذ إلى الخير بناصيتك، وجعل نصيبك التوفيق، وحضك التسديد، وجمعنا وإياك على كلمة التقوى، إنه على كل شيء قدير، وإنا نتطلع الوارد من قبلك تطلع الأهلة والأعياد.

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

[قصيدة مع الكتاب السابق إلى الأمير قتادة وكافة بني الحسن]

ثم أصحب كتابه هذا الشعر:

دَعْ دَارَ مَيَّــــةَ بِالعلَيــــاءِ فَالسَّـــنَدِ ... وَمَــا هُنَالِــكَ مِــن نَــوْءٍ ومِــن وَتَــدِ[١]

وخَالِــدَاتٍ ثَــلاثٍ غيــرِ زَائِلَــــةٍ ... عَلَى خَصِيفٍ كَخشفِ الضَّبِي مُلْتَبِدِ[٢]

وَقُــلْ لِرَكــبٍ يَــؤُمُّ البيــتَ وَارِدُهُ ... يَــا رَكــبُ إنَّ لَنَــا أهــلاً بِــذَا البَلَــدِ

إذَا بَلغـــتُم وَلَا عَاقَـــت مَطِـــيَّكُمُ ... عَوَائِـقُ البَـينِ فِـي يُمْـنٍ وفِـي رَشَـدِ

فَأعلِنُوهَـــا عَلَـــى الأحيَـــاءِ نَاشِـــدَةً ... لَـوَازِمَ الحَـقَّ فِـي الأدنَـى وفِـي البُعَـدِ

عَمَّتْ وخَصَّتْ عَلَى الدَّعوَى بَنِي حَسَنٍ ... أَعَـزِّ قَـومٍ حَـوَاهُم مَحْفِـلٌ ونَـدِي[٣]

وقُـلْ لَهُـم دَعْـوَةٌ قَامَـت لِقَـائِمِكُمْ ... فَقَايِضُـــوهَا بِإنجَـــازٍ يَـــداً بِيَـــدِ

وَطَاعَـةٌ شَـمَلَتكُم يَـا بَنِـي حَسَـنٍ ... تَهـدِي إِلَـى قَابِلِيهَـا رِفعَـةَ الأبَـدِ

أحَقُّكُـم يُبتغَـى مِـن بَعْـدِ قَـائِمِكُمْ ... كَمُبتَغِي الصَّيدِ فِي عِرِّيسَةِ الأَسَدِ[٤]

طَـالَ انتظَـارِي لكُـم والحـربُ قَائِمَـةٌ ... والسَّيفُ فِي الكَفِّ مِنِّي غَيرُ مُنْغَمِدِ

هَــذِي المَنَـابِرُ لَـمْ تُعمَـرْ بِـذِكْرِكُمْ ... وأنـتُمُ الـرَّأسُ فِـي بـدرٍ وفِـي أُحُـدِ

---

[١] مية: اسم امرأة. والعلياء: المكان العالي المرتفع. والسند: ما قابلك من الجبل وعلا من السفح. والنوء: النجم مال للغروب، أو سقوط النجم في المغرب مع الفجر، وطلوع آخر يقابله من ساعته في المشرق. والوتد: الجبل.

[٢] خالدات ثلاث: أي الأحجار التي يوضع عليها القدر ويوقد فيها النار، وهي من آثار الدار. والخصيف: الرماد. والخشف بالضم والكسر والفتح: ولد الظبي أول ما يولد، أو أول مشيه، أو هي التي نفرت من أولادها وتشردت. والملتبد: أي الجاثم على الأرض الملتصق بها.

[٣] المحفل كمجلس: المجتمع. والندي كغني: مجلي القوم نهاراً، أو المجلس ما داموا مجتمعين فيه.

[٤] عريسة الأسد: مأوى الأسد.

قَـالُوا الوَصِـيُّ رُبَـاعِيٌّ فقلـتُ لَهُـمْ ... ثَـانِي الرَّسُـولِ بِـلَا مَـيْنٍ ولا فَنَـدِ[1]

حَاسَـيتُهُم فِـي آزالٍ كَـأسَ حَـتفِهِمُ ... وفِـي ذَمَـارَ ورَدْتُ المَـوتَ فِـي كَبَـدِ

فَلَـم تُشِـنْكُمْ مَقَامَـاتِي وَلَا صَـدَرَتْ ... سُـمْرِي ظِمَـاءً مـن الأحشَـاءِ والكَبَـدِ

حَتَّـى تَركـتُ علـى الأعـوَادِ ذِكـرَكُمُ ... بَـادٍ علـى رَغْـمِ أهـلِ البَغْـيِ والحَسَـدِ

زمُّـوا المَطِـيَّ وقُـودُوا كُـلَّ سَـابِحَةٍ ... مِثلَ السَّحُوقِ تُبَارِي الرِّيحَ فِي الجَدَدِ[2]

فَـإرثُكُم حَـازَهُ الأقـوَامُ دُونَكُـمُ ... وَطَالِـبُ الحَـقِّ يسـعَى غَيـرَ مُتَّئِـدِ[3]

أنـتُم سَـنَامُ بَنِـي الزَّهـرَاءِ فَاطِمَـةٍ ... وصِـيدُ فهـرٍ وأهـلُ المَجـد والعَـدَدِ

وقَائِـلٍ قَـالَ لِـي والحـربُ قَائِمَـةٌ ... والخَيـلُ يَغسـلُهَا مُثْعَنْجِـرُ النَّجَـدِ[4]

وللخمِيسَـينِ أصـوَاتٌ وغَمغَمَـةٌ ... والضَّربُ فـي البِيضِ يَحكي حاصِبَ

وقَـد نَضَـوتُ رَهِيـفَ الحـدِّ مُعتَمِـدَاً ... قَلـبَ الكَتِيبَـةِ لَا ألـوِي علـى أَحَـدِ

رِفقَـاً بِنفسِـكَ إن المَـوتَ مَـورِدُهُ ... صَـعبٌ فـإن كُنـتَ تَهـوَى وِرْدَهُ فَـرِدِ

فَقُلـتُ والخَيـلُ خَلفِـي إنَّ لِـي أجـلاً ... إِذَا بَلغنَـاهُ لَـمْ يَـنْقُصْ وَلَـمْ يَـزِدِ

وَهَـل فَتَـىً مـن عَلِـيٍّ أصـلُ نِسـبَتِهِ ... يَمشِي إِلَى الموتِ كالمشدُودِ بالصَّفَدِ

مَـالِي أرى حَسَـناً قَـومِي مُخَيِّمَـةً ... عَنِّـي مُعَـذِّرَةً بِالمَـالِ والوَلَـدِ

---

[1] رباعي: أي رابع الخلفاء. والمين: الكذب. والفَنَد بالتحريكِ: الخَرَفُ، وإِنْكارُ العَقْلِ لِهَرَمٍ أو مَرَضٍ، والخَطأُ في القولِ والرَّأيِ والكذب.

[2] الزم: الشد. السحوق من النخل والأتن والحمر: الطويلة. وتباري: أي تسابق. والجدد: الأرض الصلبة.

[3] المتئد: المتأني.

[4] المثعنجر: السائل من ماء أو دمع. والنجد: العرق الناتج من عمل أو كرب أو غيره.

وَفِــيهِمُ مَقْرُبَــاتٌ غَيــرُ مُقْرَفَــةٍ تُــرْدِي بِكُــلِّ طَويـلِ البَـاعِ مُنْجَـرِدِ[1]

شُـمِّ الأنُـوفِ إذَا مَـا نُوسِبُوا انتَسَـبُوا إلَـى الجَحـاجِحِ مِـن نَضْـرٍ ومِـن أُدَدِ

عَلَــيهِمُ كُــلُّ جَــدلاَءٍ مُضَــاعَفَةٍ مِــن نَسـجِ داوودَ مثـلِ النَّهْـي مُطَّـرِدِ

وَلَستُ أنسَى حُسيناً فِي الـدُّعَاءِ لَهَا وكَيفَ أنسى إذَا جَدَّ المِصَاعُ يَدِي[2]

بِـيضُ الوُجُـوهِ بَهَاليــلٌ لُبُوسُــهُمُ إلَـى المَلاَحِـمِ قُمصَـانٌ مِـن الـزَّرَدِ

يَنمِـيهِمُ خَيـرُ مَـن قَامَـت بِـهِ قَـدَمٌ مِن آلِ أحمد أعلى من هدَى وهُدِي

مِــنهُم إمــامُ الهُـدَى زَيـدٌ وشَـافِعُهُ أخُــوهُ بَــاقِرُ علــمِ اللهِ ذِي الرَّشَــدِ

وجَعفرُ الصَّادِقُ المَصدُوقُ مَن شَهِدَتْ بِفَضـلِهِ مِلَـلُ الإسـلام عـن ضَـمَدِ[3]

وَسِـبطُ زَيـدِ الـذي بالجوزجَـانِ ثَـوَى وَلَـو سُـئِلْنا فَـدَاهُ بـالنُّفُوسِ فُـدِي[4]

أئِمَّــةٌ أَوجَــبَ الــرَّحمَنَ طَــاعَتَهُمْ فَمـن تَنكَّـبَ عَـنهم فِـي السَّبِيلِ رَدِي

بَنِـي النَّبِـي أجِيبُـوا مـن غَـدَى لَكُـمُ أَبَــرَّ مــن والِــدٍ بــرٍّ علــى وَلَــدِ

مَــا زَالَ مُجتَهِــداً فِــي رَدِّ مُلكِكِــمُ ومُلْـبِسُ الضِّـدِّ ثَـوبَ الوَجْـدِ والكَمَـدِ

أَفِــي التَّحِيَّــةِ يُمسِــي الحَــقُّ ذَا أوَدٍ وبِيضُــكُم مُثْبِتَــاتٌ كُــلَّ ذِي أَوَدِ[5]

أفِــي المــرؤة أرجــو غيــرَكم وزراً وأنــتُمُ خَيــرُ مَرجُــوٍ ومُعْتَمَــدِ

أفِـي الحَمِيَّـةِ ألقـى الجَـيشَ مُنفَـرِداً ولاَ مُــوَازِرَ غَيــرَ الصَّــارِمِ الفَــرَدِ

---

(١) المقرب من الخيل: الذي يدنى ويكرم. والمقرف من الخيل: الهجين: وهو الذي أمه عربيه وأبوه ليس كذلك، وقيل العكس.

(٢) المِصاع بكسر الميم: المجالدة والمضاربة والمقاتلة بالسيوف.

(٣) الضمد: الغابر في الحق عن معقلة ودين.

(٤) يعني الإمام الشهيد يحيى بن زيد.

(٥) الأود: الإعوجاج.

غزوة نجران الثانية

وأحداث أخرى متفرقة

قصة غزاة نجران الأخرى

تواترت الأخبار من صعدة بأن الصعيب اليامي والبدو الذين معه من زبيد وآل أحمد وبني الحارث وبني عبلة وغيرهم من سائر البدوان بالقرب من نجران بموضع يقال له: سقام، بأموال كثيرة، وذلك وقت استواء التمر وطيبه، وهم آمنون من جهة الإمام عليه السلام؛ لاشتغاله بحرب الغز في أطراف البلاد، ومقاومتهم عقيب أخذ كوكبان.

فكتب إلى الأمير صنوه عماد الدين يحيى بن حمزة يأمره بالوصول، وكان يومئذ ببلاد الطرف[1] وبني شاور وقد وقع فيها اختلال.

وسببه: تقدم الشريف علي بن يحيى بن الحسين من بني الهادي عليه السلام إلى إسماعيل وهو بمحطة كوكبان، وأظهر الخلاف على الإمام عليه السلام، واجتهد في قود العسكر، وتكفل أخذ البلاد، ولم يترك شيئاً يستطيع عليه من أسباب الفساد، وأعانه قوم من أهل تلك البلاد على الخلاف، {**يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**(٨)} [الصف]، فلم يلتف إليه، ولا ساعدوه إلى قود عسكر ولا غيره، وراح إسماعيل إلى صنعاء ولم يحفل به، فأقبل أهل البلاد طوعاً وكرهاً بعد مراحه.

ووصل الأمير عماد الدين إلى حوث، وحضر الأمير صفي الدين محمد بن إبراهيم فأمرهما الإمام عليه السلام بالنهوض في العسكر إلى نجران، وقد كان العسكر على أهبة، فنهض الجميع من حوث يوم الأحد، لاثنتين وعشرين ليلة خلت من شهر شوال، من سنة ست وتسعين، فاستمرت الخيل ليلها ونهارها

[1] بلاد الطرف: من مخلاف أقيان (شبام كوكبان)، وعزلة الطرف: ناحية صعفان قضاء حراز.

حتى أتت موضعاً يقال: ذات علي، وقد أصاب العسكر أمر عظيم من التعب وشدة الحر والسموم، حتى كاد الناس يهلكون، وأشفوا على التلف فلطف الله تعالى لهم بمطر على شدة الأمر، شرب منه العسكر بأجمعهم، ولم يقع منه ماء سائل، ولا استقر منه شيء على الأرض إلا مقدار ما شرب الناس منه كفايتهم، وكان ذلك من جملة الآيات والكرامات المعدودة من بركات الإمام عليه السلام.

ثم استمر العسكر حتى وافوا الحلة ضحوة النهار يوم الأربعاء، لأربع بقين من الشهر، وقد سرح المال، وكان قريباً من الحلة، والقوم آمنون منتشرون في أشغالهم، وكان في الحلة على ما حكاه من حضر ثلاثمائة بيت من الشعر، قد التأم إليها جمع كثير من ألفاف العرب، من يام وزبيد وآل أحمد وبني الحارث وبني عبلة وغيرهم، فتغنم العسكر الحلة بما فيها من المال والخيل والدروع والذهب والفضة والآلات، ما مقداره ثلاثين ألف دينار سبائية، سوى الحريم والأولاد فلم يعرض لذلك أحد، وافترقت الخيل في ضم الإبل وكنت قريباً من خمسة آلاف.

فكان الشريف سباع بن [محمد] الحسني الحرابي راكباً على راحلة، فضم طائفة من المال، وواقعه العدو وهو منفرد من أصحابه فقتلوه، ومضى شهيداً إلى رحمة الله، والمتولي لقتله القاسي بن سعيد بن محمد الأحمدي.

وفي تلك الحال أيضاً قتل مزعق بن مظفر الجنبي رحمه الله، فجاءوا بها من كل جهة، وضموا بعضها إلى بعض، والتأم العسكر من الجهات، وضربت الطبول والحرانيات، وكان فيها عبيد فصعقوا منها لتنفيرها، فانقضت انقضاض السيل فلم يقدر أحد على إمساكها، ومرت يتلو بعضها بعضاً، وما بقي منها إلا القليل، وراحت لاحقة بأهلها، وقد كانت الخيل كلت عن لحاقها، وتفرق البدوان في رؤوس الجبال، وبطون الأودية، ورموا بأنفسهم إلى الغائط، فهلك منهم ناس من شدة

الظمأ، وملأ كل من العسكر يديه من الغنائم، وبقيت بيوت الشعر والآلات لم يستطع أحد نقلها، فضربوها بالنار، وحطوا في الحلة، وجاءت أخبار وأراجيف بأن للبدو اجتماعاً إلى بئر حميد، وأنهم يريدون هجم المحطة، فلما أصبح نهض السلطان في جريدة من الخيل يريد قصد القوم إلى البئر فوصلوا إلى درب أبي العزام، -وهو أعلى من البئر- فطلبوا من أهل التودية والطاعة، فجاؤوا بشيخ كبير منهم رهنوه خداعاً منهم، حتى أحكموا أمرهم وأخربوا المحمولة التي على خندقهم، وامتنعوا وسبوا الأشراف، وتأهبوا للحرب ولم يحفلوا بصاحبهم، فتقدم إليهم الأمير صفي الدين للمعذرة إلى الله فيهم، والنصيحة لهم، ودعاهم إلى طاعة الله وطاعة الإمام عليه السلام فامتنعوا، فاجتهد في ذلك فأبوا، ورموه بعد السب والأذية بالحجارة، فلما يئس منهم ولم يبق للحديث إليهم وجه، ترجلت الجند من الخيل، ووقع القتال الشديد، وجاؤوا بالخشب من النخل، فوضعوها على الخندق ودخلوا عليها قهراً، وأعطى الله النصر على أعدائه فقتلوهم إلا القليل، وتغنموا ما وجدوا في دربهم، وعادوا إلى المحطة، ولم يكن لخبر البدو حقيقة في الأصل، وأقبلت أهل البلاد بعد أخذ هذا الدرب من وادعة وشاكر وغيرهم بالطاعة والامتثال، وسلموا الرهائن فيما يجب عليهم من حقوق الله، وتمهدت البلاد وصلحت أمورها.

ووصل البشير إلى حوث بما فتح الله تعالى لوليه، فَسُرَّ بذلك وحمد الله تعالى، وخر ساجداً شكراً لله، وبُشِّرَ المسلمون بنصر الله.

[قصيدة الإمام (ع) لم أتاه الخبر بأخذ نجران]

ولما كان من الغد عزم على الركوب إلى جحدان، وأمر من يشد على الخيل، وخلا ساعة، والناس قيام ينتظرونه، وأنشأ هذا الشعر ارتجالاً من غير كلفة ولا طول مدة:

مَا ذِكرُ دَار الحيّ لِي من مُرادْ ... مَا بين شحّاطٍ فرُكنَي عُرادْ
فَالحنوِ مِن مجزرَ فَالقارةِ الـ ... ـعظمى فَأرياضِ صدورِ النّجادْ
فَالرّوضِ من تلبُسَ فَالحَزْمِ فَالسْـ ... ـلانِ مَا بين الرّبى والوِهادْ[1]
منازلاً كُنا عَهِدْنا بها ... كلَّ عظيمِ النّار جمَّ الرَّمادْ[2]
وإنمَا أذكُرُ فضفَاضةً ... قِتْيَرُها مثلُ عُيونِ الجرَادْ[3]
وبيضةً شمّاءَ دَاوِيَّةً ... وصَارِمَاً أبيضَ من عَصْرِ عادْ[4]
وأجرداً أعيطَ عَبلَ الشّوَى ... حَاني القُصَيْرى جُرْشُعاً كالمَصَادْ[5]

---

[1] هذه المناطق التي يذكرها الإمام عليه السلام من مناطق الجوف الأثرية الحميرية فمنها ما دثر وعفى، ومنها ما لم تزل آثاره باقية: ومجزر: قرية فِي الجوف من بلاد نهم، وبها أشراف مجزر من ولد الإمام القاسم بن علي العياني، والحنو: المنعرج من الأرض الملتوي، والربى: الأرض المرتفعة، والوهاد: جمع وهدة، وهي الأرض المنخفضة.

[2] كناية عن الكرم والجود.

[3] درع فضفاضة: أي واسعة. والقتير: رؤوس مسامير الدرع.

[4] البيضة: ما يضعه المحارب على رأسه من الحديد للوقاية، والشماء المرتفعة، والداوية: الثابتة في مكانها.

[5] فرس أجرد: قصير الشعر رقيقه، والأعيط: الطويل الرأس والعنق، والأمي: الممتنع، والعبل: الضخم فِي كل شيء، والشّوى: اليدان والرجلان والأطراف وقحف الرأس ومَا كان غير مقتل.
القُصَيْري: مقصورة أسفل الأضلاع أو آخر ضلع فِي الجنب وأصل العنق.
والحاني: اسم فاعل من الحِنو والحَنو بالكسر والفتح كل مَا فيه اعوجاج من البدل كعظم الحَجَاج واللحي والضلع والحنى.

=

وأسـمراً مثـلَ شُـجَاعِ الغَضَـى لَـدْنٌ لـه مَشْـرَعَةٌ فِـي الفـؤادْ[1]
أقْضِـي بـه الحاجَـاتِ إن الفتـى رَهْـنٌ لأسـباب الـرّدى والنّفَـادْ
أبِـي الـذي سَـنّ القِـرى لِلـورى مـن دون قـارٍ فِـي البَريـا وَتَـآدْ[2]
وأحْمَـدٌ جـدّي أكْـرِمْ بِـهِ وحَيْـدرُ الصّـابِرُ يـومَ الجِـلَادْ
والحَسَـنُ الحـاكي نَبِـيَّ الهـدى فـي خلقِـهِ والسُّـؤدَدِ المُسـتفَادْ
مَنَاسِـبٌ هـلْ بعـدها لامـرِءٍ ذي إرْبَـةٍ فِـي نسَـبٍ مُسْـتَزَادْ
فهـل صُـعَيْبٌ عَـالِمٌ كُنْـهَ مَـنْ حَـارَبَ أَمْ جَنّـبَ طُـرْقَ السـدادْ[3]
يـا صَعبُ حَمْـداً للّـذي صَـيّرَ الصعـ ـعْبَ على الحـالاتِ طـوعَ القِيَـادْ[4]
لَمّـا طردنـاه كَبَـى جَاثِيـاً والصّـعبُ لا يَـدْفَعُ شَـأوَ الجَـوَادْ[5]
لـم يَعلـم الصّـعبُ بـأني امـرؤٌ إذا بَـدَى فِـي حـربِ قـومٍ أعَـادْ
سَـائِلْ بِنَـا التـركَ وألفَافَهـا والكُـردَ أحـلاسَ متـونِ الجيَـادْ[6]

الجُرْشُع كقُنْفُذ: العظيم من الإبل والخيل، أو العظيم الصدر، والمِصاد: كسحاب: اسم جبل، ويطلق على أعلى الجبل.

[1] الأسمر: الرمح، والشُّجاع –بالضم والكسر–: الحية الذكر، وقيل: الخبيث المارد من الحيات، والغضى: شجر معروف، واللدن: اللين، والمشرعة: التوجه والقصد، شبه الرمح في لينه وسرعته وتوجهه بالحية التي تؤثر في من تلدغ.

[2] يريد بأبيه: إبراهيم الخليل عليه السلام فانه أول من أكرم الضيف كما حكى الله تعالى في قوله: {فراغ إلى أهله فجاء بعجل حنيذ}.

[3] هو صعيب بن منصور اليامي وكان أصل الخلاف في نجران بسببه وعلى يديه.

[4] وفي هذا البيت يذكر الإمام عليه السلام أن صعيب اليامي رجع وترك خلافه، وذلك عند قدوم الأمير علم الدين سليمان بن موسى الحمزي إلى نجران، فإنه قربه ولاطفه وأنسه وأحسن في مثواه.

[5] الصعب: ولد الحمار، والشأو: السبق، والجواد: الفرس.

[6] جمع حِلس: الثابت في مكانه لا يبرح، أو حَلس بالفتح: وهو الشجاع.

أيّـــأم صـــــنعاءَ ومَـــــا بعـــــدَهَا مِــن وقعــة تشــبه خــرط القَتَــادْ[١]

أزْجَيْتُهــــا خرســــاءَ مَلمُومَــــةً شِــمَاعُها خِرصَــانُ روس الصّــعَادْ[٢]

جُــــردٌ تُبــــاري بليُــــوث الــــوغى مِــنْ كُــلِّ فَيَّــاضٍ طَويــلِ النَّجَــادْ[٣]

مــن هَاشــمٍ بُــورك فِــي هَاشــمٍ شُــمِّ العــرانينِ طــوالِ الهَــوَادْ[٤]

والكُــرْدِ مَــا الكُــردُ وهــل عايَنَــتْ غضــبانَ أُسْــدِ الغَــابِ أَمْ جِــنَّ وَادْ

ومِــــن ذُرَى هَمْــــدان فِتْيَانُهـــــا وَمــذحِجِ الصِّــيْدِ الغِــلَاظِ الشّــدَادْ

جــاءت كأســرابِ القَطَــا شُــزَّباً وزاد يَــــدعُو قائــــداها وزادْ

لــم تَــدْرِ كَهْــلانُ بمَــا قَــدّمَت فَــأيُّ دَيــنٍ أحقَبْتَهَــا مَــرَادّ[٥]

كَــأَنَّ رَوْقيهــا وقــد أشــرفَتْ علــيهِمُ طَــودَانِ لــولا العِنَــادْ[٦]

فــــزَوَّدَتْهُم زادَ أمثــــالِهِمْ طوعــاً كــأفواهِ عِظَــامِ المَــزَادْ[٧]

---

[١] الخرط: انتزاع الورق من الشجر إجتذأبًا بشدة، والقتاد: كسحاب شجر له شوك كالإبر.

[٢] الإزجاء: السوق برفق ولين. وكتيبة خرساء: لا يسمع لهم صوت لوقارهم وسكونهم في الحرب. وكتيبة ملمومة: أي مجتمعة بعضها إلى بعض. والشماع: الطرب والضحك والمزاح و اللعب. والخرصان: جمع الخِراص والخَرص والخِرص والخُرص: وهو سنان الرمح، وقيل هو ما على الجبة من السنان، وقيل الرمح نفسه. والروس: أي الرؤوس، والصعاد: جمع الصعدة وهي القناة المستوية.

[٣] الفياض: الخيل الكثير الجري، وطويل النجاد: أي طويل العنق.

[٤] الهوادي جمع هادي وهو العنق.

[٥] كهلان: أي بنو كهلان، وهم الأزد بن الغوث، وينسبون إلى كهلان بن سبأ، وهم من قبائل نجران. وأحقبتها: أي احتبسته أو تعلق بها، ومَرَادّ: جمع مُرِدّ، وهيَ الناقة التي انْتَفَخَ ضَرْعُها وحَياؤُها لبُروكِها على نَدًى، أو الشاةُ التي ثقل ضرعها واحتبس لبنها، أو الجَمَلُ أَكْثَرَ من شُرْبِ الماءِ فَثَقُلَ، والمعنى: أن بني كهلان تعلق بها دين بسبب خلافها ونكثها وذلك الدين مثقل لها، حتى تتوب وترجع عن غيها.

[٦] روقيها تثنية الروق: وهو القرن، والمراد هنا الحرب الشديدة، شبه الحرب في طلوعها وشدتها كالطودان: وهما تثنية الطود وهو الجبل العظيم.

[٧] المزاد: الراوية.

فهـا هُـمُ خَلـفَ القَنـا والظُّبَـا كالسُّنْبُل المحصُودِ يـومَ الحَصَـادْ
يـومٌ بيـومٍ ولنـا فضـلُنَا ويـومُ كَهْـلانَ كأيّـامِ عَـادْ
ريـحٌ أتـتهم حسِـبُوا أنَّهـا عـارضُ مُـزنٍ وهـي بِـيضٌ جُعَـادْ[1]
ذق أيُّهـا الجاهِـلُ مَـا قَـدّمَتْ يـداك مِـن فِعـل الـرّدى والفسَـادْ
جنَيـتم غرسـكم ذِلّـةً عقِيْـبَ طُغيـانكم فِـي الـبلادْ
ظَنَنْتَنِـي نِمْـتُ علـى دِمْنَـةٍ وَهَـلْ يَنَـامُ الليْـلَ شَـهْمُ الفُـؤَادْ
حَـولَينِ مَـا ذُقـتُ لذيـذَ الكَـرَى إلا غَـراراً كَـوُرُودِ الثَّمَـادْ[2]
أُحَـاوِلُ الثَّـأْرَ وَهَـلْ طَالِـبُ الثَّـا رِ لـه مأرَبَـةُ فِـي الرُّقَـادْ
أبلـغْ بنـي الهـادي إمـامِ الـورى قـومي حمـاةَ الـرّوعِ سُـمَّ الأعَـادْ
وقـل لزيـدٍ هـل رضـيتَ الـذي نلنـاه أو نَثْنِـي رؤوسَ الجِيَـادْ

[قصيدة الحسن بن عزوي في غزوة نجران]

ومما قيل في غزاة نجران للحسن بن عزوي:

مغـارٌ لا يُقـاس بـه مَغـارُ وخيـلٌ لا يُشـقُّ لهـا غِبَـارُ
سـرت فـي ليلـة ممشـى ثـلاث تقاذفهـا المهامِـهُ والقفـارُ
كـأن نهارهـا بـالنقع ليـل وليـلَ سـرى فوارسُـها نهـارُ
ذعرن الـوحش في الفلوات حتى غـدت مـذعورة منهـا الطيـارُ
عليهـا مـن بنـي حسـن كمـاة شـعار الصـالحين لهـم شـعارُ
إذا اعتقلـوا بأرمـاح طـوال فأعمـار العـداة بهـا قصـارُ

---

[1] أراد بقوله (وهي بيض جعاد): الجيش الذي أقبل عليهم، وفيه إشارة إلى أنهم كانوا يرتدون الثياب البيض، وشبهه بالعارض: وهو السحاب، لكثرته. والله أعلم.

[2] الكرى: النوم، والغِرار بالكسر القليل من النوم، والثّماد: ككتاب: الماء القليل لا مادة له.

بهـا صـنو الإمـام خضـمُ جـود يفيض نـدى وعنـد الحـرب نـارُ
وفارسـها المبـارزُ ليـثُ حـرب لـه فـي حومـة الهيجـا زئـارُ
وكـرد لـو رمـوا هضـبات طـود بعـزمهم تصـدعت الحجـارُ
تغيـر الطيـر ممـا عودوهـا مـن اللحـم العـريض إذا أغـاروا
رمـت كهـلان فـي نجـران صـبحاً بداهيـة لصـيبها شـرارُ
فمـا شـعرت نسـاء الحـي إلا وحـول ضـروبها النقـعُ المثـارُ
سـلبن رؤوس معشـرها جهـاراً ولـم يسـلب لغانيـة خمـارُ
وراح العسـكر المنصـور منهـا غنائمـه المهـاري والمهـارُ
ألا قـل للصـعيب جنيـت حربًـا فمـا نُتِجـت لـه الحـربُ العشـارُ
حسـبتم أن حـرب بنـي علـي تحنـي المـردُ أو قعـبٌ يُـدَارُ
فـإن فـر الصـعيب فـلا مفـر وهـل ينجـي مـن القَـدرِ الفـرارُ
ألا مـن مبلـغ عنـا عليـاً مقـالًا حيـث مشـهده يُـزَارُ
بـأن إمامـه مـا قـر عينـاً وعنـد عدائـه الأعـراب ثـأرُ
أميـر المـؤمنين نقيـتُ نظمـاً يقربنـي وإن بَعُـدَ المـزارُ
مـددتَ يداً تطـول إلـى المعـالي لهـا ولمثلهـا هـذا السـوارُ
وزينـت الخلافـة وهـي زيـن كمثـل الجيـد زينـه النُّظَـارُ
جمعـت شـجاعة ونـدى وحزمـاً وعلمـاً لا تسـاجله البحـار
خصـال قـد سـبقت بهـا البرايـا لمنكـر فضـلها عـارٌ ونـارُ

[قصيدة القاضي راشد بن الحسن]

وللقاضي الأجل راشد بن الحسن بن أبي يحيى:

كيـف اصـطبار محـب مـا لـه جَلَـدُ ولا لـه بـدنو الظـاعنين يَـدُ

بـــان الأحبـــة عنـــه فهـــو بعـــدهم صَـــبٌّ بهـــم مســـتهام مغـــرم كَمِـــدُ
يـــا أيهـــا البـــرق ســـائل بـــالحمى طلـــلاً أقـــوى وأقفـــر حتـــى مـــا بـــه أحَـــدُ
أنـــى اســـتقلت ركـــاب الآنســـات بهـــم بعـــد التفـــرق أم أنـــى بهـــم نَجَـــدُ
ويـــا حـــداة ظعـــون الحـــي هـــل وجـــدوا مـــن بعـــدما فارقونـــا مثلمـــا نَجِـــدُ
وهـــل أقـــاموا علـــى العهـــد القـــديم لنـــا مـــنهم فإنـــا علـــى العهـــد الـــذي عَهِـــدُوا
إن يقرُبُـــوا فمـــرادُ القلـــبِ قـــربُهُم أو يبعـــدوا فهـــو مـــنهم حيثمـــا بَعِـــدُوا
أو أســـل عـــنهم وأنســـى ذكـــرهم فعســـى ينســـيه بحـــرُ العطـــاء الفـــارسُ النَّجِـــدُ[1]
القـــائمُ الأوحـــدُ المنصـــورُ والعلـــم الـــ ـــمشهور قـــول صـــحيح مـــا بـــه فَنَـــدُ
قـــد أجمـــع النـــاس طـــرّاً فـــي خلافتـــه وفـــي إمامتـــه الإجمـــاع منعقِـــدُ
تزهـــى بـــه دولـــةٌ غـــراءُ شـــاحبةٌ ذيـــل الســـعود ودهـــر عيشُـــه رَغَـــدُ
أغـــرُّ أزهـــرُ وضـــاحُ الجبـــين لـــه مكـــارمٌ لـــيس يُحصـــي ذكرهـــا العَـــدَدُ
أشـــمُّ أروعُ يستســـقى الغمـــامُ بـــه كـــأن فـــي الوجـــه منـــه كوكبـــاً يَقِـــدُ
ســـائل بـــه فـــي ذمـــار والـــوغى حمـــس والبـــيض تهمـــي نجيعـــاً والفتـــى قُصُـــدُ
والنقـــع أقـــرعُ والهامـــات تُقـــرعُ والـــ أرمـــاح تصـــدع قـــد أودت بهـــا العُـــدَدُ
والخيـــل تَمـــزعُ والأرواحُ تُنـــزَعُ والـــ أنكـــاس تجـــزع والأوصـــالُ ترتعـــد[2]
فـــي مـــأقط شـــهدتِ فيـــه الكمـــاة لـــه بـــين الخميســـين والأبطـــال تجتلِـــدُ
والبـــيض تُســـمِعُ مـــن فـــي أذنـــه صـــممٌ وقـــد تُقَـــوِّمُ مـــن فـــي دينـــه أَوَدُ
وفـــي أزال أزال الظـــالمين ولـــم يـــنفعهم الجمـــع والحشـــد الـــذي حشَـــدُوا

---

[1] النجد: الدليل الماهر، والشجاع الماضي فيما يعجز غيره.

[2] المزع: الإسراع، أو العدو الخفيف.

وقـاد جـرداً إلـى نجـران سـاهمةً تُـردِي بأُسـدٍ حمـاةٍ غيلها الـزَّرَدُ
قُبَّاً تبـارى بفرسـان الصباح إلـى الـ ـعدى كنـافر صـيد شـله الطَّـرَدُ
فحين أن ركعت بيض الصوارم في قـوم الصـعيب وفـي أحلافـه سَـجَدُوا
فمـا انثنـت ومـن الأعـداء إذ قتلـت حـيٌّ يُصـاحب فيـه روحَـه الجَسَـدُ
فأصـبحوا لا تـرى إلا مسـاكنهم لـم يبـق لا سَـبَدٌ فيهـا ولا لَبَـدُ[1]
تـيقن النـاس لمـا أن أظلهـم عـدل ابـن حمـزة طـرًّا أنهـم سَـعِدُوا
فأصـبح الخلـق فـي أمـن وفـي دعـة فـي دولـة غضـةٍ أثوابُهـا جُـدَدُ
أيـن السـحائب مـن جـدوى أناملـه هيهـات أم أيـن مـن إقدامـه الأَسَـدُ
يعطـي ابتـداء فـلا مَـنٌّ يُكـدر مـا يعطـي العُفـاةَ ولا مطـلٌ إذا يَعِـدُ[2]
مـن معشـر هـم هـداةُ الحق إن ذكـروا وسـادةُ النـاس إن غـابوا وإن شَـهِدُوا
لا زال فـي خفـض عـيش لا انقضـاء لـه وظـلِّ عـزٍّ مديـدٍ مـا لـه أَمَـدُ
ولا عَفَـتْ مـن يـدا معروفِـهِ بَلَـدٌ ولا خَلَـت مـن عطايـا الكـفِّ منـه يَـدُ

وله أيضًا هذه الأبيات:

أأظمـا ولـي فـي بحر جودك مشرع وجـودك فـي آذيِّـه يغـرق البَحْـرُ[3]
ولـي فيـك عـزٌّ كالشـموس سـوائر بهـا اللفـظ در والمعـاني بهـا سِـحْرُ
إذا أنشـدت فـي مجلـس فكأنمـا يفـض قسـيمَ المسـك أو يعبِـقُ العِطْـرُ

---

[1] لا سبد ولا لبد: أي لا قليل ولا كثير.
[2] العفاة جمع عافي: وهو الضيف، وكل طالب فضل أو رزق.
[3] الآذي: الموج.

وبعـدي أطفـال وضـعف حـرائمٌ مسـاكين لا نفـع لـديهم ولا ضُـرُّ
وقـد أرسـلوني رائـداً ومبشـراً وفي كفك الجدوى وفي وجهك البِشْرُ
إذا لـم ينـالوا فـي حيـاتي رفاهـة فـلا نلـت آمـالي وجـانبني العُمْـرُ
وإن لـم أنـل فـي ظـل عـزك رفعـة فـلا نلتهـا فـي الـدهر مـا بقـي الـدَّهْرُ
وقـد طـال وعـد الـنفس فيـك وإنمـا إذا مـت عطشـاناً فـلا نَـزَلَ القَطْـرُ

[توجه الإمام عليه السلام إلى صعدة للقاء الجند بعد الغزوة]

ثم نهض الإمام عليه السلام متوجهاً إلى صعدة في لقاء الجند من نجران بعد تقرير أمور الظاهر، وفَرَّق الولاة والعمال لقبض الحقوق الواجبة، **لست ليال خلت من شهر ذي القعدة**، وحط في العمشية[1] في بقعة مستوية، فأمر بعمارة مسجد فيها، وقام بنفسه فحمل الحجارة على عاتقه، وأمر بالكتابة على حجر ذكر فيها اسمه ونسبه جعلت في المحراب، وصلى بالمسلمين فيه فصار الناس يزورونه ويتبركون به.

ولما وصل إلى هجرة دار معين ما وقف بها عند أهله وأولاده سوى ليلتين وآثر رضا الله تعالى وما يعود به النفع على المسلمين، فأقام بصعدة والقبائل تفد إليه من كل جهة للسلام عليه والبر.

---

[1] العمشية: من بلاد حرف سفيان، وهو بلد واسع يمتد على نحو ٦٠ كم شمالاً وجنوباً، وتسكنه بعض قبائل سفيان.

[كلامه عليه السلام في الحث على الصلاة وفعل الواجبات]

ولما صلى بالناس صلاة الجمعة صعد المنبر فوعظ وذكر وحذر وأنذر، وأمر الناس بإقامة الصلاة والمحافظة عليها، وغلظ في ذلك وشدد، وقال في عرض كلامه:

إنه شغلنا عن تفقد الرعية حربُ العدو، وإيثار المهم من الأمور، الذي يعم صلاحه، والآن فقد فلّ الله حده، وخذل جنده، ونحن نأمركم بطاعة الله تعالى، وننهاكم عن معصيته، وما بقينا نُوَسِّعُ لأحد منكم في ترك الصلاة ولا فريضة واجبة، فإن الله تعالى لم يخلقكم عبثًا، ولم يمهلكم سدى، وقد أنعم عليكم وخصكم بما لم يخص به غيركم، بأن جعل عترة نبيه صلى الله عليه وآله بين أظهركم، وظهرت الدعوة الشريفة من بلدكم، فَجَدِّدُوا لله شكراً، واسمعوا وأطيعوا، واتقوا خيراً لأنفسكم.

فهذا ما انضبط من بعض ألفاظه ومعاني كلامه.

وقد كان كتب إلى الأميرين الكبيرين شيخي آل الرسول يحضهما على الوصول، فعاد جوابهما يعتذران في الوصول على وجه المبادرة لأمور أوجبت تأخرهما، ويسألان إشعار الناس المخرج إلى (راحة بني شريف)، والتأهب لوصولهما، ففعل ذلك، وتقدم بعد أيام إلى (هجرة دار معين) فأقام بها مدة، وجاءه العلم بوصول الأميرين فنهض في لقائهما إلى صعدة.

وكان قد وصل إليه عليه السلام جماعة من جهة الشيخ عز الدين عزان بن سعد بشيء من المال فتقدموا بين يديه حتى أتوا إلى غدير فيه ماء من السيل قريب من (الخانق)، فمر بهم عليه السلام وكان قد أفطر ذلك اليوم ودعاه الداعي إلى الشرب من ذلك الماء، فطلب في الحال إناء ليشرب فيه فلم يوجد، فتقدم رجل منهم يقال: عبد الله بن منصور بن سليمان الربيعي من وادي (خبان) فغسل يديه وسقاه.

[هنا نقص]

[وفي الصفحة التي تلي النقص بيتان من الشعر وهما آخر بيتين من قصيدة الإمام عليه السلام في غزوة دوبع، فألحقت الملحق من مجموع الرسائل، وأوردت القصيدة كاملة منه ومن الديوان].

أرى النـاس أشـباهًا ويفـرق بيـنهم ثبـاتهم فـي عـزمهم والمطالـب

رويـدكما لا بـد مـن يـوم حـادث على الضد يستمري شؤون النوادب

[ملحق من مجموع الرسائل والأشعار لتتميم النقص]

وبلغه عليه السلام وهو ببراقش في شهر المحرم أول شهور سنة سبع وتسعين وخمسمائة، العلم بأن السلطان مبارز غزا دوبعاً وأن أهل البلاد لزموا له ولعسكره عقبة كؤوداً، وكان عليه السلام يريد الدخول بامرأته بنت السلطان علي بن هديان، فأغار عليه السلام من براقش بمن كان معه من الشرق والغرب، وأمر إلى جميع من في الجوف أن يلقوه إلى الجوف ليقودهم لاستخراج السلطان مبارز وعسكره من الورطة التي وقعوا فيها، فلما بلغ عليه السلام إلى غيل مراد وافته البُرُد من السلطان مبارز يعلمونه بما فتح الله سبحانه عليهم من النصر، وخلاصهم من كيد العدو، فحمد الله سبحانه على ذلك، وبات تلك الليلة في غيل مراد، وراح عليه السلام إلى براقش صبح تلك الليلة، وأنشأ هذا الشعر:

[قصيدته عليه السلام في غزوة دَوْبَع[1] في المحرم سنة (٥٩٧)هـ]

أتعجَبُ إن طارت إلى الأرض دَوْبَعٌ ... وأُنسِيْتَ نَجرَانَاً ويومَ المَحَالبِ
ويومَ تَدَلَّتْ من جبال حلملمٍ ... فَجَاسَتْ دِيَارَ الحَيِّ من دونِ مَأرِبِ
وصنعاء إذ ألفَت على الباب تُرْكها ... ونادت بأعلى الصوت هل من مُضاربِ
تُتابعُ ميمون النقيبة مَاجِداً ... سَليل مُلوك مِن لؤيّ بن غالبِ
أليس أبُوهُ ضَاربَ الجمع عنوَة ... بِصِفِّين يوم الرّزم ضربَ المواثبِ[2]

---

[1] دوبع: قرية من عزلة العبادلة ناحية أفلح قضاء الشرفين.

[2] من هذا البيت وما بعده اختلاف ما بين الديوان ومجموع الرسائل والقصائد، فأبقيت في الأصل ما في الديوان، ونذكر هنا ما في المجموع:

أليس أبُوهُ ضَاربَ الجمع وحده ... بيثرب يوم الرّوِع ضربَ المواثِبِ

وفي النّهر إذ جاش الخوارج عن يد   كتائب أمثال الجياد النّواصِبِ
فنادى بهَمْدان وأحياء مذحج   ونِهْمٍ فكان اليوم يوم الثعالبِ[١]
ولم ينحرف حتى تثلم سَيْفه   وسالت دماء كالسّيوف الرواجبِ
فقرّ بِهَا الملك العقيم فَأصبَحَت   أَوَامِرُهُ فِي شرقها والمغاربِ
ومَا دَوْبَع إلا فريسَة ضيغم   فراها بأنيابٍ له ومَخَالبِ
رماها بصيد كاللّيُوث عَوَابِس   تصُول بجُردٍ كالطّيُور السّلاهبِ[٢]
فِحامت عليها حومةً خضعت له   رقاب الرِّقابِ العاصيات الغوالبِ
وجاء حديث المرجفين وَلَمْ تكُن   طبَاعي أن أنسى لَدَى الرّوع صاحبي
فنادَيتُ قحطَاناً فلبَّت لدعوتِي   كتائبُ صِيْد تهتدي بكتائبِ
إذا قيل هذي حومة الموت أرقَلوا   إليها كإرقال الجمال المصَاعِبِ[٣]
وخَفّفتُ أفراسيْ وشَمّرت مئزري   وعُفت رضَاب الأشنباب الكواعِبِ[٤]
وقلتُ السُّبَاتُ اليوم حِجْرٌ مُحَرَّم   إلى أن أطا بالخيل أرض المحالبِ
فلمَا فَصَلنَا جاء بالعِلم أنكُم   فَصَلتُم من الأعدا بحَدّ القواضِبِ
ودُسْتم بلاد الضِّد بالجُرد والقنا   وكلِّ طويل الباع زاكي المناسِبِ

وبالمرخ إذ جاشت لغيلانَ عن يد   كتائب منهم تقتدي بكتائبِ
فنادى بغسان ولخم وحمير   وكلب فكان اليوم يوم التكالبِ
ولم ينحرف حتى تثلم سَيْفه   وسالت دماء كالسّيول الرواعبِ

وما بعد هذه الأبيات الاختلاف فيه يسير.

(١) الثعالب جمع ثعلب: وهو طرف الرمح الداخل في جبة السنان.

(٢) السلهب: الطويل، جمعه سلاهب.

(٣) الإرقال: الإسراع.

(٤) الرضاب: الريق المرشوف أو قطع الريق في الفم، والمشانب: الأفواه الطيبة، والكواعب: الجواري الحسان.

وأبـتُم وكـم مـن كـارهٍ لإيَـابِكُم وراضٍ بمَـا أسْـلفتموه وغاضِـبِ
ومـلآن مِـن ضـغنٍ كـوَاهُ صُـعُودكم إلـى ذَروةٍ للمكرَمـات وغـارِبِ
بَسَـطتُ لـهُ فِـي القـول ثـم جذبتُـه وكُنْـتُ امـرءاً يلقـى الهـوانَ مُجـاذِبِي
فخَـرَّ علـى حُـرِّ الجبـين كأنَّـهُ لَـدِيغُ أفَـاعٍ أو تَـرنُّحُ شَـارِبِ[1]
ولله ألطـافٌ لَـدَيّ خفيّـةٌ بـإدراك ثـاراتي وكَبْـتِ مُحَـارِبِي
وكـم غُمّـة مِـلء الجـوانح حَلَّهـا وأذهبهـا مِـن دُون صـرّة حالـبِ
أرى النّـاسَ أشـباهاً ويَفْـرُقُ بينهم تبـايُنهم فِـي عَـزمِهِمْ والمطالـبِ
رُوَيـدكُمَا لا بُـدّ مـن يـوم حـادثٍ على الضّـد يستَمْري شؤون النّـوَادِبِ

[قصيدة من الشيخ أحمد الضميمي من مذحج إلى الإمام (ع)]

ووصل هذا الشعر من الشيخ الفاضل أحمد بن عبد الأعلى الضميمي من بلاد مذحج:

متـى نُعِـلُّ نـواحي البُتَّـكِ الخُـذَمِ بـين الخميسـين واللبـات والقمَـمِ
متـى نُجردهـا كـالملح صـافية بيضـاً ونَغْمِـدُهَا مصـبوغةً بـدَمِ
متـى أرى أسـلاتِ العُـربِ مُشـرِفةً ممـا تسـيل عليهـا أنفسُ العَجَـمِ
فتسـتقي عِلَقَـاً مـن بعـدما صَـدِئَت دهـراً وتشـفِي غليـلَ المجـدِ والكـرَمِ
مـن كـل ركـس سـفيه الـرأي لـيس لـه فـي المجـد مـن قَـدَمٍ صِدْقٍ ولا قِـدَمِ
مـا بـال دهـري لقـد أنكـرت حالتـه أكـل أيامـه فـي الأشـهُرِ الحُـرُمِ
ما لـي أرى جمراتِ الحربِ لـيس لهـا في ظلمـة الخَطْبِ من ضوءٍ ولا ضَرَمِ
وقـد تَلَفَّـتُ فـي قـيس أُحَرِّضُـها قـومي ومـا كنـتُ فـي قَـيْسٍ بِمُـتَّهَمِ

(١) الترنح: تمزُّز الشراب.

وقمت بين ذرى عبس فما سمعت ... نصحي وقد أصبحت لحماً على وَضَمِ[1]

وقلت للغلب من ذهل وإخوتها ... عِلِّق مَقَال نَصيحٍ واعظٍ فَهِمِ

وقلت كم تشتكي سودُ المنون إلى ... أسيافكم ما بها من سَوْرَةِ القَرَمِ[2]

وقلت مرتجلاً بين الملوك بني ... أبي الكراديس أهل البأسِ والكرَمِ

إن الجياد إذا راحت مسلمة ... من فادحِ الكَلْمِ لم تَسلَمْ من الكَلَمِ

ثم انثنيت على رسلي أؤمُّ بني ... حرب فأقسم فيهم صادقَ القَسَمِ

لولا بنو ضيغم الساعي ووالدُه ... وقومه الضاربون الهام في البُهَمِ

ما بان للدين من رسم ولا انتصرت ... لمجدها العُربُ بالمشطوبة الخذِمِ

فقل لجنب ذرى قحطان قاطبةً ... وقل لِمَذْكَرَ والأحياء من جُشَمِ

إلى مَ لَبْثُ المواضي في مغامدها ... جبنًا وحتى مَ لَبْثُ الأُسدِ في الأَجَمِ[3]

نامت وعزمةُ مولانا ومالكِنا الـ ... ـمنصور بالله عبدِ الله لم يَنَمِ

أغرُّ أبيضُ من آل الرسول له ... مقامُ صدق من العلياءِ والكَرَمِ

مهذبُ الجَدِّ وضاحُ الجبينِ لهُ ... في هاشم شِيَمٌ ناهيك من شِيَمِ

تدبيرُ محتسبٍ في بطشِ مقتَدِرٍ ... وصفحُ مغتفِرٍ في أخذ منتَقِمِ

أعلى له ربُّه في الصالحات كما ... أعلى لآبائه في سالف الأُمَمِ

قومٌ هم حرمُ الله الأمينُ وفي ... أيديهم أمرُ أهلِ الحِلِّ والحَرَمِ

وحبُّهم عصمةُ الله التي جُعِلَتْ ... أمن العباد فكانت أوثقَ العِصَمِ

الطاهرونَ وأبنا الطاهرين هُمُ ... إذ لم يصيروا إلى عجْلٍ ولا صَنَمِ

هم الفواطم آل الله إن ذكروا ... من فارس مُعْلَمٍ أو عَالِمٍ عَلَمِ

هم الأئمة أهل الذكر إن سُئِلُوا ... فاستملِ ما شئتَ من عِلْمٍ ومن حِكَمِ

---

(١) تركهم لحماً على وضم: أوقعهم فذللهم وأوجعهم.

(٢) السورة: الشدة والحدة، والقرم: الشهوة إلى الشيء.

(٣) إلى مَ: أي إلى متى؟ وحتى متى؟. والأجم: جمع أجمة: وهي الشجر الكثير الملتف.

هــم الأئمــة أهــل الــذكر عنــدهم جــواب كــل ســؤال مــن هــلٍ ولــمِ
وكــان جبريــل طــاووس الملائكــة الأ بــرار أحنــى علــيهم مــن ذوي الــرَّحِمِ
فيــال قحطــان كــم يــدعوكم رجــلٌ بَــرٌّ رَحــيمٌ بِكُــمْ كَــمْ كَــمْ وَكَــمْ وَكَــمِ
مــاذا أجبــتم دعــاء الفــاطمي بــه فقــد صــغاه وَلَبَّــى كُــلُّ ذي صَــمَمِ
فقــد دعــاكم لمــا يحيــيكم أبــداً بــه ولــيس بأفَّــاكٍ ولا أَثِــمِ
وقــد أقــام قنــاةَ الــدين فاعتــدلت فــيكم ولــولاه لــم تعــلُ ولــم تَقُــمِ
وكــان قبــل جنــابُ الــدين مهتضَــماً والآن صــار عزيــزاً غيــرَ مهتضَــمِ
والآن أســفرَ وجــهُ الأرض وابتهجــت بنــوره الأرضُ بعــد الظُّلْــمِ والظُّلَــمِ

[قصيدة الإمام(ع) في ولده محمد وهو ببراقش]

وقال عليه السلام هذا الشعر وذكر فيه ولده محمداً أيام إقامته ببراقش في صفر من سنة سبع وتسعين وخمسمائة:

أرى العِلْــمَ بِــالآتِي بَعِيــداً مَنَالُــهُ علــى غَيــرِ رَبِّ العــزَّةِ المُتَعَــالِي
وفِكْــرُ الفتــى مســتغرقٌ لعيالِــهِ فهــل نَــافِعِي يــومَ الحســابِ عيَــالِي
فَياليــتَ شِــعرِي يَــا مُحَمَّــدُ مَــا الــذِي يَكُــونُ إذا نــادى الكمِــيُّ نَــزَالِ
وَصَــارَت صُــدُورُ الخيــل تَبكِــي بِــأدمُعٍ يُشَــبِّهُهَا الرَّائِــي فُــرُوعَ غَــزَالِ
وبَرْبَــرَ كَــبشُ القَــومِ دُونَ كُمَاتِــهِ وَطَاحَــت عَــوَالٍ مِــن قِــرَاعِ عــوَالي[1]
وثُلِّمَــت البِــيضُ الرِّقَــاقُ وأجفــلَ الــرَّ عَــاعُ وصِــرْنَ الســابِقَاتُ تــوَالِي
أَتقصِــفُ صَــدرَ الــرُّمحِ غيــرَ مُكَــذَّبٍ وتقضــبُ حَــدَّ الســيفِ غيــر مُبَــالِي
وتَلقَــى الكمــيَّ ضَــاحكاً مُتَبَسِّــماً كَأنَّــكَ تَلقَــاهُ لِغيــرِ قِتَــالِ

---
(١) هذا البيت زيادة من الديوان.

وَتَحمِـي علـى أَعقَـابِ خَيلِـكِ بِالقَنَـا يَسُـومُكَ فِـي هَـذَا إليـكَ وَذَا لِـي
وَهَـل تَلقَـيَنَّ الرَّكـبَ والليـلُ مُظلِـمٌ ببِشـرٍ ورَحـبٍ والبيـوتُ خَـوَالِي
فَتغمُـرُهُم بِـرّاً وَتُوسِـعُهُم قِـرىً وتُـرخِصُ أشـياءً وَهُـنَّ غـوَالِي
وهـل تَسـمعُ العـورَا فتُطـرِقُ عِفَّـةً كأنَّـكَ مَغلـوبٌ وَكعبُـكَ عَـالِي[1]
وَهَـل تَعـرِفَنْ للجَـارِ حَـقَّ جِوارِهِ تُبَـارِي عليـه جاهـداً وتُـوَالِي
وَتَغفـرُ للمـولَى إذَا زَلَّ زَلَّـةً وكَـانَ لِعصـيَانِ المُهـيمِنِ قَـالِي
وَهـل تَـدفعَنَّ الخصـمَ مِنـكَ بِحُجَّـةٍ مُبَيَّنَـةٍ غَـرَاءَ ذَاتِ كمَـالِ
وَتَجثُـو لَهُـم حَتَّـى كَأنَّـكَ ضَـيغَمٌ جَثَـى لِسِـخَالٍ أو لأمِّ سِـخَالِ[2]
لِيعـرِفَ فِيـكَ العـارِفُونَ خَلائِقِـي ومِـن جَـدَلٍ ذَاقُـوهُ مِثـلَ جِـدَالِي
وَهَـل تُصـبِحَن لِلصَّـالِحِينَ مَثَابَـةً فَيغلُـوَ مـنهم فِـي وِدَادِكَ غَـالِي
وَتَحمِـي علـى أطـرَافِهِم وتَحُـوطُهُم لِأنَّـكَ وَالٍ أو خليفَـةُ وَالِ
وَهـل تَقـدُمَنَّ الخيـلَ وهـي مُغِيـرَةٌ وَتعقَبُهَـا مُسـتَهدِفاً لِنِصَـالِي
وَتُـدنِي خَمِيسَـاً مـن خَمِـيسٍ لِمُبْـرِكٍ علـى المـوت لَا تَهـوَاهُ ذَاتُ عِقَـالِ
وَهَـل تَقصُـدُ البيـتَ العتيـقَ بِضُـمَّرٍ عِجَـافٍ كأمثَـالِ القِسِـيِّ عِجَـالِ
فتغشَـاكَ أفـواجُ الحَجِـيجِ جَمِـيعُهُم لِـرَدِّ سُـؤالٍ أو لِقَـبضِ نَـوَالِ
فَـإن يَـكُ ظَنِّـي صَـادِقِي وهُـو صَـادِقِي حَـذَوتَ إلَـى طُـرقِ الرَّشَـادِ مِثَـالِي

---

[1] هذا البيت زيادة من الديوان، والعوراء: كناية عن الكلام الفاحش البذئ.

[2] السخال: ولد الشاة.

[قصيدة للإمام (ع) وهو ببراقش]

وله عليه السلام ببراقش [بعد غيبته عنها] [١] لثلاث خلون من شهر ربيع الأول سنة سبع وتسعين وخمسمائة:

هَـل تعـرِفُ الـدَّارَ بِشَـطِّ الـوَادِي	بَـينَ الغُبَيـبِ والنَّقَـا المُنْقَـادِ [٢]
لِحَيـرِ حَـيٍّ حَاضِـرٍ وبَـادِي	مِـن حَـيٍّ هَمـدَانَ ومِـن مُـرَادِ
دَارُ الضِّـبَاءِ العُفْـرِ والآسَـادِ	خضـابُ ذي عَبِيرُهَـا والجَـادِي [٣]
وَهَـذِهِ مِـن عَلَـقِ الأكبَـادِ	خِضَـابُهَا أَحمـرُ كَالفُرْصَـادِ [٤]
والهَجمَـاتُ الحُمـرِ كـالأطوَادِ	خِضَـابُهَا الخِطْـرُ علـى الُّلبَـادِ [٥]
فَيَالَـهُ مـن مَنـزِلٍ ونـادِي	مُجْتَمَـعٍ لِهَـذِهِ الأضـدَادِ
فِيهَـا جِيـادٌ رَاكِبُـوا جيَـادِ	مَنسُـوبَةٌ الآبَـاءِ والأجـدَادِ
إلَـى بَكِيـلٍ وإلَـى الـزَّوَادِ	ومِـن غِفَـارٍ وبَنِـي كُـدَادِ [٦]
عَهـدِي بِهَـا جِيـدَت مـن العِهَـادِ	والـدَّهرُ سـكرَانُ مـن الرُّقَـادِ [٧]

[١] ما بين القوسين زيادة مجموع الرسائل والأشعار.

[٢] الغبيب كزبير: موضع بالمدينة وناحية باليمامة. والنقا: موضع بين أحد والمدينة.

[٣] الأَعْفَرُ من الظِّباءِ: ما يَعْلو بياضَهُ حُمْرَةٌ، أو الذي في سَراتِه حُمْرَةٌ وأَقْرابهُ بيضٌ، أو الأبيضُ ليسَ بالشديد البَياضِ، وهي عَفْراءُ. والعبير: الزعفران، أو أخلاط الطيب. والجادي: الزعفران.

[٤] الفرصاد: هو التوت، أو حمله، أو أحمره، وصبغ أحمر.

[٥] الهَجْمَةُ من الإِبِلِ: أَوَّلُها أربَعونَ إلى ما زادَتْ، أو ما بين السَّبْعِينَ إلى المِئَةِ، أو إلى دُوَيْنِها. والخِطْر -بالكسر-: نبات يخضب به، أو الوسمة.

[٦] الزواد: من حاشد. وكداد: بلد من آل عمار في بلاد صعدة.

[٧] العهاد: أول مطر الوسمي، أو المطر بعد المطر يدرك آخره بلل أوله.

لَـم يَهـدِهَا إلَـى ذُرَاهَـا هَـادِي تَلْقَـى بِهَـا أُمُّ الطَّلـي الشَّـادِي[1]

والأُسـدُ تَفـدِي الأسـدَ أو تُفَـادِي مـأوَى الطَّرِيـدِ والعَـدِيمِ الـزَّادِ

فِـي الأَزْمِ المُنْكَـرةِ الشِّـدَادِ فغَيَّرتْهَـا نُـوَبُ الآبَـادِ[2]

وربَّـدَتْهَا أيَّمَـا ارْبِـدَادِ بَكَـت عَلَيهَـا أدْمُـعُ الفـؤَادِ[3]

والأربَـعُ الهُـوجُ حَـدَاهَا الحَـادِي فَبَـدَّلتها المُـوْرُ بـالأبرَادِ[4]

والرُّبْـدُ مـن جَـآذرِ النِّجَـادِ وألبسـتهَا لُبسَـةَ الحِـدَادِ[5]

مِـن غَيـرِ مِـيلَاهٍ ولا سَـوَادِ فَـأنكَرت رُسُـومَهَا جَـوَادِي[6]

مَـع كَثـرَةِ التَّطـوَافِ والتَّـردَادِ وكـل حـيٍ فَـإِلَى نَفَـادِ

فَـانظُر إلَـى المَبـدَأ والمَعَـادِ وبَـادِرِ المَـوتَ بِخَيـرِ زَادِ

تَقَـوى الإلَـهِ رَاحِـمِ العِبَـادِ واصبِر عَلَـى المِصَـاعِ والجِـلَادِ

والطَّعـنِ فِـي اللَّبَّـاتِ والفُـؤَادِ والضَّـربِ فِـي الهَامَـاتِ والهَـوَادِي

وعَـادِ كُـلَّ ظَـالِمٍ وعَـادِي ونَـادِ فِـي رَيعَانِهَـا ورَادِ

ولا تَقُـل حِيـدِى بِهَـا حِيَـادِي فَـالفوزُ لا يُـدرَكُ بالرُّقَـادِ[7]

---

[1] الطلا: الولد من ذوات الظلف، والجمع أطلاء. والشادي: المغني.

[2] الآباد جمع أبد: وهو الدهر.

[3] الرُّبدة بالضم: الغبرة، أو لون إلى الغبرة، وقيل: لون بين السواد والغبرة.

[4] الهوج جمع هوجاء: وهي الريح الشديدة التي تقتلع البيوت. والأربع: أي الرياح الأربع وهي الصبا والشمال والقَبول والدبور. والمور: الغبار بالريح، وهو الغبار المتردد. والأبراد جمع البرد بالتحريك: وهو حب الغمام معروف.

[5] الربدة: لون إلى الغبرة. والجآذر: ولد البقر.

[6] الميلاه بالكسر: الريح الشديدة.

[7] حيدي حياد: كلمة يقولها الهارب كانه يسال الحرب إن تتحنى عنه من الحيدان وهو الميل والانحراف عن الشيء. وحيادِ مبني على الكسر كمَا فِي قولهم فيحي فياح أي اتسعي.

فَهَـــذِهِ أوصِـــي بِهَـــا أولاَدِي إِذْ كَـــانَ أَوصَـــانِي بِهَـــا أجــدَادِي

[قصيدة للإمام جواباً على من استسهل فتح صنعاء]

وله عليه السلام وقد بلغه كلام من بعض جهال الشيعة أنه قال: وأي فخر له في فتح صنعاء إنما خرج منها العسكر ودخلها بغير قتال، فقال عليه السلام:

لِي هِمَّةٌ فِي العُلى أَرْبَتْ على الهِمَمِ فــإن تجشّــمْتُ مكرُوهــاً فــلا تَلُــمِ
إن بِــتّ فِــي دَعَــةٍ مِمَــا أُحَاوِلَــهُ فلــذّة العــيش عنــد الشّــاء والــنّعَمِ
مَــا لــي أرى النّــوم لا يَغشــى مَنَازلنــا كأنــه قــدحُ أيســار لــدى بَــرَمٍ[١]
أمســيت لا أشــتهي مــالاً ولا ولــداً ولا ضــجيعاً ســوى الصّمصَــامة الخَــذِمِ
فــإن تعلّلــت فِــي وقــتٍ بواحــدةٍ مِمَّــا هجــرت فَعَــن عَطــفٍ وعــن كَــرَمِ
مَـا لـي أرى العـرب عنـي اليـوم لاهيـةً حَتّـى لقـد عظمـت عنـدي يـدُ العجَـمِ
أجــاهلون قِيــامِي فِــي مصــالحهم وكيــف تُجهــلُ نــارٌ فِــي ذَرى عَلَــمِ[٢]
الخيــل تشــهد لــي فِــي كُــلّ مَلحمــةٍ بــأن فِعلــي فعــلُ الجــارحِ اللَّحِــمِ
أســوق مُهــرِي إلــى أعــدائهم قُــدُماً حَتّــى كــأني مطــرودٌ إلــى قَــدَمِ[٣]
مَــا حِيلَتِــي إنْ نــأت فُرســانُهُم رُعبــاً وقــد وتــدْتُ لميــدان الــردى قَــدَمي[٤]
وقائــلٍ قــال فِــي صــنعاء مَــا عظمــت منــك العنايــة فِــي بــأسٍ ومُعْتَــزَمِ
فقلــت يــا أيهــا المِسْــكِيْنُ لــو نَظَــرَتْ عينــاك مَــا عَايَنَــت عينــاي فِــي الحُلُــمِ
لشــبتَ أو مِــتَ أو أجهشــتَ مُنتحبــاً مِــن شِــدّة الخــوف لا مــن شــدَّة الألَــمِ

---

(١) البَرَم: محركة من لا يدخل مع القوم في الميسر.

(٢) الذرى: الرأس، والعلم: الجبل.

(٣) مطرود إلى قدم: أي السابق في الأمر، والرجل له مرتبة في الخير.

(٤) في الديوان: ما حيلتي إن نأت عني فوارسهم

أبْصَرتُ كالبحر إذ جاشت غواربُه مِن عارض الخيل لا مِن عارض الديمِ[(١)]
فقلت فِي الحال باب السِّجن دونكم ولم تعُقْنِي عوادي الخوف عن هِمَمِ
والفرضُ قمتُ به والأُسْدُ كالحة حولِي وأنيابُها مأثورة الخَذَمِ[(٢)]
وكم فتىً بعد مَا كَبّرتُ مُفتَتِحَاً مُغلّقِ السَمعَ عن قولي وعن كَلِمِي
وأنت تَعْرِكُ فِي أُذنيك مُجتهداً عَرْكَاً يؤدّيْ إلى مُسْتحكِم الصَّمَمِ
ولو مَسَحْت ثلاثاً كنت مفتَعِلاً فِعل النّبي أبينا سَيّد الأمَمِ
يا شيعة الحَقّ إني لا أُحاكمكُم إلا إلى حَكَمٍ ناهِيك مِن حَكَمِ
أبي النّبي وكيلي فِي خِصامِكمُ فويلُ مَن كاعَ عن فرضي وَلَمْ يَقُمِ[(٣)]
قوموا لجمعتكم واستنصحوا خَبَري فَإنها عِصمةٌ مِن أوثقِ العِصَمِ
فسوف أجلبها شُعثاً مسوَّمَةً ترش هَام كُماة القَوم باللَّجَمِ[(٤)]
يقودها فَاطميٌ من بني حَسَنٍ صلت الجبين يُجَلِّي حالك الظلمِ
ماضي العزيمة رحب الباع منبته من طينة المجد مِن زيتُونة الكرمِ
إن قالَ صَالَ وإن مُدَّت أنامِله نال الأعالِي مِن العَلياءِ عن أَمَمِ[(٥)]
بَرٌّ رَحِيْمٌ فإن حَلّتْ مغاضِبُهُ على أناس أعاد الحيَّ كالرِّمَمِ

فهذه الأشعار الثلاثة أنشأها عليه السلام ببراقش مع تفسير العشرين الحديث الآخرة النبوية السيلقية، مع الأشغال الكثيرة.

---

(١) جاش البحر: أظلم وأشرف عليك، والغوارب: أعالي الموج، وعارضْ الديم: السحاب المعترض في الأفق، والديم جمع ديمة بالكسر وهو المطر يدوم في سكون بلا رعد ولا برق.

(٢) الأسد: المراد بهم الشجعان، والخذم: القطع، والمأثورة: التي بانت حدتها.

(٣) كعَّ يَكعُّ ويَكُع بالضم قليل كعوعاً: حين وضعف، فهو كَعٌّ وكاع وكُعْكُع بالضم.

(٤) اللجم: الموت، يقال ذهبت به اللجم: أي المنية.

(٥) الأمم محركة: القرب أو اليسير.

[وصول الشرفاء القاسميين إلى صعدة وكتاب الإمام معهم إلى أهل الظاهر]

ووصل الشرفاء القاسميون محمد بن إبراهيم، ويحيى بن علي، وعلي بن محمد لإظهار طاعة الإمام، والتبري من الأمير جعفر بن القاسم، وكان الإمام قد عزله من الولاية ببلاد بني عبيد وبلاد ظليمة وبلاد حجور، فكاتب شهاباً وتقدم إليه وطلب منه زيادة مائة فارس، وضمن له أنه يأخذ بها البلاد إلى صعدة، فسخر به واستقل رأيه، وأقام عنده مدة، واحتال في الخلاص بعد ذلك، حتى خلص بنفسه وأصحابه.

وقد كان وقع في الظاهر أراجيف من المفسدين لما تقدم إلى صنعاء، فكتب الإمام عليه السلام إليهم مع الشرفاء في آخر كتاب:

فانظروا لأنفسكم نظراً يخلصكم عند الله وعندنا، ولا تكونوا من الذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون، وكونوا من الذين قال الله فيهم: {**رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**}[الأعراف/٢٥٠]، وإياكم ثم إياكم أن تغروا أنفسكم في شيء من خيانة ربكم، ولا تسرقوا شيئاً من دينكم، ولا تغشوا إمامكم، وانصحوا لله وله في سركم وإعلانكم، ولا تعدوا ما يخرج من أموالكم مغرماً، فتلحقوا بجفاة الأعراب، وعُدُّوه قربةً عند رب الأرباب، وثقوا بالله سبحانه رباً كافياً، وستراً واقياً، لمن أطاعه وانقطع إليه، {**وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ**}[هود/١١٣]، وتفكروا فيما أصبحتم فيه من تجديد شريعة محمد صلى الله عليه وآله، واعلموا أن ما نقص من الدنيا وزاد في الآخرة خير مما نقص في الآخرة وزاد في الدنيا، ولا تخاذلوا وتواكلوا، وانظروا إلى الله سبحانه بعين الطاعة ينظر إليكم بعين الرحمة، واخفضوا له جناح الذل والاستكانة

ينشر عليكم كنف الشفقة، وليكن همكم وذكركم ما بعد الموت فهو نهاية كل حي، ولا تكونوا من المفتونين بما لا يبقى، المغبونين في الدار الأخرى، جمع الله على الهدى شملكم، وأصلحكم لولاة أمركم، وأصلح ولاة أموركم لكم، والسلام عليكم.

وكانت إقامته عليه السلام ببراقش سبعة أشهر ويوماً، وفيها الخروج إلى بيحان ومأرب، والناس يفدون إليه من أقاصي البلاد وأدانيها، والأخبار من الجهات على اختلافها وتوجيه العسكر إلى بلاد العدو.

فأمر الأمير علي بن خطلة في الخيل التي معه إلى جبل (كنن)، وقدم فيهم الأمير سليمان بن حمزة السراجي ومن انضاف إليه من الشرفاء والعرب، قال الأمير المذكور: اجتمعت الخيل بكنن خمسين فارساً، ونهضوا من براقش حتى حطوا بوادي (رملك) من بلاد خولان، وهم من أعوان الظلم، فقصدوا (تَوْعَر[1]) وهي من أعظم قراهم، فقاتلوهم قتالاً شديداً، واستظهروا عليهم، وأخذوا بعد ذلك مخازن زبيب بِعَذِيقِه، ثم أتوا (الأحج) وفيه رتبة قوية للغز، فأتاهم رجل من الحصن فسألهم ذمة على خروجهم في الليل، فأذموا له وخرجوا، واستولى العسكر على المكان فأخربوه، وعادوا إلى شق جبل كنن فحطوا فيه، وبلغ الخبر إلى شهاب إلى صنعاء فجمع عسكراً كثيراً من الرجل، وكانت خيله قدر مائة وخمسين، وقصد المحطة والتقى العسكران بوادي (يكلي[2]) ووقع القتال الشديد، وكان الشرفاء في ذلك اليوم أشد صبراً، وعاد شهاب فحط في (قرن عان)، وأصيب من عسكره قدر مائة مصاب.

---

[1] تَوعر: واد في اليمانية العليا من خولان صنعاء، فيه بني عبيلة وبني شديق.

[2] يِكْلي- بكسر الياء-: سائلة في الجهة الشرقية من مدينة رداع تصب في مأرب.

قال الشريف الأمير المذكور: فلما كان من الغد وصل النغش من رداع[١]، وقيماز من ذمار في خيل، فاجتمعت خيلهم قدر ثلاثمائة فنهضوا، وقد بلغهم الخبر أن السلطان هلدري أغار في الرحبة والبون فاشتغلت خواطرهم، وتوجهوا إلى صنعاء، وتقدم عسكر الإمام فأيدهم راشد بن مظفر بن الهرش السنحاني إلى جهران، فأخذوا قرية (تَفاضُل[٢])، وتغنموا ما فيها وقتلوا رجلاً، وعادوا إلى جبل كنن، وأقبلت بلاد سنحان بعد مراح شهاب بالطاعة والامتثال وقادوا إلى السرين[٣] فقتل من أهله رجل، ثم أغارت الخيل بعد ذلك إلى أسفل (آل عابس[٤]) فأخذت قدر ألف رأس من الغنم.

ثم استدعاهم سليمان بن علي بن فعيل الحذيفي للغارة إلى (العَمِد[٥])، وأمر إلى الأمير المنتصر بالله العفيف محمد بن المفضل وضربوا ملقى جامعاً، وأجمع رأي الكل على الغزاة، فصدروا فتغنموا أموالاً جليلة، وقتلوا قوماً من الغز، وراحوا بغنائم جليلة، وكان غرض المذكور إقامة العسكر عنده، ومتابعة الغور إلى تهامة فلم يساعدوه.

---

(١) رداع العرش: شرقي ذمار، مدينة مشهورة. والنغش وقيماز: من قادات الغز الأيوبيين.

(٢) تفاضل: قرية في أعلا قاع جهران، وما زالت قائمة إلى اليوم، وهي من المناطق الزراعية.

(٣) السرين: بلد عامرة من مخلاف سنحان، جنوب صعاء.

(٤) آل عابس: من سكان مديرية ماهلية بالجهة الجنوبية الغربية من حريب وأعمال ذمار، يعودون إلى قبيلة بني وهب من مراد.

(٥) العمد: قرية وجبل غربي سنحان، بالقرب من حزيز.

وتطلق أيضاً على: بلدة في ضواحي غربي مدينة ذمار.

[قصيدة الأمير العفيف إلى الإمام (ع)]

فكتب إلى الإمام عليه السلام يحقق له الأخبار، وما فتح الله من النصر ببركته واضطراب تهامة، وفي صدر كتابه شعر منه:

عليك سلام الله يا نجل حمزةٍ ... ويا ابن رسول الله يا ابن الأئمة
كتبت على بعد المزار ألوكةً ... تعبر عن فتح قريب ونصرةِ
أغرت وقد جمعت شملاً مشتتاً ... فما رحت إلا بعد شمل مشتتِ
أتت نحونا سنحانُ تطلب غارةً ... وقد أُمِّرت فيها علي بن خطلة
فسرت أمام القوم لله طاعة ... بفتيان صدق من قبيلي وإخواتي
فبانت لنا من أول الليل ليلة ... تخوض سهاماً مرة بعد مرة
فلما أتينا ساحة العمد التي ... بها يكفر الرحمن في كل خيمة
فكل له هم بأخذ غنيمة ... وضرب رؤوس المفسدين غنيمتي
فإن لم يقولوا إنني بابن حمزة ... أمدُّ يميني في رضاك فشُلَّتِ
وقد طالعتني في رضاك تهامة ... وكاتبني في الصلح أشياخ ريمة
ولكنما خيل الإمام وجنده ... أفادت فليلاً من طميع وولتِ
ولو صبرت نالت غنائم جمة ... تضيق بها الآفاق من كل وجهة
فإن يرسم المولى وصولي وصلته ... لخيل وأوري غزوة بعد غزوة
ففي طاعة الله الكريم وطاعة الـ ... إمام أُصالي كل جهد بمهجتي

[وفد من يعوض يطلبون من الإمام الدعاء لهم في مرض أهلكهم]

ووصل قوم من (يعوض) من راحة بني شريف[١] **في شهر ربيع الآخر من سنة سبع وتسعين.**

وحكوا مرضاً أصاب الناس في بلاد (عنز)، وكانوا قطعوا السبيل، ومنعوا الحاج من السلوك، فأتى عليهم وأخلى بلادهم، وتعطلت قرى من أهلها، وكان يصيب الإنسان في أربيته فيموت من ساعته، وحكى رجل منهم أن رجلاً أصابه هذا المرض فأيقن، وأمر أخاه يحفر له قبراً وهو حاضر فقال له: ضيقت القبر، وفي الحال أصاب الذي يحفر الوجع فمات فقبر في القبر، ومات الذي أمر بحفره بعده.

وحكوا أن رجلاً من مشايخ اللقاح[٢] يقال له حسين بن مفلح أمر أولاده، وهم ثلاثة على الخيل، بالهرب إلى جهة البدو، فوقفوا عندهم إلى اليوم الثاني، فشكى أحدهم الوجع وشكاه الآخران، وعادوا يريدون بلدهم فماتوا، وغدت خيلهم لا سائق لها، وسألوا الإمام الدعاء لهم إلى الله في سقيا بلادهم، ورفع هذه الناجمة عنهم، فكتب لهم في رقعة:

---

[١] واد في بلاد جنب.

[٢] لعلها لقاح: من قرى قيفة آل مهدي من رداع، من أعمال البيضاء.

[رسالة فيها دعاء الاستسقاء]

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل على محمد وآله، وانظر إلى كل أرض وصلها كتابنا هذا بعين رحمتك، وأسبغ عليهم فضول نعمتك، واسقهم سقياً هنية مرية، تنشر بها النبات، وتجمع بها الشتات، وترد بها ما فات، وتحيي بها ما مات، بحقك يا رب البرية، وغافر الخطية، ولا تؤاخذهم إلى سيء أعمالهم، وقبيح أفعالهم، فإنك ستار العيوب، وغفار الذنوب، بذلك استحققت الإلهية، واستوجبت عظمة الملوكية، فيا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام لا تخيب رجاءنا، ولا رجاء عبادك فيك، وعد بالعفو علينا جميعاً، واصرف عن كل بلاد وصلها كتابنا هذا شر هذه البلية الناجمة، والمصيبة الهاجمة، التي أنزلتها بمحلي ما حرمت، ومصغري ما عظمت، وإن تاب أولئك فتب عليهم، وقد وعدت ووعدك الحق قبول توبة التائبين.

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على محمد وآله وسلم.

[ملحق]

[تعزية الإمام عليه السلام في الشيخ عزان بن سعد]

وأنشأ عليه السلام هذا الشعر تعزية إلى الشيخ سعد بن عزان، وكافة بني حبيش، في الشيخ عزان بن سعد رحمه الله رحمة واسعة، وغفر له مغفرة جامعة وهو بصعدة:

وافَى فَفَتَّتَ أكبَاداً وأعضَادَا ... وأَنزَلَ الموتَ بالحَوبَاءِ أوكَادَا[١]
جاءَتْ بِهَا الناسُ أفواجاً فكُنتُ لَه ... لولا مَخَافَةُ رَدِّ الحقِّ رَدَّادَا
يَا يومَ عِزَّانَ كَمْ أشجَيتَ أودَاداً ... نَعَمْ وأضحكتَ حُسَّاداً وأضدَادَا
وكُلُّ حَيٍّ فإنَّ الموتَ غَايتُهُ ... إلَّا الذي جعلَ الأجبَالَ أوتَادَا
عَدْلٌ مِن اللهِ لا جَورٌ ولا غَلَطٌ ... فلا تَقُلْ نَقَّصَ الأعمارَ أو زَادَا
يا جاهِلاً بِمَقَالِ الحقِّ سَلْ رَجُلاً ... من آلِ أحْمَدَ للأديانِ نَقَّادَا
لَمَّا رأى اللهُ عزَّانَاً أقَامَ لَهُ ... عَمودَ دَينٍ وقِدْماً كان مُناَدَا[٢]
أصفاهُ دارَ نعيمٍ لَا زَوَالَ لَهُ ... وهل يُجاوِدُ رَبَّ العرش من جَادَا
مات الحنيفيُّ فِي أبْهَى عبادتِهِ ... ومن تَنَصَّرَ فِي الدنيا ومن هَادَا
ولم يكن موتُ عِزَّانٍ به عَجَبٌ ... قد مات أحمدُ أزكى الناس مِيلَادَا
يُمَحِّصُ اللهُ أهلَ الحقِّ إن صبرُوا ... ويَمحقُ الكافِرَ الجبَّارَ إن عَادَا
أملَى لفرعَونَ فِي دَعْوَى ضَلَالَتِهِ ... حَتَى طَغَى في ادِّعَاءِ الكفرِ وازدَادَا
وكان نُمرُودُ جَبَّاراً فأمهَلَهُ ... وكان يعبُدُ دون اللهِ أندَادَا
وجاهِلٌ مَنْ يَرَى الدُّنيا لَهُ وَطَناً ... أليسَ نوحٌ نَبِيُّ اللهِ قَدْ بَادَا

---

(١) الحوباء: النفس.

(٢) أي كثير العطاء.

وخيــرُ هــذا الــوَرَى مَــنْ كــانَ مُمتطِيــاً خوفــاً ومَــن جعَــلَ التقــوَى لَــهُ زَادَا

إنَّــا نَــرَى مَــا كَفَانَــا بَعضُــه عِبَــراً فَلَــمْ نُوَصِّــلْ للأخبَــارِ إسْــنَادَا

بينَــا تَــرَى المَــرْءَ فِــي الأَحيــاءِ مُغتَبِطَــاً يَضُــمُّ للــرَّوعِ أتبَاعَــاً وأجنَــادَا

إذْ قِيــلَ مــاتَ فلــم ينفعْــهُ عســكرُهُ ولا حَمَــاهُ مَشِــيدٌ كَــانَ قَــدْ شَــادَا

يَــرُومُ أَمْــراً وأمــرُ اللهِ يُعجلُــهُ ويُحْكِــمُ الــرأيَ إصــدَاراً وإيــرَادَا

وقــد تَنَحَّــلَ حَــدَّاداً ليمنعَــهُ فكــانَ عــزرالُ للحــدَّادِ حَــدَّادَا[1]

يــا أيُّهَــا الْمُلْــكُ أيــنَ المَــالِكُون مِــن الــــماضينَ أمْ أيــنَ مَــنْ ذَا جَــادَ مَــن صَــادَا

أركُــضْ جــوادَكَ عنهــا طالِبَــاً وَزَراً فلــم أزْغَــكَ عــن الــدُّنيا لتَــرْدَادَا[2]

عرفْتُهــا والــذي أرســى قواعِــدَهَا رَقشَــاءَ تنفــثُ سُــمَّاً يَــنقُصُ الآدَا

نُحِبُّهَــا وهــي تُقْرِينَــا نَوَائِبَهَــا سُــوداً وحُمــراً وأزواجَــاً وأفــرَادَا

سَــحَّارَةٌ هــي يــا صــحبي فأُرْقِيهــا بالحمــدِ أرجــو مــن الــرحمنِ أحمَــادَا

لا والــذي أنــا عبــدٌ مــن بَرِيَّتِــهِ مُعَبَّــدٌ زَادَهُ التَّعبِيــدُ إعبَــادَا

لــولا الجهــادُ وفضــلُ القــائمينَ بــهِ وقمــعُ مَــنْ يبتغــي فــي الــدِّينِ إلحَــادَا

وقَــودِيَ الخيــلَ تُــردِي فِــي أعِنَّتِهَــا بالمشــرفِيَّةِ لا يُكسَــينَ أَغمَــادَا

وكُــلُّ ســابِغَةٍ جَــذلاءَ مُحكَمَــةٍ لَــم تَبْــغِ مُــذْ فَارَقَــتْ دَاودَ زَرَّادَا

وَشَــدَّةٌ ورمــاحُ الخَــطِّ قــد جَعَلَــت بــين الخميســين للأطيــارِ أعيَــادَا

والبِــيضُ تُنثَــرُ والأرمــاحُ تنــتَظِمُ الــــفُرسانَ تــزأرُ أشــبالاً وآسَــادَا

لَكُنــتُ فــي قعــرِ بيــتٍ لَا أُزَايِلُــهُ حِلْسَــاً لَــه الــدَّهر رَكَّاعَــاً وسَــجَّادَا[3]

---

[1] تنحل: إدعى، وفي لفظة الحداد جناس: فالأولى بمعنى البواب أو السجان. والثاني بمعنى: الدفع والمنع. وعزرال أي عزرائيل: ملك الموت.

[2] أزعك: أي أزجرك.

[3] جواب لولا الجهاد.

وكيــف لِــي بوصَــاةٍ مــن وُلاَةِ هُــدَى أَعُــدُّهُم لِــيَ آبــاءً وأجــدَادَا
سَــنُّوا لَنَـا سَـلَّ هـذا السـيفَ لَـو ذَهَبـتْ مِنَّــا النفُــوسُ جَمَاعَــاتٍ وآحــادَا
رضــيتُ بــالله رَبّــاً عَــادِلاً حَكَمَــاً ولــو رزَانِــيَ أمــوَالاً وأولادَا
عارِيَّــةٌ منــهُ إنْ يُمتِــعْ بِهَــا فَلَــهُ حَمــدٌ وإن يرتَجِــع كافَــأتُ أســعَادَا
مــا كــان عِــزَّانُ إلا النــارُ مُضــرَمَةٌ مَنَــى لَهَــا اللهُ بعــد اللَّفــحِ إخْمَــادَا[1]
وكــان ظِــلاًّ لأهــلِ الــدينِ حيــثُ أَوَوا مُهَنَّــأً لَــم يَكُــن صِــرّاً وصُــرَّادَا[2]
وضَــيغَمَاً كــان لا يُنمِــي فَريسَــتَهُ جَهمَــاً يَصــيرُ لَــه الرّتَيــالُ صُــدَّادَا[3]
فــإن ثَــوَى فلنــا مــن بعــده خَلــفٌ وخيــرُ مــا اسـتخلفَ الأشـبالُ آسـادَا
ســعدٌ وأســرَتُه القــافونَ منهَجَــهُ ســادُوا وســادَ فتــى مــن نَــارِهم سَــادَا
ونَجــلُ منصــورٍ الــوافِي ببيعتِــهِ ولــو ترعــزت الأحــدَاثُ مــا انــآدَا[4]
أمــا ســعيدٌ فلــي ظَــنٌّ أؤمِّلُــهُ فيــه ورُبَّــتَ ظَــنٍّ قِيــدَ فانقَــادَا
وكُــلُّ آل حُبَــيشٍ مَعشَــرٌ أُنُــفٌ قــومٌ غَــدَوا لإمــامِ الحــقِّ أعضَــادَا[5]
ومِــنْ رَبِيعَــةَ آســادٌ إذا غَضِــبُوا يومَــاً نَفَــوا عــن شؤون الأصـيدِ الصَّـادَا[6]

---

[1] منى: أي قدر.

[2] الصر والصراد: البرد.

[3] أنمى الصيد: رماه فأصابه، ثم ذهب عنه فمات. والجهم: الوجه الغليظ المجتمع. والرتيال جمع رتيلاء ورتيل: من الهوام، وهو أنواع شبه الذباب، منها ما هي سوداء رقطاء، ومنها ما هي صفراء زغباء، ولسع جميعها مؤلم مورم، والصُدَّاد كرمان: طير ضعيف.

[4] أي ما مال وما عدل.

[5] حبيش: مديرية في الشمال الغربي من إب بمسافة ٤٢كم تقريباً، وآل حبيش نسبوا إليها لسكنهم بها، وهم من مذحج.

[6] الصاد: أي اللوم والعار.

ومـــن زُبَيـــدٍ مســـاعِيرٌ إذا عزمُـــوا ... علـــى الهُمَـــامِ وإن رَامَ اللِّقَـــا حَـــادَا[1]

يـــا آلَ مـــذحِجٍ جَمْعَـــاً لَا أخُـــصُّ بِهَـــا ... كُونُـــوا علـــى الحَـــقِّ للـــرَّحمَنِ أشـــهادَا

فأرشِـــدُوا النَّـــاسَ إذ صِـــرتُم لَنَـــا تَبَعَـــاً ... فـــاللهُ يُرشِـــدُ هَـــادِي الحـــقِّ إرشَـــادَا

[قصيدة الإمام عليه السلام إلى الأمير صفي الدين محمد بن إبراهيم]

وكتب عليه السلام إلى الأمير الأجل صفي الدين محمد بن إبراهيم:

يَـــا سَـــيفَ دَولَـــةِ هَاشِـــمٍ ... يَـــومَ الـــوَغَى وأخَـــا المكَـــارِمْ

والطَّـــاعِنُ الـــنَّجلاءِ فِـــي ... رَهَـــجِ الـــوَغَى والنَّقـــعُ قَـــائِمْ

وَالجُـــردُ تَركَـــعُ لِلقَنَـــا ... والهَـــامُ تَســـجُدُ للصَّـــوارِمْ

والنَّـــاسُ فِـــي مَيـــدَانِهَا ... مَـــا بَـــينَ مَهـــزُومٍ وهَـــازِمْ

هَـــذَا يُصَـــبَّرُ فِـــي المَكَـــرِّ ... وَذَا خَليـــعُ القَلـــبِ هَـــائِمْ

فِـــي المُعضِـــلَاتِ رَأيـــتُ مِنـــ ... ـــنك بَسَـــالَةَ اللَّيـــثِ المُصَـــارِمْ

ذَكَّرْتَنَـــا آبَـــاءَكَ الـــ ... ـــغـــرَّ الجَحاجِحَـــةَ الخَضَـــارِمْ

أَهـــلَ العَسَـــاكِرِ والمَنَـــا ... بِـــرِ وَالمَشَـــاعِرِ والعَمَـــائِمْ

قَـــومٌ لِـــوَاؤُهُمُ المَقَـــا ... مُ مِـــنَ الفِـــرَارِ أَجَـــلُّ عَاصِـــمْ

وَإِذَا تَنَاطَحَـــتِ الجِيَـــا ... دُ ضُـــحَىً وَبَربَـــرَتِ الضَّـــرَاغِمْ[2]

سَـــلُّوا رَقِيقَـــاتِ الغُـــرُو ... بِ فَأَرْتَعُوهَـــا فِـــي الجمَـــاجِمْ

لَـــيسَ المُجَـــاوِرُ يَـــا مُحَمَّـــ ... ـــد فَـــاعلَمَنْ مِثـــلَ المقَاسِـــمْ

---

[1] زُبيد: قبيلة من بلاد عنس غربي مدينة ذمار، تنحدر من قبائل مذحج. والهمام كغراب: الملك العظيم الهمة، والسيد الشجاع السخي.

[2] البربرة: كثرة الأصوات.

صَـــبراً فَخيــــرُ النَّـــاسِ أَصـــــ ،ـــبَرُهُم عَلَـــى حَمـــلِ العَظَـــائِمْ
هَـــــذَا كِتَـــــابِي شَـــــاكِراً لَـــكَ شَـــاكِياً مِـــن فِعـــلِ قَاسِـــمْ
قُلنَـــــا عَلَيـــــكَ عَـــــدُوَّنَا فَعَنَـــــى بِـــــذَلكَ آلَ حَـــــاتِمْ
قَومَـــــاً هُـــــمُ مِنَّـــــا بِمَنـــــ ـــزِلَةِ الأُكُـــفِّ مـــن البَـــرَاجِمْ[1]
نَصَـــــرُوا بِثَافِـــــتَ أَحمَـــــدَاً وبِصَـــــعدَةٍ فِعـــــلَ الأَكَـــــارِمْ[2]
وبِكوكبَـــــــانَ وغَيـــــــرِهِ لزمـــــوا بأحكـــــام اللـــــوازِمْ
واخصُـــــص سَـــــلِيلَ مُحَمَّـــــدٍ رَحـــبَ القَنَـــا لَيـــثَ المَلاَحِـــمْ
جلَّـــــى بِمَيـــــدَانِ السِّـــــبَا قِ إِلَـــى العُلَـــى والكُـــلُّ عَـــالِمْ
فَـــــانظُر إليـــــهِ بِنظـــــرَةٍ تَشْـــفِي بِهَـــا قَلـــبَ المُسَـــالِمْ
لَـــيسَ الفِـــرَاخُ مـــن النُّسُـــو رِ يَطيـــرُ تَطْيَـــارَ القَعَاشِـــمْ][3]

---

[1] البُرْجُمَةُ، بالضم: المَفْصِلُ الظاهِرُ أو الباطِنُ من الأَصابعِ، والإِصْبَعُ الوُسْطَى من كلِّ طائرٍ جمعها بَرَاجِمُ، أو هي مَفاصلُ الأَصابعِ كُلِّهَا، أو ظُهورُ القَصَبِ من الأَصابعِ، أو رؤوسُ السُّلامَيَاتِ إذا قَبَضْتَ كفَّكَ، نَشَزَتْ وارْتَفَعَتْ.

[2] ثافت ويقال أثافت: بلدة قديمة خاربة في دماج بني قيس من بني صريم من حاشد بمديرية خمر من ناحية عمران، وكانت تسمى في الجاهلية درنا. والمراد بأحمد: هو الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان عليه السلام، وأشار الإمام فيه إلى موقف علي بن حاتم اليامي مع الإمام أحمد بن سليمان لما أخذه فليتة بن القاسم وأسره وسجنه في أثافت، وكان الإمام قد عمي، وقد اتخذ آل حاتم موقفاً إيجابياً سليماً في نصرة الإمام أحمد بن سليمان عليه السلام، وتفصيل ذلك موجود في آخر سيرة الإمام أحمد بن سليمان عليه السلام ص(٣٠٦وما بعدها).

[3] القشعم: المسن من النسور، وقيل: الضخم المسن من كل شيء.
ما بعد القوس فهو من النسخة الأصلية للسيرة، ليس من الملحق.

فتح مأرب وبيحان
وما تعقبهما من الأحداث
الكبار

قصة مأرب وبيحان وما يتبع ذلك

كان الإمام عليه السلام قد قدم إليهم كتباً يدعوهم إلى الطاعة، ويأمرهم بالوصول، فوصل منهم جماعة، إلى براقش في شهر المحرم لسبع عشرة ليلة خلت منه، وأظهروا الطاعة والامتثال، فأمر إليهم الشريف الأمير علي بن موسى العباسي لقبض الحقوق من الزكوات وأخماس الملح وجزية اليهود وغير ذلك، وأمر الشريف الفضل بن علي بعده بإقامة الجمعة، والأذان بحي على خير العمل، فامتنعوا من ذلك، وعظم عليهم فقيهٌ كان عندهم الأمرَ فيه مع جهلهم وقلة معرفتهم، فلم يساعدوا إلى ذلك وطلبوا المسامحة فيه، فلم يجدوا عند الإمام عليه السلام إلا شدة وغلظة في الأذان، ولم يقبل منهم دونه شيئاً.

[كتب الإمام (ع) إلى أهل مأرب بالأذان بحي على خير العمل]

وكتب إليهم كتاباً فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد، فإنه بلغنا أن أموركم على غير نظام، وأنكم ماضون على الخطبة لبني العباس، ولا تجوز الإمامة والخطبة إلا لمن قام مقام رسول الله – صلى الله عليه وآله– في الدعاء إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتطهيرِ نفسه وأجناده من الفساد والمعصية، وأنتم من أمركم في الغالب على غرور، وقد شاهدتم أفعالنا وما نحن عليه أولاً وآخرًا.

وبعد: فنحن عترة رسول الله –صلى الله عليه وآله– وخزان علم الله وورثة كتابه، وكذلك أذاننا هو أذان رسول الله – صلى الله عليه وآله– وأذان أبي بكر بعده،

وأذان عمر صدراً من ولايته، وهو رواية عبد الله بن عمر، وهو أذان علي، وعليه أجمعت العترة الطاهرة عليهم السلام، وقد أمرنا إليكم بهذا الكتاب؛ فإن كنتم على ما بيننا وبينكم أمرتم المؤذن بالأذان بحي على خير العمل، وكان الخطيب من جهتنا، وحضرتم جمعتنا، فسيفان في غمدٍ إذن لا يصلحان، واعتقدوا بعد ذلك ما شئتم، ودعوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولنا الظاهر ولله الباطن، فانظروا لأنفسكم وكونوا على بصيرة من أمركم، ولا تفرطوا في أنفسكم، فإن {**اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ**}[الرعد/١١]، وبلغنا أنكم منعتم اليهود من الغيار والزنار ولم يوفوا الجزية وهي عليهم حتم من الله سبحانه، وتركتم رسوم الجاهلية، وأحكام الضلال باقية، وقدتم إلى بيحان معارضين على غير بصيرة، ولم تجيئوا بشيء يدل منكم على طاعة إلا طاعة اللسان، وذلك إيمان المرجئة وهو لا ينفع، وقد قال رسول الله – صلى الله عليه وآله– ((صنفان من أمتي لا تنالهما شفاعتي القدرية والمرجئة، لعنهما الله على لسان سبعين نبيًّا))، قيل: يا رسول الله، من القدرية؟ قال: ((الذين يعملون بالمعاصي ويقولون هي بقضاء من الله وقدر، الراد عليهم كالشاهر سيفه في سبيل الله))، قيل: فمن المرجية؟ قال: ((الذين يقولون: الإيمان قول بلا عمل)).

واعلموا أنا أولاد الرجل الصالح –صلى الله عليه وآله– الذي شرع هذه الشرائع وسن هذه السنن، وأوضح رسوم العدل، وطمس رسوم الجور؛ فنحن أعلم الناس بآثاره وسننه وطرائقه وعلومه، فلا تهلكوا أنفسكم بالجهالة والعمل على غير بصيرة، واعلموا أنا روينا عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: (أيها الناس، اعلموا أن العلم الذي أنزله الله على الأنبياء من قبلكم في عترةِ نبيكم، فأين يتاه

بكم عن أمر تنوسخ من أصلاب أصحاب السفينة، هؤلاء مثلها فيكم، وهم كالكهف لأصحاب الكهف، وهم باب السلم فادخلوا في السلم كافة، وهم باب حطة من دخله غفر له، خذوا عني عن خاتم المرسلين حجة من ذي حجة قالها في حجة الوداع: ((إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبدا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض))، فلا تصنعوا كما صنع الناس، فليس في الخطأ أسوة ولا ينفع الخاطئ كثرة المخطئين، ولا مع الحق وحشة، ولا تضر المحق قلة المحقين، واحمدوا الله الذي أوصلكم وقتاً تقتدون في دينكم بعترة نبيكم وتأخذون الحق من أهله، وتقتبسون النور من معدنه، وتنتسبون إلى العترة الطاهرة التي خلقت من طينة عليين، وربيت في حجور النبيين، ورضع فيها در الإسلام، وربيت في حجر الإيمان، ودرجت في منازل عمرها التنزيل، وخدمها جبريل، فأين تطلبون الهدى من غيرهم، فانظروا نظراً يخلصكم، والسلام على من اتبع الهدى.

فعاد جوابهم بالامتناع عن الخطبة والأذان وظهر منهم خلاف الأمر، ولم تكن طاعتهم إلا بالأقوال دون الأفعال؛ لأغراض لهم فيما بينهم وبين الأعراب الذين حولهم من جنب وبني صلاة وغيرهم؛ لأنهم كانوا يخافونهم فأرادوا الالتزام بحبل الإمام عليه السلام والتمسك باسم طاعته لدفع الشر عن أنفسهم، فلما ظهر امتناعهم، وقلة انقيادهم، وكراهتهم للحق وأهله ومخالفة أمر الإمام عليه السلام أمر واليه بالمراح منهم، وجدد إليهم كتاباً لإبلاغ المعذرة وإلزام الحجة، وأتى في كتاب من فقيههم اعتراضات يستبعد فيها أشياء من غير دليل ولا حجة؛ فكتب إليهم أجمع هذا الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى كافة من بلغه كتابنا هذا من سبأ بمارب، سلام عليكم، فإنا نحمد الله إليكم، وبعد ذلك، فقد جاءناكتاب منكم يدل على عمى بصيرة كاتبه، وخذلان صاحبه، فيه تعليم لمعلمه، ووعظ لواعظه.

أريها السهى وتريني القمر

ولعمري إن هدية الخير مقبولة، إذا كانت معقولة، غير أنه لو كانت له دربة في الدين أو أنس بالعلم لذكرنا له من الاحتجاج ما يوضح المنهاج، ويقوم الاعوجاج، ولكنكم وإياه شن وطبقة.

هذا السوار لمثل هذا المعصم

ونرجو أنه إن شاء الله أن يقع في أيدينا، ويرى الذين فزعوا إليه في طلب الإرشاد مبلغه من العلم.

يا أيها الجهال، للعلم أرباب، وللدين نصاب، أيعد من أهل العلم من يطلب على الصلاة والحكم أجراً، ويتخذ الدين شبكة غبرا، ويروم مع ذلك منازعة أهل العلم في علمهم.

اذهب فليس الدين قعباً من ولا سوى الجنة للدين ثمن

فأما ما ذكر من الشافعي – رضي الله عنه –: فأي نقض فيه أو طعن عليه، ولكنا نعد من فضائله محبته لنا معشر أهل بيت النبوة، ومعدن الوحي، ومختلف الملائكة، وهو مع ذلك أحد دعاة الإمام الصابر، والليث الخادر، يحي بن عبد الله، الواهب نفسه لله، ابن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، فلو كان هذا المنتسب إليه، المتبجح بالكون على طريقته يعتقد مذهبه على الحقيقة

لاقتفى أثره في محبتنا، ودعا إلى طاعتنا، ونابذ عنا، ولكنه من دعواه هذه على مثل ليلة الصَّدَر، ولا عين معه مما ادعاه ولا أثر، فأما افتخاره بالكثرة فجهله بكتاب الله عاذره، وإنما هو هدر به بلسانه ولا يعرف معناه بقلبه؛ لأنه لو عرف معناه لعلم أن الله سبحانه ذم في كتابه الكريم الأكثرين ومدح الأقلين، فقال لا شريك له: {**وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ**} [المؤمنون/٧٠]، وقال: {**وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ**} [الأعراف/١٠٢]، وقال: {**وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ**} [يوسف/١٠٣]، وأما مدحه للأقلين فبقوله: {**وَقَلِيلٌ مَا هُمْ**} [ص/٢٤]؛ وغالب الظن أنه لجهله يفسر هذه الآية: بأن الماء الذي يتطهر به قليل، ويقبل ذلك منه جنسه في المعرفة من العوام الذين جعلوه إماماً لهم وواسطة بينهم وبين ربهم، وتركوا عترة نبيهم وسفن نجاتهم، فالله المستعان، وقال سبحانه: {**وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ**} [هود/٤٠]، وقال تعالى: {**وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**} [سبأ/١٣]، وقال تعالى: {**وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ**} [النساء/٦٦]، فنحن القليل وأتباعنا من المسلمين؛ لأنا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومهبط الوحي، ومختلف الملائكة، ونحن أهل الذكر الذي أوجب الحكيم سبحانه سؤالنا، وأولوا الأمر الذين أمر تعالى بطاعتنا، ورد ما التبس من الأمر إلينا، وبنا يفتح ويختم، ونحن سفن النجاة، وقال جدنا -صلى الله عليه وآله-: ((أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها هلك)).

وهل تمت لكم أبداً صلاة إذا ما أنتم لم تذكرونا
وهل تجب الصلاة على كما تجب الصلاة على أبينا

فأين أنتم وارحمتا لكم من أنفسكم، ولأنفسكم منكم، خذوا مثالها وردوا هذا عذب فرات، واتركوا هذا ملح أجاج، ولا تكونوا سيقة كل سائق، وتباع كل ناعق، واستضيئوا بمصابيح الهدى، وأقمار الدجى، من عترة نبيكم المصطفى -صلى الله عليه وعلى وآله- الأئمة الخلفاء، ولا تجعلوا دينكم قلادة في عنق من لم يقدر على منع عينه من نظر النساء، ولا بطنه من مطاعم الرشا، ومن لو دهمتكم جنود الحق متواترة، وجاءت الخيل في أثر الخيل كالسيل يتلوه السيل، وجار مكيال الحسام في الكيل، لقال: {**إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ**}[الأنفال/٤٨] إني أخاف الله رب العالمين.

ولقد ذكر في كتابه الاحتجاج على صحة ما هو عليه بأن مقام إبراهيم -زاده الله شرفاً- خارج من أيدينا، وأنه في يد غيرنا، فهل قيامنا إلا لنقرَّ الحق في نصابه، ونرد الأمر إلى أربابه، من أهل بيت محمد عليه وعليهم أفضل السلام، وهل مَنْعُنا من حقنا يكون عند أهل العقول نقصاً في ديننا، فلقد مُنع رسولُ الله -صلى الله عليه وآله- من مكة، ورد عام الحديبية من جانب الحرم، ومنع من العمرة والهدي معكوفاً أن يبلغ محله، فما زاده ذلك عند الله إلا شرفاً، فلقد أراد هذا الكاتب أن يذم فمدح، وأن يفضح فافتضح.

وأما احتجاجه: بقوله سبحانه: {**وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا**}[النساء/١١٥]، ولقد ضحكنا عجباً لا طرباً، حيث جعل سبيل المؤمنين مخالفة أهل بيت محمد -صلى الله عليه وآله-، وهل سبيل المؤمنين إلا اتباع أهل البيت ومودتهم؟!، وهل مشاقة الرسول إلا مخالفتهم وبغضتهم؟!، ولكنه وافق عامة

ضالة، فكلما رغا هدرت، وكلما شرب من الجهل سكرت، حتى بلغنا أنه أكل في غرة الشهر الكريم شهر رمضان -زاده الله على مرور الأيام شرفاً- فتبادروا إلى منازلهم يأكلون، وما عن دليلٍ يسألون، فاعجب فمهما عشت عاينت العجب.

وقد علم الله سبحانه أنا ما قمنا أشراً ولا بطراً ولا رياء الناس، وإنما أردنا أن ندخل هذه الأمة في الألفة، ونفقأ عنها عين الفتنة، ونلبسها ثوب العافية، ونعلمها معالم الدين، ونهديها إلى سنة أبينا خاتم النبيين؛ فمن أجاب دعوتنا هذه العادلة غير الجائرة، الجامعة غير المفرقة، فهو منا له ما لنا وعليه ما علينا، ومن كره ذلك حاكمناه إلى الله سبحانه وحاربناه، واستعنا بالله عليه فغلبناه إن شاء الله.

وما نحن نقاتل هذه الأمة إلا على تأويل كتاب الله كما قاتلهم أبونا رسول الله -صلى الله عليه وآله- على تنزيله، لأنه حط بين الدفتين لا ينطق بلسان، ولا بد له من ترجمان، ونحن تراجمته وورثته، وعندنا معرفة غرائبه، وعلم عجائبه، وقد قال جدنا -صلى الله عليه وآله- حيث قرنه بنا وقرننا به مخاطباً لأمته: ((إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض))، وقد أمرناكم بأن تؤذنوا بأذان رسول الله -صلى الله عليه وآله-، وتخطبوا بخطبة أهل بيت نبيكم، ثم شأنكم بعد ذلك وما اخترتم لأنفسكم، فإن فعلتم ذلك فأهلاً بالوفاق، وإن أبيتم فأذنوا بحرب من الله ورسوله، إن الله لا يحب الخائنين، ولتعلمن نبأه بعد حين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وكنا أبرياء من كل عقد لبعضكم أو لكلكم ومن كل منشور، وكان الله الناصر لأولى الفريقين بالحق، والسلام.

وكتب لثلاث ليال خلون من ربيع الأول من سنة سبع وتسعين.

ولما وصل إليهم الكتاب وقرأوه اضطربت أحوال فقيههم وادعى الجهل، وذكر ذلك في الجواب، وأنهم يؤذنون بحي على خير العمل، ولكنهم لا يقدمون علياً عليه السلام للعادة التي قد جروا عليها، وأنكرت ذلك أنفسهم وظهر منهم قلة الانقياد، وراح الوالي منهم، ومن كان معه وبينوا خلافهم، فأمر الإمام عليه السلام بمناد في أسواق الجوف بقطعهم من البلاد، وجعل لمن كان منهم حاضراً الأمان ثلاثة أيام، وأمر برد الملح الذي وصلوا به إلى مأرب فردوه، وضاقت عليهم أحوالهم من قطعهم من البلاد، ولم يستطيعوا الصبر على ذلك فنزلوا منزلة وقالوا: نقيم الخطبة والأذان، ونقطع ذكر بني العباس في الخطبة، وسألوا المسامحة بتقديم علي عليه السلام، فازداد الإمام عليه السلام عليهم في ذلك شدة ولم يقبل منهم إلا تقديمه، وكتب إليهم يبين فيه فضله وتقدمه وسبقه وأنه أولى بالتقديم، كتبه بخطه في آخر كتاب وهو:

وأما ما ذكرتم من التقديم في الخطبة: فلم نقدم علياً شهوةً ولا هوى، ولا قدمناه إلا لأن الله سبحانه قدمه في كل مكرمة، لم يسجد لصنم أبداً، ولم يتأخر في حرب عن الحومة العظمى، حتى كانت كلمة الله هي العليا، وكلمة الشيطان وحزبه السفلى، ومنه ذرية رسول الله –صلى الله عليه وآله–الحسن والحسين إماما أهل الدنيا، وهو وارث سلاح رسول الله –صلى الله عليه وآله– وعلمه لا يخالف في ذلك أحد من العلماء، وأمسّ الخلق برسول الله –صلى الله عليه وآله– رحماً، وهو خامس أصحاب الكساء، وقد وقعنا نحن وإياكم في فرقة عمياء لا رضيتموننا إلى الله تعالى أدلاء فنوطيكم المحجة البيضاء، ولا نزلتم منزلة العلماء فنحاكمكم إلى كتاب الله وسنة المصطفى؛ إنما هو فجر أو بجر، فلا تركبوا الدهماء، فتخسروا الآخرة والدنيا، وارضوا بنا أئمة نرضاكم لنا تبعاً، ولا تأخذكم حمية الجاهلية الجهلاء.

وأما ما ذكرتم من جنب: فحسابهم على الملك الأعلى، وقد جاءونا تائبين، وقد كان جدنا رسول الله -صلى الله عليه وآله- لا يرد تائباً؛ فإن ظهرت معاصيهم فلكل معصية عند الله وعندنا حكم، فكونوا في أنفسكم ولا تغرنكم أحاديث المنى، وانظروا لأنفسكم نظراً يخلصكم عند رب السماء، والسلام على من اتبع الهدى.

[إرسال الإمام (ع) عدداً من الرسل إليهم لتأكيد الحجة]

ثم تقدم السلطان علي بن هديان إلى مأرب وكان بينه وبينهم ألفة ولزمة متقدمة، ورأى الإمام عليه السلام تقدمه لتأكيد الحجة، وإبلاغ المعذرة، ولم يكره تغطية أمرهم في ذلك الوقت، فلما وصل إليهم عرض عليهم الدخول في طاعة الإمام والانقياد لأمره، فأبوا ولم تقع منهم مساعدة، وحملهم الجهل على ارتكاب الصعب من الأمر، فعاد منهم على غير شيء، وكان الجند يومئذ (بعيان)، فكتب الإمام عليه السلام إليهم كتاباً يستنهضهم عند وقوفهم على كتابه، ويحقق لهم أخبار أهل مأرب ومبارزتهم بالمعصية، فنهضوا.

فلما صاروا في الجوف الأعلى وفرقت الكتب لجمع العساكر من الجوف وغيره، وكان سبأ بن جابر، وحسين بن راشد من أهل مأرب مقيمين عند الإمام عليه السلام وهما محبان ناصحان زيديان، فلما أقبل الجند وفرقت الكتب إلى الجهات، وعلما أن العزم قد جد على الخروج إلى مأرب، سألا الإمام عليه السلام وتشفعا بجماعة من الشرفاء القاسميين الذين هم ببراقش في المهلة مدة وصولهما إلى مأرب، ورجوعهما لنصيحة أصحابهما؛ لأنه قد كان وقع عندهم وتقرر في قلوبهم من أهل الفساد بالجوف وغيره، أن الجند لا يساعدون إلى الخروج إلى مأرب ولا يفعلون

ذلك، فساعدهما عليه السلام رغبة في تغطية أحوالهم، وتقدما واجتهدا في تقريبهم ودخولهم في الطاعة، فوجداهم مستمرين على طغيانهم، فعادا لميعادهما بالخبر.

فأمر عليه السلام إلى الأمير صفي الدين ذي الكفايتين محمد بن إبراهيم، وكان المقدم على الجند أينما توجهوا يحضه على الوصول بالجند، فوصلوا إلى براقش مستهل شهر ربيع الآخر، وكانت السنة جديبة، والبلاد محطومة، والطعام قليلاً، فأقاموا ببراقش سبعة أيام على مشقة شديدة من طلب العلف وقلة النفقة.

وكان سبب إقامتهم أن الإمام عليه السلام أمرهم بالتقدم ويستأخر عنهم لاستنهاض العساكر من الجوف والشام، وقد كان أمر الأمير صنوه عماد الدين بالتقدم إلى صعدة، ثم إلى بلاد خولان بالقد اليماني لاستنهاض العسكر، فلم يقع من الجند مساعدة، ووقع في نفوسهم خوف وريبة، وعَظَّم عندهم المفسدُ أمر الطريق والانقطاع من الماء، فلما رأى عليه السلام توعرهم وعلم ما عندهم عزم على النهوض، وكان عنده السلطان وهب بن فلاح بن شرية من خولان مشارق صنعاء وبينه وبين أهل مأرب حلف ولزمة، وقد أتى سامعاً مطيعاً قائداً لقبيلته، فرغب فيما رغب فيه الأولون من التقدم إلى مأرب، وتحقيق الأخبار لهم، واستصحب السلطان جحاف بن حميدان، وفضل بن يحيى، وعبد الله بن منيع وسألوا الإمام الفسح لهم بالتقدم إلى مأرب، بعد أن التزم عليهم بتسليم ألفي دينار والدخول فيما يرسمه الإمام وقطع عليهم ... لا يتأخرون عما دخل فيه لما بينهم وبينه.

ولما وصل إليهم زادهم وصوله نفوراً وتشدداً في أمرهم، لما تتالت الرسل إليهم، وكثرت الذراعات عندهم، فعاد منهم بغير شيء.

[ملحق]

[ووصل إليه عليه السلام وهو حاط على مأرب جماعة للخطاب، فأعلمه المخاطبون بأن أهل مأرب قالوا: إنهم يدخلون تحت الأوامر كلها من أداء الواجبات، واجتناب المحرمات، إلا الأذان بحي على خير العمل، فقال مرتجلاً في الحال:

إِذَا بَـدَت مِثـلَ السَّـعَالِي مِـن دَغَـل وَطَلَعَـت فَـوقَ الرِّمَـاحِ كَالشُّـعَلْ[1]

وأيقنُـوا أنَّ الحِمَـامَ قـد نَـزَلْ نَـادَى مُنَـادِيهِم علَـى خَيـرِ العَمِـلْ

وعلم عليه السلام العسكر أن يجعلوا شعارهم في حربهم هذه الأبيات، فالأولان قديمان، والثانيان أنشأهما عليه السلام:

أيهـاً عبيـد السـوء أيهـاً أيهـاً إنـا بنـي الحـرب نشـأنا فيهـا

سـتعلم الأعـلام مـن يحميهـا وتعلـم الرايـات مـن يرويهـا

---

[1] الدَّغَل محركة: الشجر الكثير الملتف، واشتباك النبت وكثرته، والموضع الذي يخاف فيه الإغتيال. والسعالي جمع السعلاء والسعلاة بالكسر: الغول، أو ساحرة الجن.

[عودة للأصل]

فنهض الإمام عليه السلام من براقش يوم الأحد لست ليال خلون من ربيع الأخر من سنة سبع وتسعين في الجند، ومن انضم إليه من أهل الجوف ومن جنب وبني صلاة، وكانوا قد وصلوا إليه، وعقدوا معه بالقود بأموالهم، وحل عنده جماعة منهم ببراقش بأولادهم، فقادوا بأجمعهم إلى مأرب وسنحان

وكان نهوضه عليه السلام

....

[ههنا نقص أيضاً]

به وشرط لجماعة منهم فرسه واشترط عليهم حصان الإمام وسلبه، وكتب الشريف القاسمي بينهم كتاباً وشهد فيه وأهل هجرته، وراح الأمير منهم مكذباً ووعدهم ليوم معلوم، وتلقاهم من درب الأشراف بصعدة إلى بلد الربيعة، فجدد عليهم الأيمان وعاد منهم ليرهب قراهم آخر نهاره، فوثب به حصانه، ففتق فتقاً في بطنه مات منه في ليلته، وأتوا في اليوم الثاني يحضروا قبرانه، ثم أقبلوا إلى الإمام عليه السلام فخرج إليهم، وقابلهم على ظهر فرسه، وعاد على إثره وقد كان عنده بعض الخبر، فلما كان من الغد ركب فيمن معه من الشرفاء الحمزيين ومماليكه ومن حضره من حاشيته بالسلاح والعدة، وركب الأميران الكبيران، وخرج أهل صعدة بالسلاح والعدة في لقائهم فسلموا وبروا، وقد كان الإمام عليه السلام أعد لهم ثلاثة دروع تألفاً لهم واستعطافاً لقلوبهم بعد المشورة لجماعة منهم، فأمر بتسليمها

إليهم فطابت نفوسهم وأنسوا، وسمعوا وأطاعوا، وما صدروا من ذلك الموقف حتى سألوا الحل عليهم، واعترفوا بما كانوا قد نووه، وأظهروا الندامة والتوبة، وساروا في حضرة الإمام وبين يديه، وكان وصولهم وما شاهدوه لطفاً لهم وراحوا راضين قد زال ما كان في قلوبهم من الإحنة، وحسنت طاعتهم، فالحمد لله رب العالمين.

وشاع ذكر المخرج إلى مأرب، ونقل إلى الجهات، وانتشر في البلاد، وبلغ إلى أهل مأرب الخبر فخافوا واضطربت أحوالهم.

[قصيدة الإمام (ع) يذكر همته في الإستيلاء على مأرب ويتهدد خاذليه]

وأنشأ الإمام عليه السلام شعراً في أمرهم، فبلغ إليهم فزادهم قرباً، وهو:

أَتَزعُم أنِّي قد قضيتُ مَآرِبِي	ولَم أُحْدِرِ الجَيشَ اللِّهَامَ لِمَأرِبِ[1]
كَذَبتَ وَبَيتِ الله حَتَّى أقُودَهَا	كَتَائِبَ شُعثاً تَقتَدِي بِكتَائِبِ
بِهَا مِن بَنَاتِ الأعوَجِيِّ ولاَحِقٍ	سَوامي العُيُون مُجفَرَاتِ المناكِبِ[2]
قَصارِ الظُّهورِ والبطونُ طويلةٌ	عِرَاضِ المُتون مُقرَباتٍ سَلاهِبِ[3]
تُغَادِرُ أبياتَ العدُوّ سَبَاسِبًا	وكانت مَناخاتِ الهوى والملاعبِ[4]
فيا صاحِبِي إن لُمْتَنِي فِي هلاكهم	فلَسْتَ على مَرّ الزمان بِصَاحِبِي
سيأتيهم سَيْلٌ كَسَيلِ جُدُودِهِمْ	ويُشفِعه ربُّ السماءِ بِحَاصِبِ
هُمُ نكثوْا عهدَ الإلهِ وكذّبوا	بأفضلِ ماشٍ فِي الأنام ورَاكبِ

---

(١) اللهام كغراب: العدد الكثير والجيش العظيم.

(٢) السوام نقرتان أسفل عيني الفرس، والمجفَرات بالفتح الواسعة.

(٣) المقربة: الفرس التي تدنى وتقرب وتكرم ولا تترك، والسلاهب جمع سلهب كجعفر وهو الطويل.

(٤) السباسب جمع سبسب: وهي المفازة أو الأرض المستوية البعيدة.

وقـالوا نـرى سِـتْر الحَـرِيْم غَضَاضَـة ... علينـا إذا لَـمْ تشـتهر فِـي المواكِـبِ
فهـل لِـي عُـذرٌ فِـي اطِّـرَاحِ جِهَـادهم ... بسُـمر القنـا والمرْهِفَـات القواضِـبِ
وَقَـوْلِي كمَـا قـد قـال قبلـي شَـاعِرٌ ... وإن كُنْـتُ أعْلـى منـه ذَروة غالـبِ
ولمَـا رأيـت الحـرب حربـاً تجـرّدَت ... لَبِسْـتُ مـع البُـردَيْن ثـوبَ المحَـارِبِ
مُضَـاعَفَةً يَغشَـى الأنامِـلَ رَيْعُهَـا ... كـأن قَتِيْرَيهَـا عيُـونُ الجَنَـادِبِ[1]
فقـل لِي لَهـذي الحيّ من شُـمِّ أَرحَـبٍ ... ونهْـمٍ وجَنْـبٍ من حليـفٍ وصـاحبِ[2]
ومَـذْحِجَ إذ قامـت بـأمري مـذحِجٌ ... فحلّـتْ بـأعلى ربـوَةٍ ومراتـبِ[3]
خـذُوا أُهْبَـة الحـرب العَـوانِ وأرقلـوا ... إليهـا كإرقـال الجمـال المصَـاعِبِ
فـلا بُـدّنا إن شـاء ذو العـرش ربُّنـا ... مِـن القَـود فِـي جَيشٍ عَظيم المناكِبِ
إلـى سـبأٍ لَمَـا عَصَـتْ أمـر ربّهـا ... لِنُبـدِلَها مِـن لهوهـا بـالنّوادِبِ
وأرمـيهم بالخيـل تقـرع بالقَنـا ... عليهـا كأمثـال النجُـوم الثواقِـبِ
ورَجْـلٍ كأمثـالِ الجـرادِ وإنهـا ... لِيُـوث شَـرى مِـن شـرقها والمغـاربِ

---

[1] هذا البيت والذي قبله من قصيدة قيس بن الخطيم بن عدي الأوسي، أبو يزيد شاعر أوس، وأحد صناديدهم فِي الجاهلية، أدرك الإسلام وقتل قبل أن يدخل فيه، وهما من قصيدته التي مطلعها:

أتعرف رسماً كاطراز المذاهب ... لعمرة وحشاً غير موقف راكب

والمضاعفة من أسماء الدروع، والرَّيع بالفتح يقال ريع الدرع أي فضول كميها أي زيادة طوله، والقتير كأمير: رؤوس مسامير الدروع، والجنادب: الجراد.

[2] أرحب: من قبائل بكيل، وهم ولد أرحب بن الدعام الأكبر، وتقع بلادهم في شمال شرق صنعاء.
ونهم: من قبائل بكيل، وبلادهم في الشرق الشمالي من صنعاء.
وجنب: من قبائل مذحج، وهو يطلق على ستة وهم: منبه والحارث والعلى وسنحان وشمران وهفان بنو زيد بن حرب، وسكوا جنباً لأنهم جانبوا أخاهم صداء وحالفوا سعد العشيرة.

[3] مذحج بكسر الحاء: بطن من كهلان بن سبأ، واسم مذحج مالك، وقبائل مذحج كثيرة.

إلى أن يَرَوا أني ابنُ حربٍ مجرِّبٌ وأني مِن عليا لؤيّ بنِ غالبِ
أنا ابنُ رسول الله وابن وصِيِّه ومشبِهُهُ في مَشيِه وضَرائبِ
مناصب طالت أنجم الجوِّ رفعةً فهل بَعْدَهَا مِن نِسْبَةٍ ومَناصِبِ
فيا آمِريهم بالخلاف غَشَشْتُمُ وأوردتُموهُم فِي بحَار المعَاطِبِ
فهل عاصمٌ مِن أمرِ ذي العرش نافعٌ وهل هاربٌ منه وأين بهاربِ
مَدَدْتُ لهم حبلاً فظنّ سفيهُهُم بأنيَ أُلقِي ثِنيَةً لِمُجَاذبِ[1]
ولم يَدْر أني ليثُ غَابٍ فهل ترى يَفُلُّ شَبَا عزمي صياحُ الثعَالبِ
عليّ لكم مِلءَ الفِجَاج عساكراً تريكم قبيل الظهر ضوَّ الكواكبِ
غفلتُم وَلَمْ أغفل ونمتم وَلَمْ أنَمْ وملتُم مع الضّلال فِي كل جَانبِ
ظننتم طعَان الطالبيّين فِي الوغى تَماثُلَكُمُ فِي الركْضِ حَول الجباجبِ[2]
سأوطي جياد الخيل هَام رؤوسِكم إذا لَمْ توافُوني بأوبةِ تائبِ
وذاك بعون الله جلَّ جَلالُهُ مُقيِم الجبَال الرّاسِيَات الرّوَاسِبِ

[وصول أهل مأرب إلى صعدة سامعين مطيعين]

ووصل أهل مأرب إلى صعدة سامعين طائعين، فأخذ الإمام عليهم البيعة على طاعة الله وطاعته، وتأدية الحقوق الواجبة من الزكوات وغيرها، والأخماس في الملح، وتمكين الوالي من نفاذ الأمر، وإقامة الجمع، والأذان بحي على خير العمل، وتقديم علي عليه السلام في الخطبة، فأمر الأمير علي بن موسى العباسي العلوي بالصدور معهم للولاية، ومعه السلطان محمد بن حاتم بن معن القتيبي، والقاضي محمد بن

---

[1] المثناة: حبل من صوف أو غيره.

[2] الجباجب: الطبل.

أسعد اليمني لإقامة الجمعة، وإنفاذ الأحكام والقضايا الشرعية، وعهد إلى علي بن موسى أن يرجع إليه فيما يحتاج إليه من الأمور الشرعية، وأن يعمل في أموره وما يجهله بما يأمره به القاضي، ويرجع إليه فيما لا غنى عنه، فمضت الأحكام، وأقيمت الجمع، وسلمت الحقوق الواجبة، وانسلكت الرعايا في منافعها، وأمنت السبل إلى صعدة من كل جهة، حتى صار الواحد والاثنان يسلكان المقاطع - التي كانت تختلس فيها الأرواح بين شياطين الأعراب - ما يسأل عنهم أحد، إلا في النادر بالخفية، مع القحط وغلاء الأسعار، في مدة إقامة الإمام بصعدة وقبلها.

وأقبلت البلاد بخراجها فاشترى عليه السلام في هذه المدة مع النفاق الكثير لمن يفد إليه من البلاد القاصية والدانية خمسين فرساً.

وكان بين أهل صعدة قتول وشرور فلم يأنس بعضهم إلى بعض لما تقدم بينهم من الحروب، وطلب آل الزيدي الانعزال إلى أحد الدربين، والانفصال عن الحدادين، والمناقلة بدورهم، فامتنعوا عليهم، فرأى الإمام عليه السلام الفصل بينهم بأن يعمروا لهم درباً، وينقلوا أخشابهم إليه، وتحسم مادة الشر بينهم ففعلوا ذلك، فعلم لهم موضعاً، وعمر معهم فيه داراً متسعة.

وكان ابتداء العمارة فيه في شهر رمضان المعظم من سنة سبع وتسعين، فازدادت الهيبة والقوة بذلك في قلوب المفسدين.

[قدوم الصعيب اليامي مطيعاً والأخذ بثأر الأمير علي بن المحسن]

واستمرت طاعة أهل نجران، ووصل الصعيب اليامي داخلاً في الطاعة، باذلاً من نفسه ما يجب عليه، ولم يكن له يد في قتل الأمير علي بن المحسن، وكان

المتولي لقتله رجلان من زبيد يقال لهما ابنا صهيب، فلم يصلا ولا طلبا أماناً بنجران، ولا دخلا في ذمة ولا صلح، فتقدم لهما خمسة رجال من آل الشعر من بني جماعة، وهبوا أنفسهم لله سبحانه فمكنهم من عدوي الله، وقد دخلا الدرب يطلبان من الوالي بنجران شيئاً كان قد وعدهما به، وقد أحكموا الرأي فيهما فقتلوهما في الدرب وسلبوا سلاحهما، ومالوا إلى جهة من الدرب خوفاً على نفوسهم، وشاع الخبر، وخرجت كهلان من الدرب منهزمة، فبسطوا أيديهم في أموال المسلمين من بهائم وعبيد في الوادي، وجاءت البشارة بقتلهما، ووصول الجماعتين إلى صعدة، فتلقاهم الإمام إلى خارج المدينة في العسكر والجنود، فأقبلوا وهم يقولون في زملهم على شعار خولان:

إنا قتلنا حيث لا نأكم وحيث لا عقد ولا ذمام

فتبادر الشرفاء من بني الهادي وبني حمزة إليهم فخعلوا عليهم الفوط المحررة والدنانير الكثيرة، سوى ما حصل لهم من الإمام عليه السلام.

[كتاب الإمام (ع) إلى كهلان في ما حدث منهم]

وكتب إلى كهلان كتاباً فيما حدث منهم في الوادي:

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى كافة كهلان، سلام عليكم، فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو.

أما بعد: فإنكم تعلمون ما بيننا وبينكم، والله تعالى يقول: {**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ**} [المائدة/١]، وقد أوفينا بالعقود تعرضاً لنصر الله سبحانه، وقد علمتم أن آل صهيب مخرجون من الذمة بشهادة الشهود ومعنا شهادتكم

إن صدقتم، وقد أُخذا بجرمهما، وحصدا ما زرعا بأيديهما، ولعل للجميع في قتلهما خيرة، وقد بلغنا أنكم بسطتم أيديكم في أموال المسلمين وبهائمهم وعبيدهم، فإن صح ذلك فأنتم أجهل الخلق، فلو أردناكم بنجران أو في الطريق إلى صعدة أو غزوكم على غرة كنا نجد العلل التي تخرجنا عند الناس، ولكن لم نرد لكم قطيعة، فإن رأيتم أن تمام ما بيننا وبينكم، لنا صواباً ولكم، رددتم جميع ما أخذتم حتى الشاة والحبل، وإن أبيتم ذلك فأذنوا بحرب من الله ورسوله على سواء، إن الله لا يحب الخائنين، وكل عقد لكم وذمة وجوار وشرط وكتاب منقوض؛ لأن الذمة كانت إلى شهر رمضان -زاده الله شرفاً-، وأنا قد أشهدنا من حضر من الصلاتيين والحشيشيين ومن حضر من الناس على الوفاء بما بيننا وبينكم إلى تمام الأجل إن رددتم ووفيتم، وإنا قد تبرأنا من الذمة بيننا وبينكم إن تماديتم وغدرتم، وكان الله الناصر عليكم، والمنتقم لنا منكم، والسلام.

[وفود عامر بن شماخ النهدي إلى الإمام]

وممن وفد إلى الإمام من كبار العرب: عامر بن شماخ النهدي في قوم من أصحابه ومن رؤساء جنب، وهو مقدم في قومه، كبير في عشيرته، يقود ممن يخصه مائة فارس سوى من تبعهم من سائر العرب، فأقام مدة طويلة بصعدة على الكرامة والإنصاف، وتابع ودخل في الطاعة هو وأصحابه، ولما عزموا على المراح أمر لهم الإمام عليه السلام بالخلع السنية، والعطايا الهنية، وحمل أمورهم وراحوا مسرورين، مظهرين لشكره، مجيبين لدعوته أي وقت أتاهم رسمه.

[كتاب الإمام إلى وادعة في نجران في خلافهم على أرض]

ووصل كتاب من القاضي عبد الله بن معرف وهو المتولي أمر القضاء بنجران يذكر أن قوماً من وادعة أرادوا إثارة أرض وعمارته، ووقع بينهم حرب وفرقة شديدة، فكتب عليه السلام إليهم هذا الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله وسلم

سلام عليكم، فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، ونسأله لنا ولكم الهداية والرشاد.

أما بعد: فإن نعم الله سبحانه على أمير المؤمنين متضاعفة، وأياديه لديه مترادفة، فما نجم في دعوته العادلة المنصورية قرن إلا قطعه، ولا ارتفع باغي ضلالة إلا وضعه، ولا تمرد جبار إلا قصمه، ولا جاهر عات إلا حطمه، فأوجبت هذه النعم وما لا يحصى سواها عدة إنعام النظر في صلاح هذه الأمة، وحسن التدبير في مرافق الرعية، التي استرعاه سبحانه حماية حوزتها، ورفع الأيدي الظالمة عنها، ثم كان هذا الحي من وادعة من أحسن أحياء العرب لأمير المؤمنين طاعة، وأثبتهم مودة، وأخفضهم جناحاً، وأقلهم جماحاً، وأظهرهم صلاحاً، فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون، فبلغنا أنهم شمروا لإثارة الفتنة، وقشع غمام العافية، وتمزيق جلباب السلامة، وارتضاع فتنة، قد فطم الله بعناية أمير المؤمنين لاهجها، وإيقاد نار قد أخمد الله بماء عدله واهجها، فيا خيبة الداعي إليها إلى ما دعا، ويا شقوة المستجيب له إليها إلى ما استجاب، متعرضاً

لغضب الله سبحانه الذي لا تقوم له الجبال، ولسيف أمير المؤمنين الذي خضعت له صناديد الأبطال، وهزمت به المقانب الرغال، وإن الهيج الحادث من شأن إثارة شيء من المال، وأمير المؤمنين يحب عمارة الأرض وإثارة الحرث في جميع الأقطار؛ ليعود ذلك على البادين والحضار، تعرضاً لثواب حاصل، أو أجر واصل، وقد نظر في أصل المسألة بنور هداية الله، واستمد التوفيق من عنده، فحصل نظره السديد، ورأيه الرشيد، الذي من تعداه بذم خاب، وفارق منهاج أهل الرشد والصواب، وتعرض لمواقعة أنواع العذاب، ومصادمة صواعق العقاب، أن كل من كان في جهته شيء من هذه الأرض المثارة كان أولى بإثارته، فإن ادعى عليه الباقون بعضاً أو كلاً كان عليهم البينة وعليه اليمين، هذا مع تجريد العزم على العقوبة بشيء من المال، لمن تعدى بحمل السلاح في دولة سحبت على البرية أذيال يمنها، وأضفت جلباب أمنها، ليكون ذلك داعية إلى التحفظ من الأحداث، قامعة لأهل التمرد والأبغاث، فإذا بلغكم هذا الكتاب فامتثلوا أوامره، وتأملوا أوائله وأواخره، تسعدوا وترشدوا، والسلام.

[وفد أهل شظب]

وممن وفد إلى الإمام عليه السلام: يوسف بن النفيل في جماعة من أهل شظب، واستصحبوا القاضي العالم شرف الدين إبراهيم بن أحمد بن أبي الأسد، وقد أجمعوا أمرهم على تسليم حصن (قرن الناعي) و(النعل) والدخول في الطاعة، والكون من الإمام عليه السلام، وقد كانت بينهم حوادث ألجتهم إلى الالتزام به عليه السلام، فبايعوا وسمعوا وأطاعوا، وجعلوا ولاية شظب إلى

الأمير محمد بن إبراهيم القاسمي لقربه منهم، واتصال ولايته (بغربان) ببلدهم، فأزيلت المنكرات الظاهرة، والفواحش المتظاهرة، ونفذت الأحكام.

وتقدم الشريف راشد بن جعفر من آل الهادي عليه السلام لإقامة الجمعة، وليوطد الأمر في إثبات مدرسة، فأقام الجمعة مع كراهة شديدة من جهال الشيعة المطرفية، واجتهاد وعناية عظيمة في قطعها، وإجماع منهم ومقابلة لمشايخ البلاد، حتى ظهرت عليهم كلمة شنيعة عند الناس وهجنة.

قال الشريف راشد: لما قابلوا أهل البلد في قطع الجمعة قالوا لهم: إنكم بين أظهرنا طول أعماركم، والفواحش في بلدنا مرتكبة، والمنكرات ظاهرة، فما أنكرتم ذلك، ولا سمعنا منكم فيه كلمة، فلما أقيمت الجمعة أنكرتم، ونحن لا نساعدكم، فجعلوا عذرهم أنه لا إمام تقام له الجمعة، وأنا مُنعنا من المناظرة، فحضر القاضي إبراهيم بن أحمد فجعلوا للمناظرة موعداً ليوم معلوم، وتفرقوا ولم يحضر منهم أحد، فظهر للخاصة والعامة عجزهم، وأن غرضهم تنفير الناس وتغيير قلوبهم بأقوالهم، **{يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ}** [الصف/٨]، ونفذت الأحكام، وقبضت الحقوق، بفضل الله سبحانه.

[وفد الأهنوم وشهارة]

ووفد قوم كثير من بلاد الأهنوم وأعمال شهارة، وكان الإمام عليه السلام قد كتب إليهم بتسليم ما يحصل في بلادهم من الحقوق الواجبة والبر إلى قاسم بن مطرف صاحب الخموس، ليؤديه إلى الإمام عليه السلام فامتنعوا عن ذلك، وقالوا: لا نسلم شيئاً إلا إلى يد الإمام، وكان قد ولى عندهم في بدي الأمر الشريف الحسن بن الحسن القاسمي فعلموا أن الأموال التي حصلت منهم لم تصل إلى الإمام، فلم يثقوا بوالٍ بعده، لما كان عليه من الطهارة والعفة والظاهر

الجميل، فلما وصلوا تلقاهم إلى ظاهر المدينة ولم يكن أكثرهم رآه، وكان عندهم قوم من الشيعة قد نفروا قلوبهم فسلموا ما كان معهم من بر وواجب، وحضروا مجالس الإمام عليه السلام وسمعوا وعظه وكلامه وتذكيره بالله تعالى، فوجدوا خلاف ما كان في قلوبهم، وسألوا أن يكون تسليم ما حصل في بلادهم من أيديهم إليه، فساعدهم إلى ذلك، وراحوا راضين مسرورين بما شاهدوه.

[إقامة الحد على قاتل]

وأتي برجل قد أفسد في الأرض وقطع السبيل وشرك في قتل رجل من أهل الظاهر، وأخذ ماله في العمشية، وكان يكتم أمره، فأظهره الله تعالى، فأمر الإمام عليه السلام بحبسه أياماً حتى استبان خبره باعترافه، وإجماع قوم على فساده.

فلما كان يوم الجمعة وحضر أخو المقتول، وقضيت الصلاة أمر به فأحضر قدام شامي الجامع الشريف، وحضر الأمير الكبير، بدر الدين، شيخ آل الرسول، محمد بن أحمد، والقاضي، وطائفة من المسلمين، ومن جمعه السوق من البلاد القاصية والدانية، فأمر عليه السلام القاضي بقراءة كتاب أنشأه إلى كافة الناس، نسخته:

[كتاب أنشأه الإمام عليه السلام أمر بقرآءته على المنبر]

[أنشأ عليه السلام هذا الكتاب بصعدة، في شهر جمادى الأولى، سنة ثمان وتسعين وخمسمائة، وأمر بقرآءته على المنبر] [1].

بسم الله الرحمن الرحيم

[وصلى الله على محمد وآله وسلم

[1] ما بين القوسين من نسخة من مجموع رسائل وأشعار للإمام عليه السلام.

من عبد الله، المنصور بالله، أمير المؤمنين، عبد الله بن حمزة بن سليمان بن رسول الله صلى الله عليه] [١]، إلى كافة المؤمنين والمسلمين، سلام عليكم.

فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، ونسأله لنا ولكم التوفيق إلى سبيل الرشاد، وقطع مواد الظلم والفساد.

أما بعد: ف{**إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٣٣) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣٤)**}[المائدة]، ولما جعل الله سبحانه إلى عترة نبيه صلى الله عليه وآله وراثة الكتاب، وعلمهم الحكمة وفصل الخطاب، وجعلهم من ذرية إسماعيل وزرع إبراهيم، وصيرهم حكاماً على عباده، وخلفاء في بلاده، يرجع إليهم الغالي، ويلحق بهم التالي، نظر أمير المؤمنين فيما فَوَّضَ اللهُ إليه من صلاح هذه الأمة، وكشف ما دهمها من ضباب الظلم والغمة، بما آتاه الله من أشعة أنوار الهداية، وأمده به من المعرفة والدراية، واستمد بما آتاه من أسباب التوفيق في البداية والنهاية، فرأى أن الله سبحانه أدب عباده بأمرين لم يدع عند ولي الأمر فيهما هوادة، وهما السيف والسوط، فمن تعرض لما أوجب الله سبحانه بأحدهما لم يرفع عنه حكمه، وكيف وأمير المؤمنين خصمه، فرحم الله امرأ رحم نفسه من قذفها في هوي الهلاك، وإلقائها في مواضع الارتباك، ولم يزل أمير المؤمنين بهذه الأمة

---

[١] ما بين القوسين من نسخة من مجموع رسائل وأشعار للإمام عليه السلام.

رحيماً، وبأدوائها عليماً، فما نجم قرن نفاق إلا قصمه، ولا حدث داء شقاق إلا حسمه، ولا هدرت شقشقة ضلالة إلا هدّ فَحلَهَا، ولا أحكمت عقدة جهالة إلا أسرع حَلَّها، ولا ظهرت شوكة ضلال إلا أحسن فَلَّها، وكيف لا يكون كذلك وهو من عترة طاهرة، أظهر الله سبحانه على جميع الخلائق فضلها، وبين شرفها ونبلها، فكانوا أحق بها وأهلها، فأعينوه -رحمكم الله- على أنفسكم بحسن طاعته، وتنكبوا ما نهاكم الله عنه من ركوب معصيته، فإن الله سبحانه يقول: {**أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ**}[النساء/٥٧]، فهو ولي الأمر فيكم، ومن أوجب الله متابعته عليكم، فلا وروحي محمد وعلي -سلام الله عليهما وعلى آلهما- ما نريد لأحد منكم ضرًّا، ولا نسوق إليه بأوامره شرًّا، ولا نحملكم إلا على المنهاج الأعظم، ولا نسلك بكم إلا السبيل الأقوم.

واعلموا أنه لا يكشف لأحد منكم ستراً، ولا يبحث له خبراً، من أغلق بابه لم نتسوَّرْ داره، ومن أسبل ستره لم نكشف أستاره، ومن عرض نفسه للهلاك هلك، ومن أفسد في الأرض وعرض لأبناء السبيل وسفك الدم الحرام سفكنا دمه، وأبحنا حرمه، ومن ثقب داراً فأخرج من حرز ما قيمته عشرة دراهم قطعنا يده، ومن شرب خمراً جلدناه ثمانين جلدة، ومن زنى وهو محصن جلدناه مائة جلدة ورجمناه بعد ذلك حتى يموت، الجلد بكتاب الله والرجم بسنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله، ومن كان بكراً جلدناه مائة جلدة، وعلى العبد والأمة نصف ما يصح تنصيفه من العذاب، ومن سب محمداً صلى الله عليه وآله- قتلناه، [ومن بدل دينه قتلناه، ومن قتل نفساً بغير نفس قتلناه] [1]، ومن امتنع من إخراج الصدقة

---

[1] ما بين القوسين من نسخة من مجموع رسائل وأشعار للإمام عليه السلام.

حاربناه، وإن كان تحت حوزتنا عاقبناه بعد أخذها منه غير مأجور، ومن سب إماماً من أئمة الحق فسق، ومن سب نبياً من أنبياء الله عليهم السلام كفر، ونحن شهداء الله على الخلق، والرسول شهيد علينا، ولله علينا أن ننصحه، ونجاهد فيه حق جهاده، ولنا عليهم أن يطيعونا[١]، ونحن فروع شجرة طيبة، أصلها ثابت وفرعها في السماء، فمن استظل بظلها فاز وغنم، ومن فارقه خاب وندم، والسلام [عليكم ورحمة الله] [٢]، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

ثم أمر ولي المقتول فضرب عنقه.

[السلطان هلدري وغزواته في الظاهر وبداية النكث منه]

قصة السلطان هلدري وغزواته من الظاهر، وتقدمه بعد ذلك إلى الذنائب، وغزوه تهامة، وما يتلو ذلك من وصول الأمير وردسار، وما يتصل بذلك من الحوادث والفتوح

استدعاه الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة للغارة إلى (نَشَّان[٣]) وقد بلغه استمرارهم على الفساد، وشرب الخمر، والامتناع من تأدية ما يجب عليهم من حقوق الله تعالى، وقد كانت حسنت طاعتهم بعد أخذ حصن (العادي[٤])، وذلك أنه حط عليه في عسكر وأقام حاصراً له خمسة أيام حتى أظهره الله عليه، وولى فيه الشريف علي بن إبراهيم فأطاعت تلك الجهات الغربية، ونفذت فيها

---

[١] في نسخة مجموع الرسائل والأشعار: وللأمة علينا أن تطيعنا.

[٢] ما بين القوسين من نسخة من مجموع رسائل وأشعار للإمام عليه السلام.

[٣] نشان: مدينة قديمة من بلدان دولة معين في الجوف، ولعلها بالقرب من البيضاء.

[٤] العادي: حصن في ناحية السود، قضاء عمران.

الأوامر الإمامية، فلما أتاه رسم الأمير ركب في الجند، ولقيهم إلى (الفايش[1])، وقصدوا القوم إلى موضعهم، وهو موضع حصين، فامتنعوا وقاتلوا قتالاً شديداً، وترجلت الغز، وزحفت عليهم الرجال، فطلعوا عليهم المكان قهراً، وقتلوا منهم رجلين أو ثلاثة، وتغنموا أموالهم، وأخربوا منازل الخمور والفساد، وكسروا آلات الغناء، واستمرت الطاعة بعد ذلك، وقاتل في ذلك اليوم الأمير أسد الدين الحسن بن حمزة قتالاً شديداً، وأبلى بلاء عظيماً، وجرح جراحات هينة، وعاد السلطان إلى حوث، وجاءه العلم بنهوض شهاب في عسكر عظيم مخذول، ووصوله إلى بلاد حاشد، فركب في الجند وأمر أهل البلاد بالنفير، فحطوا على رأس نقيل عجيب، وقد كان الخبر بلغ إلى الإمام عليه السلام فأمر الأمير صفي الدين ذا الكفايتين محمد بن إبراهيم من صعدة في خيل ومن خف معه من الناس مغيراً، فجمع قوماً من أهل البلاد، وتقدم من حوث في أثر السلطان، وشاعت الأخبار بوصول العساكر من جهة الشام، فلما بلغت الأخبار إلى شهاب سرى ليلته متوجهاً إلى الجنات يريد أخذ زرع ثلا، وجرأه على ذلك علمه بتقدم الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة إلى صعدة، والشيخ فخر الدين مرحب بن سلمان الحرازي وكان المتولي لحص ثلا من تحت يده عن أمر الإمام عليه السلام، وكانت له هيبة في المكان بعد تضاعف أمور الحصن والسفاط عليه من البدو وغيرهم، فجمع الرجال من أصحابه الحرازيين وأهل البلاد وتابع الغور في بلاد العدو، وأخرب حصن بيت (عزّ[2]) وحرقه، وهو باب كوكبان والطريق إليه، فجاءت إليه أهل البلاد من الحد وتابوا إليه متودين مسلمين لما

---

[1] حصن الفايش: من بلاد حاشد على مقربة من غربان.

[2] بيت عز: قرية من عزلة الضلاع وكوكبان، ناحية شبام، قضاء الطويلة.

يرسم عليهم، وجاءته القطعة من وادي ضلع بالقرب من صنعاء، وأحمى الحرب على شبام في الليل والنهار حتى سلموا القطعة على زرعهم، فوقعت الهيبة على الحصن، وخافت بلاد العدو، ولما عزم شهاب على أخذ زرع ثلا أتاه كتاب من عامله بوادي ضهر، وجد في بعض محاطه يذكر فيه اضطراب البلاد، ويصحح اختلاف وردسار في خيل، وتقدمه إلى مغارب ذمار، وانحيازه إلى بلاد الإمام عليه السلام، وذكر جماعة من خواص إسماعيل لم يعلم ما سبب وصولهم، فارتاب شهاب لذلك، ونهض متوجهًا إلى صنعاء وصرف الله شره وشغله بنفسه، وعاد الأمير صفي الدين محمد بن إبراهيم والسلطان هلدري إلى حوث.

[كتاب الإمام إلى الأمير محمد بن إبراهيم يوصيه بأمر الرعية]

وجاء إلى الأمير كتاب من الإمام عليه السلام بخط يده الكريمة يأخذ بمجامع القلوب، يعهد إليه في النظر في أمر الرعية ويوصيه فيهم، نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلواته على محمد وآله وسلم

سلام عليك، فإنا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، ونسأله لنا ولك التوفيق لما يحب ويرضى.

أما بعد: فإن الأمير قوام أمر المأمور ويدُ الآمر، ولك حرمة القرابة، وعليك حق النصيحة، ألا وإن أنصح الناس للناس من نصح نفسه، وإني لو اكتفيت بحسن ظني في رجل لاكتفيت بحسن ظني فيك عن موعظتي لك، وإني أذكرك الله شديد السطوة لمن عصاه، عظيم الإحسان لمن أطاعه، فاحذره عند

الغضب والرضا، ولا تجاوز في العقوبة الحد فتكون من المعتدين، ولا تقصر دونه فتكون من المدهنين، وجُدَّ عند الرضا، وشمر عن ساق الجد، فإن الأمر جد، واشغل فكرك بالنظر في صلاح هذه الأمة، فإنها فريضة الله علينا، ووصية رسول الله -صلى الله عليه وآله- إلينا، ولا توسع في ظلمهم لأحد ممن قدرت أن تضرب على يده، وَهَبْ لله نفسك في الدنيا يهبها لك في الآخرة، وإذا تواترت عليك النعم فكن أشد ما تكون خوفاً لله، فإن الطير تؤخذ على الحب والماء، وكن عند المحنة صبوراً، وعند النعمة شكوراً، ولا تكثر السباب، ولا تطل العتاب، وطيِّب كسبك، وخف ربك، ولا تعلق بي شيئاً من أمرك، فلا يعلم الغيب إلا الله، ما قصدتَ به الله فهو لك، وما قصدت به غير الله فهو عليك.

واعلم أن عيون الله سبحانه قائمة على باطنك وظاهرك، لا تنام إن نمت، ولا تغفل إن غفلت، فاحفظ نفسك منها، وتأهب للصباح والبيات والمفاجأة، ولا تكن على غرة من أمرك، وانظر إلى من سكن هذه الدار من القرون الماضية، والأمم الخالية، كيف حالت بهم الحال، ونزل بهم النكال والوبال، ولم يغن عنهم ما عُنُوا به عن العمل الصالح الذي هو خير زاد، وأفضل عتاد، هل وَقَتْهُم واقية؟، وهل لهم من باقية؟، وفقنا الله وإياك لطاعته، وجنبنا معصيته، وجعلنا ممن يخشاه بالغيب، إنه قريبٍ مجيب، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وأقام هلدري بحوث أشهراً متوالية، والأمير أسد الدين الحسن بن حمزة يقبض خراج البلاد، ويؤديه إليه يفرقه في الأجناد، وجاءت مكاتبة من القائد عطيف بن موفق من الذنائب يرغبه في تهامة، ويحضه على النهوض إليها في الجنود الذين معه، فوقع ذلك في نفسه وشاور خواصه من الجند على أمره، وأعطى كبارهم الخيل

والعطايا على مساعدته، وأحكم رأيه وصدر من حوث من غير مشورة ولا استيراد أمر من الإمام عليه السلام، ولم يُرد أن يخلي ذكره من خدمته، وإظهار طاعته، وجعل عذره أنه يريد توفير ما يحصل من الغلة بالظاهر لوصوله، فقصد قوماً مصالحين في موضع يسمى (بَيْنَه[١])، فانتهبهم وأخذ أموالهم، وتقدم إلى الذنائب مظهراً طاعة الإمام عليه السلام، خوفاً على نفسه ومن معه من العشائر، وقد أبطن خلاف ما أظهر، فغزا (المهجم) وتغنم منها أموالاً جليلة، ثم غزا إلى (الهلية) وبها رتبة من الغز فقتل منهم جماعة، وأخذ خيلهم، ولم يزل يغزو تهامة باسم الإمام، ويأوي إلى حوازها أمناً، وحرق حرض، وأخلى البلاد من أهلها ما بين حرض والمهجم إلى ساحل البحر، وكتبه تترى إلى الإمام في كل غزاة بالبشارات، وإظهار الطاعة، وأن كل ما وقع من الفتح فإنه بسعادته، وكان قد تصور في نفسه أن البلاد التي صار أمر الإمام عليه السلام فيها نافذاً من بيحان إلى مأرب إلى الجوف فإلى صعدة وأعمالها يختل الأمر فيها، والظاهر خاصة لقربه من حد بلاد الغز بعد نهوضه منها بمن معه من الجند، واعتقد أن أحداً لا يسد مسده في غارة إلى بلد، فأكذب الله تعالى ظنه، فازداد الأمر بالله تعالى بعده قوة، والعدو هيبة، والرعية طاعة، وتوفرت الأموال، واشترى الإمام عليه السلام قدر خمسين حصاناً في وقت قريب، وركبها الأشراف وغيرهم ممن وصل إليه من الغز، ونفذت الأوامر في جميع هذه البلاد، وقبضت منها الحقوق، وأقيمت الجمع، وأمضت القضاة عن أمره أحكام الله تعالى، وأغارت الخيل بعد صدوره إلى تهامة إلى الرحبة مقدمها الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة، والأمير ذو الكفايتين محمد بن إبراهيم، حتى بلغ أوائلها قريباً من (المنظر[٢]).

---

[١] بينه –بفتح الباء وسكون الياء–: موضع بالشمال الشرقي من حجة، ينسب إلى بينه بن نصبان.

[٢] المنظر: أحد أحياء مدينة الحديدة، جوار منطقة الربصة.

وعسكر إسماعيل وأقر بصنعاء وذلك عقيب وصولهم من مغارب حضور، فما خرج منهم أحد، واضطربت البلاد، واستقامت الهيبة في قلوب أعداء الله، وكان لخلاف هلدري لأمر الإمام عليه السلام مصالح غاب علمها عن المخلوقين.

ولما اشتهر أمره، وعلا صيته، كتب إليه طاشتكين -وهو أمير حاج العراق والشام، المقدم لحفظه في صدوره ووروده من قبل صاحب بغداد- كتاباً من جملة مكاتبات وصلت إلى الإمام عليه السلام، وبلغ الخبر ببعض ما تضمنه الكتاب إليه بأن الخليفة يوليه أمر اليمن، فطار عقله، وازداد نفوراً من الإمام، وبقي ينتظر وصول عسكر العراق من مكة، حتى انقضى الموسم، وقد كان بها جند كثير، وعسكر عظيم لم تجر العادة بمثله.

وسبب ذلك دعوى إسماعيل للخلافة، وأنه يريد مكة ويكسو الكعبة، فجهز ذلك العسكر للغاية.

[الأمير قتادة بن إدريس وطاشتكين أمير حاج العراق]

وكان الأمير أبو عزيز قتادة بن إدريس بن مطاعن الحسني قبل وصول جند العراق بمكة في ألف فارس من بني حسن، لإقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقطع الفساد، وأمان السبل، فانتظمت له الأمور كما يريد بعد حروب ومعارضات له من صاحب مكة الأمير مكثر بن عيسى وولده محمد بن مكثر، فاستظهر عليهم، وأخرجهم من مكة، فتلقوا طاشتكين وأعلموه بأنه خارج عن أمر خليفة بغداد، وأنه يواصل الإمام عليه السلام ويكاتبه، وأن الحقوق الواجبة بالحجاز يقبضها ولاة الإمام عليه السلام ويؤدونها إليه في كل سنة، وطلبوا منه الولاية

والمعونة لهم، فلم يساعدهم إلى ذلك لعلمه بقوة أمر قتادة، وما ظهر منه من الصلاح في البلاد، فجعل الأمر إليه بعد أن كان قد أراد خديعته ولزمه، وطلب منه الوصول إليه ووطي فراشه، وامتنع عن ذلك، وأمر ولده حنظلة، فخلع عليه وسلم له ألف مثقال، ولما انقضى الموسم أمر ولده حنظلة إلى بغداد لإزالة التهمة، وقطع مادة الشر عنه، وكان قد سأل الإمام عليه السلام وصول رجل عالم إليه ينظر في مصالح البلاد، ويمضي فيها حكم الله تعالى فبعث إليه الفقيه الفاضل أبا القاسم بن حسين بن شبيب داعياً ومرشداً لأهل الحجاز، فتقدم وأصلح الأمور، وأخذ البيعة على الأمير أبي عزيز قتادة بن إدريس، وعلى أهل البلاد، وولى الولاة لقبض الحقوق عن أمر الإمام عليه السلام، وجمع مالاً وافراً منها، ووصل به إلى الإمام عليه السلام بعد نفاذ الأحكام، وإصلاح ما أمكنه إصلاحه.

[كتاب الإمام عليه السلام إلى طاشتكين]

وكتب الإمام عليه السلام إلى طاشتكين كتاباً نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمد وآله وسلم

سلام عليك، فإنا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، ونسأله لنا ولك التوفيق إلى سبل الرشاد.

أما بعد: فإن نعم الله سبحانه وإن كثرت عن التعداد، وطبقت الأغوار والأنجاد، وعمت الحاضر والباد، فإن أجلها أمراً، وأعظمها قدراً، طاعة الله، وطاعة رسوله – صلى الله عليه وآله–، وطاعة ولي الأمر من عترة نبيه سلام الله عليه وعليهم، ونحن أولى الناس برسول الله – صلى الله عليه وآله– لأنا أولاده دون [سائر الناس، وكان يحمل أبوينا سيدي شباب أهل الجنة على عاتقيه فيقول: نعم المطية ونعم الراكبان.

وجدنا أبو طالب أشد أولاد عبد المطلب عنه دفاعاً، وأحماهم لحوزته.

وجدتنا خديجة الكبرى، وأمنا فاطمة الزهراء، وخالنا القاسم بن رسول الله صلى الله عليه وآله، الذي كان يكنى به، وعمنا جعفر الطيار، وعمتنا أم هانئ.

فليس لأحد من أقارب رسول الله صلى الله عليه وآله مثل نسبنا، ولا يمت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمثل قرابتنا، ونحن مع ذلك أتباعه قولاً وفعلاً واعتقاداً، لا نركب مركباً منكراً، ولا نشرب مسكراً، ولا نسمع شيئاً من الملاهي، ولا ندري بالعيان ما هي، إنما همنا تلخيص معاني القرآن، وعبادة الرحمن، وتصريف المران، ومنابذة أهل الفسق والعصيان، وجاهدة عبدة الأوثان،

فنحن عباد الليل، وفرسان الخيل، لا نفارق ألويتنا، ولا نثني من هول البأس رؤوسنا، والله عز من قائل يقول **{إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَـٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ}**[آل عمران/٦٨]، وأبونا علي بن أبي طالب عليه السلام أول المؤمنين معه، إيماناً، وأظهرهم معه برهاناً، رباه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حجره، وأشركه في أمره، وكان بمنزلة الولد، فدعاه لإجلاله أخاً، وقال له ((أنت مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي))، فأثبت له جميع المنازل منها الخلافة في القوم، وما استثنى عليه غير النبوة.

ولما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جحدت الأمة – إلا القليل منها– حقه، واستأثرت بالأمر دونه، ورأت أنها أولى برسول الله صلى الله عليه وآله، وكان العباس رضي الله عنه يحرك منه، وقال (ابسط يدك أبايعك، فيقول الناس: عم رسول الله صلى الله عليه وآله بايع ابن أخيه فلا يختلف عليك اثنان)، فكره ذلك سلام الله عليه لحدة شوكة أهل الردة، فتنهدم قواعد الدين، لعلة الناصر والمعين، وقوة شياطين الملحدين، فتجرع أمرّمن العلقم، وصبر على آلم من حز الشفار، ثم صارت الخلافة إليه وهو أولى الناس بها، بعد أن اعتورتها الأيدي، فأوضح المنهاج، وقوّم الاعوجاج، وأثقب السراج، فراجعت قريش بلواها، وتابعت أشقاها، وبكت على قتلى ببدرها، وطلبت بوترها، فحطمها حطم الهرمة، وغصبها غصب السّلِمة[1]، حتى دبّت عقارب مكرها، واستجارت بالمصاحف من حربه، فوقع ما يطول شرحه، ولا يندمل قرحه،

[1] السلمة كفرحة: الحجارة أو المرأة الناعمة الأطراف.

وكان أولاد العباس رضي الله عنه وعنهم شركاءه في أمره، وخطباءه في نفعه وضره، فولاهم الأعمال، وركبوا بين يديه الأهوال، فكان عبد الله على البصرة، وقُثَم على مكة، وعبيد الله على اليمن، إلى أن تصرمت أيامه، ولاقاه حمامه، بيدي أشقى هذه الأمة كما عقر الناقة شقي ثمود.

ثم قام بالأمر بعده سبط الرسول، وسلالة البتول، طاهر الذيل والرَّدَن، واسع الفضل والمنَن، أبو محمد الحسن، فخذله أنصارُه وأودادُه، وتفرق عنه أجنادُه، فسلم الأمر ببرهان مبين، وليعلم نبأه بعد حين، فمات مسموماً، وفارق الدنيا مغموماً.

ثم قام بالأمر بعده، شقيقه الأمين، بقية النبيين، الذي لم يبق على وجه الأرض في وقته ابن بنت نبي سواه، فانتهزت الأمة فرصته، ولم تبلغْهُ غصته، فركبت الدهماء، وحالت بينه وبين الماء، وقتلته أشنع قتلة، ومثلت به أقبح مثلة، فاحمرت لذلك آفاق السماء، وقطرت كما صح لنا بالنقل الصحيح دماً.

ثم جعلها بنو أمية سنة في هذه الذرية الزكية، **{وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ}**[البروج/٨]، فقتلوا زيداً، وابنه يحيى بن زيد، في مصابيح هدى كثيرة، وسَبُّوا خير الأمة على المنابر، وورثوه كابراً عن كابر، وورّث عداوةَ أهلِ هذه البيت الشريف الأولُ للآخر، **{حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ * فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَالْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}**[الأنعام/٤٤- ٤٥].

ثم قامت الدعوة الهاشمية، وهي إلأى غير معين من السلالة المرضية، فقامت بها بنو العباس، على حين غفلة من الناس، حاشدة أنصارنا، ناقمة بزعمها ثأرنا، وهي كالآيسة أن يصير الأمر إليها، أو تجتمع الأمة عليها، لأن العباس رضي الله عنه لم يدعها في حياته، ولا قام بها عبد الله قدس الله روحه بعد

مماته، فلما غلظ سوادُها، وكثرت أجنادُها، عطفت علينا عطفة الناب الضروس عضاً بفيها، وخبطاً بيديها، وطحناً بكلكلها، وزبناً برجليها، كأنها لم تدر من أي الأعياص عيصنا[١] المطهر المبجل، ولا شاهدت شرفنا الأغر المحجل، فأنكرت عن معرفة، وظلمت من يستحق النصفة، فأول دم سفكته منا بيوم الثنية، دم محمد بن عبد الله النفس الزكية] [٢]:

فَقَتَلُــــوا يَـــــومَ الثُّنَيَّـــــه ... مُحَمَّـدَ بـنَ عَبـدِاللهِ الـنَّفسَ الزَّكِيَـه

وأتبعُــوه بأخيــه فِـــي بَـــاخَمرَا ... وعَقَّبُـــوا وَاحِـــدَةً بِـــأُخرَى

وارتَكَبَـت فِـي ذَاكَ شَـيئَاً نُكـرَا ... وأتبعَــت وَاحِــدَةً بــأُخرَى

ووقَعــةً فِــي يَــومِ فَــخٍّ كُبْــرَى ... لَهَــا العُيُــونُ دَائِمَــاً لا تكــرَى

وَلَا يَـــزَالُ للـــدُّمُوعِ مَجــرَى ... وصَــارَ مِــن ثَــمَّ هَلُــمَّ جَــرَّا

قَتْــلُ الهُــدَاةِ المُهتَــدِينَ فَخــرَاً ... فَمــنهُمُ قَعْصَــاً ومــنهُم صَــبْرَا[٣]

ومـــنهم سُـــمَّاً ومنهـــا أَســـرَا ... كَـــأَنَّهُم مِمَّـــن نَمَـــاهُ كِســـرَى

لم يرعوا لهم حق الولادة والقرابة، ولا حرمة الجيرة والصحابة، وهم على ذلك صابرون، ولله سبحانه في جميع الحالات شاكرون، قد أنست نساؤهم بالثكل، وأطفالهم باليتم، وكبارهم بالغربة، نشرهم الخوف في الآفاق، فأبلغ الله بهم الحجة على جميع البرية، فَغَرَّبَتْ أولادُ إدريس وسليمان، وغلغلت أولادُ زيد في تخوم

---

[١] العيص: منبت خيار الشجر.

[٢] ما بين القوسين ساقط من نسخة السيرة الأصلية، وأثبتناه من نسخة من مجموع رسائل وأشعار للإمام عليه السلام.

[٣] القعص: الموت الوحي، ومات قعصاً: أصابته ضربة أو رمية فمات مكانه.

خراسان والجيل وديلمان، وقصدت أولادُ إبراهيم جانب الأرض اليمان، ونزلت الحجاز أولادُ موسى وسليمان، ومع ذلك لم يخل منهم بلد من البلدان.

وفي هذه الخلال، ومع عظم هذه الأهوال، لا تزال أيديهم إلى الحق داعية، وأعينهم للأمة راعية، وآذانهم للشكية واعية، يرى أحدهم جنود الأرض بشق عينه، ويقدم بعد التَّيَقُّنِ لموافاة حينه، يغبط آخرُهم أولَهم على درك الشهادة، وبلوغ الإرادة.

نعم، وهذه الأمة عنهم نافرة، وبالشر إليهم طافرة؛ لمنعهم لهم عن ارتكاب المنكرات، وشرب المسكرات، قد نصبوا لهم باختيار أنفسهم إماماً لا يحلل حلالاً ولا يحرم حراماً، أجرّهم أرسانهم، ووسع ميدانهم، وإذا قام من هذه العترة الطاهرة من يدعو إلى الحق بعد الاستحقاق، تكاتب الأمراء والقواد، فقالوا بخروج خارجي على الإمام الهاد، فأوردوه الخيل في إثر الخيل، كالسيل يتلوه السيل، كالثيرة عاكصة قرونها، شاخصة عيونها، تسن لأولاد ابن نبيها شفار رماحها وشفارها، وتؤجج له نارها، حتى إذا سفكت بغير بصيرة دمه، واستباحت حرمه، واترت الرسل بالبشائر، ونشرت ذلك على كل باد وحاضر، وافتخرت به في المحاضر، وقرئ على المنابر، وأمست قلوبهم له جذلة، وقلوب أهل بيت نبيهم -صلى الله عليه وعليه- به وجلة، وهنأهم المهنئون بما لو كان رسول الله -صلى الله عليه- حياً لَعُزِّيَ به.

نعم - أنعم الله عليك-، ثم قد دعونا دعوة جامعة غير مفرقة، عادلة غير جائرة، أجابها كل عاقل، والتزم بها الأفاضل، وهي دعوة محمد -صلى الله عليه وآله- حذو النعل بالنعل، والقذة بالقذة، إنما هي دعوة إلى طاعة الرضا من آل محمد -

صلى الله عليه وآله- والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وفعل الواجبات، وترك المقبحات، والعدل في الرعية، والقسم بالسوية، وسد الثغور، وسياسة الجمهور، وإحياء السنة، وإماتة البدعة، وأنت رجل ممن قد خصه الله سبحانه بكمال العقل، ورصانة اللب، وقد دعوناك خاصة إلى ما دعاك إليه ربك، {**يَاقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ**}[الأحقاف/٣١]، فانظر لنفسك نظراً يخلصك بين يدي رسول الله - صلى الله عليه وآله- غداً، إذا جيء بالنبيين والصديقين والشهداء، وسأل الله الخلق عما أوجب سبحانه من أجره الذي هو مودة القرابة في البداية، كما قال سبحانه: {**قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**}[الشورى/٢٣]، وقال صلى الله عليه وآله: ((ذخرت شفاعتي لثلاثة من أمتي: رجل أحب أهل بيتي بقلبه ولسانه، ورجل قضى لهم حوائجهم لما احتاجوا إليه، ورجل ضارب بين أيديهم بسيفه))، فكن رحمك الله ذلك الرجل، فإنّا نجاة كل مؤمن ومؤمنة، وبنا يفتح ويختم، ونحن مصابيح الدجى، وعترة المصطفى.

[كتاب الإمام إلى قتادة بن إدريس]

وكتب عليه السلام كتاباً إلى الشريف الأمير أبي عزيز قتادة بن إدريس الحسني، مع البريد الواصل من طاشتكين كتاباً نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم

سلام عليك، فإنا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، ونسأله لنا ولك التوفيق إلى سبيل الرشاد، وسلوك مناهج الآباء والأجداد، الذين كانوا أوتاداً للبلاد، وأقماراً للحاضر والباد، ترتع سائمة الرعايا في رياض حلومهم، وتستضيء أجناس البرايا بأنوار علومهم، لحبوا منهاج الحق للسالكين إلى بحبوحة العلم اليقين، فمن قافٍ آثارهم وهم الأقلون، ومن صادف عن سننهم وهم الأكثرون، كما قال تعالى: {**وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ**} [المؤمنون/٧٠].

أما بعد: فإن لله سبحانه عباداً ظَاهَرَ عليهم النعم، وضاعف عليهم التكليف، نحن يا أهل بيت محمد -سلام الله عليه وعليهم- منهم، بل نحن عيونهم وخاصة خاصتهم؛ لأن الله سبحانه أنجز فينا لنبيه محمد -صلى الله عليه وعلى آله- وعده، واستجاب فينا دعوته، وأعطاه فينا سؤله، فله الحمد كثيراً، بكرة وأصيلاً، وجعلنا أعلاماً في دينه، وعرفنا غوامض شريعته، وجعلنا تراجمة كتابه، واستثنانا سبحانه مع نفسه بما ألهمنا من هدايته، فقال لا شريك له: {**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ**}[آل عمران/٧]، فنحن الراسخون فيه - ولله المنة علينا بذلك-، ولم تزل الأمة مذ قبض نبيه -صلى الله

عليه وآله- متحاملةً علينا بالخذلان والطغيان، فريقاً منا كذبت لاتباع الأهوية، وفريقاً قتلت تحت ظلال الألوية، وما نقموا منا إلا ان آمنا بالله العزيز الحميد.

فلم نزدد على هجوم الخطوب الكوارث إلا شدة، وعلى استحرار القتل الذريع ودوام الحبس الشنيع إلا نجدة.

لأنا من القوم الذين يزيدهم قُسُوّاً وبأساً شدة الحدثان

يغبط آخرنا أولنا على إحراز الشهادة، ونيل السعادة، ويقول من نجا منا سليماً لمن قتل: {**يَالَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا**}[النساء/٧٣]، ويا له من فوز ما أعظمه، وملك ما أجسمه؛ قال رسول الله -صلى الله عليه وآله-: ((أقرب الناس مني موقفاً يوم القيامة بعد حمزة وجعفر رجل منا أهل البيت قاتل إماماً ظالماً فقتل))، وكان أثقلَ الناس علينا وطأة، وأشدَّ العرب عداوة قريشٌ، وبنا نفى الله ربق الذل عن أعناقهم، ووسع لهم في أرزاقهم، ومكنهم في البلاد، وملكهم رقاب العباد، فاتخذوا المصانع والعيون في بحبوحة دار العجم، وركبوا مراكب الذهب، وابتسطوا الديباج الأصفر، وجلَّلوا القتاب بالسندس الأخضر، واتخذوا عباد الله خولاً، وملكه دولاً؛ فدان لهم الأسود والأحمر، هذا وهم يدعون الناس بزعمهم إلى دين محمد -صلى الله عليه وآله- بألسنتهم، ويحصدون مع ذلك ذريته بأسيافهم، يسرون دين الكفر في دعوة الإسلام، كالذي يسر حَشواً في ارتغا[1]؛ ولو استقام لهم الملك بعبادة الأوثان، لقالوا ما حكى الله تعالى عن أسلافهم في محكم القرآن: {**قَالُوا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ**}[الأنبياء/٥٣]، {**وَإِنَّا عَلَى ءَاثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ**}[الزخرف/٢٣]، يا

---

[1] لعل المعنى: كالذي يضع الحشوةَ بين رغوة اللبن وهي زبده سراً.

أهل العقول السليمة كيف يدعو إلى دين محمد صلى الله عليه وآله من حصد ذريته بالسيوف، وجرعهم كأس الحتوف، فأيتموا الأولاد، وأثكلوا الأزواج، وشتتوا الجمع، وسلوا سيف العقوق، وجحدوا واجب الحقوق، فحثوا في وجه الصنيع وكفروا النعمة، وقابلوها بأقبح مكافأة، فو أيم الله لو أن محمداً - صلى الله عليه وآله- من بعض الأعاجم، ولم يكن داعياً إلى الله، وهادياً إلى الرشد، وقد نالوا به رغد العيش، وتخلصوا من نكد الكد والتكسب، لكان أقل حقوقه عليهم أن يحفظوه في ذريته، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ولقد تعدوا الطور، وارتكبوا الجور، وصاروا عند الظفر بالقائم من العترة الطاهرة يتكاتبون بالتهاني كأنهم قد ظفروا بطاغية الروم وسلطان الترك؛ فإن قتلوه تهادوا رأسه في الأطباق، ونصبوه على رؤوس الرماح، وطافوا به الأسواق، ورفعوه على منار المساجد، وامتلأوا سروراً بما لو كان رسول الله -صلى الله عليه وآله- حيًّا لدمعت عينه، وحزن قلبه، وظهرت كآبته، وعُزي بمصابه كما يعزى الوالد بولده، فيا لها غفلة سببها الخذلان، لمن لم يقبل عن الله سبحانه موعظته، ولم يهتد بهديه، ولم يفكر في نجاة نفسه، هذا وإن كانوا لم يبلغوا بقتله ما راموه من استئصال شأفتهم؛ لأن مثلهم كما قال تعالى: **{كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ}**[الفتح]، فغاظهم فحصدوا، فبُرُّ الحاصدين حصده، وقدروا فقبضوا، ففاض من قبضتهم سنبله، وما ظنك بشجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، فكلما وقعت فيها سيوف الظالمين ازدادت نمواً وسمواً، وشرفاً وعلواً؛ ثم هاهي الآن -أعني: العترة الطاهرة عليهم السلام، مع ذلك قد صارت في خاصة أنفسها

جنوداً مجندة، وجموعاً متكاثرة، وقد كانت تعيب تخلف الناس عن قائمها، والداعي إلى الله منها، فما عذرها هي في نفسها.

لا تنهى عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

مع أنها قد عاينت الروم تجمع على طاغيتها، والترك على سلطانها، والحبش وجميع أجناس الأمم على ملوكها، فما العذر لهذه الشجرة الطيبة في تخلفها عن إمامها، بعد أن ظهرت دلائله، وانقطع سائله، وصدقت مخايله، رجعت بقيامه الخلافة إلى أربابها، والإمامة إلى نصابها، من أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومهبط الوحي، ومختلف الملائكة، أهل العدل والإنصاف، والتوفيق والألطاف.

هذا، وقد أصبحتَ بنعمة الله عليك نظاماً لفريدها، وجمعاً لوحيدها، وشمساً طالعة في سماء مجدها، وغرة شادخة في وجه شرفها، وصمصامة قاطعة لأعناق أضدادها، وفئة مانعة لدهماء أودادها، ولم ندع إلى أمر تنكره فتجعل عذرك في التخلف عنه إنكاره، ولا حال تجهله فيكون السبب في مسامحتك في تركه جهله، ولا أنت بمأفون الرأي، ولا مخشي الخطل، وكيف وقد[1] [قررت عن ذكاء، وشأوت السوابق إلى الغاية القصوى، ونشأت على تشييد معالم الدين، وقمع شياطين المعتدين، حتى طارت لك بذلك لسان صدقٍ في العالمين، وذُكرتَ أحسن ذكرٍ في البادين والحاضرين؛ فحمدنا الله على ذلك حمداً يوازي نعمه علينا فيك، وإحسانه إلينا بك، وسألناه لك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد لتقوم قناة الدين بنقاف حزمك، وتخمد نار المبطلين بوابل عزمك، وتدور رحى الإسلام على قطب تدبيرك، وتستقل

---

[1] من هنا نقص في الأصل المخطوط من السيرة، وأكملناه من مجموع مكاتبات الإمام المنصور بالله عليه السلام ص٣٨، بتحقيق الأستاذ عبد السلام الوجيه، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية.

أبنية الإيمان بصخر عنايتك، ويصبح جمع الفسق قضيضاً، وعظمه مهيضاً، وجناحه رضيضاً، وطرفه غضيضاً؛ فتنال بذلك ثواب الدنيا والآخرة، وينجوا بك الناجون فتحوز أجر نجاتهم، ويتسم العلماء المسلمون بأحسن سماتهم.

وأما ما تخوفت من العواقب: فذلك ما لا شك فيه، والعذر فيه واضح لو لم يكن لنا إلا هذه الدار، فأما وبين أيدينا دار الآخرة التي هي دار الحيوان ودار القرار، وجنة ونار، لا خير في شيء من شرها، ولا شر في شيء من خيرها؛ فهما تلك التي يخشى عواقب شرها، ويرجى نوافل خيرها؛ فأما الدنيا التي لا دوام لخيرها ولا بقاء لشرها، فإنما نخاف العواقب على المتخلفين عن طاعة أولي الأمر فيها، قال الله تعالى: **{أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ}** [النساء/٥٩]، فأولوا الأمر منا: هم الأئمة من آل محمد – عليه وعليهم أفضل السلام- قال تعالى: **{وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ}**[النساء/٨٣]، وأولوا الأمر أيضاً: هم آل محمد –عليه وعليهم أفضل السلام- فقد علمت بهذا -أيدك الله- أن مخالفة أمر أئمة الحق تورد صاحبها في المعاطب، وتنهيه إلى شر العواقب؛ فيخسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين؛ لأن الدنيا بلا شك راحلة، والآخرة لا بد واصلة؛ فكأنما نحن فيه من الدنيا لم يكن، وما نصير إليه من الآخرة لم يزل. فرحم الله امرءاً نظر لنفسه، ومهد لرمسه، ما دام رسنه مرخى، وحبله على غاربه ملقى.

واعلم أيدك الله أن طالب الآخرة على إحدى الحسنيين: إما الفتح فخير الدنيا إلى خير الآخرة، وإما الشهادة فما عند الله خير للأبرار، ولن يغني عن العبد من عذاب الله الأهل والمال، كما قال تعالى لنبيه – عليه وعلى آله السلام- فيمن اعتل

عن القيام بأمر الله فقال تعالى: **{قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}**[التوبة/٢٤]، وقال تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ}**[الصف/١٤]، فالله الله في نفسك وفي قومك، فإن أوزارهم قد صارت تجتمع إلى عنقك، وثوابهم قد صار مكتوباً في صحيفة عملك، لكونك راعياً لهم وهم رعيتك؛ فإن أطعت كانت طاعتهم تبعاً لطاعتك، وإن عصيت -وحاشاك عن ذلك- كانت معصيتهم فرعاً على معصيتك.

واعلم أسعدك الله: أنك أسعد رئيس إن قدت قومك إلى سبيل النجاة، ورحضت عنهم درن الأوزار، لفتحك لهم باب الجهاد، الذي يحت الذنوب والأوزار كما تحت الأوراق، في الحديث عن رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- أنه قال: ((لَوَقْفَتُ الرجلِ في الصف في سبيل الله تعدل عبادة ستين سنة، يصوم نهاره ولا يفطر، ويقوم ليله فلا يفتر))، وفي الحديث: ((ما خفقت راية حق على رأس رجل مسلم فطعمته النار، وما اغبرت قدما عبد مؤمن في سبيل الله فدخل النار))، و((عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين أمست ساهرة في سبيل الله))؛ فانظر أين أصبحت، وأي جواب أعددت لربك وأبيك وجدك -صلوات الله عليهما- إذا جمع الله الأولين والآخرين، وجيء بالنبيين والصديقين والشهداء والصالحين، فسئلت عن حقنا وهو القيام والنصرة، وسئلنا عن واجب حقك وهو

البيان والتذكرة، فقلنا: قد أدينا ما علينا، ودعوناه أحسن دعاء، ووعظناه أبلغ موعظة، واستيقن الحق وعلمته نفسه، وعليها نشأ وإليه دعا، وقلت: شغلني عن الإمام المال والولد، والطارف والتلد، وحب الوطن والبلد؛ فهل رأيت ذلك دام لك أو دمت له، أفليس هذه أمور يفارقها ابن آدم كرهاً عند إزعاج النداء، قال الله عز من قائل: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١٣)}**[الصف]، فهل مطلب -رحمك الله- أفضل من النجاة من العذاب الأليم، وحصول العيش السليم، في الجنات المعروشات، التي جرت تحتها الأنهار، في مسابل الورق والنضار، وأغشى نورها الأبصار، مع المساكن الطيبة؛ وهل بعد طيبها طيب، لا يزور سكانها طبيب، ولا في سكنها حريب، ولا يمس أهلها فيها نصب ولا يمسهم فيها لغوب.

نعم، وهذا الفوز العظيم مع أخرى تحبونها ويد في الدنيا؛ لأن القلوب تميل إلى حبها، وتأنس بقربها، نصر من الله وفتح قريب، وذلك النصر والفتح إما بالظهور على الأعداء، وإما بسكون الجنات العلى.

واعلم أيدك الله بتوفيقه وتسديده، ولا أخلاك من عونه وتأييده، أنك جعجعت بإمامك وابن أبيك، وشجةِ رحمك، وغصن شجرتك، منذ أربع سنين، وهو من يوم وقعت هذه الدعوة.

فما أمَّنك أن تكون مت أو مات في هذه المدة؛ فكل ذلك جائز ولم تبسط في نصره يداً ولا لساناً، فقد عوقته في أرض اليمن هذه المدة وهو مع ذلك راضٍ عنك، مثنٍ عليك في الملأ بما أنت أهله من طيب النشأة، وحسن السيرة، وعلو الهمة، داع لك بما يرجو وصوله إليه من كمال النعمة، وإحماد العاقبة، يتقرب الناس إليه بمدحك، والثناء عليك لما علموا من حسن ثنائه فيك، وطيب ذكره لك.

واعلم أنك لو أطلقت إليه ثلاثمائة فارس من قومه لأحكم بهم أمر اليمن -مع من ينضاف إليهم من جهته - في عامٍ واحد، وهذا أمر يصدقه من شاهد الحال، ولم ينطق بلسان المحال؛ لأن هذه العدة مع الخيل المرابطة التي معه من الشرف والأجناد كانت تحكم له أمر الخيل التي في بلاده التي قد ملكها، وكان الجميع يقرب من الألف الفارس، مع ألوف مؤلفة من الرجل الذين ينهضون لنهوضه من غير أجر إلا طلب الجهاد، والتقرب إلى رب العباد، وإلى رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- وخوفاً مما ورد به الوعيد، في ترك إجابته؛ وذلك ما رويناه عن النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- : ((من سمع واعيتنا أهل البيت فلم يجبها كبه الله على منخريه في نار جهنم))، وهذا وعيد عظيم، لا ينام عليه رجل حليم.

فخذ بما سمعت منه أو دع إنك إن يصرع أخاك تصرع

واعلم أنه لم يبق لك عذر في النصرة لنا في دين ولا دنيا، أما الدنيا فإنه قد ظهر على ألسن الناس في بلداننا هذه أنك قدت المقانب، وكتبت الكتائب في حق حرمة من آل أبي طالب، ظُلِمَت شيئاً تافهاً، وها نحن قد ظلمنا حقنا، وغصبنا أمرنا؛ فأنت قادر على النصرة، غير عاجز عن المعونة؛ فهذا في الدنيا لو لم يخطر الدين بنفوسنا، وأما أمر الدين؛ فإمام سابق من قومك يدعوك، قد

أجمع على إمامته علماء العترة، ودهماء الأمة، وبيدك أعنة الخيل، وأنت مطاع في العشيرة؛ فهذه الدنيا قد أعطتك مقاليدها، والآخرة قد ملكتك زمامها، وأسعد الناس من حاز شرف الدنيا والآخرة، وقد صرت في حال يُغبطُ من بَلَغَهَا، وهي أنك أدركت إمام الحق الذي سعد من لحقه وأطاعه، وشقي من حرم طاعته ولم يدرك زمانه، قال رسول الله —صلى الله عليه وآله وسلم: ((من مات وليس بإمام جماعة ولا لإمام جماعة في عنقه طاعة فليمت ميتة جاهلية)).

ولما كانت النصيحة للأقربين خاصة، وللأبعدين عامة وهي من أصول الدين، بل هي رأس الدين، قال رسول الله —صلى الله عليه وآله وسلم: ((تهادوا النصائح ولا تهادوا الأطباق))، وقال عليه وعلى آله السلام: ((ألا إن الدين النصيحة -قالها ثلاثاً-، قيل: لمن يا رسول الله؟ قال: ((لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم))، فأوجب إيجاباً لازماً، وعقد به عقداً حازماً؛ وأنت شيخ عشيرتنا، وكبير جماعتنا، وقد قال تعالى لأبينا — صلى الله عليه وآله وسلم: {**وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**}[الشعراء/٢١٤]، فجعل للقرابة حظاً في التأكيد والاختصاص، وإن كان أُرسل إلى الناس كافة، كما قال تعالى: {**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**}[سبأ/٢٨]، وأنت وقومك عشيرتنا الأقربون، وأسرتنا الأعلون، نطول بطولكم، ونعلو بعلوكم، فلذلك لزمنا فرض تخصيصهم بالدعاء دون الخاصة، {**يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٣١) وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَولِيَاء أُوْلَئِكَ فِي**

ضَلَالٍ مُّبِينٍ(٣٢)}[الأحقاف]، فانظر في هذا الأمر وشمر وبادر، ولا تقصر، واسمُ إلى التي هي أرفع، وسارع إلى التي هي أنفع، وكن حيث يرجو فيك الصالحون جامعاً بين الدنيا والدين، فالدنيا شرٌّ جُلُّها، والدين على منهاجه.

واعلم أن بين الحلال والحرام عقوداً شرعية يستبعد الجاهلون تحليلها إن وقعت، وتحرمها إن رفعت، وذلك ما لا يستبعده العالمون، قال الله تعالى حاكياً عن المشركين: **{قَالُواْ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا}**[البقرة/٢٧٥]، إلى غير ذلك من الأمثلة، وقد صرت بلا بد متصرفاً تصرفاً تضطر فيه إلى سفك الدماء، وخراب المنازل والقرى، وقطع الأشجار، وفساد الثمار، وهذا يقبح على وجه، ويحسن على وجه آخر؛ فيقبح إن فعلته بنيتك لنفسك؛ لأنه لا ولاية لك من الله سبحانه على الأمة ولو توخيت العدل، وقصدت إقامة الحق؛ ويحسن إن فعلته بنية إمامك لأن له ولاية عامة على الأمة، وإطلاق يد حكماً على البرية، وطاعة واجبة على الكافة، ويداً مبسوطة للعقوبة؛ وقد كنا قدمنا][1] إليك مثالاً نعيده هاهنا تذكرة كما قال تعالى: **{وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ (٥٥)}**[الذاريات]، والمثال ما قطعنا على أن كل عاقل إذا قيل له: إن صدقت أعطيناك درهماً، وإن كذبت أعطيناك درهماً، فإنه لا يختار الكذب على الصدق أصلاً، وقد قلنا لك: إن اعتقدت الإمامة وتصرفت في الأحوال عن أمر إمامك كنت مطيعاً لله سبحانه، عادلاً في الأخذ والخراب والسلب، وكان عملك لله رضا، وللإسلام والمسلمين صلاح، وإن لم تعتقد الإمامة أو اعتقدت ولم تمسك

---

[1] إلى هنا نهاية النقص.

بالطاعة ولم تمتثل الأمر كنت فيما تعمل متعدياً عاصياً لله سبحانه، وإن أردت الصلاح، وقصدت إقامة الحق؛ لعدم الولاية، فتأمل هذه النكتة أشد التأمل، واستعن على ذلك بأهل الأحلام والحجا من أصحابك، وأهل المعونة والنصيحة من مظان حاشيتك، وزوارء غاشيتك.

واعلم أنك إن ذللت لله سبحانه في الدنيا أعزك في الآخرة عزاً لا ذل بعده أبداً، وإن تعززت عليه في الدنيا أذلك في الآخرة ذلاً لا عز بعده أبداً، والآخرة أطول من الدنيا مدة، وأعظم في الراحة راحة وفي الشدة شدة، وما خير عزٍّ بعده الذل الدائم المقيم، والعذاب الشديد الأليم، وإذا كنت أنت تتواضع لصاحب بغداد ولأهل الشام، وأهل الشام بمنزلة مماليكك بعد العتق؛ بل مماليكك أرفع؛ لأن الصدقة تحرم عليهم تشريفاً لهم من الله وتعظيماً، والصدقة لا تحرم على أولئك، وصاحب بغداد وإن شاركنا في هاشم وقرابة العباس –رضي الله عنه– بالعمومة، فأبو طالب بعباس وهو أعظم الرجلين دفاعاً عن رسول الله –صلى الله عليه وآله– ولنا ولك بعد ذلك عليه فضل علي عليه السلام سيد الوصيين، وشرف فاطمة عليها السلام سيدة نساء العالمين، وأبوة الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة أجمعين، وولادة رسول الله –صلى الله عليه وآله– سيد الأولين والآخرين، مع طهارة الخلال، وشرف الآل، إلا أن يعتد معتد بالملك الزائل الذي لا يمنع عدمه من توسط بحبوحة الشرف، ولا يوجب حصوله توقل ذروة المجد، فالأمر فيه كما قال أبو فراس بن حمدان في قصيدته الميمية التي أجاب بها ابن سكرة عن قصيدة ذم فيها آل النبي –عليه وعليهم السلام– وفضل عليهم بني العباس بالملك، فقال فيها:

لا يطغين بني العباس ملكهم بنو علي مواليهم وإن رغموا
بنو علي رعايا في بلادهم والأرض تملكها النسوان والخدم
أتفخرون عليهم لا أبا لكم حتى كأن رسول الله جدكم
فما توازن يوماً بينكم شرف ولا تساوت بكم في موطن قدم
دعوا الفخار لعلامين إن سئلوا يوم السؤال وعمالين إن علموا
لا يغضبون لغير الله إن غضبوا ولا يضيعون حق الله إن حكموا
تنشا التلاوة من أبياتهم أبداً ومن بيوتكم الأوتار والنَّغَم
بئس الجزاء جزيتم في بني حسن أباهم العلم الهادي وأمهم

هذا، وإن كنا نعلم أنك لا تكاتبهم ولا تلاطفهم ولا تواصلهم إلا نظراً منك للبلاد، في الأمور التي تعود عليها بالصلاح والسداد، إلا أن الإصلاح لما بينك وبين الله أولى؛ لأن الله تعالى أشد بأساً وأشد تنكيلاً، ولا عاصم من أمره ولا مجير من عذابه، ولا ينفع الفرار منه إلا إليه، ولا الاتكال في مهمات ما ينزل إلا عليه، فأما المطامع في هذه الدنيا، وطلب عيشها الأدنى، فقد علمنا أن ذلك لا يحك عذارك، ولا يطور دارك.

واعلم أنا من يوم القيام بالدعوة النبوية، الطاهرة العلوية مستظهرون بما يلغنا من انتظام أمرك، ووفور حالك على عدو الله وعدونا، شاهرين على دهماء الرعايا حسن نيتك في طاعة الله وطاعتنا، فقد صار من بناحيتنا بأمرك فارحين، بنصرك داعين لك بما يدعى به الدعاة إلى الله من هذه العترة الطيبة، فالله الله في حفظ مكانك من الله ومن الصالحين، واعلم أن الجنة لا تنال إلا بحمل النفوس على المكاره بالقول والعمل والاعتقاد.

واعلم أن أمر العدو الذي نحاربه -وإن كان كثيراً في نفسه لكثرة ماله ورجاله- فهو عندنا بالله وحده لا شريك له دون ما في صدور الناس وظهر على ألسنتهم؛ لأنا قد علمنا خبره، وخضنا بحره، وهزمه الله على أيدينا هو وأجناده مرة بعد مرة، ولم يسلم من الأسر من أمراء أجناده منا إلا القليل، فكسرناهم في مقام بعد مقام، وقيام بعد قيام، {**كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**}[المائدة/٦٤]، فغوايرنا عليهم كل يوم مشنونة، وسيوفنا لضرب أعناقهم مسنونة، خيلنا تصل في البلاد النجدية إلى قريب من باب صنعاء؛ إذ لم يبق معهم في البلاد النجدية إلا صنعاء والقليل من أعمالها، وسائر البلاد في أيدينا مقبوضة، أحكامنا ماضية فيها وأوامرنا نافذة، وما بقي حربهم لنا في صنعاء إلا خوفاً على بلاد تهامة؛ لأن خرج صنعاء قد صار أكثر من دخلها، فلم يغن ذلك عنهم شيئاً، بل توجهت الجنود المنصورة إلى ناحية تهامة فعطلت ربوعها، وفرقت جموعها، وخربت زروعها، وجعلتها عبرة للناظرين كأن لم تغن بالأمس، ولم يَدَعوا لنا ما في أيدينا، ولا يُغضُون على القوارع التي نزلت بهم من قبلنا، رحمة لنا ولا شفقة علينا.

ولم تفترق عنه الأسنة رحمة ولا ترك الشام الأعادي له حبا

وقد تحقق لك بما حققنا أن العدة التي ذكرنا أولاً لو انضافت إلى من قد صار تحت أيدينا، لأحكمنا بها أمر اليمن في أقرب مدة، وكان الكلام لا يبقى إلا فيما سواه من البلدان، وسينجز الله لنبيه -صلى الله عليه وعلى آله- ما وعده في عترته من أن أمرهم يعم البلاد عموم الليل، فقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: (والله لو لم يبق من عمر الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يقوم منا رجل أهل

البيت يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً))، وكل قائم من أهل البيت يرجو أن يكون نجاز هذا الوعد على يديه، فقد قال الهادي يحيى بن الحسين عليه السلام:

فلئن تؤخرني المنية فينة ... إن المنية قد تغول وتصرعُ
فعلي أن أوطي السنابك عنوة ... مدن العراق ومن بها يترفعُ

فلا تيأس أن يجعلك الله ذلك الرجل الذي يكون نصر أهل بيت نبيه وظهور أمرهم على يديه، ولما تواترت المطالعات واستبهم جوابها وانغلق بابها لم نر إلا تحريك الفقيه الأجل الفاضل شهاب الدين، وإنسان الموحدين، أبي القاسم بن الحسين بن شبيب السليماني -تولى الله توفيقه- ليحقق ما نحن عليه شفاهاً، وينهي لنا علم ما أنتم عليه تعيينا، وجعلناه رائداً نرجو إيابه بما يسر الأولياء، ويكبت الأعداء، فإلى صدور هذا الكتاب - **وكتب في سلخ ربيع الأول من سنة ثمان وتسعين وخمسمائة من محروسة صعدة حماها الله تعالى بعمارة المشاهد المقدسة**- ما وصلنا له نبأ، ولعل له عذر خير إن شاء الله، وقد صرنا ننتظر جواب هذا الكتاب انتظار أهلة الأعياد؛ لرجائنا أن يأتي إن شاء الله بما يطابق المراد؛ وأحب الأشياء إلينا أن يكون جوابه:

خميساً لهاماً أرجواناً كأنه ... قميص محول من قنا وجياد
إذا زار أرضاً زارت السمر والظبا ... بها كل رأس أصيد وفؤاد

[قصيدة أصحبها الإمام مع الكتاب السابق إلى الأمير قتادة]

وأنشأ عليه السلام هذا الشعر إلى الحجاز وأمر به مع الكتاب الصادر مع البريد الواصل من طاشتكين، وهو:

سَلِ الخَيلَ يومَ الرَّوعِ إن كُنتَ سَائِلَا ... وَدَع ذِكرَ أَيَّامِ الصِّبَا والمَنَازِلَا

ومَا ذِكرُ دَارِ الحَيِّ دُونَ سُوَيقَةٍ ... إلَى النَّخلِ فَالعَرَجَيْنِ إلا أبَاطِلَا[١]

ولَا كاسقِنِي إن كَانَ مَاؤكَ فَاضِلاً ... فَإنِّي ضَامٍ لَو شَربتُ المَنَاهِلَا

ولِمْ لا وَدِينُ اللهِ قَلَّ نَصِيرُهُ ... فَلَم تَرَ إلا كَاسِفَ البَالِ خَاذِلَا

وَكَيفَ وَقَومِي بِالحجَازِ ومَعشَرِي ... يُرَوُونَ فِي نَقعِ الجِيَادِ العَوَامِلَا[٢]

تَهَامُونَ نَجْدِيُونَ جُلُّ مَتَاعِهِمْ ... مِن اللهِ مِمَّا استرفَدُوهُ المَنَاصِلَا[٣]

علَى كُلِّ مَشْبُوحِ الذِّرَاعَينِ صَلْدَمٍ ... يَسُرُّكَ مَجنُوبَاً و يُرضِيكَ حَامِلَا[٤]

لَهُم سُرَّةُ البطحاءِ والرُّكنُ والصَّفَا ... وجَرعَا مِنَى مَثنَاءَهَا والجَرَاوِلَا[٥]

لَهُم شَرَفٌ بالمُصطَفَى وَوَصِيِّهِ ... ومن قَبلُ كَانُوا فِي القَدِيمِ أفَاضِلَا

فَيَا رَاكِبَاً وَجنَاءَ خَرقَا شِمِلَّةً ... تَجُوبُ الفَلَا أعلَامَهَا والمَجَاهِلَا[٦]

---

[١] سويقة: تقدم ذكرها، ووادي النخل: يطلق اليوم على وادي الفرع لكثرة نخيله، ووادي الفرع كان فيه سكن آل علي قديماً.

العرج بالفتح: واد فحل من أودية الحجاز الغربية، يسمى المنبجس. ويطلق العرج على قرية جامعة بين مكة والمدينة. ويطلق على واد من نواحي الليث فيه زراعة وقرى آهلة بالسكان، ولعله المراد.

[٢] العوامل: أي صدور الرماح.

[٣] المناصل: أي الرماح والسيوف والسهام، والمراد أن ما معهم من الأموال هو مما غنموه وأخذوه غنيمة.

[٤] مشبوح الذراعين: عريضهما. والصلدم: الصلب الشديد الحافر. والمجنوب: أي المتقدم، أو في الميمنة أو الميسرة. وحاملاً: أي للفارس في الحرب.

[٥] السرة: الأرض الكريمة، أو الأصل، أو جوف كل شيء ولبه. والثنية: العقبة أو طريقها. والجرول كجعفر: الأرض ذات الحجارة.

[٦] الوجناء: الناقة الشديدة. والخرقاء من النوق: التي لا تتعاهد مواضع قوائمها. وناقة شِمِلَّة: أي سريعة. والأعلام: الجبال. والمجاهل: أي الأرض التي لا يهتدى فيها.

تَحَمَّـل علـى اسـمِ اللهِ مِنِـي رِسَـالَةً وصِل جَمَرَاتِ الحَيِّ إن كُنتَ وَاصِلَا[١]

وقُـلْ لِأبِـي الأضيَافِ أعنِـي قَتَـادَةَ الـ هِمَـامَ الأَبِـيَّ اللَّـوذَعِيَّ الحُلاحِـلا[٢]

أَترضَـى لِإسْـمَاعِيلَ يـنقُصُ هاشِـماً وأنتَ تَقُودُ الخَيلَ تَحكِي الأجَادِلَا[٣]

لقـد سَـبَّهُم سَـبّاً جَعلنَـا جوَابَـهُ صُـدُورَ المَـذَاكِي والرِّمَـاحَ الـذَّوَابِلَا[٤]

وقَـالَ مَقَـالاً لَا أرَى أنْ يَقُولَـهُ مِـن النَّـاسِ إلَا نَـاقِصَ العِقـلِ جَـاهِلَا

وإنَـا وإن كُنَّـا وأبنَـاء عَمِّنَـا عَلَـى الحَـرب لانرضـى عَلَيهِم طَـوَائِلَا

وَنَحـنُ وإيَّـاهُم ذُؤابَـةُ هَاشِـمٍ فمَـن يَـرمِهِم لَـمْ يُخْـطِ مِنَّـا المَقَـاتِلَا

رمَـى المُحصَـنَاتِ الغَـافِلَاتِ ضَـلالَةً وَكُـلَّ هُمَـامٍ يُشـبِهُ البَـدْرَ كَـامِلَا

وَكنتُ علـى الحَـربِ العَـوَانِ فَزادَنـي عَلَى العزمِ أَضعَافَ الـذي كُنتُ حَامِلَا

حَكَى فِي الفَتَى المَهدِيِ مَا لستُ ذَاكِراً وصَـرَّح فِـي المَـأمُونِ مَـا كَـانَ قَـائِلَا

وأبـدَى علـى الأعـوَادِ مَـدحَ أُمَيَّـةٍ وقَـالَ هُـمُ أعلَـى سَـنَاماً وَكَـاهِلَا

فَقُـم طَالِبَـاً بِالثَّـأرِ إن كُنـتَ قَاعِـداً وسِـرْ رَاكِبَـاً إن كُنـتَ مـن قَبـلُ رَاجِـلَا

لَـئِن بَعُـدت بَغـدَادُ مِنَّـا ورُبُّهَـا وصـلنَا بأيـدينا القِصَـارِ الفَوَاصِـلَا[٥]

وَنَحـنُ دَعونَـا دَعـوَةً عَلَوِيَّـةً ولَـم نَـأتِ فِيمَـا يَقتَضِـي العِلـمُ بَـاطِلَا

وأكثـرُ مَـا نَأتِيـهِ أنَ نَـدَّعِي لَنَـا مِـن الحَـقِّ مَـا نُبـدِي عَلَيـهِ الـدَّلَائِلَا

---

[١] الجمرة: ألف فارس، أو القبيلة التي لا تنضم إلى أحد، أو القبيلة التي فيها ثلاثمائة فارس.

[٢] الهمام - كغُراب -: الملك العظيم الهمة، والسيد الشجاع السخي. الأبي: الذي يأبى الدَّنية. اللوذعي: الخيفي الذكي، الظريف الذِّهن، الحديد الفؤاد، واللسن الفصيح، كانه يلذع بالنار من ذكائه. الحُلاحِل - بالضم -: السيد الشجاع، أو الضخم الكثير المروءة، أو الرزين فِي ثخانة.

[٣] الأجادل جمع أجدل: الصقور.

[٤] المذاكي من الخيل: التي أتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان. وقنى ذابل: رقيق لاصق بالليط.

[٥] الفواصل: أراد ما هو دون الحصن، أو دون سور البلد..

وَلَــم نَــرضَ سَــبَّاً فِــي ذُؤابَــةِ قَومِنَــا وَلَا هُــم مــن الرَّاضِـينَ فِينَــا الــرَّذَائِلَا
فَنَــادِ بَنِــي بِنــتِ النَّبِــي مُحَمَّــدٍ وَلَا تَـكُ عَنَّـا يَـا ابـنَ إدريـسَ غَـافِلَا
ولَا تَنتَظِـر جُنـدَ العِـرَاقِ و إن غَـدَى لَـدَى غَمَـرَاتِ الحَـربِ أُسـدَاً بَوَاسِـلا
ولكِـن فَمَـا جُنـدُ ابـنِ أيـوبَ عِنـدَنَا مَهِيبَــاً و إن كــانوا حُمَــاةً مَقــاوِلَا
وكَــم مَــرَّةٍ قُــدنَا بِهَــا أُمــرَاءَهُمْ إلَـى السِّـجنِ قَـودَاً يَتـرُكُ الخـدَّ مَـائِلَا
سَـلُوا كُـلَّ رَكـبٍ مُنجِـدٍ مـن تَهَامَـةٍ أَلَـمْ نَتـرُكِ الأمصَـارَ مِنهَـا هَـوَاجِلَا[١]
وفِـي جَـانِبَي صَـنعاءَ مِنَّـا حَـوَادِثٌ عَلِـيهِم دِرَاكَـاً تَتْـرُكُ القَلـبَ ذَاهِـلَا
فَيَــالَ عَلِــيٍّ دعــوةٌ عَلَوِيَّــةٌ أَجيبُـوا وَلَا تَسـتحقِبُوا المَـالَ شَـاغِلَا[٢]
فَـذِي عِـذْرَةُ الأعـرَابِ يَـومَ أبِـيكُمُ فَلـم يَـكُ منهم صَاحِبُ الوَحِي قَابِلَا[٣]

---

[١] الهواجل: المفازة البعيدة لا تحكم بها.

[٢] استحقب المال: ادخره.

[٣] أي أن المال عذر من كان في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أصحابه الذين حكى الله عنهم قولهم {شغلتنا أموالنا وأهلونا}.

[تمام قصة هلدري وخلاف وردسار على إسماعيل]

رجع الحديث إلى تمام قصة هلدري وما اتصل بذلك من خلاف وردسار على إسماعيل ووصوله إلى الإمام عليه السلام ومخرجه إلى نجران، وما يتلو ذلك من قتل جند إسماعيل ببلاد قدم، وخلاف سنقر[١] المعري عليه.

أقام هلدري بالذنائب مدة طويلة والإمام يكاتبه ويعرض له بالوصول فلم يرد أن يخلي نفسه من اسم الطاعة، وقد وقع في نفسه ما مناه به طاشتكين من تمليكه اليمن، فبقي على ذلك ينتظره حتى صح له مراحه، وجاءت كتب الأمير وردسار متتالية إلى الإمام عليه السلام تذكر خروجه من عدن خائفاً على نفسه ومعه بعض مماليكه ومن انضاف إليه بعد ذلك من الغز، وأنه ما سلم إلا بنية قصده إليه والجهاد بين يديه، وسأل المبادرة ممن يصل إليه وقد صار إلى نهج بلاد بكيل ومغارب ذمار، فكتب الإمام إلى الشيخ فخر الدين مرحب بن سليمان السهلي إلى حصن ثلا يأمره بالتقدم إليه والمبادرة بذلك، فقابل الأمر بالطاعة، ونهض في جماعة من بني عمه، والديوان الذين تحت يده، فلما صار في جبل حضور جاءه الخبر بأن شهاباً قد حط في عسكر كثير في جب ألهان[٢] ، وقد كان استدعاه أهل تلك المغارب

---

[١] الأمير سنقر يلقب الأتابك سيف الدين، كان من كبار القادة الأيوبين، كان مع طغتكين بن أيوب، فلما توفي هرب من ولده المعز في حصون حجة، إلأى أن قتل، ثم تولى الناصر بن طغتكين، فكان سنقر هو وزيره القائم بأمور دولته لصغر سنه، وتولى قيادة الجيوش الغاشمة الأيوبية لحرب الإمام عليه السلام مرات عديدة، وتوفي سنة (٦٠٨)هـ.

[٢] الهان: مخلاف آنس، واسع الأعمال، متباعد الأرجاء، وهو من مخاليف اليمن المشهورة التي تحوي بلداناً واسعة.

ورغبوه في البلاد، وفيما يحصل منها من الأموال، وبلغ إليه مع ذلك كون وردسار في تلك الجهة فأراد أن يحول بينه وبين الإمام، أو أخذه ليتقرب به إلى خليفته، فجرد له ابن سوار في خيل كثيرة ورجال وأمرهم يقصدونه إلى الظلمة ولزم عليهم المسالك، فلم يظفروا بشيء ولا تمكنوا من مرادهم فيه، وكان وصول شهاب موافقاً لوصول مرحب بن سلمان فحال بينه وبين الاتصال بوردسار وأصحابه، وقد كان أمر ابن عمه ظبيان بن فرج فلما انقطعت طريقهم من جهة حضور تقدم بهم إلى ريمة[1]، ووقف مرحب بشمسان عند الأمير الحسن بن علي بن داود القاسمي في جماعة من أصحابه، فقصدهم شهاب بالعسكر فقاتلوهم قتالاً شديداً وهم أربعون رجلاً، فطردوا عسكر شهاب وقتلوا منهم جماعة، وامتنعوا ووقع الخلل من أهل الجبل، وانهزموا بحرائمهم وأموالهم فعلم الأمير والشيخ مرحب أنهم مأخوذون لقلتهم، واختلال أهل البلاد، وكثرة جنود الظالمين، فاستقبلوا الليل ونهضوا بأموالهم وحريمهم متوجهين إلى ثلا، ووصل الأمير الحسن بن علي والشيخ مرحب بن سلمان بعد ذلك إلى الإمام عليه السلام إلى صعدة، وبقي وردسار في جهة المغرب.

فأمر الإمام عليه السلام الشريفين الفاضلين محمد بن موسى بن داود الحمزي، والفضل بن علي العباسي، والشيخ فخر الدين مرحب بن سلمان بالنهوض لتأدية وردسار وأصحابه، وأمرهم بقبض شيء من المال من جهة الظاهر لما يحتاجون إليه، فوصلوا إلى ريمة الأشابط، فتلقاهم أهلها بنو يعفر، والشيخ المكين مخلص الدين أبو المعالي الحرازي بالطاعة لله تعالى وللإمام عليه السلام وبايعوا،

---

[1] ريمة حميد: من قرى سنحان على مسافة ٦ كم غربي غيمان.

وأقيمت عندهم الجمعة، والأذان بحي على خير العمل، وهم على مذهب الجبر، وقابلوهم بالإنصاف والمعروف، ووردسار يومئذ قد صار عندهم، وكان قد أنس بالشيخ أبي المعالي بن أحمد بريمة لما يعرف من عظم حالته عند سيف الإسلام، وكان صاحب الأمر عنده وعند إسماعيل بعده، وأكثر حصون البلاد من تحت يده، وكان قد خرج مخالفاً على إسماعيل وحاربه بعد خدمته له ونصيحته، فخاف على نفسه منه فرغب في الوصول إلى الإمام عليه السلام لما بلغه عنه رغبةً شديدة، فنهض الكل وجعلوا طريقهم على مسار وبيت جميع، فتلقاهم الأشعث بن قيس المعجلي والمشايخ بنو سهل، وهم قرابة الشيخ مرحب بن سلمان بما هم أهله من المعروف، ثم تلقاهم الشيخ سبأ بن محمد المعجلي صاحب مسار وهو أكبر قومه حالة، وأشدهم مودة للإمام عليه السلام.

قال الشريف الفضل بن علي: سرنا في هذه البلاد وأهل كل بلد يأتوننا فنخشى منهم على أنفسنا، وقد أقبلوا بالقرى وهم يتعبدون للإمام، فيسيرون بين أيدينا من بلد إلى بلد مع وعورة البلاد وضيق مسالكها، ويطلبون منا المناشير والمواثيق فنكتب لهم بذلك، وما نصدق بالسلامة حتى أتينا قريباً من الذنائب، وكان غرضنا الميل عنها لما بلغ إلى الأمير والشيخ أبي المعالي بن أحمد أن هلدري قد بدا منه خلاف على الإمام، وكان قد كاتب أبا المعالي وعرف ذلك منه فسرينا في ليلة ظلماء نريد طريق حجة، فانسدت علينا الطريق وغوى الدليل، فما شعرنا إلا ونحن بالقرب من الذنائب لما علم الله من المصلحة من رجوع الجند إلى الإمام عليه السلام، فرأينا الوقوف والإنفاذ إلى السلطان هلدري لما لم نجد بدّاً من ذلك، فركب في الجند والحرابة وتلقانا بالإنصاف، وأظهر المسرة بوصول الأمير وردسار إليه، وقدم له

حصاناً وللشيخ أبي المعالي حصاناً، وأراد بذلك تقوية أمره، وتكثير عدده، لسيتعيض بذلك صلحاً من إسماعيل على قطعة من تهامة وبلاد قد كان عرضها عليه، فلم يوفقه الله لما أراده، وأقاموا عنده أياماً وهو يحقق لهم أخباره منذ وصوله إلى الإمام، وأنه قد ركب مائة حصان وعشرين حصاناً، وأنه أخذ البلاد بسيفه، وشكى بعد ذلك شكاوى لا أصل لها من الإمام عليه السلام، لتكون له عذراً عند الناس.

فقال له الأمير وردسار: إنك قد ذكرت أنك قد ركبت مائة حصان وما علمنا أنك خرجت من البحر بفرس واحد، وعلمنا كيف كانت حالتك بعد ذلك حتى أتيت إلى الإمام، وكان هذا الذي حصل من نعمته عليك، وجرى بينهم كلام يطول شرحه، وظهر له ما في نفسه من الخيانة، وعزمه على الخلاف، فأعملوا النظر في التقدم إلى الإمام عليه السلام، وقد كان منعهم من ذلك وهو مستظهر عليهم بالجند الذين معه والحرابة، وقال لهم: إن كنتم تريدون إلى المؤيد بن القاسم فسحت لكم، فأما الإمام فلا سبيل لكم إلى الوصول إليه.

فلما عرفوا ما عنده رجعوا إلى إفساد الجند عليه، وكانوا قد اضطروا معه، فشاوروا جماعة من كبارهم وأحكموا الرأي فيما بينهم سرّاً، فجاءت الأخبار بنهوض إسماعيل يريد الذنائب وحجة والمغارب بجنود كثيرة وعساكر جمة، فنهضوا بأجمعهم إلى الظهيرة، ثم إلى المطرح، فلما صاروا هنالك لم يبق له عليهم سلطان، وتمكنوا من أنفسهم، فطلبوا منه الفسح لهم على انفرادهم رعيا لما فعل معهم، ويتقدمون إلى الإمام عليه السلام فيصلحون ما بينه وبين السلطان، فامتنع عليهم، وأغلظ لهم في القول، فنصحه الشيخ أبو المعالي بن أحمد، وأعلمه بأن الجند قد مالوا إلى الأمير وردسار وأنه إن لم يفسح له ولأصحابه فإن الكل قد

أجمع رأيهم على التقدم إلى الإمام عليه السلام، فلم يقبل النصيحة وظن ذلك إرجافاً عليه، فركب وركب وردسار وركبت الجند ومالوا في الحال عنه، إلا خمسة نفر منهم أو يزيد على ذلك فحمل فيهم، وظن أن الجند باقون معه فحمل عليه وردسار وعلى أصحابه فصرع مملوكاً له من فرسه، وصرع ولد القائد عطيف بن موفق، وانهزموا بعد ذلك ولم يرد لحاقهم وعاد إلى الظهيرة، وتقدم وردسار بجميع الجند متوجهاً إلى الإمام عليه السلام، وقد كان أمر الأمير صنوه عماد الدين يحيى بن حمزة، والأمير ذا الكفايتين محمد بن إبراهيم في ثلاثين فارساً في لقاء السلطان هلدري والجند، لتغطية أحواله ورضاه، والوصول إلى صعدة، فوافقوا الأمير وردسار والشيخ أبا المعالي والجند في شق بلاد عذر، فأقبلوا جميعاً إلى صعدة.

وكان وصولهم يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى، فتلقاهم الإمام عليه السلام إلى ساحة البلد في خيل كثيرة، وعسكر قد أمرهم باللقاء لذلك اليوم من الربيعة وبني مالك وأهل صعدة، بالعدد والسلاح والزينة، ودخل الكل في موكب عظيم إلى المدينة، وأنزلهم في دور قد عطلت لهم، وأمر لهم بما يحتاجون إليه من أنواع الكرامات، فأقاموا مدة أيام، وأمر للأمير وردسار بحصانين من جياد الخيل، وأربع وعشرين نصفية وتسعة أبراد حريرية، وللشيخ أبي المعالي بحصان جيد وبغل وأربعة أبراد بعضها حرير، وركب في مدة الإقامة بصعدة من الشرف والعرب والغز قدر خمسين حصاناً، وطابت قلوب الأجناد وقرر لهم جامكيةً معلومة، وأمرهم بالتأهب للغارة في جهة الرحبة وفي أعمال صنعاء، وذلك بعد أن صار شهاب بعسكر كثير في مغارب كوكبان استدعاه أهلها وشرطوا أموالاً جليلة، لتمكنهم من حصون في بلاد بني نوب.

ولما عزم الجند المنصور على النهوض جاءت الأخبار بأن البدو من كهلان حلوا بوادي نجران يريدون رعي زرعه، والفساد على أهله، وأنهم نكثوا عهدهم ونجم نفاقهم، فرأى الإمام عليه السلام إيثار نجران والغارة على البدو على الفور فيصبحوا نجران وقد انهزم البدو إلى البئر السفلى وقد أتاهم النذير.

وكان نهوض الجند من صعدة مستهل جمادى الآخرة من سنة ثمان وتسعين، فأقاموا بنجران شهرين تنقص ثلاثة أيام أو يومين.

[نكث هلدري وكتابه إلى الإمام عليه السلام]

ورجع هلدري إلى الظهيرة بعد انفصال الجند منه في قدر عشرة أفراس على أشر حالة، فأقام بها مدة، ووصل إسماعيل في عسكر كثير فحط بالذنائب، وقد استدعاه أهل حجة وبذلوا له الأموال الجليلة، لينال بعضهم من بعض غرضاً، ويشفي من صاحبه غلاًّ، فقدم له حصاناً ومملوكاً ومهدة، ونكث البيعة وأظهر الخلاف على الإمام عليه السلام، ليزداد قرباً من إسماعيل، فأمر إليه بأن يصل إلى بين يديه، ويطأ بساطه، فخشي على نفسه من سطوته، فلم يساعد إلى ذلك، فقبل منه رغبة في انفصاله عن الإمام عليه السلام، وأقطعه بزعمه حرضاً والخموس وصعدة، وجاء منه كتاب يقول:

إني قد صرت من جملة الخليفة وما بقي بينك وبيني معاملة، وشكى من قلة الإنصاف، وأنه منع من محصول البلاد، وأمر بكتاب من إسماعيل فيه سب ولعن وأذية، وأمر بشرموزة منقشة بالحرير أمر بها إليه إسماعيل وقال: هل لإمامك سربوش مثل هذا، فرأى أنه قد ظفر منه بغنيمة وأدرك غرضاً، وحيل

بينهم وبين ما يشتهون، وأغار على بلاد الخول من مغارب الأهنوم يريد بذلك تحقيق خلافه على الإمام عند إسماعيل، فأخذ أموالاً جليلة وعلم أهل البلاد بخلافه فتبعوه وواستنفضوا منه المال جميعه، وقتلوا من أصحابه رجلاً، وجرحوا منهم قوماً كثيراً، وعقروا فرساً، وراحوا منهزمين على أبخس قضية.

[كتاب الإمام إلى هلدري]

فكتب الإمام في آخر كتاب إليه كتاباً نسخته:

ونحن نعلمك أمراً إن عملت بمقتضاه نفعك، أن أكثر ما تشكوه منا الجفوة وقلة الإنصاف، هذه دعواك ونحن ننكرها، وأقل ما تخاف من إسماعيل القتل – والعياذ بالله من نكث الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً–، وتفارق عترة نبيه –صلى الله عليه وآله– الآمرين بالمعروف الأكبر، والناهين عن الفحشاء والمنكر، الذين قال فيهم جدهم صلى الله عليه وعليهم: ((حرمت الجنة على من أبغض أهل بيتي، وعلى من حاربهم، وعلى المعين عليهم، أولئك لا خلاق لهم في الآخرة، ولا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم))، ولا تدري ما بقي من عمرك فاجعله في طاعة الله، وقد جاءنا كتاب إسماعيل وما فيه من السب والأذية التي نزهنا الله سبحانه عن المكافأة بمثلها، ونحن أولاد الرجل الصالح الذي بعثه الله بمكارم الأخلاق، وحسن الخلال، ولم يبعثه لعاناً ولا سباباً، ولن نقتفي إلا أثره صلوات الله عليه وآله، ولن نسلك إلا منهاجه، وهو الداعي إلى الله سبحانه بالحكمة والموعظة الحسنة، وقد جاءتنا تلك الشرموزة وما فيها من النقوش الحسنة، والصور العجيبة، وليست الدنيا منا

ولا نحن منها، ونحن أولاد الرجل الذي مات ودرعه مرهونة عند يهودي في ثلاثين صاعاً شعيراً قوتاً لأهله، ولسنا نفاخر الملوك وأهل الدنيا، إلا أنا نلبس من أغلظ الثياب، ونأكل من أخشن الطعام، ونقوم الليالي ونصوم الأيام، وقد كنا نرجو أن مثل كتاب إسماعيل لو مر بك لمزقته ونوهت بصاحبه، رعياً لما بيننا وبينك.

إن المعارف في أهل النُّهى ذمم

ولو اعتقدت أنا قد أخطأنا عليك عملت بما قال الشاعر:

إذا ما الصديق هفا مرة وقد كان من قبلها مجملا
تغمدت ما كان من فعله ولم يُذهب الآخرُ الأولا

وتعلم أنا لم نكتب كتاباً ينقض ما بيننا وبينك إلى هذه الغاية، وقد كتبتَ إلى ريمة وإلى جهات شتى بما لا يليق بمثلك، وبعد ذلك فلا نحمل عليك ولا ننسى حميد فعلك؛ لأنا من شجرة طيبة مباركة، أصلها ثابت وفرعها في السماء، لا يزيدنا تمادي المكروه إلا حلماً، وقد كانت بلغتنا أمور فرأينا معها الإمساك عن المكاتبة، إلى أن أتانا الأمير الأجل سليمان بن محمد القاضي وذكر أنه أتاه منك مطالعة شافية، ومحبة وافية، ورعياً لما بيننا وبينك، فحمدنا الله على ذلك، وأصدرنا هذا الكتاب مستطلعين لحقيقة ذلك.

فأما سب إسماعيل: فإنا نرجو أن يخذله الله سبحانه بذلك خذلاناً ظاهراً، ويكون لنا عليه ناصراً.

فاستجاب الله سبحانه هذه الدعوة، وما كان إلا مدة وصول البريد بالبشارة بقتل عسكر إسماعيل في بلاد قدم، وسيأتي ذكره في موضعه إن شاء الله.

وجاء كتاب هلدري يذكر خدمته ونصيحته، وأنه طلب المادة بالمال والخيل يستعين بها على حرب العدو، فلم يحصل له ما طلبه على جاري العادة، وذكر العقد له بما حصل من البلاد أنه مصروف إليه، وهو عقد مشروط بالطاعة لله تعالى وللإمام ولموالاة الولي ومعاداة العدو، وتسليم أخماس الغنائم، فنسي هذه الشروط.

فكتب إليه عليه السلام في آخر كتاب كلاماً نسخته:

وبعد، فإنا وقعنا على كتابك وفهمنا فصوله، وما ذكرت من خدمتنا قبل رؤيتنا، وأنك نصحت لله ولنا قبل مشاهدتنا، فكنت كمن آمن بجدنا صلى الله عليه وآله- قبل مشاهدته، ثم لما وصلتنا زاد أثرك على نظرك، وخبرك على خبرك، وكلما زدتنا ذراعاً زدناك باعاً، حتى كان منك النزول إلى تهامة، فكان منك من الآثار الجميلة ما ضمناه بطون الأوراق، وما يذكر إلى يوم التلاق، هذا ونحن كارهون لإقامتك لوجهين:

أحدهما: خيفة فساد الأجناد إلى تهامة كما كان في الأولين.

والثاني: ما بلغنا من ركوب كثير منهم للمعاصي من فعل منكر، وشرب مسكر، وأمرنا هذا لا يثبت إلا مع الاستقامة على طاعة الله تعالى، ولا نشك أنا غفلنا عن المادة بمن يمكن من مال وسواه لهذا، وأنت تعلم أنا لم نضن عليك بالضنين، وأما البلاد فلسنا نجهل العقد فيها علينا، ولكن نسيت العقد لنا بخمس الغنائم، وهو فرض من الله لنا، قال تعالى: {**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ**}[الأنفال/١]، فجعلها للرسول جملة، وللقائم من بعده من ذريته، فرد أربعة أسهم للغانمين، وأخذ سهماً.

وأما إسماعيل فإن عاصنا بحجة فقد عصناه أكثر، وإن نقصنا في بلدة فلقد نقصناه في بلدين، والعاقبة للتقوى، لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً.

فلم يقبل معذرة ولا أصغى إلى موعظة ولا تذكرة، واستمر على غيه، وسلك غير سبيل رشده، وأمر بكتاب إلى بعض إخوانه بصعدة بأن يفسد له الجند، ووقع الكتاب في يد الإمام عليه السلام فغطى أمر صاحب الكتاب وكتمه، وجاءت الأخبار بتقدمه إلى ساعد حرض في أربع أفراس، ولم يستقر له بها قرار، وتقدم إلى قرن حلب وحالف جماعة من الحرابة، وحط نفسه من اسم السلطنة، وبقي هنالك على أشر حالة، بضعف رأيه وسوء تدبيره، ثم لم يقف بعد ذلك إلا مدة سنة، وقتل إلى غير رحمة الله، وستأتي قصة قتله في موضعه إن شاء الله.

قصة إسماعيل وانهزامه من محطة الذنائب بعد قتل جنده وخلاف سنقر عليه

لما استقر أمره بحجة وقبض منها الأموال الجليلة إلى قدر سبعين ألف دينار ولم يبق على أهلها بقية، وباع حصون بعضهم من بعض، وعقد عقوداً ونقضها لغير سبب، وقتل عبد الحميد بن مقدم بن عبد الخالق الذنابي، ومسعود بن سليمان النجراني، وهما من كبار أهل العرب، ورغب في البلاد رغبة عظيمة، فأمر مبارز السعفور في طائفة من العسكر من خيار جنده وزبدة عسكره ورجل كثير من ديوانه إلى بلاد قدم، فحطوا تحت حصن حقيل، ونزل إليهم صاحبه شهاب بن خالد بعد أن كان قد تقدم إسماعيل ورهن عنده رهائن كثيرة، فلما صار بمحطة السعفور أمر بقبضه وأنفذ به إلى إسماعيل وصرخ صارخ قدم، وقصدوه ومن معه إلى المحطة فقتلوهم عن آخرهم، وتغنموا أموالهم وخيلهم وسلاحهم.

وأخبرني الشريف الفاضل الحسن بن إبراهيم بن حمزة بن يحيى بن حمزة الحمزي: وقد وصل ومعه الحسن بن عزوي من خيلهم وبغالهم بأربعة عشر رأساً اشترى بعضها جماعة من الشرفاء الحمزيين، ووصلا بالباقي إلى الإمام عليه السلام فاشتراه منهم.

قال الشريف: أخبرني رجل من قُدم[1] وأنا أنظر القتلى أنه عد في موضع سبعين قتيلاً من الغز خاصة، وذلك سوى من قتل في سائر الأماكن، قال: وانهزم سنقر المغري من قرية مبين بحجة ومن كان معه من الغز والديوان إلى محطة إسماعيل بالذنائب، وجاءت الأخبار من جهات شتى مجملة ومفصلة، وجاء كتاب سنقر إلى الإمام عليه السلام يحكي أخباره مبينة.

[صور من ظلم إسماعيل للرهائن]

وذلك أنه لما وصل إلى الذنائب منهزماً من حجة أتى وقد قَتَل إسماعيلُ لعنه الله الرهائن وأكثرهم أطفال، فذبح ولد شهاب بن خالد على صدر أبيه، وقطع لحم شهاب وأطعمه إياه مشوياً، ومثل بالباقين، فمنهم من وسطه، ومنهم من ذبحه، ومنهم من قلع عينيه بأصبعيه، ومنهم من رماه بالنفط، ومنهم من سلقه طبخاً في القدور، وذكروا أنه تولى ذلك بنفسه ولم يراقب الله، فأنكر عليه ذلك سنقر عند وصوله إليه فأراد قتله وقتل يوسف الأسعودي، وكان شيخاً تكبره ملوك العجم، ويعظمون شأنه، ويقبل الجند قوله، ويدعونه والداً ويدعوهم أولاداً، فلما هم بقتلهما ركب سنقر وأظهر الخلاف، وقد كان أحكم الأمر فيما بينه وبين أكثر الجند والمماليك فمالوا إليه، فكان ذلك سبب افتراق شملهم، وانتقاض أمرهم، واستجابة دعاء الإمام عليه السلام عليهم في خطبته في كل جمعة عليهم، فكان يقول في ابتداء دعائه المستجاب:

---

[1] قدم –بضم أوله وفتح ثانيه–: بطن من حاشد من ولد قدم بن قادم، وينسب إليه بلاد قدم جنوب حجة.

اللهم فرق كلمتهم، وانقض جمعهم، وعف آثارهم، واهدم منارهم، واجعل على أيدينا وفاء وعدك وغلبة جندك، إنك لا تخلف الميعاد، ولا تظلم العباد، وصل على محمد وعلى آل محمد.

فاستجاب سبحانه دعاءه، وسمع نداءه، فله الحمد كثيراً بكرة وأصيلاً، فأردت ذكر تفصيل ذلك على ما جاءت به الأخبار، ونطقت به المكاتبات من جهات كثيرة؛ إذ كنت مطلاً على الأكثر منها والمجيب عنها؛ ليعجب الناظر كيف فرق الله شملهم بخفي ألطافه، فأذاق بعضهم بأس بعض.

قال الشيخ حسن بن عزوي في ذلك من قصيدة:

انظر جيوش الغز كيف تمزقوا	**أيدي سبا وهم العديد الأكثرُ**
أرسلتَ أسلحةَ الدعاء فأدركت	**ما ليس تدركه الظبا والضُّمَّرُ**
فكأنها عادُ الذين تمردوا	**وَفَدَت لهم بالبخس ريحٌ صرصرُ**
لو كنتَ شاهدَ وقعةٍ أضحوا بها	**مثل الجزائر في الولائم تُنحَرُ**
والبيض تطلع والفوارس تنتحي	**والبيض توقع والرؤوس تُطَيَّرُ**
قالت لهم قِدَمٌ وقد ظفروهم	**أين العدينة منكم والتعكر**
وأميرها السعفور قلنا لا لعًا	**بالسيف وهو مخضب ومعفر**

....

[نقص ها هنا]

....

[عودة إلى الأصل]

إلى سنقر إلى جهة تهامة من قبل أن يستحكم الأمر فيما بينه وبين شهاب، ووافق رأيه ما كان قد فعله الإمام عليه السلام في ذلك، وكان قد انتدب لذلك الشيخ الموفق مخلص الدين أبا المعالي بن أحمد الحرازي؛ لأنه كان ذا حالة جليلة عند سيف الإسلام وعند إسماعيل بعده، والغز كلهم يعرفون مكانه، وهو رجل عاقل عارف بأمور الغز، مقبول القول عندهم، وهو مع ذلك كبير في أهله مجاب في عشيرته، فسأل الإمام عليه السلام أن يأمر من قرابته من يكون عوناً له على ما يريده، ومقدماً من قبله عليه السلام لما لا يستغني عنه من اسم الشرف والواصل من جهته، فأمر الأمير المكين وهاس بن جعفر بن محمد بن جعفر بن حمزة الحمزي، والشيخ فخر الدين مرحب بن سلمان السهلي الحرازي، وأمرهم أن يجعلوا طريقهم على الذنائب لإصلاح أمور القائد عطيف بن موفق، وكان صدورهم يوم صدور العسكر المنصور إلى جهة البون، ووصل الأمير محمد بن إبراهيم القاسمي من نهج شظب، ومعه القاضي الفاضل إبراهيم بن أحمد بن أبي الأسد، والجرمي بن النفيل صاحب السودة، وكان الإمام عليه السلام قد ولى الأمير المذكور الأمر العام هنالك، وجعل الولاية في قبض الحقوق الواجبة والقيام بالخطبة والفصل بين الناس في الأحكام الشرعية إلى القاضي المذكور، فاستحكم الأمر، وأزيل ظاهر المنكر والفساد من شظب، وهي معدن الفساد، وأقيمت الجمعة مع كراهة شديدة من المطرفية، وقبضت الحقوق الواجبة ومضت الأوامر الإمامية والأحكام الشرعية.

[الاستيلاء على عثار وحصن النعل حين تعلقوا بالمطرفية ونكثوا للبيعة]

وكان السلاطين أهل عثار[١] قد تعلقوا بمذهب المطرفية، وصاروا من أشد الناس كراهية للدولة، فلم يتركوا جهداً في نقض أمر قد أراد الله إحكامه، وطي سربال من الحق قد نشر الله أعلامه، وإخوانهم من أنجاس المطرفية يسرون إليهم بالعداوة والبغضاء، فأجمع رأيهم وأبرموا أمرهم على أخذ حصن النعل في ناحية شظب ونفي من كان فيه من قبل الإمام عليه السلام، والخلاف في حصن العادي وأخذه، فحالف فيه رجل من الأقهوم يقال له: حناتر غدراً، ومنعوا الشريف علي بن إبراهيم من دخوله وكان الوالي فيه من قبل الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة، وأظهروا الخلاف، ونكثوا البيعة، ونقضوا العهود ولم يراقبوا الله تعالى، فأمكن منهم ونصر عليهم في الحصنين جميعاً.

وجاء كتاب الأمير عماد الدين يذكر أنه جمع عسكراً كبيراً منصوراً، وأحاط بالحصن وحصرهم فيه وقاتلهم أياماً، ولم يتصل منهم بطائل لمنع المكان وحصانته، وكان ابن النويب قد توسط بينهم بدفع ألف وخمسمائة دينار نصفةً للأمير فيما أقدموا عليه من العار، ونكث البيعة، ولما وقعت المحطة عليهم واشتدوا بحصنهم غفلوا عن ذلك، فأمر الأمير عماد الدين ناصر العسقلاني وكان في جملة عسكره بعمل منجنيق في إيام الإقامة في المحطة، فأكمله في أيام قريبة ونصبه عليهم وهم يستهزئون به ورماهم بحجارة هدمت عليهم السقوف ودخلت

---

[١] عثار -بفتح العين والثاء المثلثة-: واد وقرية كبيرة في قاع البون الأسفل، من مديرية خارف، وأعمال عمران، منه الطريق إلى ريدة.

عليهم أوساط البيوت، ووقع منها شيء في البركة التي فيها الماء فكادت تهدمها، وطلع منهم رجل على سطح فوقعت في العامري الذي في يده حجر فرمت بهما جميعاً وسلم، فصاحوا بعد ذلك بالتودية، وسألوا الأمان على نفوسهم لما أيقنوا بالهلاك، فعفى الأمير عنهم بعد القدرة عليهم، وأمنهم على نفوسهم، وحاق بهم مكرهم، واستولى على الحصن، وخمدت نار المفسدين، وأيد الله الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين، وأقبلت أهل تلك المغارب طائعين، بعد أن كانوا بعد الخلاف في الحصن مستبشرين، لفسادهم وكراهيتهم للحق وأهله.

وأما حصن النعل فأخذه أهل عثار ومن شايعهم من أهل البلاد وملكوه وطردوا من كان فيه، وبلغ الخبر بأخذه إلى بني النفيل فأغاروا في عسكر من بلديهما، ووقع القتال الشديد بينهم، وأغار بعد ذلك الأمير محمد بن إبراهيم القاسمي من جهة غربان في عسكر فأحاطوا بالحصن ومن فيه وحصروهم وقاتلوهم قتالاً شديداً، وكثرت الجراحات وقتل رجل من كبار أهل عتاد، وأخذوهم بعد ذلك قهراً، واستولوا على المكان، ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً، واضطربت أحوال المطرفية وانتقض أمرهم، وتودى أهل عتاد إلى الأمير عماد الدين بمال على الطاعة وتسليم الحصن، فأمر معهم الأمير حمزة بن حمزة فأظهروا الطاعة للإمام عليه السلام وطلع معهم إلى الحصن أرادوا بذلك دفع الضرر عنهم، فلما بين ابن النفيل للإمام عليه السلام أمورهم كتب إليهم كتاباً، وإلى الأمير حمزة بن حمزة يقول: إن كانت طاعتهم صحيحة فليسلموا الرهائن الوثيقة على الطاعة وتأدية الحقوق الواجبة، وإلا فلا أمان لهم ولا ذمة عليهم، وأمره إن لم يفعلوا ذلك بالانتقال عنهم.

[كتاب الإمام إلى المطرفية بهجرة الظهراوين]

وكتب إلى المطرفية بهجرة الظهراوين[1] كتاب نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى كافة المتسمين بالمسلمين بهجرة الظهراوين وناحية شظب، سلام عليكم، فإنا نحمد إليكم الله.

أما بعد: فإنه بلغنا أنكم في اجتهاد شديد في العبادة لله سبحانه، وأنتم تنتسبون إلى آل محمد صلى الله عليه وآله، ونحن باب حطة من دخله غفر له، ومن نكص عنه في زمرة الفاسقين، فالله الله في أنفسكم - عطف الله قلوبكم إلى الرشد، وأخذ بنواصيكم إلى الحق- لا تهلكوها، وفي عرى الإسلام لا تبتكوها، وفي أستار دينكم لا تهتكوها، فإنا آل محمد صلى الله عليه وآله نجاة كل مؤمن ومؤمنة، وإن البصيرة قبل الإقدام على الفعل، وقد تخلفتم ولم تضروا بالتخلف غير أنفسكم، ورسول الله -صلى الله عليه وآله- يقول: ((من سمع واعيتنا أهل البيت فلم يجبها كبه الله على منخريه في نار جهنم))، وقول الله سبحانه أسبق، وهو بهذا المقام أليق: {**أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ**}[النساء/٥٩]، ونحن أولوا الأمر فإن كان لنا في دين الله خصم وأنتم الحكام لم يجز لكم أن تحكموا حتى تسمعوا كلامنا، فإن طعن طاعن لم تصغوا إلى قوله حتى تقيموا حجتنا أو تحققوا عذرنا، ولا تكونوا روافض هذه

---

[1] الظهراوين: بلدة في جبل شظب بجوار بني حجاج مديرية السودة، تبعد عن عمران شمالاً (٤٥)كم.

الدعوة النبوية، فإن لكل دعوة روافض، ولسنا نقول: خوارجها لأنكم تضعفون عن الخوارج، وإن كراهة الحق لا تقدح فيه، ولا وحرمة محمد جدي وعلي أبي -صلوات الله عليهما وعلى الطيبين من آلهما- ما بعثنا بهذا الكتاب إلا شفقة عليكم، ورغبة في هدايتكم، وفرض الله علينا أن ندعوكم، وفرض الله عليكم الإجابة، وقد أتينا بما علينا فأتوا بما عليكم، ولعل بعض الطاعنين لم يرنا ولم نره، وبعض لا يعرف دليل الإمام فكيف يعرف نقضها، ومن يعرف طرفاً من ذلك غلبت عليه الشقوة، ويعلم الخلق أن أتباعنا والمتمسكين بطاعة الله وطاعتنا من أهل بيت محمد -عليه وعليهم أفضل السلام- وأتباعهم من علماء الإسلام أكثر منه علماً، وأرجح منه حلماً، مكبون على طاعتنا، مكثرون لجماعتنا، الجمع فيهم قائمة، والأوامر لهم وبهم لازمة، وقد رد الله الأمر إلى نصابه، والملك الحقيقي إلى أربابه، من أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومهبط الوحي، ومختلف الملائكة، فله الحمد حتى يرضى وبعد الرضا، نفذت الأوامر الإمامية في أرض الحجاز على أبي عزيز فمن دونه، وهذه كتبه: المملوك المنصوري قتادة بن إدريس بن مطاعن الحسني يتقرب إلى الله تعالى بالانتساب إلينا، وقامت الجمع في مخلاف بني سليمان، وسلمت الحقوق، ونحن راضون بدعوة رسول الله -صلى الله عليه وآله- على من ترك الجمعة ممن نصب لنا العداوة، لأنه لا يدعو إلا بما ضمنت له فيه الإجابة؛ لتتحرس أعلام النبوة، وهي قوله: ((من تركها وله إمام عادل فلا جمع الله شمله، ولا بارك له في أمره، ألا ولا صلاة له، ولا زكاة له، ولا صيام له، ولا حج له))، هذا تفسير الخبر، فكيف يجتمع شمل أحد ممن تركها بعد دعوة مجاب الدعوة صلوات الله

عليه وعلى آله، فلا تتركوها تتركوا من البركة، وتقعوا في الهلكة، وإن أحببتم الوصول والتفهم في أمر دينكم فنعم الرأي رأيتم، وعلى الرحب والسعة لطالب الحق واليقين منكم ومن غيركم، وهذه اليهود مع قتلها أنبياء الله وكذبها على الله تصل إلى بين أيدينا فنلقي إليها الحجج مما نزل في ألواح موسى بن عمران عليه السلام، وما نزل على أنبياء بني إسرائيل، لأن تقوم عليهم الحجة بما لا يمكنهم رده، ونجادلهم كما أمر الله سبحانه بالتي هي أحسن، فكيف بكم وأنتم ممن ينتسب إلينا، ويتشرف بالكون من شيعتنا، فانظروا لأنفسكم نظراً يخلصكم، والسلام عليكم ورحمة الله.

فرغ من نساخة الجزء الأول من السيرة.

فرغ من قرآءته بحصن ظفار حماه الله في جمادى الآخرة سنة ثمان وستمائة، حامداً لله، مصلياً على رسوله محمد وآله.

[آخر ملحق القصائد المتعلقة بالجزء الأول]

[ترثيته لوالدته رحمها الله تعالى]

وقال عليه السلام مرثياً لأمه رحمها الله، [واسمها زينب بنت إبراهيم بن سليمان، وهي من أولاد الإمام محمد بن يحيى بن عبد الله الديباج بن الحسن بن الحسن عليهما السلام]:

جريحُ أَسَىً جَارَتْ عليهِ الجَرَائِحُ ... فَلَا الصَّبرُ موجودٌ ولا الوَجدُ نَازِحُ
يُحَاوِلُ تَرْدَادَ الدُّمُوعِ تَعَزِّيَاً ... وهُنَّ كَتَوْكَافِ الشَّعِيبِ سَوَافِحُ[1]
أتَانِي كتابٌ فيهِ مَا لَا أُرِيدُهُ ... فضَاقَ بقلبِي فِي الشِّغَافِ الجَوَانِحُ[2]
أُصَدِّقُهُ حِينَاً وتأبَاهُ مُهجَتِي ... وأَردَعُهُ عَنْ شَأوِهِ وَهْوَ جَامِحُ[3]
أَمَهجُورَةٌ لا عَنْ قِلَى كَانَ هَجرُهَا ... سَقَى جَدَثاً وارَاكِ غَادٍ وَرَائِحُ
ولا زَالَ رَيحَانٌ ومِسْكٌ وعَنبَرٌ ... على القَبرِ تُذرِيهِ الرِّيَاحُ اللَّوَاقِحُ
حَلِيفَةُ إيمَانٍ تُتَاجِرُ رَبَّهَا ... ومَنْ تَاجَرَ الرَّحْمَنَ لَا شَكَّ رَابِحُ
أكَافِلَتِي بِالبِرِّ كيفَ تَرَكْتِنِي ... وقَلبِيَ مَحزُونٌ وقَلبُكِ فَارِحُ
نَرُومُ التَّلَاقِي بالأَمَانِي تَرَجِّيَاً ... ويُوعِدُنَاهُ الدَّهرُ والدَّهرُ مَازِحُ
ألَا كُلُّ حَيٍّ مَا خَلَا اللهَ هَالِكٌ ... تُنِيخُ عليهِ بالفَنَاءِ الجَوَايحُ
وكُلُّ بَنِي حَوَّاءَ سوفَ تَزُورُهم ... مُفَجِّعَةٌ تَبيَضُّ منها المَسَائِحُ[4]

---

[1] التوكاف: التقطير. الشعيب: السقاء البالي.

[2] الشغاف: غشاء القلب.

[3] الردع: المنع. والشأو: السبق. والجامح: المسرع.

[4] المسائح: الذوائب.

وللنـــاسِ يَـــومٌ بِالمَسَـــاءةِ رَائِـــحٌ ويـــومٌ بـــأنواعِ المَســـرَّةِ سَـــارِحُ
فهـــذَا بِـــرَغمِ النَّـــاسِ للشـــرِّ طَـــالِحٌ وهـــذَا بِـــرَغمِ النَّـــاسِ للخَيـــرِ صَـــالِحُ
وعنـــدِيَ أَنَّ الأمـــرَ للهِ وحـــدَهُ وأنَّ لَـــهُ الأيـــامَ والـــدهرُ جَـــامِحُ
أَعُـــدُّ التعَـــازِي والتعـــازِي كَثِيـــرَةٌ وقَلبِـــي بِمَـــا فيـــه مـــن الوَجْـــدِ طَـــافِحُ

[أبيات له جواباً عن سائل سأله عن مذهبه]

وقال عليه السلام:

يَـــا أَيُّهَـــا السَّـــائِلُ عـــن مَـــذهَبِي هُبِلـــتَ مَـــا أنـــتَ وهـــذَا السُّـــؤَالْ[1]
أَلَـــيسَ جَـــدِّي أَحمـــدُ المُصـــطَفَى قَـــالَ وأمضَـــى الحُكـــمَ مَـــن قَـــالَ قَـــالْ
كَفُلـــكِ نُـــوحٍ عِترَتِـــي فَـــارْكَبُوا إذَا خَشِـــيتُم مـــن بِحَـــارِ الضَّـــلاَلْ
حَـــدَّثَنِي شَـــيخِي عـــن شَـــيخِهِ وَشَـــيخُهُ الآخَـــرُ خَيـــرُ الرِّجَـــالْ
بِـــأَنَّ مـــن كَـــانَ مُحِبَّـــاً لَنَـــا يَنَـــالُ فِـــي الأُخـــرَى أَجَـــلَّ المَنَـــالْ
وَأَنَّ مَـــن كَـــانَ لَنَـــا مُبغِضَـــاً مُعَـــرَّضٌ صَـــفحَتَهُ للنَّكَـــالْ

[أبيات من قصيدة لعلها في شأن مأرب]

وله عليه السلام من قصيدة:

أتعـــرفُ دار الحـــيِّ بـــين الأخاشـــبِ إلـــى العلـــم المقصـــود أيمـــنَ مـــأربِ
كســـتها شـــآبيب الحيـــا حلـــل البهـــا فمزقهـــا أيـــدي الصـــبا والجنايـــبِ
ذكرنـــا بهـــا جـــرّ الصـــعاد وركضـــنا طـــوال الهـــوادي واقبـــات السـبايبِ
بنـــات العقـــاب والوجيـــه ولاحـــق رقـــاق الخـــدود عاليـــات المناكـــبِ

[1] الهبل: الثُّكْل بالضم والتحريك: الموت والهلاك، أو موت الحبيب والولد.

تجـوزُ بنـا أقصـى المـدى وتردنـا وفيهـا مـراح الرائكـات الخواضـبِ
فـدع كلمـا يضـني فـؤادك ذكـره فمـا كـل والـي إليـك بآيـبِ
وقـل لـي على بعـد المـزار لميتـك مقالـة صـدق لا مقالـة كـاذبِ

[[أبيات له حين عظم الخطب من إسماعيل]

وقال عليه السلام وهو مهاجر في براقش وقد عظم عليه الأمر من شدة الخوف من الغز فما كان إلا مدة وصول الخبر بموت سيف الإسلام عقيب إنشائه لهذه الأبيات:

لَـمْ يَبْـقَ لِـي زَافِـرَةٌ أَتَّقِـي بهـا الأعـادِي غيـر حسـنِ اليقِـينْ[1]
وَوَعـدُكَ الحـقُّ وقـدْ جـاءَ فِـي وعـدِكَ أنَّ الـدَّارَ للمُتَّقِـينْ
وأنـتَ أعلَـى مَنظَـراً والـوَرَى قَـدْ لَبِثُـوا وَسْـطَ العَـذَابِ المُهِـينْ
فـافتَحْ بفـتْحٍ عَاجِـلٍ إنَّنِـي أرجُـوكَ يَـا رَبِّ ولـو بَعـدَ حِـينْ
قـدْ قَـنَطَ الرَّاجُـونَ لكِنَّنِـي أرجُـوكَ إذ لَسـنَا مـنَ القَـانِطِينْ

---

[1] الزافرة من الرجل: عشيرته، والسيد الكبير.

الفهرس